تفسير النسفي

للإمام الجليل العلامة أبي البركات
عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي
عليه سحائب الرحمة
والرضوان

الجزء الأول

دار إحياء الكتب العربية
عيسى البابي الحلبي وشركاه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المنزه بذاته عن إشارة الأوهام * المقدّس بصفاته عن إدراك العقول والأفهام * المتصف بالألوهية قبل كل موجود * الباقي بالنعوت السرمدية بعد كل محدود * الملك الذى طمست سبحات جلاله الأبصار * المتكبر الذى أزاحت سطوات كبريائه الأفكار * القديم الذى تعالى عن مماثلة الحدثان * العظيم الذى تنزه عن مماسة المكان * المتعالى عن مضاهاة الأجسام * ومشابهة الأنام * القادر الذى لايشار إليه بالتكييف * القاهر الذى لايسئل عن التحميل والتكليف * العليم الذى خلق الإنسان وعلمه البيان * الحكيم الذى نزل القرآن شفاء للأرواح والأبدان * والصلاة والسلام على المستل من أرومة البلاغة والبراعة * المحتل فى بحبوحة النصاحة والفصاحة * محمد المبعوث إلى خليقته * الداعى إلى الحق وطريقته * صلى الله وسلم عليه * وعلى آله وشيعته ﴿ قال ﴾ مولانا الشيخ الإمام المعظم * والحبر الإمام المقدم * أستاذ أهل الأرض * محيي السنة والفرض * كشاف حقائق أسرار التنزيل * مفتاح أسرار حقائق التأويل * ترجمان كلام الرحمن * صاحب علم المعانى والبيان * الجامع بين الأصول والفروع * المرجوع إليه فى المعقول والمسموع * حافظ الملة والدين * شيخ الإسلام والمسلمين * وارث علوم الأنبياء والمرسلين * أكمل فحول المجتهدين * قدوة قروم المحققين * ذو السعادات والكرامات * أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى نفع الله الإسلام بطول بقائه * والمسلمين بيمن لقائه * قد سألنى من تتعين إجابته كتابا وسطا فى التأويلات * جامعا لوجوه الإعراب والقراءات * متضمنا لدقائق علمى البديع والإشارات * حاليا بأقاويل أهل السنّة والجماعة * خاليا عن أباطيل أهل البدع والضلالة * ليس بالطويل الممل * ولا بالقصير المخل * وكنت أقدم فيه رجلا وأؤخر أخرى استقصاراً لقوة البشر * عن درك هذا الوطر * وأخذاً لسبيل الحذر * عن ركوب متن الخطر * حتى شرعت فيه بتوفيق الله والعوائق كثيرة * وأتممته فى مدة يسيرة ﴿ وسميته بمدارك التنزيل * وحقائق التأويل ﴾ وهو الميسر لكل عسير * وهو على مايشاء قدير * وبالإجابة جدير.

﴿ فاتحة الكتاب ﴾

مكية وقيل مدنية والأصح أنها مكية ومدنية نزلت بمكة حين فرضت الصلاة ثم نزلت بالمدينة حين حولت القبلة إلى الكعبة وتسمى أم القرآن للحديث قال عليه السلام لا صلاة لمن لم يقرأ بأم القرآن ولاشتمالها على المعانى التى فى القرآن وسورة الوافية والكافية لذلك وسورة الكنز لقوله عليه السلام حاكيا عن الله تعالى «فاتحة الكتاب كنز من كنوز عرشى» وسورة الشفاء والشافية لقوله عليه السلام «فاتحة الكتاب شفاء من كل داء إلا السام» وسورة المثانى لأنها تثنى فى كل صلاة وسورة الصلاة لما يروى ولأنها تكون واجبة أو فريضة وسورة الحمد والأساس فإنها أساس القرآن قال ابن عباس رضى الله عنهما إذا اعتللت أو اشتكيت فعليك بالأساس وآيها سبع بالاتفاق.

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها على أن التسمية ليست بآية من الفاتحة ولا من غيرها من السور وإنما كتبت للفصل والتبرك للابتداء بها وهو مذهب أبى حنيفة ومن تابعه رحمهم الله ولذا لا يجهر بها عندهم فى الصلاة وقراء مكة والكوفة على أنها آية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه الشافعى وأصحابه رحمهم الله ولذا يجهرون بها فى الصلاة وقالوا قد أثبتها السلف فى المصحف مع الأمر بتجريد القرآن عما ليس منه وعن ابن عباس رضى الله عنهما من تركها فقد ترك مائة وأربع عشرة آية من كتاب الله ولنا حديث أبى هريرة قال سمعت النبى عليه السلام يقول: «قال الله تعالى قسمت الصلاة -أى الفاتحة- بينى وبين عبدى نصفين ولعبدى ماسأل فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى حمدنى عبدى وإذا قال الرحمن الرحيم قال الله تعالى أثنى علىّ عبدى وإذا قال مالك يوم الدين قال مجدنى عبدى وإذا قال إياك نعبد وإياك نستعين قال هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ماسأل فإذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدى ولعبدى ماسأل» فالابتداء بقوله الحمد لله دليل على أن التسمية ليست من الفاتحة وإذا لم تكن من الفاتحة لا تكون من غيرها إجماعا والحديث مذكور فى صحاح المصابيح وما ذكروا لا يضرنا لأن التسمية آية من القرآن أنزلت للفصل بين السور عندنا ذكره فخر الإسلام فى المبسوط وإنما يرد علينا أن لو لم نجعلها آية من القرآن وتمام تقريره فى الكافى وتعلقت الباء بمحذوف تقديره باسم الله أقرأ أو أتلو

لأن الذى يتلو التسمية مقروء كما أن المسافر إذا حل وارتحل فقال باسم الله والبركات كان المعنى باسم الله أحل وباسم الله أرتحل وكذا الذابح وكل فاعل يبدأ فى فعله باسم الله كان مضمرا ماجعل التسمية مبدأ له وإنما قدر المحذوف متأخرا لأن الأهم من الفعل والمتعلق به هو المتعلق به وكانوا يبدءون بأسماء آلهتهم فيقولون باسم اللات وباسم العزى فوجب أن يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله عز وجل بالابتداء وذا بتقديمه وتأخير الفعل وإنما قدم الفعل فى اقرأ باسم ربك لأنها أول سورة نزلت فى قول وكان الأمر بالقراءة أهم فكان تقديم الفعل أوقع ويجوز أن يحمل اقرأ على معنى افعل القراءة وحققها كقولهم فلان يعطى ويمنع غير متعد إلى مقروء به وأن يكون باسم ربك مفعول اقرأ الذى بعده واسم الله يتعلق بالقراءة تعلق الدهن بالانبات فى قوله تنبت بالدهن على معنى متبركا باسم الله أقرأ ففيه تعليم عباده كيف يتبركون باسمه وكيف يعظمونه وبنيت الباء على الكسر لأنها تلازم الحرفية والجر فكسرت لتشابه حركتها عملها والاسم من الأسماء التى بنوا أوائلها على السكون كالابن والابنة وغيرهما فإذا نطقوا بها مبتدئين زادوا همزة تفاديا عن الابتداء بالساكن تعذرا وإذا وقعت فى الدرج لم يفتقر إلى زيادة شىء ومنهم من لم يزدها واستغنى عنها بتحريك الساكن فقال سم وسم وهو من الأسماء المحذوفة الأعجاز كيد ودم وأصله سمو بدليل تصريفه كأسماء وسمى وسميت واشتقاقه من السمو وهو الرفعة لأن التسمية تنويه بالمسمّى وإشادة بذكره وحذفت الألف فى الخط هنا وأثبتت فى قوله: اقرأ باسم ربك لأنه اجتمع فيها أى فى التسمية مع أنها تسقط فى اللفظ كثرة الاستعمال وطولت الباء عوضاً عن حذفها ، وقال عمر بن عبدالعزيز لكاتبه طول الباء وأظهر السينات ودور الميم والله أصله الإله ونظيره الناس أصله الأناس حذفت الهمزة وعوض منها حرف التعريف، والإله من أسماء الأجناس يقع على كل معبود بحق أو باطل ثم غلب على المعبود بالحق كما أن النجم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا وأما الله بحذف الهمزة فمختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره وهو اسم غير صفة لأنك تصفه ولا تصف به لاتقول شىء إله كما لاتقول شىء رجل وتقول الله واحد صمد ولأن صفاته تعالى لابد لها من موصوف تجرى عليه فلو جعلتها كلها صفات لبقيت صفات غير جارية على اسم موصوف بها وذا لا يجوز ، ولا اشتقاق لهذا الاسم عند الخليل والزجاج ومحمد ابن الحسن والحسين بن الفضل وقيل معنى الاشتقاق أن ينتظم الصيغتين فصاعدا معنى واحد

وصيغة هـذا الاسم وصيغة قولهم أله إذا تحير ينتظمهما معنى التحير والدهشة وذلك أن الأوهام تتحير فى معرفة المعبود وتدهش الفطن ولذا كثر الضلال وفشا الباطل وقل النظر الصحيح وقيل هو من قولهم أله يأله إلاها إذا عبد فهو مصدر بمعنى مألوه أى معبود كقوله هذا خلق الله أى مخلوقه وتفخم لامه إذا كان قبلها فتحة أو ضمة وترقق إذا كان قبلها كسرة ومنهم من يرققها بكل حال ومنهم من يفخم بكل حال والجمهور على الأول، والرحمن فعلان من رحم وهو الذى وسعت رحمته كل شىء كغضبان من غضب وهو الممتلىء غضباً وكذا الرحيم فعيل منه كمريض من مرض ، وفى الرحمن من المبالغة ماليس فى الرحيم لأن فى الرحيم زيادة واحدة وفى الرحمن زيادتين وزيادة اللفظ تدل على زيادة المعنى، ولذا جاء فى الدعاء يارحمن الدنيا لأنه يعم المؤمن والكافر ورحيم الآخرة لأنه يخص المؤمن وقالوا: الرحمن خاص تسمية لأنه لا يوصف به غيره وعام معنى لما بينا والرحيم بعكسه لأنه يوصف به غيره ويخص المؤمنين ولذا قدم الرحمن وإن كان أبلغ والقياس الترقى من الأدنى إلى الأعلى يقال: فلان عالم ذو فنون نحرير لأنه كالعلم لما لم يوصف به غير الله، ورحمة الله انعامه على عباده وأصلها العطف وأما قول الشاعر فى مسيلمة * وأنت غيث الورى لازلت رحمانا * فباب من تعنتهم فى كفرهم ورحمن غير منصرف عند من زعم أن الشرط انتفاء فعلانة إذ ليس له فعلانة ومن زعم أن الشرط وجود فعلى صرفه إذ ليس له فعلى، والأول الوجه (الْحَمْدُ) الوصف بالجميل على جهة التفضيل وهو رفع بالابتداء وأصله النصب وقد قرئ باضمار فعله على أنه من المصادر المنصوبة بأفعال مضمرة فى معنى الإخبار كقولهم شكراً وكفراً والعدول عن النصب إلى الرفع للدلالة على ثبات المعنى واستقراره والخبر (لِلهِ) واللام متعلق بمحذوف أى واجب أو ثابت وقيل الحمد والمدح أخوان وهو الثناء والنداء على الجميل من نعمة وغيرها تقول: حمدت الرجل على انعامه وحمدته على شجاعته وحسبه، وأما الشكر فعلى النعمة خاصة وهو بالقلب واللسان والجوارح قال .

أفادتكم النعماء منى ثلاثة   يدى ولسانى والضمير المحجبا

أى القلب ، والحمد باللسان وحده وهو إحدى شعب الشكر ومنه الحديث «الحمد رأس الشكر ماشكر الله عبد لم يحمده» وجعله رأس الشكر لأن ذكر النعمة باللسان أشيع لها من الاعتقاد وآداب الجوارح لخفاء عمل القلب ومافى عمل الجوارح من الاحتمال، ونقيض الحمد الذم ونقيض

الشكر الكفران وقيل المدح ثناء على ماهو له من أوصاف الكمال ككونه باقيا قادراً عالما أبديا أزليا والشكر ثناء على ماهو منه من أوصاف الافضال والحمد يشملهما، والألف واللام فيه للاستغراق عندنا خلافاً للمعتزلة ولذا قرن باسم الله لأنه اسم ذات فيستجمع صفات الكمال وهو بناء على مسئلة خلق الأفعال وقد حققته فى مواضع (رَبِّ الْعَالَمِينَ) الرب المالك ومنه قول صفوان لأبى سفيان : لأن يربنى رجل من قريش أحب إلىّ من أن يربنى رجل من هوازن، تقول ربه يربه ربا فهو رب ويجوز أن يكون وصفا بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل ولم يطلقوا الرب إلا فى الله وحده وهو فى العبيد مع التقييد إنه ربى أحسن مثواى قال: ارجع إلى ربك ، وقال الواسطى هو الخالق ابتداء والمربى غذاء والغافر انتهاء وهو اسم الله الأعظم والعالم كل ماعلم به الخالق من الأجسام والجواهر والأعراض أو كل موجود سوى الله تعالى سمى به لأنه علم على وجوده. وإنما جمع بالواو والنون مع أنه يختص بصفات العقلاء أو ما فى حكمها من الأعلام لما فيه من معنى الوصفية وهى الدلالة على معنى العلم (الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ) ذكرهما قد مر وهو دليل على أن التسمية ليست من الفاتحة إذ لو كانت منها لما أعادها لخلو الإعادة عن الإفادة (مَالِكِ) عاصم وعلىّ ملك غيرهما وهو الاختيار عند البعض لاستغنائه عن الإضافة ولقوله : لمن الملك اليوم، ولأن كل ملك مالك وليس كل مالك ملكا ولأن أمر الملك ينفذ على المالك دون عكسه وقيل المالك أكثر ثوابا لأنه أكثر حروفا، وقرأ أبوحنيفة والحسن رضى الله عنهما ملك (يَوْمِ الدِّينِ) أى يوم الجزاء ويقال كما تدين تدان أى كما تفعل تجازى وهذه إضافة اسم الفاعل إلى الظرف على طريق الاتساع كقولهم * يا سارق الليلة أهل الدار * أى مالك الأمر كله فى يوم الدين، والتخصيص بيوم الدين لأن الامر فيه لله وحده وإنما ساغ وقوعه صفة للمعرفة مع أن إضافة اسم الفاعل إضافة غير حقيقية لأنه أريد به الاستمرار فكانت الإضافة حقيقية فساغ أن يكون صفة للمعرفة وهذه الاوصاف التى أجريت على الله سبحانه وتعالى من كونه ربا أى مالكا للعالمين ومنعما بالنعم كلها ومالكا للامر كله يوم الثواب والعقاب بعد الدلالة على اختصاص الحمد به فى قوله: الحمد لله دليل على أن من كانت هذه صفاته لم يكن أحد أحق منه بالحمد والثناء عليه (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) إيا عند الخليل وسيبويه اسم مضمر والكاف حرف خطاب عند سيبويه ولا محل له من الإعراب . وعند الخليل هو اسم مضمر

أضيف إيا إليه لانه يشبه المظهر لتقدمه على الفعل والفاعل، وقال الكوفيون: إياك بكمالها اسم وتقديم المفعول لقصد الاختصاص والمعنى نخصك بالعبادة وهى أقصى غاية الخضوع والتذلل ونخصك بطلب المعونة وعدل عن الغيبة إلى الخطاب للالتفات وهو قد يكون من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة ومن الغيبة إلى التكلم كقوله تعالى: حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة، وقوله: والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه ، وقول امرئ القيس :

تطاول ليلك بالأثمد ونام الخلىّ ولم ترقد
وبات وباتت له ليلة كليلة ذى العائر الارمد
وذلك من نبإٍ جاءنى وخبرته عن أبى الاسود

فالتفت فى الأبيات الثلاثة حيث لم يقل ليلى وبت وجاءك والعرب يستكثرون منه ويرون الكلام إذا انتقل من أسلوب إلى أسلوب أدخل فى القبول عند السامع وأحسن تطرية لنشاطه وأملأ لاستلذاذ إصغائه وقد تختص مواقعه بفوائد ولطائف قلما تتضح إلا للحذاق المهرة والعلماء النحارير وقليل ماهم ومما اختص به هذا الموضع أنه لما ذكر الحقيق بالحمد والثناء وأجرى عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة فى المهمات فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل إياك يامن هذه صفاته نعبد ونستعين لاغيرك، وقدمت العبادة على الاستعانة لأن تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة أقرب إلى الإجابة ولنظم الآى كما قدم الرحمن، وإن كان الأبلغ لا يقدم وأطلقت الاستعانة لتتناول كل مستعان فيه، ويجوز أن يراد الاستعانة به وبتوفيقه على أداء العبادات ويكون قوله: اهدنا بيانا للمطلوب من المعونة كأنه قيل كيف أعينكم فقالوا (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) أى ثبتنا على المنهاج الواضح كقولك للقائم: قم حتى أعود إليك أى اثبت على ما أنت عليه أو اهدنا فى الاستقبال كما هديتنا فى الحال، وهدى يتعدى بنفسه إلى مفعول واحد فأما تعديه إلى مفعول آخر فقد جاء متعدياً إليه بنفسه كهذه الآية، وقد جاء متعدياً باللام وبإلى كقوله تعالى: هدانا لهذا وقوله: هدانى ربى إلى صراط مستقيم، والسراط: الجادة من سرط الشىء إذا ابتلعه كأنه يسرط السابلة إذا سلكوه والصراط من قلب السين صادا لتجانس الطاء فى الاطباق لأن الصاد والضاد والطاء والظاء من حروف الاطباق، وقد تشم الصاد صوت الزاى لأن الزاى إلى الطاء أقرب لأنهما

مجهورتان وهى قراءة حمزة والسين قراءة ابن كثير في كل القرآن وهى الأصل فى الكلمة والباقون بالصاد الخالصة وهى لغة قريش وهى الثابتة فى المصحف الإمام ويذكر ويؤنث كالطريق والسبيل، والمراد به طريق الحق وهو ملة الإسلام (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) بدل من الصراط وهو فى حكم تكرير العامل وفائدته التأكيد والإشمار بأن الصراط المستقيم تفسيره صراط المسلمين ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على أبلغ وجه وآكده وهم المؤمنون والأنبياء عليهم السلام أو قوم موسى قبل أن يغيروا (غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) بدل من الذين أنعمت عليهم، يعنى أن المنعم عليهم هم الذين سلموا من غضب الله والضلال أو صفة للذين، يعنى أنهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهى نعمة الإيمان وبين السلامة من غضب الله والضلال، وإنما ساغ وقوعه صفة للذين وهو معرفة وغير لا يتعرف بالإضافة لأنه إذا وقع بين متضادين وكانا معرفتين تعرف بالإضافة نحو عجبت من الحركة غير السكون والمنعم عليهم والمغضوب عليهم متضادان ولأن الذين قريب من النكرة لأنه لم يرد به قوم بأعيانهم وغير المغضوب عليهم قريب من المعرفة للتخصيص الحاصل له بإضافته فكل واحد منهما فيه إبهام من وجه واختصاص من وجه فاستويا وعليهم الأولى محلها النصب على المفعولية ومحل الثانية الرفع على الفاعلية. وغضب الله إرادة الانتقام من المكذبين وإنزال العقوبة بهم وأن يفعل بهم ما يفعله الملك إذا غضب على ما تحت يده وقيل المغضوب عليهم هم اليهود لقوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه والضالون هم النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من قبل ، ولا زائدة عند البصريين للتوكيد وعند الكوفيين هى بمعنى غير * آمين صوت سمى به الفعل الذى هو استجب كما أن رويد اسم لأمهل وعن ابن عباس رضى الله عنهما سألت رسول الله ﷺ عن معنى آمين فقال: «افعل» وهو مبنى وفيه لغتان مد ألفه وقصرها وهو الأصل والمد بإشباع الهمزة قال :

يا رب لا تسلبنّى حبها أبدا ويرحم الله عبداً قال آمينا

وقال * أمين فزاد الله ما بيننا بعدا * قال عليه السلام: «لقننى جبريل آمين عند فراغى من قراءة فاتحة الكتاب» وقال: إنه كالختم على الكتاب وليس من القرآن بدليل أنه لم يثبت فى المصاحف.

﴿ سورة البقرة مدنية وهى مائتان وست أو سبع وثمانون آية ﴾

(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ آلٓمٓ) ونظائرها أسماء مسمياتها الحروف المبسوطة التى منها ركبت الكلم، فالقاف تدل على أول حروف قال، والألف تدل على أوسط حروف قال، واللام تدل على الحرف الأخير منه وكذلك ما أشبهها والدليل على أنها أسماء أن كلا منها يدل على معنى فى نفسه ويتصرف فيها بالإمالة والتفخيم وبالتعريف والتنكير والجمع والتصغير وهى معربة، وإنما سكنت سكون زيد وغيره من الأسماء حيث لا يمسها إعراب لفقد مقتضيه وقيل إنها مبنية كالأصوات نحو غاق فى حكاية صوت الغراب، ثم الجمهور على أنها أسماء السور، وقال ابن عباس رضى الله عنهما . أقسم الله بهذه الحروف وقال ابن مسعود رضى الله عنه إنها اسم الله الأعظم وقيل إنها من المتشابه الذى لا يعلم تأويله إلا الله وما سميت معجمة إلا لإعجامها وإبهامها، وقيل ورود هذه الأسماء على نمط التعديد كالإيقاظ لمن تحدى بالقرآن وكالتحريك للنظر فى أن هذا المتلو عليهم وقد عجزوا عنه عن آخرهم كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم ليؤديهم النظر إلى أن يستيقنوا إن لم تتساقط مقدرتهم دونه ولم يظهر عجزهم عن أن يأتوا بمثله بعد المراجعات المتطاولة وهم أمراء الكلام إلا لأنه ليس من كلام البشر وأنه كلام خالق القوى والقدر وهذا القول من الخلاقة بالقبول بمنزل، وقيل إنما وردت السور مصدرة بذلك ليكون أول ما يقرع الأسماع مستقلاً بوجه من الإغراب وتقدمة من دلائل الإعجاز وذلك أن النطق بالحروف أنفسها كانت العرب فيه مستوية الأقدام الأميون منهم وأهل الكتاب بخلاف النطق بأسامى الحروف فإنه كان مختصا بمن خط وقرأ وخالط أهل الكتاب وتعلم منهم وكان مستبعداً من الأمى التكلم بها استبعاد الخط والتلاوة، فكان حكم النطق بذلك مع اشتهار أنه لم يكن ممن اقتبس شيئاً من أهله حكم الأقاصيص المذكورة فى القرآن التى لم تكن قريش ومن يضاهيهم فى شىء من الإحاطة بها فى أن ذلك حاصل له من جهة الوحى وشاهد لصحة نبوته . واعلم أن المذكور فى الفواتح نصف أسامى حروف المعجم وهى الألف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون فى تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم وهى مشتملة على أنصاف أجناس الحروف، فمن المهموسة نصفها الصاد والكاف والهاء والسين والحاء، ومن المجهورة نصفها الألف واللام والميم والراء

والعين والطاء والقاف والياء والنون، ومن الشديدة نصفها الألف والكاف والطاء والقاف، ومن الرخوة نصفها اللام والميم والراء والصاد والهاء والعين والسين والحاء والياء والنون، ومن المطبقة نصفها الصاد والطاء، ومن المنفتحة نصفها الألف واللام والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون، ومن المستعلية نصفها القاف والصاد والطاء، ومن المنخفضة نصفها الألف واللام والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون، ومن حروف القلقلة نصفها القاف والطاء وغير المذكورة من هذه الأجناس مكثورة بالمذكورة منها. وقد علمت أن معظم الشيء ينزل منزلة كله فكأن الله تعالى عدد على العرب الألفاظ التي منها تراكيب كلامهم إشارة إلى ما مر من التبكيت لهم وإلزام الحجة إياهم. وإنما جاءت مفرقة على السور لأن إعادة التنبيه على التحدى به مؤلفاً منها لا غير أوصل إلى الغرض وكذا كل تكرير ورد فى القرآن فالمطلوب منه تمكين المكرر فى النفوس وتقريره ولم، تجيء على وتيرة واحدة بل اختلفت أعداد حروفها مثل ص و ق و ن وطه وطس ويس وحم والم والر وطسم والمص والمر وكهيعص وحم عسق فوردت على حرف وحرفين وثلاثة وأربعة وخمسة كعادة افتنانهم فى الكلام. وكما أن أبنية كلماتهم على حرف وحرفين إلى خمسة أحرف سلك فى الفواتح هذا المسلك والم آية حيث وقعت وكذا المص آية والمر لم تعد آية وكذا الر لم تعد آية فى سورها الخمس وطسم آية فى سورتيها وطه ويس آيتان وطس ليست بآية وحم آية فى سورها كلها وحم عسق آيتان وكهيعص آية وص ون وق ثلاثها لم تعد آية وهذا عند الكوفيين ومن عداهم لم يعد شيأ منها آية وهذا علم توقيفى لا مجال للقياس فيه كمعرفة السور ويوقف على جميعها وقف التمام إذا حملت على معنى مستقل غير محتاج إلى ما بعده وذلك إذا لم تجعل أسماء للسور ونعق بها كما ينعق بالأصوات أو جعلت وحدها أخبار ابتداء محذوف كقوله الم الله أى هذه الم ثم ابتدأ فقال: لا إله إلا هو الحى القيوم ولهذه الفواتح محل من الإعراب فيمن جعلها أسماء للسور لأنها عنده كسائر الأسماء الأعلام وهو الرفع على الابتداء أو النصب أو الجر لصحة القسم بها وكونها بمنزلة الله والله على اللغتين ومن لم يجعلها أسماء للسور لم يتصور أن يكون لها محل فى مذهبه كما لا محل للجملة المبتدأة وللمفردات المعدودة (ذَلِكَ الْكِتَابُ) أى ذلك الكتاب الذى وعد به على لسان موسى وعيسى عليهما السلام

أوذلك إشارة إلى الم، وإنما ذكّر اسم الإشارة والمشار إليهمؤنث وهو السورة لأن الكتاب إن كان خبره كان ذلك فى معناه ومسماه مسماه فجاز إجراء حكمه عليه بالتذكير والتأنيث وإن كان صفته فالإشارة به إلى الكتاب صريحاً لأن اسم الإشارة مشار به إلى الجنس الواقع صفةله تقول: هند ذلك الإنسان أوذلك الشخص فعل كذا، ووجه تأليف ذلك الكتاب مع الم ان جعلت الم اسماً للسورة أن يكون الم مبتدأ وذلك مبتدأ ثانياً والكتاب خبره والجملة خبرللمبتدأ الأول ومعناه أن ذلك هو الكتاب الكامل كأن ما عداه من الكتب فى مقابلتهناقص كما تقول: هو الرجل أى الكامل فى الرجولية الجامع لما يكون فى الرجال من مرضيات الخصال وأن يكون المخبر مبتدأ محذوف أىهذه الم جملة وذلك الكتاب جملة أخرى، وإن جعلت الم بمنزلة الصوت كانذلكمبتدأ خبرهالكتاب أىذلك الكتابالمنزلهوالكتاب الكامل (لَا رَيْبَ) لاشك وهومصدر رابنى إذا حصل فيك الريبة وحقيقةالريبة قلقالنفس واضطرابها ومنه قوله عليهالسلام: دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الشك ريبة وإنالصدق طمأنينة، أىفإن كون الأمر مشكوكاً فيه مما تقلق له النفس ولا تستقر وكونه صحيحاً صادقاً مما تطمئن له وتسكن ومنه ريب الزمان وهو ما يقلق النفوس ويشخص بالقلوب من نوائبه وإنما نفى الريب على سبيل الاستغراق وقد ارتاب فيه كثير لأن المنفى كونه متعلقاً للريب ومظنة له لأنه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغى لمرتاب أن يقع فيه لا أن أحداً لا يرتاب وإنما لم يقل لا فيه ريب كما قال لا فيها غول لأن المراد فى إيلاء الريب حرف النفى نفى الريبعنه وإثبات أنه حق لاباطل كما يزعم الكفار ولو أولى الظرفلقصد إلى مايبعد عنالمرادوهو أن كتاباً آخر فيه ريب لافيه كما قصد فىقولهتعالى: لافيهاغول، تفضيل خمرالجنة على خمور الدنيا بأنها لا تغتال العقول كما تغتالها هى والوقف على فيه هو المشهور وعن نافع وعاصم انهما وقفا على ريب ولا بد للواقف من أن ينوى خبراً والتقدير لا ريب فيه (فِيهِ هُدًى) فيه بإشباع كل هاء مكى ووافقه حفصفى فيه مهاناً وهوالأصل كقولك مررت به ومن عنده وفى داره وكما لا يقال فى داره ومن عنده وجب أن لا يقال فيه ، وقال سيبويه ما قاله مؤد إلى الجمع بين ثلاثة أحرف سواكن الياء قبل الهاء والهاء إذا الهاء المتحركة فى كلامهم بمنزلة الساكنة لأن الهاء خفية والخفى قريب من الساكن والياء بعدها والهدى مصدر على فعل كالبكى وهو الدلالة الموصلة إلى البغية بدليل وقوع الضلالة فى

فى مقابلته فى قوله أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وإنما قيل هدى (لِلْمُتَّقِينَ) والمتقون مهتدون لأنه كقولك للعزيز المكرم: أعزك الله وأكرمك، تريد طلب الزيادة على ما هو ثابت فيه واستدامته كقوله: اهدنا الصراط المستقيم، أولأنه سماهم عند مشارفتهم لاكتساء لباس التقوى متقين كقوله عليه السلام «من قتل قتيلاً فله سلبه» وقول ابن عباس رضى الله عنهما: إذا أراد أحدكم الحج فليعجل فإنه يمرض المريض، فسمى المشارف للقتل والمرض قتيلاً ومريضاً ولم يقل: هدى للضالين. لأنهم فريقان فريق علم بقاءهم على الضلالة وفريق علم أن مصيرهم إلى الهدى وهو هدى لهؤلاء فحسب فلو جيء بالعبارة المفصحة عن ذلك لقيل هدى للصائرين إلى الهدى بعد الضلال فاختصر الكلام بإجرائه على الطريقة التى ذكرنا فقيل هدى للمتقين مع أن فيه تصديراً للسورة التى هى أولى الزهراوين وسنام القرآن بذكر أولياء الله والمتقى فى اللغة اسم فاعل من قولهم: وقاه فاتقى ، ففاؤها واو ولامها ياء وإذا بنيت من ذلك افتعل قلبت الواو تاء وأدغمتها فى التاء الأخرى فقلت اتقى والوقاية فرط الصيانة ، وفى الشريعة من يقى نفسه تعاطى ما يستحق به العقوبة من فعل أو ترك ومحل هدى الرفع لأنه خبر مبتدأ محذوف أو خبر مع لا ريب فيه لذلك أو النصب على الحال من الهاء فى فيه والذى هو أرسخ عرقاً فى البلاغة أن يقال إن قوله الم جملة برأسها أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها وذلك الكتاب جملة ثانية ولاريب فيه ثالثة وهدى للمتقين رابعة. وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف عطف وذلك لمجيئها متآخية آخذاً بعضها بعنق بعض فالثانية متحدة بالأولى معتنقة لها وهلم جرا إلى الثالثة والرابعة بيان ذلك أنه نبه أولا على أنه الكلام المتحدى به ثم أشير إليه بأنه الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقريرا لجهة التحدى ثم نفى عنه أن يتشبث به طرف من الريب فكان شهادة وتسجيلا بكماله لأنه لا كمال أكمل مما للحق واليقين ولانقص أنقص مما للباطل والشبهة وقيل لعالم: فيم لذتك، قال: فى حجة تتبختر اتضاحا وفى شبهة تتضاءل افتضاحا، ثم أخبر عنه بأنه هدى للمتقين فقرر بذلك كونه يقينا لايحوم الشك حوله وحقا لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثم لم تخل كل واحدة من الأربع بعد أن رتبت هذا الترتيب الأنيق ونظمت هذا النظم الرشيق من نكتة ذات جزالة. ففى الاولى الحذف والرمز إلى المطلوب بألطف وجه . وفى الثانية مافى

التعريف من الفخامة. وفى الثالثة مافى تقديم الريب على الظرف. وفى الرابعة الحذف، ووضع المصدر الذى هو هدى موضع الوصف الذى هو هاد كأن نفسه هداية وإيراده منكرا ففيه إشعار بأنه هدى لا يكتنه كنهه، والإيجاز فى ذكر المتقين كامر (الَّذِينَ) فى موضع رفع أو نصب على المدح أى هم الذين يؤمنون أو أعنى الذين يؤمنون أو هو مبتدأ وخبره أولئك على هدى أوجر على أنه صفة للمتقين، وهى صفة واردة بيانا وكشفاً للمتقين كقولك زيد الفقيه المحقق لاشتمالها على ماأسست عليه حال المتقين من الإيمان الذى هو أساس الحسنات، والصلاة والصدقة فهما العبادات البدنية والمالية وهما العيار على غيرهما ألا ترى أن النبي عليه السلام سمى الصلاة عماد الدين وجعل الفاصل بين الإسلام والكفر ترك الصلاة، وسمى الزكاة قنطرة الإسلام فكان من شأنهما استتباع سائر العبادات ولذلك اختصر الكلام بأن استغنى عن عد الطاعات بذكر ماهو كالعنوان لها مع مافى ذلك من الإفصاح عن فضل هاتين العبادتين أوصفة مسرودة مع المتقين تفيد غير فائدتها كقولك : زيد الفقيه المتكلم الطبيب، ويكون المراد بالمتقين الذين يجتنبون السيآت (يُؤْمِنُونَ) يصدقون وهو إفعال من الأمن وقولهم: آمنه أى صدقه وحقيقته أمنه التكذيب والمخالفة وتعديته بالباء لتضمنه معنى أقر واعترف (بِالْغَيْبِ) بما غاب عنهم مما أنبأهم به النبى عليه السلام من أمر البعث والنشور والحساب وغير ذلك فهو بمعنى الغائب تسمية بالمصدر من قولك غاب الشيء غيباً هذا إن جعلته صلة للإيمان وإن جعلته حالا كان بمعنى الغيبة والخفاء أى يؤمنون غائبين عن المؤمن به وحقيقته متلبسين بالغيبة والإيمان الصحيح أن يقر باللسان ويصدق بالجنان والعمل ليس بداخل فى الإيمان (وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ) أى يؤدونها فعبر عن الأداء بالإقامة لأن القيام بعض أركانها كما عبر عنه بالقنوت وهو القيام وبالركوع والسجود والتسبيح لوجودها فيها أو أريد بإقامة الصلاة تعديل أركانها من أقام العود إذا قومه أو الدوام عليها والمحافظة من قامت السوق إذا نفقت لأنه إذا حوفظ عليها كانت كالشيء النافق الذى تتوجه إليه الرغبات وإذا أضيعت كانت كالشيء الكاسد الذى لا يرغب فيه، والصلاة فعلة من صلى كالزكاة من زكى وكتابتها بالواو على لفظ المفخم وحقيقة صلى حرك الصلوين أى الأليتين لأن المصلى يفعل ذلك فى ركوعه وسجوده وقيل للداعى مصل تشبيها له فى تخشعه بالراكع والساجد (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ) أعطيناهم وما بمعنى الذى (يُنْفِقُونَ) يتصدقون أدخل من التبعيضية صيانة لهم عن التبذير المنهى

عنه وقدم المفعول دلالة على كونه أهم والمراد به الزكاة لاقترانه بالصلاة التى هى أختها أوهى وغيرها من النفقات فى سبل الخير لمجيئه مطلقاً، وأنفق الشيء وأنفده أخوان كنفق الشيء ونفد وكل ماجاء مما فاؤه نون وعينه فاء فدال على معنى الخروج والذهاب ودلت الآية على أن الأعمال ليست من الإيمان حيث عطف الصلاة والزكاة على الإيمان والعطف يقتضى المغايرة (وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ) هم مؤمنو أهل الكتاب كعبدالله بن سلام وأضرابه من الذين آمنوا بكل وحى أنزل من عند الله وأيقنوا بالآخرة إيقانا زال معهما كانوا عليه من أنه لايدخل الجنة إلا من كان هودا أونصارى وأن النار لن تمسهم إلا أياما معدودات، ثم إن عطفتهم على الذين يؤمنون بالغيب دخلوا فى جملة المتقين وإن عطفتهم على المتقين لم يدخلوا فكأنه قيل هدى للمتقين وهدى للذين يؤمنون بما أنزل إليك أو المراد به وصف الأولين ووسط العاطف كما يوسط بين الصفات فى قولك: هو الشجاع والجواد، وقوله:

إلى الملك القرم وابن الهمام ... وليث الكتيبة فى المزدحم

والمعنى أنهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه (بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ) يعنى القرآن والمراد جميع القرآن لا القدر الذى سبق إنزاله وقت إيمانهم لأن الإيمان بالجميع واجب وإنما عبر عنه بلفظ الماضى وإن كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على مالم يوجد ولأنه إذا كان بعضه نازلا وبعضه منتظر النزول جعل كأن كله قد نزل (وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ) يعنى سائر الكتب المنزلة على النبيين (وَبِالآخِرَة) وهى تأنيث الآخر الذى هو ضد الأول وهى صفة والموصوف محذوف وهو الدار بدليل قوله: تلك الدار الآخرة، وهى من الصفات الغالبة وكذلك الدنيا وعن نافع أنه خففها بأن حذف الهمزة وألقى حركتها على اللام (هُمْ يُوقِنُون) الإيقان إتقان العلم بانتفاء الشك والشبهة عنه (أُولٰئِكَ عَلَى هُدًى) الجملة فى موضع الرفع إن كان الذين يؤمنون بالغيب مبتدأ وإلا فلا محل لها، ويجوز أن يجرى الموصول الأول على المتقين وأن يرتفع الثانى على الابتداء وأولئك خبره ويجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضاً بأهل الكتاب الذين لايؤمنون بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ظانون أنهم على الهدى وطامعون أنهم ينالون الفلاح عند الله، ومعنى الاستعلاء فى على هدى مثل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم به بحيث شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه ونحوه هو على الحق وعلى

الباطل وقد صرحوا بذلك فى قولهم: جعل الغواية مركبا وامتطى الجهل واقتعد غارب الهوى ومعنى هدى (مِّن رَّبِّهِمْ) أى أوتوه من عنده ونكر هدى ليفيد ضربا مبهما لا يبلغ كنهه كأنه قيل على أى هدى ونحوه لقد وقعت على لحم أى على لحم عظيم (وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) أى الظافرون بما طلبوا الناجون مما هربوا فالفلاح درك البغية والمفلح الفائز بالبغية كأنه الذى انفتحت له وجوه الظفر، والتركيب دال على معنى الشق والفتح وكذا أخواته فى الفاء والعين نحو فلق وفلز وفلى، وجاء العطف هنا بخلاف قوله: أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون، لاختلاف الخبرين المقتضيين للعطف هنا واتحاد الغفلة والتشبيه بالبهائم ثم فكانت الثانية مقررة للأولى فهى من العطف بمعزل، وهم فصل. وفائدته الدلالة على أن الوارد بعده خبر لا صفة والتوكيد وإيجاب أن فائدة المسند ثابتة للمسند إليه دون غيره أو هو مبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر أولئك فانظر كيف قرر الله عز وجل التنبيه على اختصاص المتقين بنيل مالا يناله أحد على طرق شتى وهى ذكر اسم الإشارة وتكريره ففيه تنبيه على أنهم كما ثبت لهم الأثرة بالهدى فهى ثابتة لهم بالفلاح وتعريف المفلحون ففيه دلالة على أن المتقين هم الناس الذين بلغك أنهم يفلحون فى الآخرة كما إذا بلغك أن إنسانا قد تاب من أهل بلدك فاستخبرت من هو فقيل زيد التائب أى هو الذى أخبرت بتوبته، وتوسيط الفصل بينه وبين أولئك ليبصرك مراتبهم ويرغبك فى طلب ماطلبوا وينشطك لتقديم ماقدموا. اللهم زينا بلباس التقوى واحشرنا فى زمرة من صدرت بذكرهم سورة البقرة لما قدم ذكر أوليائه بصفاتهم المقربة إليه وبين أن الكتاب هدى لهم قفى على أثره بذكر أضدادهم وهم العتاة المردة الذين لا ينفع فيهم الهدى بقوله (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) الكفر ستر الحق بالجحود والتركيب دال على الستر ولذا سمى الزراع كافرا وكذا الليل ولم يأت بالعاطف هنا كما فى قوله: إن الأبرار لفى نعيم وإن الفجار لفى جحيم، لأن الجملة الأولى هنا مسوقة بيانا لذكر الكتاب لاخبرا عن المؤمنين وسيقت الثانية للإخبار عن الكفار بكذا فبين الجملتين تفاوت فى المراد وهما على حد لامجال للعطف فيه وإن كان مبتدأ على تقرير فهو كالجارى عليه، والمراد بالذين كفروا أناس بأعيانهم علم الله أنهم لا يؤمنون كأبى جهل وأبى لهب وأضرابهما (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ) بهمزتين كوفى وسواء بمعنى الاستواء وصف به كما يوصف بالمصادر ومنه قوله تعالى: إلى كلمة سواء، أى مستوية

وارتفاعه على أنه خبر لأن وأأنذرتهم أم لم تنذرهم مرتفع به على الفاعلية كأنه قيل إن الذين كفروامستو عليهم إنذارك وعدمه أويكون سواء خبرا مقدما وأأنذرتهم أم لم تنذرهم فى موضع الابتداء أى سواء عليهم إنذارك وعدمه والجملة خبر لإن وإنما جاز الإخبار عن الفعل مع أنه خبر أبدا لأنه من جنس الكلام المهجور فيه جانب اللفظ إلى جانب المعنى والهمزة وأم مجردتان لمعنى الاستواء وقد انسلخ عنهما معنى الاستفهام رأسا، قال سيبويه جرى هذا على حرف الاستفهام كما جرى على حرف النداء فى قولك اللهم اغفر لنا أيتها العصابة يعنى أن هذا جرى على صورة الاستفهام ولا استفهام كما جرى ذلك على صورة النداء ولا نداء والإنذار التخويف من عقاب الله بالزجر عن المعاصى (لَا يُؤْمِنُونَ) جملة مؤكدة للجملة قبلها أوخبر لإن، والجملة قبلها اعتراض أوخبر بعد خبر. والحكمة فى الإنذار مع العلم بالإصرار إقامة الحجة وليكون الإرسال عاما وليثاب الرسول (خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ)قال الزجاج الختم التغطية لأن فى الاستيثاق من الشىء بضرب الخاتم عليه تغطية له لئلا يطلع عليه وقال ابن عباس: طبع الله على قلوبهم فلا يعقلون الخير، يعنى أن الله طبع عليها فجعلها بحيث لا يخرج منها مافيها من الكفر ولا يدخلها ماليس فيها من الإيمان وحاصل الختم والطبع خلق الظلمة والضيق فى صدر العبد عندنا فلا يؤمن مادامت تلك الظلمة فى قلبه وعند المعتزلة أعلام محض على القلوب بما يظهر للملائكة أنهم كفار فيلعنونهم ولايدعون لهم بخير وقال بعضهم: إن إسناد الختم إلى الله تعالى مجاز والخاتم فى الحقيقة الكافر إلا أنه تعالى لما كان هو الذى أقدره ومكنه أسند إليه الختم كما يسند الفعل إلى السبب فيقال: بنى الأمير المدينة، لأن للفعل ملابسات شتى يلابس الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والسبب له فإسناده إلى الفاعل حقيقة وقد يسند إلى هذه الأشياء مجازا لمضاهاتها الفاعل فى ملابسة الفعل كما يضاهى الرجل الأسد فى جرأته فيستعار له اسمه وهذا فرع مسألة خلق الأفعال (وَعَلَى سَمْعِهِمْ) وحد السمع كما وحد البطن فى قوله .

* كلوا فى بعض بطنكم تعفوا * لأمن اللبس ولأن السمع مصدر فى أصله يقال: سمعت الشىء سمعا وسماعا ، والمصدر لا يجمع لأنه اسم جنس يقع على القليل والكثير فلا يحتاج فيه إلى التثنية والجمع فلمح الأصل وقيل المضاف محذوف أى وعلى مواضع سمعهم وقرىء وعلى أسماعهم (وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ) بالرفع خبر ومبتدأ، والبصر: نور العين وهو مايبصر به الرائى، كما أن

البصيرة: نور القلب وهى مابه يستبصر ويتأمل وكأنهما جوهران لطيفان خلقهما الله تعالى فيهما آلتين للإبصار والاستبصار. والغشاوة: الغطاء فعالة من غشاه إذا غطاه وهذا البناء لما يشتمل على الشىء كالعصابة والعمامة والقلادة. والأسماع داخلة فى حكم الختم لا فى حكم التغشية لقوله: وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة، ولوقفهم على سمعهم دون قلوبهم ونصب المفضل وحده غشاوة بإضمار جعل وتكرير الجار فى قوله وعلى سمعهم دليل على شدة الختم فى الموضعين قال الشيخ الإمام أبو منصور بن على رحمه الله: الكافر لما لم يسمع قول الحق ولم ينظر فى نفسه وغيره من المخلوقات ليرى آثار الحدوث فيعلم أن لابد من صانع جعل كأن على بصره وسمعه غشاوة وإن لم يكن ذلك حقيقة وهذا دليل على أن الأسماع عنده داخلة فى حكم التغشية والآية حجة لنا على المعتزلة فى الأصلح فإنه أخبر أنه ختم على قلوبهم ولا شك أن ترك الختم أصلح لهم (وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) العذاب مثل النكال بناء ومعنى لأنك تقول أعذب عن الشىء إذا أمسك عنه كما تقول نكل عنه، والفرق بين العظيم والكبير أن العظيم يقابل الحقير والكبير يقابل الصغير فكأن العظيم فوق الكبير كما أن الحقير دون الصغير. ويستعملان فى الجثة والأحداث جميعا تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته أو خطره ومعنى التنكير أن على أبصارهم نوعا من التغطية غير مايتعارفه الناس وهو غطاء التعامى عن آيات الله، ولهم من بين الآلام العظام نوع عظيم من العذاب لايعلم كنهه إلا الله (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ) افتتح سبحانه وتعالى بذكر الذين أخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم ألسنتهم ثم ثنى بالكافرين قلوباً وألسنة ثم ثلث بالمنافقين الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم وهم أخبث الكفرة لأنهم خلطوا بالكفر استهزاء وخداعا ولذا نزل فيهم إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار، وقال مجاهد أربع آيات من أول السورة فى نعت المؤمنين وآيتان فى ذكر الكافرين وثلاث عشرة آية فى المنافقين نعى عليهم فيها نكرهم وخبثهم وسفههم واستجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بفعلهم وسجل بطغيانهم وعمههم ودعاهم صما بكما عميا وضرب لهم الأمثال الشنيعة. وقصة المنافقين عن آخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة على الجملة. وأصل ناس أناس حذفت همزته تخفيفا وحذفها كاللازم مع لام التعريف لايكاد يقال الأناس ويشهد

لأصله إنسان وأناسى وإنس وسموا به لظهورهم وأنهم يؤنسون أى يبصرون كما سمى الجن لاجتنانهم ووزن ناس فعال لأن الزنة على الأصول فإنك تقول وزن قه افعل وليس معك إلا العين وهو من أسماء الجمع ولام التعريف فيه للجنس ومن موصوفة ويقول صفة لها كأنه قيل ومن الناس ناس يقولون كذا وإنما خصوا الإيمان بالله وباليوم الآخر وهو الوقت الذى لا حد له وهو الأبد الدائم الذى لا ينقطع وإنما سمى بالآخر لتأخره عن الأوقات المنقضية أو الوقت المعهود من النشور إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار لأنهم أوهموا فى هذا المقال أنهم أحاطوا بجانبى الإيمان أوله وآخره وهذا لأن حاصل المسائل الاعتقادية يرجع إلى مسائل المبدأ وهى العلم بالصانع وصفاته وأسمائه ومسائل المعاد وهى العلم بالنشور والبعث من القبور والصراط والميزان وسائر أحوال الآخرة . وفى تكرير الباء إشارة إلى أنهم ادعوا كل واحد من الإيمانين على صفة الصحة والاستحكام وإنما طابق قوله (وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ)وهو فى ذكر شأن الفاعل لا الفعل، قولهم: آمنا بالله وباليوم الآخر ، وهو فى ذكر شأن الفعل لا الفاعل لأن المراد إنكار ما ادعوه ونفيه على أبلغ وجه وآكده وهو إخراج ذواتهم من أن تكون طائفة من المؤمنين. ونحوه قوله تعالى: يريدون أن يخرجوا من النار وماهم بخارجين منها، فهو أبلغ من قولك وما يخرجون منها وأطلق الإيمان فى الثانى بعد تقييده فى الأول لأنه يحتمل أن يراد التقييد ويترك لدلالة المذكور عليه ويحتمل أن يراد نفى أصل الإيمان وفى ضمنه نفى المذكور أولا. والآية تنفى قول الكرامية: ان الإيمان هو الإقرار باللسان لا غير لأنه نفى عنهم اسم الإيمان مع وجود الإقرار منهم. وتؤيد قول أهل السنة انه إقرار باللسان وتصديق بالجنان ودخلت الباء فى خبر ما مؤكدة للنفى لأنه يستدل به السامع على الجحد إذا غفل عن أول الكلام. ومن موحد اللفظ فلذا قيل يقول وجمع وماهم بمؤمنين نظرا إلى معناه (يُخَادِعُونَ اللَّهَ) أى رسول الله فحذف المضاف كقوله واسأل القرية كذا قاله أبو على رحمه الله وغيره أى يظهرون غير ما فى أنفسهم فالخداع إظهار غير ما فى النفس وقد رفع الله منزلة النبى صلى الله عليه وسلم حيث جعل خداعه خداعه وهو كقوله إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم وقيل معناه يخادعون الله فى زعمهم لأنهم يظنون أن الله ممن يصح خداعه وهذا المثال يقع كثيرا لغير اثنين نحو قولك عاقبت اللص وقد قرئ يخدعون الله وهو بيان ليقول أو مستأنف

كأنه قيل ولم يدعون الإيمان كاذبين وما منفعتهم فى ذلك فقيل يخادعون الله ومنفعتهم فى ذلك متاركتهم عن المحاربة التى كانت مع من سواهم من الكفار وإجراء أحكام المؤمنين عليهم ونيلهم من الغنائم وغير ذلك قال صاحب الوقوف: الوقف لازم على بمؤمنين لأنه لو وصل لصار التقدير وماهم بمؤمنين مخادعين فينتفى الوصل كقولك ما هو برجل كاذب والمراد نفى الإيمان عنهم وإثبات الخداع لهم. ومن جعل يخادعون حالا من الضمير فى يقول والعامل فيها يقول والتقدير يقول آمنا بالله مخادعين أو حالا من الضمير فى بمؤمنين والعامل فيها اسم الفاعل والتقدير وماهم بمؤمنين فى حال خداعهم لا يقف والوجه الأول (وَالَّذِينَ آمَنُوا) أى يخادعون رسول الله والمؤمنين بإظهار الإيمان وإضمار الكفر (وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ) أى وما يعاملون تلك المعاملة المشبهة بمعاملة المخادعين إلا أنفسهم لأن ضررها يلحقهم وحاصل خداعهم وهو العذاب فى الآخرة يرجع إليهم فكأنهم خدعوا أنفسهم وما يخادعون أبو عمرو ونافع ومكى للمطابقة وعذر الأولين أن خدع وخادع هنا بمعنى واحد والنفس ذات الشىء وحقيقته ثم قيل للقلب والروح النفس لأن النفس بهما وللدم نفس لأن قوامها بالدم وللماء نفس لفرط حاجتها إليه والمراد بالأنفس ههنا ذواتهم والمعنى بمخادعتهم ذواتهم أن الخداع لاصق بهم لا يعدوهم إلى غيرهم (وَمَا يَشْعُرُونَ) أن حاصل خداعهم يرجع إليهم والشعور علم الشىء علم حس من الشعار وهو ثوب يلى الجسد ومشاعر الإنسان حواسه لأنها آلات الشعور والمعنى أن الحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس وهم، لتمادى غفلتهم كالذى لا حس له (فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ) أى شك ونفاق لأن الشك تردد بين الأمرين والمنافق متردد. فى الحديث مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين والمريض متردد بين الحياة والموت ولأن المرض ضد الصحة والفساد يقابل الصحة فصار المرض اسما لكل فساد والشك والنفاق فساد فى القلب (فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً) أى ضعفاً عن الانتصار وعجزا عن الاقتدار وقيل المراد به خلق النفاق فى حالة البقاء بخلق أمثاله كما عرف فى زيادة الإيمان (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) فعيل بمعنى مفعل أى مؤلم (بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) كوفى. أى بكذبهم فى قولهم: آمنا بالله وباليوم الآخر، فما مع الفعل بمعنى المصدر والكذب الإخبار عن الشىء على خلاف ما هو به يكذبون غيرهم أى بتكذيبهم النبى عليه السلام فيما جاء به وقيل هو مبالغة فى كذب كما بولغ فى صدق فقيل صدق ونظيرهما بان الشىء

وبين (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ) معطوف على يكذبون ويجوز أن يعطف على يقول آمنا لأنك لو قلت ومن الناس من إذا قيل لهم (لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ) لكان صحيحا والفساد خروج الشيء عن حال استقامته وكونه منتفعاً به وضده الصلاح وهو الحصول على الحال المستقيمة النافعة والفساد في الأرض هيج الحروب والفتن لأن في ذلك فساد ما في الأرض وانتفاء الاستقامة عن أحوال الناس والزروع والمنافع الدينية والدنيوية، وكان فساد المنافقين في الأرض أنهم كانوا يمايلون الكفار ويمالئونهم على المسلمين بإفشاء أسرارهم إليهم وإغرائهم عليهم وذلك مما يؤدي إلى هيج الفتن بينهم (قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ) بين المؤمنين والكافرين بالمداراة يعني أن صفة المصلحين خلصت لنا وتمحضت من غير شائبة قادح فيها من وجه من وجوه الفساد لأن إنما لقصر الحكم على شيء أو لقصر الشيء على حكم كقولك إنما ينطلق زيد وإنما زيد كاتب وما كافة لأنها تكفها عن العمل (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ) أنهم مفسدون فحذف المفعول للعلم به ألا مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي لإعطاء معنى التنبيه على تحقق ما بعدها والاستفهام إذا دخل على النفي أفاد تحققاً كقوله تعالى: أليس ذلك بقادر، ولكونها في هذا المنصب من التحقيق لا تقع الجملة بعدها إلا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم وقد رد الله ما ادعوه من الانتظام في جملة المصلحين أبلغ رد وأدله على سخط عظيم والمبالغة فيه من جهة الاستئناف وما في ألا وإن من التأكيد وتعريف الخبر وتوسيط الفصل وقوله لا يشعرون (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ) نصحوهم من وجهين أحدهما تقبيح ما كانوا عليه لبعده عن الصواب وجره إلى الفساد وثانيهما تبصيرهم الطريق الأسد من اتباع ذوي الأحلام فكان من جوابهم أن سفهوهم لتمادي جهلهم وفيه تسلية للعالم مما يلقى من الجهلة وإنما صح إسناد قيل إلى لا تفسدوا وآمنوا مع أن إسناد الفعل إلى الفعل لا يصح لأنه إسناد إلى لفظ الفعل والممتنع إسناد الفعل إلى معنى الفعل فكأنه قيل وإذا قيل لهم هذا القول ومنه زعموا مطية الكذب. وما في كما كافة كما في ربما أو مصدرية كما في بما رحبت واللام في الناس للعهد أي كما آمن الرسول ومن معه وهم ناس معهودون أو عبد الله بن سلام وأشياعه أي كما آمن أصحابكم وإخوانكم أو للجنس أي كما آمن الكاملون في الإنسانية أو جعل المؤمنون كأنهم الناس على الحقيقة ومن عداهم كالبهائم والكاف في كما

فى موضع النصب لأنه صفة مصدر محذوف أى إيماناً مثل إيمان الناس ومثله كما آمن السفهاء والاستفهام فى أنؤمن للإنكار واللام فى السفهاء مشار بهما إلى الناس وإنما سفهوهم وهم العقلاء المراجيح لأنهم لجهلهم اعتقدوا أن ما هم فيه هو الحق وأن ما عداه باطل ومن ركب متن الباطل كان سفيها والسفه سخافة العقل وخفة الحلم (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ) أنهم هم السفهاء وإنما ذكر هنا لا يعلمون وفيما تقدم لا يشعرون لأنه قد ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر العلم معه أحسن طباقاً له ولأن الإيمان يحتاج فيه إلى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة أما الفساد فى الأرض فأمر مبنى على العادات فهو كالمحسوس والسفهاء خبر إن وهم فصل أو مبتدأ والسفهاء خبرهم والجملة خبر إن (وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا) وقرأ أبو حنيفة رحمه الله وإذا لاقوا يقال لقيته ولاقيته إذا استقبلته قريباً منه. الآية الأولى فى بيان مذهب المنافقين والترجمة عن نفاقهم وهذه فى بيان ما كانوا يعملون مع المؤمنين من الاستهزاء بهم ولقائهم بوجوه المصادقين وإيهامهم أنهم معهم (وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ) خلوت بفلان وإليه إذا انفردت معه وبإلى أبلغ لأن فيه دلالة الابتداء والانتهاء أى إذا خلوا من المؤمنين إلى شياطينهم ويجوز أن يكون من خلا بمعنى مضى وشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين فى تمردهم وهم اليهود وعن سيبويه أن نون الشياطين أصلية بدليل قولهم تشيطن وعنه أنها زائدة واشتقاقه من شطن إذا بعد لبعده من الصلاح والخير أو من شاط إذا بطل ومن أسمائه الباطل (قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ) إنا مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم وإنما خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية وشياطينهم بالاسمية محققة بإن لأنهم فى خطابهم مع المؤمنين فى ادعاء حدوث الإيمان منهم لا فى ادعاء أنهم أوحديون فى الإيمان إما لأن أنفسهم لا تساعدهم عليه إذ ليس لهم من عقائدهم باعث ومحرك وإما لأنه لا يروج عنهم لو قالوه على لفظ التأكيد والمبالغة وكيف يطمعون فى رواجه وهم بين ظهرانى المهاجرين والأنصار وأما خطابهم مع اخوانهم فقد كان عن رغبة وقد كان متقبلا منهم رائجاً عنهم فكان مظنة للتحقيق ومئنة للتأكيد وقوله (إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ) تأكيد لقوله انا معكم لأن معناه الثبات على اليهودية وقوله إنما نحن مستهزئون رد للإسلام ودفع له منهم لأن المستهزىء بالشىء المستخف به منكر له ودافع لكونه معتداً به ودفع نقيض الشىء تأكيد لثباته أو استئناف كأنهم

اعترضوا عليهم بقولهم حين قالوا لهم إنا معكم إن كنتم ممنا فلم توافقون المؤمنين فقالوا إنما نحن مستهزئون والاستهزاء السخرية والاستخفاف وأصل الباب الخفة من الهزء وهو القتل السريع وهزأ يهزأ مات على المكان (اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ) أى يجازيهم على استهزائهم فسمى جزاء الاستهزاء باسمه كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها. فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه. فسمى جزاء السيئة سيئة وجزاء الاعتداء اعتداء وإن لم يكن الجزاء سيئة واعتداء وهذا لأن الاستهزاء لا يجوز على الله تعالى من حيث الحقيقة لأنه من باب العبث وتعالى عنه قال الزجاج هو الوجه المختار واستئناف قوله الله يستهزىء بهم من غير عطف فى غاية الجزالة والفخامة وفيه أن الله تعالى هو الذى يستهزىء بهم الاستهزاء الأبلغ الذى ليس استهزاؤهم إليه باستهزاء لما ينزل بهم من النكال والذل والهوان ولما كانت نكايات الله وبلاياه تنزل عليهم ساعة فساعة قيل الله يستهزىء بهم ولم يقل الله مستهزىء بهم ليكون طبقاً لقوله إنما نحن مستهزؤون (وَيَمُدُّهُمْ) أى يمهلهم عن الزجاج (فِي طُغْيَانِهِمْ) فى غلوهم فى كفرهم (يَعْمَهُونَ) حال أى يتحيرون ويترددون وهذه الآية حجة على المعتزلة فى مسئلة الأصلح (أُولَٰئِكَ) مبتدأ خبره (الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ) أى استبدلوها به واختاروها عليه وإنما قال اشتروا الضلالة بالهدى ولم يكونوا على هدى لأنها فى قوم آمنوا ثم كفروا أو فى اليهود الذين كانوا مؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم فلما جاءهم كفروا به أو جعلوا لتمكنهم منه كأن الهدى قائم فيهم فتركوه بالضلالة وفيه دليل على جواز البيع تعاطياً لأنهم لم يتلفظوا بلفظ الشراء ولكن تركوا الهدى بالضلالة عن اختيارهم وسمى ذلك شراء فصار دليلاً لنا على أن من أخذ شيأ من غيره وترك عليه عوضه برضاه فقد اشتراه وإن لم يتكلم به والضلالة الجور عن القصد وفقد الاهتداء يقال ضل منزله فاستعير للذهاب عن الصواب فى الدين (فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ) الربح الفضل على رأس المال والتجارة صناعة التاجر وهو الذى يبيع ويشترى للربح وإسناد الربح إلى التجارة من الإسناد المجازى ومعناه فما ربحوا فى تجارتهم إذ التجارة لا تربح ولما وقع شراء الضلالة بالهدى مجازاً أتبعه ذكر الربح والتجارة ترشيحاً له كقوله :

ولما رأيت النسر عز ابن دأية ... وعشش فى وكريه جاش له صدرى

لما شبه الشيب بالنسر والشعر الفاحم بالغراب أتبعه ذكر التمشيش والوكر (وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ) لطرق التجارة كما يكون التجار المتصرفون العالمون بما يربح فيه ويخسر. والمعنى أن مطلوب التجار سلامة رأس المال والربح وهؤلاء قد أضاعوهما فرأس مالهم الهدى ولم يبق لهم مع الضلالة وإذا لم يبق لهم إلا الضلالة لم يوصفوا بإصابة الربح وإن ظفروا بالأغراض الدنيوية لأن الضال خاسر ولأنه لا يقال لمن لم يسلم له رأس ماله قد ربح وقيل الذين صفة أولئك وفما ربحت تجارتهم إلى آخر الآية فى محل الرفع خبر أولئك (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ نَارًا) لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة فى الكشف وتتميماً للبيان ولضرب الأمثال فى إبراز خفيات المعانى ورفع الأستار عن الحقائق تأثير ظاهر ولقد كثر ذلك فى الكتب السماوية ومن سور الإنجيل سورة الأمثال. والمثل فى أصل كلامهم هو المثل وهو النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل ولم يضربوا مثلاً إلا قولاً فيه غرابة ولذا حوفظ عليه فلا يغير وقد استعير المثل للحال أو الصفة أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة كأنه قيل حالهم العجيبة الشأن كحال الذى استوقد ناراً وكذلك قوله مثل الجنة التى وعد المتقون أى فيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة الشأن ثم أخذ فى بيان عجائبها والله المثل الأعلى أى الوصف الذى له شأن من العظمة والجلالة ووضع الذى موضع الذين كقوله وخضتم كالذى خاضوا فلا يكون تمثيل الجماعة بالواحد أو قصد جنس المستوقدين أو أريد الفوج الذى استوقد ناراً على أن ذوات المنافقين لم يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد إنما شبهت قصتهم بقصة المستوقد ومعنى استوقد أوقد. ووقود ووقود النار سطوعها. والنار جوهر لطيف مضيء حار محرق واشتقاقها من نار ينور إذا نفر لأن فيها حركة واضطراباً (فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ) الإضاءة فرط الإنارة ومصداقه قوله هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وهى فى الآية متعدية ويحتمل أن تكون غير متعدية مسندة إلى ما حوله والتأنيث للحمل على المعنى لأن ما حول المستوقد أماكن وأشياء. وجواب فلما (ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ) وهو ظرف زمان والعامل فيه جوابه مثل مثل إذا وما موصولة وحوله نصب على الظرف أو نكرة موصوفة والتقدير فلما أضاءت شيئاً ثابتاً حوله وجمع الضمير وتوحيده للحمل

على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى والنور ضوء النار وضوء كل نير ومعنى أذهبه أزاله وجعله ذاهباً ومعنى ذهب به استصحبه ومضى به. والمعنى أخذ الله بنورهم وأمسكه وما يمسك فلا مرسل له فكان أبلغ من الإذهاب ولم يقل ذهب الله بضوئهم لقوله فلما أضاءت لأن ذكر النور أبلغ لأن الضوء فيه دلالة على الزيادة والمراد إزالة النور عنهم رأساً ولو قيل ذهب الله بضوئهم لأوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نوراً ألا ترى كيف ذكر عقيبه (وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ) والظلمة عرض ينافي النور وكيف جمعها وكيف نكرها وكيف أتبعها ما يدل على أنها ظلمة لا يتراءى فيها شبحان وهو قوله (لَا يُبْصِرُونَ) وترك بمعنى طرح وخلى إذا علق بواحد فإذا علق بشيئين كان مضمناً معنى صير فيجرى مجرى أفعال القلوب ومنه وتركهم فى ظلمات أصله هم فى ظلمات ثم دخل ترك فنصب الجزأين والمفعول الساقط من لا يبصرون من قبيل المتروك المطروح لا من قبيل المقدر المنوى كأن الفعل غير متعد أصلاً وإنما شبهت حالهم بحال المستوقد لأنهم غب الإضاءة وقعوا فى ظلمة وحيرة نعم المنافق خابط فى ظلمات الكفر أبداً ولكن المراد ما استضاؤا به قليلاً من الانتفاع بالكلمة المجراة على ألسنتهم ووراء استضاءتهم بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق المفضية بهم إلى ظلمة العقاب السرمدى . وللآية تفسير آخر وهو أنهم لما وصفوا بأنهم اشتروا الضلالة بالهدى عقب ذلك بهذا التمثيل ليمثل هداهم الذى باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد، والضلالة التى اشتروها بذهاب الله بنورهم وتركه إياهم فى الظلمات وتنكير النار للتعظيم (صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ) أى هم صم كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا عن الإصاخة إلى الحق مسامعهم وأبوا أن ينطقوا به ألسنتهم وأن ينظروا أو يتبصروا بعيونهم جعلوا كأنما إيفت مشارعهم. وطريقته عند علماء البيان طريقة قولهم: هم ليوث للشجعان وبحور للأسخياء إلا أن هذا فى الصفات وذلك فى الأسماء وما فى الآية تشبيه بليغ فى الأصح لا استعارة لأن المستعار له مذكور وهم المنافقون والاستعارة إنما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له ويجعل الكلام خلوا عنه صالحاً لأن يراد به المنقول عنه والمنقول إليه لولا دلالة الحال أو فحوى الكلام (فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ) لا يعودون إلى الهدى بعد أن باعوه أو عن الضلالة بعد أن اشتروها لتنوع الرجوع إلى الشىء. وعنه أو أراد أنهم بمنزلة المتحيرين الذين بقوا جامدين فى مكانهم لا يبرحون ولا يدرون أيتقدمون أم يتأخرون (أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ

السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ) ثنى الله سبحانه وتعالى فى شأنهم بتمثيل آخر لزيادة الكشف والإيضاح. شبه المنافق فى التمثيل الأول بالمستوقد ناراً وإظهاره الإيمان بالإضاءة وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار وهنا شبه دين الإسلام بالصيب لأن القلوب تحيا به حياة الأرض بالمطر وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وما يصيبهم من الأفزاع والبلايا من جهة أهل الإسلام بالصواعق . والمعنى أو كمثل ذوى صيب فحذف مثل لدلالة العطف عليه وذوى لدلالة يجعلون عليه . والمراد كمثل قوم أخذتهم السماء بهذه الصفة فلقوا منها ما لقوا فهذا تشبيه أشياء بأشياء إلا أنه لم يصرح بذكر المشبهات كما صرح فى قوله : ومايستوى الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء، وقول امرئ القيس :

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً ... لدى وكرها العناب والحشف البالى

بل جاء به مطوياً ذكره على سنن الاستعارة والصحيح أن التمثيلين من جملة التمثيلات المركبة دون المفرقة لا يتكلف لواحد واحد شىء يقدر شبهه به . بيانه أن العرب تأخذ أشياء فرادى معزولاً بعضها من بعض لم يأخذ هذا بحجزة ذاك فتشبهها بنظائرها كما فعل امرؤ القيس وتشبه كيفية حاصلة من مجموع أشياء قد تضامت وتلاصقت حتى عادت شيئاً واحداً بأخرى مثلها كقوله تعالى : مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها، الآية فالمراد تشبيه حال اليهود فى جهلها بما معها من التوراة بحال الحمار فى جهله بما يحمل من أسفار الحكمة وتساوى الحالتين عنده من حمل أسفار الحكمة وحمل ماسواها من الأوقار لا يشعر من ذلك إلا بما يمر بدفيه من الكد والتعب وكقوله: واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء، فالمراد قلة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء الخضر فهو تشبيه كيفية بكيفية فأما أن يراد تشبيه الأفراد بالأفراد غير منوط بعضها ببعض ومصيرة شيئاً واحداً فلا فكذلك لما وصف وقوع المنافقين فى ضلالتهم وماخبطوا فيه من الحيرة والدهشة: شبهت حيرتهم وشدة الأمر عليهم بما يكابد من طفئت ناره بعد إيقادها فى ظلمة الليل وكذلك من أخذته السماء فى الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق، والتمثيل الثانى أبلغ لأنه أدل على فرط الحيرة وشدة الأمر ولذا أخر، وهم يتدرجون فى مثل هذا من الأهون إلى الأغلظ. وعطف أحد التمثيلين على الآخر بأو لأنها فى أصلها لتساوى

شيئين فصاعدا فى الشك عند البعض ثم استعيرت لمجرد التساوى كقولك جالس الحسن أو ابن سيرين
يريد أنهما سيان فى استصواب أن يجالسا، وقوله تعالى: ولا تطع منهم آثما أو كفوراً، أى الآثم
والكفور سيان فى وجوب العصيان فكذا هنا معناه أن كيفية قصة المنافقين مشبهة لكيفيتى هاتين
القصتين وأن الكيفيتين سواء فى استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل فبأيتهما مثلتها فأنت
مصيب وإن مثلتها بهما جميعاً فكذلك، والصيب: المطر الذى يصوب أى ينزل ويقع ويقال للسحاب
صيب أيضاً وتنكير صيب لأنه نوع من المطر شديد هائل كما نكرت النار فى التمثيل الأول والسماء
هذه المظلة. وعن الحسن أنها موج مكفوف والفائدة فى ذكر السماء، والصيب لا يكون إلا من
السماء، أنه جاء بالسماء معرفة فأفاد أنه غمام أخذ بآفاق السماء ونفى أن يكون من سماء أى من
أفق واحد من بين سائر الآفاق لأن كل أفق من آفاقها سماء، ففى التعريف مبالغة كما فى تنكير
صيب وتركيبه وبنائه وفيه دليل على أن السحاب من السماء ينحدر ومنها يأخذ ماءه ، وقيل
إنه يأخذ من البحر ويرتفع. ظلمات مرفوع بالجار والمجرور لأنه قد قوى لكونه صفة لصيب
بخلاف ما لو قلت ابتداء فيه ظلمات ففيه خلاف بين الأخفش وسيبويه. والرعد : الصوت الذى
يسمع من السحاب لاصطكاك أجرامه، أو ملك يسوق السحاب والبرق الذى يلمع من السحاب
من برق الشيء بريقاً إذا لمع والضمير فى فيه يعود إلى الصيب فقد جعل الصيب مكانا للظلمات
فإن أريد به السحاب فظلماته ـ إذا كان أسحم مطبقاً، ظلمتا سحمته وتطبيقه مضمومة إليهما ظلمة
الليل. وأما ظلمات المطر فظلمة تكاثفه بتتابع القطر وظلمة أظلال غمامه مع ظلمة الليل وجعل
الصيب مكاناً للرعد والبرق على إرادة السحاب به ظاهر وكذا إن أريد به المطر لأنهما ملتبسان
به فى الجملة ولم يجمع الرعد والبرق لأنهما مصدران فى الأصل، يقال رعدت السماء رعدا وبرقت
برقا فروعى حكم الأصل بأن ترك جمعهما ونكرت هذه الأشياء لأن المراد أنواع منها كأنه قيل
فيه ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق خاطف (يَجْعَلُونَ أصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ) الضمير
لأصحاب الصيب وإن كان محذوفاً كما فى قوله أوهم قائلون لأن المحذوف باق معناه وإن سقط
لفظه ولا محل ليجعلون لكونه مستأنفاً لأنه لما ذكر الرعد والبرق على ما يؤذن بالشدة والهول
فكأن قائلا قال فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد فقيل يجعلون أصابعهم فى آذانهم ثم قال
فكيف حالهم مع مثل ذلك البرق فقال: يكاد البرق يخطف أبصارهم، وإنما ذكر الأصابع ولم

يذكر الأنامل ورؤس الأصابع هي التي تجعل في الآذان اتساعاً كقوله فاقطعوا أيديهما والمراد إلى الرسغ ولأن في ذكر الأصابع من المبالغة ماليس في ذكر الأنامل وإنما لم يذكر الأصبع الخاص الذي تسد به الأذن لأن السبابة فعالة من السب فكان اجتنابها أولى بآداب القرآن ولم يذكر المسبحة لأنها مستحدثة غيرمشهورة (مِنَ الصَّوَاعِقِ) متعلق بيجعلون أي من أجل الصواعق يجعلون أصابعهم في آذانهم، والصاعقة قصفة رعد تنقض معها شقة من نار قالوا تنقدح من السحاب إذا اصطكت أجرامه وهي نار لطيفة حديدة لاتمر بشيء إلا أتت عليه إلا أنها مع حدتها سريعة الخمود يحكى أنها سقطت على نخلة فأحرقت نحو نصفها ثم طفئت، ويقال صعقته الصاعقة إذا أهلكته فصعق أي مات إما بشدة الصوت أو بالإحراق (حَذَرَ الْمَوْتِ) مفعول له، والموت فساد بنية الحيوان أوعرض لايصح معه إحساس معاقب للحياة (وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ) يعني أنهم لا يفوتونه كما لايفوت المحاط به المحيط فهو مجاز وهذه الجملة اعتراض لامحل لها (يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ) الخطف الأخذ بسرعة وكاد يستعمل لتقريب الفعل جداً وموضع يخطف نصب لأنه خبر كاد (كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ) كل ظرف وما نكرة موصوفة معناها الوقت والعائد محذوف أي كل وقت أضاء لهم فيه، والعامل فيه جوابها وهو (مَشَوْا فِيهِ) أي في ضوئه وهو استئناف ثالث كأنه جواب لمن يقول كيف يصنعون في تارتي خفوق البرق وخفيته وهذا تمثيل لشدة الأمر على المنافقين بشدته على أصحاب الصيب وما هم فيه من غاية التحير والجهل بما يأتون وما يذرون إذا صادفوا من البرق خفقة مع خوف أن يخطف أبصارهم انتهزوا تلك الخفقة فرصة فخطوا خطوات يسيرة فإذا خفي وفتر لمعانه بقوا واقفين، وأضاء متعد أي كلما نور لهم ممشى ومسلكاً أخذوه والمفعول محذوف أو غير متعد أي كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره، والمشي جنس الحركة المخصوصة فإذا اشتد فهو سعي فإذا ازداد فهو عدو (وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ) أظلم غير متعد وذكر مع أضاء كلما ومع أظلم إذا لأنهم حراص على وجود ما همهم به معقود من إمكان المشي فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها ولا كذلك التوقف (قَامُوا) وقفوا وثبتوا في مكانهم ومنه قام الماء إذا جمد (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ) بقصيف الرعد (وَأَبْصَارِهِمْ) بوميض البرق ومفعول شاء محذوف لدلالة الجواب عليه أي ولو شاء الله أن يذهب بسمعهم وأبصارهم لذهب بهما

ولقد تكاثر هذا الحذف فى شاء وأراد لا يكادون يبرزون المفعول إلا فى الشيء المستغرب كنحو قوله :

فلو شئت أن أبكى دماً لبكيته عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

وقوله تعالى: لوأردناأن نتخذلهوًا. ولوأراداللهأن يتخذولداً (إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) أى إن الله قادر على كل شىء، لما عدد الله فرق المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم وأحوالهم وما اختصت به كل فرقة مما يسعدها ويشقيها ويحظيها عند الله ويرديها أقبل عليهم بالخطاب وهومن الالتفات المذكور فقال (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) قال علقمة مافىالقرآن ياأيها الناس فهو خطاب لأهل مكة وما فيه ياأيها الذين آمنوا فهو خطاب لأهل المدينة وهذا خطاب لمشركى مكة، ويا حرف وضع لنداء البعيد وأى والهمزة للقريب ثم استعمل فى مناداة من غفل وسها وإن قرب ودنا تنزيلا له منزلة من بعد ونأى فإذا نودى به القريب المقاطن فذاك للتوكيد المؤذن بأن الخطاب الذى يتلوه معتنى به جداً، وقول الداعى يارب وهو أقرب إليه من حبل الوريد استقصار منه لنفسه واستبعاد لها عن مظان الزلفى هضما لنفسه وإقرارا عليها بالتفريط مع فرط التهالك على استجابة دعوته، وأى وصلة إلى نداء مافيه الألف واللام كما أن ذو والذى وصلتان إلى الوصف بأسماء الأجناس ووصف المعارف بالجمل. وهو اسم مبهم يفتقر إلى ما يزيل إبهامه فلا بد أن يردفه اسم جنس أو مايجرى مجراه يتصف به حتى يتضح المقصود بالنداء. فالذى يعمل فيه يا أى، أى والتابع له صفته نحو يازيد الظريف إلا أن أيا لا يستقل بنفسه استقلال زيد فلم ينفك عن الصفة وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة وموصوفها لتأكيد معنى النداء وللعوض عما يستحقه أى من الإضافة. وكثر النداء فى القرآن على هذه الطريقة لأن مانادى الله به عباده من أوامره ونواهيه ووعده ووعيده أمور عظام وخطوب جسام يجب عليهم أن يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم إليها وهم عنها غافلون فاقتضت الحال أن ينادوا بالآكد الأبلغ (اعْبُدُوا رَبَّكُمْ) وحدوه قال ابن عباس رضى الله عنهما: كل عبادة فى القرآن فهى توحيد (الَّذِي خَلَقَكُمْ) صفة موضحة مميزة لأنهم كانوا يسمون الآلهة أربابا. والخلق إيجاد المعدوم على تقدير واستواء، وعند المعتزلة إيجاد الشىء على تقدير واستواء، وهذا بناء على أن المعدوم شىء عندهم لأن الشىء ماصح أن يعلم ويخبر عنه عندهم وعندنا هو اسم للموجود

خلقكم بالادغام أبو عمرو (وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ) احتج عليهم بأنه خالقهم وخالق من قبلهم لأنهم كانوا مقرين بذلك فقيل لهم إن كنتم مقرين بأنه خالقكم فاعبدوه ولا تعبدوا الأصنام (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) اى اعبدوا على رجاء أن تتقوا فتنجوا بسببه من العذاب ولعل للترجي والإطماع ولكنه إطماع من كريم فيجرى مجرى وعده المحتوم وفاؤه، وبه قال سيبويه . وقال قطرب هو بمعنى كى أى لكى تتقوا (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ) أى صير ومحل الذى نصب على المدح أو رفع بإضمار هو (فِرَاشًا) بساطا تقعدون عليها وتنامون وتتقلبون وهو مفعول ثان لجعل وليس فيه دليل على أن الأرض مسطحة أو كرية إذ الافتراش ممكن على التقديرين (وَالسَّمَاءَ بِنَاءً) سقفا كقوله تعالى: وجعلنا السماء سقفا محفوظا، وهو مصدر سمى به المبنى (وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) مطرا (فَأَخْرَجَ بِهِ) بالماء، نعم خروج الثمرات بقدرته ومشيئته وإيجاده ولكن جعل الماء سببا فى خروجها كماء الفحل فى خلق الولد وهو قادر على إنشاء الكل بلا سبب كما أنشأ نفوس الأسباب والمواد ولكن له فى إنشاء الأشياء مدرجا لها من حال إلى حال وناقلا من مرتبة إلى مرتبة، حكما وعبرا للنظار بعيون الاستبصار ومن فى (مِنَ الثَّمَرَاتِ) للتبعيض أو للبيان (رِزْقًا) مفعول له إن كانت من للتبعيض ومفعول به لأخرج إن كانت للبيان وإنما قيل الثمرات دون الثمر والثمار وإن كان الثمر المخرج بماء السماء، كثيرا، لأن المراد جماعة الثمرة ولأن الجموع يتعاور بعضها موقع بعض لالتقائها فى الجمعية (لَكُمْ) صفة جارية على الرزق إن أريد به العين وإن جعل اسما للمعنى فهو مفعول به كأنه قيل رزقا إياكم (فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا) هو متعلق بالأمر أى اعبدوا ربكم فلا تجعلوا له أندادا لأن أصل العبادة وأساسها التوحيد ، وأن لايجعل له ند ولا شريك ، ويجوز أن يكون الذى رفعا على الابتداء وخبره فلاتجعلوا. ودخول الفاء لأن الكلام يتضمن الجزاء أى الذى حفكم بهذه الآيات العظيمة والدلائل النيرة الشاهدة بالواحدانية فلاتتخذوا له شركاء. المثل والند ولا يقال إلا المثل المخالف المناوئ، ومعنى قولهم ليس لله ند ولاضد نفى مايسد مسده ونفى ما ينافيه (وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) أنها لا تخلق شيئا ولاترزق والله الخالق الرازق أو مفعول تعلمون متروك أى وأنتم من أهل العلم، وجعل الأصنام لله أندادا غاية الجهل والجملة حال من الضمير فى فلا تجعلوا ولما احتج عليهم بما يثبت الوحدانية ويبطل الإشراك ـ لخلقهم أحياء قادرين وخلق الأرض التى هى مثواهم

ومستقرهم وخلق السماء التي هي كالقبة المضروبة والخيمة المطنبة على هذا القرار وماسوّاه عزوجل من شبه عقد النكاح بين المقلة والمظلة بإنزال الماء منها عليها والإخراج به من بطنها أشباه النسل من الثمار رزقا لبني آدم، فهذا كله دليل موصل إلى التوحيد مبطل للإشراك لأن شيئاً من المخلوقات لايقدر على إيجاد شيء منها ، عطف على ذلك ماهو الحجة على اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما يقرر إعجاز القرآن فقال (وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا) ما نكرة موصوفة أو بمعنى الذي (عَلَى عَبْدِنَا) محمد عليه السلام والعبد اسم لمملوك من جنس العقلاء، والمملوك موجود قهر بالاستيلاء وقيل نزلنا دون أنزلنا لأن المراد به النزول على سبيل التدريج والتنجيم وهو من مجاز ملكان التحدي وذلك أنهم كانوايقولون لوكان هذا من عند الله لم ينزل هكذا نجوما سورة بعد سورة وآيات غب آيات على حسب النوازل وعلى سنن مانرى عليه أهل الخطابة والشعر من وجود مايوجد منهم مفرقا حينا فحينا، شيئاً فشيئا لايلقى الناظم ديوان شعره دفعة، ولايرمى الناثر بخطبه ضربة ، فلو أنزله الله لأنزله جملة قال الله تعالى: وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة، فقيل إن ارتبتم في هذا الذي وقع إنزاله هكذا على تدريج (فَأْتُوا بِسُورَةٍ) أي فهاتوا أنتم نوبة واحدة من نوبه وهلموا نجما فردا من نجومه سورة من أصغر السور والسورة الطائفة من القرآن المترجمة التي أقلها ثلاث آيات وواوها إن كانت أصلا فإما أن تسمى بسور المدينة وهو حائطها لأنها طائفة من القرآن محدودة محوزة على حيالها كالبلد المسور أو لأنها محتوية على فنون من العلم وأجناس من الفوائد كاحتواء سور المدينة على ما فيها وإما أن تسمى بالسورة التي هي الرتبة لأن السور بمنزلة المنازل والمراتب يترقى فيها القارئ وهي أيضاً في نفسها مرتبة طوال وأوساط وقصار أو لرفعة شأنها وجلالة محلها في الدين وإن كانت منقلبة عن همزه فلأنها قطعة وطائفة من القرآن كالسؤرة التي هي البقية من الشيء. وأما الفائدة في تفصيل القرآن وتقطيعه سوراً فهي كثيرة ـ ولذا أنزل الله تعالى التوراة والإنجيل والزبور وسائر ما أوحاه إلى أنبيائه مسورة مترجمة السورة وبوب المصنفون في كل فن كتبهم أبواباً موشحة الصدور بالتراجم. منها أن الجنس إذا انطوت تحته أنواع واشتمل على أصناف كان أحسن من أن يكون بياناً واحداً، ومنها أن القارئ إذا ختم سورة أو بابا من الكتاب ثم أخذ في آخر كان أنشط له وأبعث على الدرس والتحصيل منه لواستمر على الكتاب بطوله، ومن ثم جزأ القراء

القرآن أسباعا وأجزاء وعشورا وأخماساً، ومنها أن الحافظ إذا حذق السورة اعتقد أنه أخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها لها فاتحة وخاتمة فيعظم عنده ماحفظه ويجل فى نفسه، ومنه حديث أنس رضى الله عنه كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جل فينا. ومن ثم كانت القراءة فى الصلاة بسورة تامة أفضل (مِّن مِّثْلِهِ) متعلق بسورة صفة لها والضمير لما نزلنا أى بسورة كائنة من مثله يعنى فأتوا بسورة مما هو على صفته فى البيان الغريب وعلو الطبقة فى حسن النظم أو لعبدنا أى فأتوا بمن هو على حاله من كونه أميالم يقرأ الكتب ولم يأخذ من العلماء. ولا قصد إلى مثل ونظير هنالك. ورد الضمير إلى المنزل أولى لقوله تعالى فأتوا بسورة مثله. فأتوا بعشر سور مثله. على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله. ولأن الكلام مع رد الضمير إلى المنزل أحسن ترتيباً. وذلك أن الحديث فى المنزل لافى المنزل عليه وهو مسوق إليه فإن المعنى وإن ارتبتم فى أن القرآن منزل من عند الله فهاتوا أنتم نبذا مما يماثله وقضية الترتيب لو كان الضمير مردوداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقال وإن ارتبتم فى أن محمداً منزل عليه فهاتوا قرآناً من مثله ولأن هذا التفسير يلائم قوله (وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم) جمع شهيد بمعنى الحاضر أوالقائم بالشهادة (مِّن دُونِ اللَّهِ) أى غير الله وهو متعلق بشهداءكم أى ادعو الذين اتخذتموهم آلهة من دون الله وزعمتم أنهم يشهدون لكم يوم القيامة أنكم على الحق أو من يشهد لكم بأنه مثل القرآن (إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) إن ذلك مختلق وأنه من كلام محمد عليه السلام وجواب الشرط محذوف يدل عليه ماقبله أى إن كنتم صادقين فى دعواكم فأتوا أنتم بمثله واستعينوا بآلهتكم على ذلك (فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ) لما أرشدهم إلى الجهة التى منها يتعرفون صدق النبى عليه السلام، قال لهم فإذا لم تعارضوه وبان عجزكم ووجب تصديقه فآمنوا وخافوا العذاب المعد لمن كذب وعاند. وفيه دليلان على إثبات النبوة صحة كون المتحدى به معجزاً والإخبار بأنهم لن يفعلوا وهو غيب لايعلمه إلا الله ولما كان العجز عن المعارضة قبل التأمل كالمشكوك فيه لديهم لاتكالهم على فصاحتهم واعتمادهم على بلاغتهم سيق الكلام معهم على حسب حسبانهم فجىء بإن الذى للشك دون إذا الذى للوجوب وعبر عن الإتيان بالفعل لأنه فعل من الأفعال والفائدة فيه أنه جار مجرى الكناية التى تعطيك اختصارا إذ لولم يعدل من لفظ الإتيان إلى لفظ الفعل لاستطيل أن يقال

فإن لم تأتوا بسورة من مثله ولن تأتوا بسورة من مثله ولا محل لقوله ولن تفعلوا لأنها جملة اعتراضية، وحسّن هذا الاعتراض أن لفظ الشرط للتردد فقطع التردد بقوله ولن تفعلوا. ولا ولن أختان فى نفى المستقبل إلا أن فى لن تأكيدا وعن الخليل أصلها لاأن، وعند الفراء لا أبدلت ألفها نوناً، وعند سيبويه حرف موضوع لتأكيد نفى المستقبل، وإنما علم أنه إخبار عن الغيب على ماهو به حتى صار معجزة لأنهم لو عارضوه بشىء لاشتهر فكيف والطاعنون فيه أكثر عدداً من الذابين عنه. وشرط فى اتقاء النار انتفاء إتيانهم بسورة من مثله لأنهم إذا لم يأتوا بها وتبين عجزهم عن المعارضة صح عندهم صدق الرسول وإذا صح عندهم صدقه ثم لزموا العناد وأبوا الانقياد استوجبوا النار فقيل لهم إن استبنتم العجز فاتركوا العناد، فوضع فاتقوا النار موضعه لأن اتقاء النار سبب ترك العناد وهو من باب الكناية وهى من شعب البلاغة وفائدته الإيجاز الذى هو من حلية القرآن. والوقود ماترفع به النار يعنى الحطب وأما المصدر فمضموم وقد جاء فيه الفتح. وصلة الذى والتى يجب أن تكون معلوما للمخاطب فيحتمل أن يكونوا سمعوا من أهل الكتاب أو من رسول الله أو سمعوا قبل هذه الآية قوله تعالى: ناراً وقودها الناس والحجارة. وإنما جاءت النار منكرة ثم ومعرفة هنا لأن تلك الآية نزلت بمكة ثم نزلت هذه الآية بالمدينة مشارا بها إلى ماعرفوه أولا. ومعنى قوله تعالى: وقودها الناس والحجارة أنها نار ممتازة عن غيرها من النيران بأنها تتقد بالناس والحجارة وهى حجارة الكبريت فهى أشد توقداً وأبطأ خموداً وأنتن رائحة وألصق بالبدن أوالأصنام المعبودة فهى أشد تحسيراً وإنما قرن الناس بالحجارة لأنهم قرنوا بها أنفسهم فى الدنيا حيث عبدوها وجعلوها لله أنداداً ونحوه قوله تعالى: إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم، أى حطبها فقرنهم بها محماة فى نار جهنم إبلاغا فى إيلامهم (أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) هيئت لهم وفيه دليل على أن النار مخلوقة خلافاً لما يقوله جهم. سنة الله فى كتابه أن يذكر الترغيب مع الترهيب تنشيطاً لاكتساب مايزلف وتثبيطا عن اقتراف مايتلف فلما ذكر الكفار وأعمالهم وأوعدهم بالعقاب قفاه بذكر المؤمنين وأعمالهم وتبشيرهم بقوله: (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) والمأمور بقوله وبشر الرسول عليه السلام أو كل أحد وهذا أحسن لأنه يؤذن بأن الأمر لعظمه وفخامة شأنه محقوق بأن يبشر به كل من قدر على البشارة به. وهو معطوف على فاتقوا كما تقول يابنى تميم احذروا

عقوبة ما جنيتم وبشر يافلان بنى أسد بإحسانى إليهم أو جملة وصف ثواب المؤمنين معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين كقولك زيد يعاقب بالقيد والإرهاق وبشر عمراً بالعفو والإطلاق. والبشارة الإخبار بما يظهر سرور المخبر به ومن ثم قال العلماء إذا قال لعبيده أيكم بشرنى بقدوم فلان فهو حر فبشروه فرادى عتق أولهم لأنه هو الذى أظهر سروره بخبره دون الباقين ولو قال: أخبرنى مكان بشرنى عتقوا جميعاً، لأنهم أخبروه ومنه البشرة لظاهر الجلد وتباشير الصبح ما ظهر من أوائل ضوئه وأما فبشرهم بعذاب أليم فمن العكس فى الكلام الذى يقصد به الاستهزاء الزائد فى غيظ المستهزأ به كما يقول الرجل لعدوه أبشر بقتل ذريتك ونهب مالك. والصالحة نحو الحسنة فى جريها مجرى الاسم. والصالحات كل مااستقام من الأعمال بدليل العقل والكتاب والسنة واللام للجنس. والآية حجة على من جعل الأعمال إيمانا لأنه عطف الأعمال الصالحة على الإيمان والمعطوف غير المعطوف عليه. ولايقال إنكم تقولون يجوز أن يدخل المؤمن الجنة بدون الأعمال الصالحة والله تعالى بشر بالجنة لمن آمن وعمل صالحاً لأن البشارة المطلقة بالجنة شرطها اقتران الأعمال الصالحة بالإيمان، ولا نجعل لصاحب الكبيرة البشارة المطلقة بل نثبت بشارة مقيدة بمشيئة الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه بقدر ذنوبه ثم يدخله الجنة (أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ) أى بأن لهم جنات وموضع أن وما عملت فيه النصب ببشر عند سيبويه خلافاً للخليل وهو كثير فى التنزيل. والجنة البستان من النخل والشجر المتكاثف والتركيب دائر على معنى الستر ومنه الجن والجنون والجنين والجنة والجان والجنان وسميت دار الثواب جنة لما فيها من الجنان. والجنة مخلوقة لقوله تعالى اسكن أنت وزوجك الجنة خلافا لبعض المعتزلة ومعنى جمع الجنة وتنكيرها أن الجنة اسم لدار الثواب كلها وهى مشتملة على جنان كثيرة مرتبة مراتب بحسب أعمال العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان (تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) الجملة فى موضع النصب صفة لجنات ، والمراد من تحت أشجارها كما ترى الأشجار النابتة على شواطىء الأنهار الجارية. وأنهار الجنة تجرى فى غير أخدود. وأنزه البساتين ما كانت أشجارها مظلة والأنهار فى خلالها مطردة والجرى الاطراد . والنهر المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر يقال للنيل: نهر مصر، واللغة العالية نهر ومدار التركيب على السعة

وإسناد الجرى إلى الأنهار مجازى وإنما عرف الأنهار لأنه يحتمل أن يراد بها أنهارها فعوض التعريف باللام من تعريف الإضافة كقوله تعالى : واشتعل الرأس شيباً، أو يشار باللام إلى الأنهار المذكورة فى قوله تعالى: فيها أنهار من ماء غير آسن: الآية والماء الجارى من النعمة العظمى واللذة الكبرى ولذا قرن الله تعالى الجنات بذكر الأنهار الجارية وقدمه على سائر نعوتها (كُلَّمَا رُزِقُوا) صفة ثانية لجنات أو جملة مستأنفة لأنه لما قيل إن لهم جنات لم يخل خلد السامع أن يقع فيه أثمار تلك الجنات أشباه ثمار جنات الدنيا أم أجناس أخر لا تشابه هذه الأجناس فقيل إن ثمارها أشباه ثمار جنات الدنيا أى أجناسها أجناسها وإن تفاوتت إلى غاية لا يعلمها إلا الله (مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِى) أى كلما رزقوا من الجنات ـ من أى ثمرة كانت من تفاحها أو رمانها أو غير ذلك ـ رزقاً قالوا ذلك فمن الأولى والثانية كلتاهما لابتداء الغاية لأن الرزق قد ابتدئ من الجنات والرزق من الجنات قد ابتدئ من ثمرة ونظيره أن تقول رزقنى فلان فيقال لك من أين فتقول من بستانه فيقال من أى ثمرة رزقك من بستانه فتقول من الرمان وليس المراد من الثمرة التفاحة الواحدة أو الرمانة الفذة وإنما المراد نوع من أنواع الثمار (رُزِقْنَا) أى رزقناه فحذف العائد (مِن قَبْلُ) أى من قبل هذا فلما قطع عن الإضافة بنى والمعنى هذا مثل الذى رزقنا من قبل وشبهه بدليل قوله (وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً) وهذا كقولك أبو يوسف أبو حنيفة تريد أنه لاستحكام الشبه كأن ذاته ذاته والضمير فى به يرجع إلى المرزوق فى الدنيا والآخرة جميعاً لأن قوله هذا الذى رزقنا من قبل انطوى تحته ذكر ما رزقوه فى الدارين وإنما كان ثمار الجنة مثل ثمار الدنيا ولم تكن أجناسا أخر لأن الإنسان بالمألوف آنس وإلى المعهود أميل وإذا رأى مالم يألفه نفر عنه طبعه وعافته نفسه ولأنه إذا شاهد ما سلف له به عهد ورأى فيه مزية ظاهرة وتفاوتا بينا كان استعجابه به أكثر واستغرابه أوفر وتكريرهم هذا القول عند كل ثمرة يرزقونها دليل على تناهى الأمر وتمادى الحال فى ظهور المزية وعلى أن ذلك التفاوت العظيم هو الذى يستملى تعجبهم فى كل أوان أو إلى الرزق كما أن هذا إشارة إليه والمعنى أن ما يرزقونه من ثمرات الجنة يأتيهم متجانسا فى نفسه كما يحكى عن الحسن يؤتى أحدهم بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى بالأخرى فيقول هذا الذى أتينا به من قبل فيقول الملك: كل فاللون واحد والطعم مختلف . وعنه عليه السلام « والذى نفس محمد بيده

إن الرجل من أهل الجنة ليتناول الثمرة ليأ كلها فما هى بواصلة إلى فيه حتى يبدلها الله مكانها مثلها فإذاأبصروهاوالهيئةهيئةالأولى قالواذلك» وقوله: وأتوا به متشابها، جملة معترضة للتقرير كقولك فلان أحسن بفلان ونعم مافعل ورأى من الرأى كذا وكان صواباً، ومنه وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون (وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ) أزواج مبتدأ ولهم الخبر وفيها ظرف للاستقرار (مُطَهَّرَةٌ) من مساوى الأخلاق لاطمحات ولا مرحات أو مما يختص بالنساء بالحيض والاستحاضة ومالايختص بهن من البول والغائط وسائر الأقذار والأدناس: ولم تجمع الصفة كالموصوف لأنهما لغتان فصيحتان ولم يقل طاهرة لأن مطهرة أبلغ لأنها تكون للتكثير وفيها إشعار بأن مطهراً طهرهن وما ذلك إلا الله عزوجل (وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) الخلد والخلود البقاء الدائم الذى لاينقطع وفيه بطلان قول الجهمية فإنهم يقولون بفناء الجنة وأهلها لأنه تعالى وصف بأنه الأول الآخر وتحقيق وصف الأولية بسبقه على الخلق أجمع فيجب تحقيق وصف الآخرية بالتأخر عن سائر المخلوقات وذا إنما يتحقق بعد فناء الكل فوجب القول به ضرورة ولأنه تعالى باق وأوصافه باقية فلو كانت الجنة باقية مع أهلها لوقع التشابه بين الخالق والمخلوق وذا محال. قلنا الأول فى حقه هو الذى لا ابتداء لوجوده ، والآخر هو الذى لاانتهاء له، وفى حقنا الأول هو الفرد السابق والآخر هو الفرد اللاحق واتصافه بهما لبيان صفة الكمال ونفى النقيصة والزوال وذا فى تنزيهه عن احتمال الحدوث والفناء لافيما قالوه وأنى يقع التشابه فى البقاء وهو تعالى باق لذاته وبقاؤه واجب الوجود وبقاء الخلق به وهو جائز الوجود * لما ذكر الله تعالى الذباب والعنكبوت فى كتابه وضرب به مثلا ضحكت اليهود وقالوا مايشبه هذا كلام الله فنزل (إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً) أى لايترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي أن يتمثل بها لحقارتها وأصل الحياء تغير وانكسار يعترى الإنسان من تخوف مايعاب به ويذم ولا يجوز على القديم التغير وخوف الذم ولكن الترك لما كان من لوازمه عبر عنه به، ويجوز أن تقع هذه العبارة فى كلام الكفرة فقالوا: أما مايستحيى رب محمد أن يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت ، فجاءت على سبيل المقابلة وإطباق الجواب على السؤال وهو فن من كلامهم بديع ـ وفيه لغتان التعدى بنفسه وبالجار يقال استحييته واستحييت منه وهما محتملتان هنا، وضرب المثل صنعه من ضرب اللبن وضرب الخاتم وماهذه إبهامية وهى

التى إذا اقترنت باسم نكرة أبهمته إبهاما وزادته عموماً كقولك: أعطنى كتابا ما تريد أى كتاب كان أوصلة للتأكيد كالتى فى قوله تعالى : فبما نقضهم ميثاقهم، كأنه قال لا يستحيى أن يضرب مثلا البتة . وبعوضة عطف بيان لمثلا أو مفعول ليضرب ومثلا حال من النكرة مقدمة عليه أو انتصبا مفعولين على أن ضرب بمعنى جعل واشتقاقها من البعض وهو القطع كالبضع والعضب يقال بعضه البعوض ومنه بعض الشئ لأنه قطعة منه والبعوض فى أصله صفة على فعول كالقطوع فغلبت (فَمَا فَوْقَهَا) فما تجاوزها وزاد عليها فى المعنى الذى ضربت فيه مثلا وهو القلة والحقارة ، أو فما زاد عليها فى الحجم كأنه أراد بذلك رد مااستنكروه من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت لأنهما أكبر من البعوضة ولا يقال كيف يضرب المثل بمادون البعوضة وهى النهاية فى الصغر لأن جناح البعوضة أقل منها وأصغر بدرجات وقد ضربه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا للدنيا (فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ) الضمير للمثل أو لأن يضرب والحق الثابت الذى لا يسوغ إنكاره يقال حق الأمر إذا ثبت ووجب (مِن رَّبِّهِمْ) فى موضع النصب على الحال والعامل معنى الحق وذو الحال الضمير المستتر فيه (وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلاً) ويوقف عليه إذ لو وصل لصار ما بعده صفة له وليس كذلك وفى قولهم ماذا أراد الله بهذا مثلا استحقار كما قالت عائشة رضى الله عنها فى عبد الله بن عمرو : ياعجبا لابن عمرو هذا محقرة له ومثلا نصب على التمييز أو على الحال كقوله هذه ناقة الله لكم آية وأما حرف فيه معنى الشرط ولذا يجاب بالفاء وفائدته فى الكلام أن يعطيه فضل توكيد تقول زيد ذاهب فإذا قصدت توكيده وأنه لامحالة ذاهب قلت: أمازيد فذاهب، ولذا قال سيبويه فى تفسيره مهما يكن من شئ فزيد ذاهب، وهذا التفسير يفيد كونه تأكيدا وأنه فى معنى الشرط وفى إيراد الجملتين مصدرتين به وأن لم يقل فالذين آمنوا يعلمون والذين كفروا يقولون إحماد عظيم لأمر المؤمنين واعتداد بليغ بعلمهم أنه الحق ونعى على الكافرين إغفالهم حظهم ورميهم بالكلمة الحمقاء، وماذا فيه وجهان : أن يكون ذا اسما موصولا بمعنى الذى وما استفهاما فيكون كلمتين ، وأن تكون ذا مركبة مع ما مجعولتين اسما واحدا للاستفهام فيكون كلمة واحدة فما على الأول رفع بالابتداء وخبره ذا مع صلته أى أراد والعائد محذوف وعلى الثانى منصوب المحل بأراد والتقدير أى شئ أراد الله والإرادة مصدر أردت

الشئ إذا طلبته نفسك ومال إليه قلبك وهى عندالمتكلمين معنى يقتضى تخصيص المفعولات بوجه دون وجه والله تعالى موصوف بالإرادة على الحقيقة عند أهل السنة، وقال معتزلة بغداد: إنه تعالى لا يوصف بالإرادة على الحقيقة . فإذا قيل أراد الله كذا فإن كان فعله فمعناه أنه فعل وهوغير ساه ولا مكره عليه وإن كان فعل غيره فمعناه أنه أمر به (يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً) جار مجرى التفسير والبيان للجملتين المصدرتين بأما ، وأن فريق العالمين بأنه الحق وفريق الجاهلين المستهزئين به كلاهما موصوف بالكثرة، وأن العلم بكونه حقا من باب الهدى، وأن الجهل بحسن مورده من باب الضلالة. وأهل الهدى كثير فى أنفسهم وإنما يوصفون بالقلة بالقياس إلى أهل الضلال، ولأن القليل من المهتدين كثير فى الحقيقة وإن قلوا فى الصورة

إن الكرام كثير فى البلاد وإن   قلوا كما غيرهم قل وإن كثروا

والإضلال: خلق فعل الضلال فى العبد، والهداية خلق فعل الاهتداء هذا هو الحقيقة عند أهل السنة وسياق الآية لبيان أن ما استنكره الجهلة من الكفار واستغربوه من أن تكون المحقرات من الأشياء مضروبا بها المثل ليس بموضع الاستنكار والاستغراب لأن التمثيل إنما يصار إليه لما فيه من كشف المعنى وإدناء المتوهم من المشاهد فإن كان التمثل له عظيما كان التمثل به كذلك وإن كان حقيرا كان التمثل به كذلك ألا ترى أن الحق لما كان واضحا جليا تمثل له بالضياء والنور، وأن الباطل لما كان بضد صفته تمثل له بالظلمة ولما كانت حال الآلهة التى جعلها الكفار أندادا لله لا حال أحقر منها وأقل ـ ولذلك جعل بيت العنكبوت مثلها فى الضعف والوهن وجعلت أقل من الذباب وضربت لها البعوضة فالذى دونها مثلا ـ لم يستنكر ولم يستبدع ولم يقل للمتمثل استحى من تمثيلها بالبعوضة لأنه مصيب فى تمثيله محق فى قوله سائق للمثل على قضية مضربه ولبيان أن المؤمنين الذين عادتهم الإنصاف والنظر فى الأمور بناظر العقل إذا سمعوا بهذا التمثيل علموا أنه الحق وأن الكفار الذين غلب الجهل على عقولهم إذا سمعوه كابروا وعاندوا وقضوا عليه بالبطلان وقابلوه بالإنكار، وأن ذلك سبب هدى المؤمنين وضلال الفاسقين والعجب منهم كيف أنكروا ذلك وما زال الناس يضربون الأمثال بالبهائم والطيور وخشاش الأرض فقالوا : أجمع من ذرة وأجرأ من الذباب وأسمع من قراد وأضعف من فراشة وآكل من السوس وأضعف من البعوضة وأعز من مخ البعوض ، ولكن ديدن المحجوج والمبهوت

أن يرضى لفرط الحيرة بدفع الواضح وإنكار اللائح (وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ) هو مفعول يضل وليس بمنصوب على الاستثناء لأن يضل لم يستوف مفعوله. والفسق: الخروج عن القصد. والفاسق فى الشريعة: الخارج عن الأمر بارتكاب الكبيرة وهو النازل بين المنزلتين أى بين منزلة المؤمن والكافر عند المعتزلة وسيمر عليك مايبطله إن شاء الله (الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللهِ) النقض: الفسخ وفك التركيب. والعهد: الموثق. والمراد بهؤلاء الناقضين لعهد الله أحبار اليهود المتمنتون أو منافقوهم أو الكفار جميعا وعهد الله ماركز فى عقولهم من الحجة على التوحيد كأنه أمر وصاهم به ووثقه عليهم أو أخذ الميثاق عليهم بأنهم إذا بعث إليهم رسول يصدقه الله بمعجزاته صدقوه واتبعوه ولم يكتموا ذكره، أو أخذ الله العهد عليهم أن لايسفكوا دماءهم ولا يبغى بعضهم على بعض ولا يقطعوا أرحامهم، وقيل عهد الله إلى خلقه ثلاثة عهود العهد الأول الذى أخذه على جميع ذرية آدم عليه السلام بأن يقروا بربوبيته وهو قوله تعالى : وإذ أخذ ربك من بنى آدم، الآية، وعهد خص به النبيين أن يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين وهو قوله تعالى : وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم، وعهد خص به العلماء وهو قوله تعالى : وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ، (مِن بَعْدِ مِيثَٰقِهِ) أصله من الوثاقة وهى إحكام الشىء والضمير للعهد وهو ماوثقوا به عهد الله من قبوله وإلزامه أنفسهم ويجوز أن يكون بمعنى توثقته كما أن الميعاد بمعنى الوعد أو لله تعالى أى من بعد توثقته عليهم ومن لابتداء الغاية (وَيَقْطَعُونَ مَاأَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ) هو قطعهم الأرحام وموالاة المؤمنين أو قطعهم مابين الأنبياء من الوصلة والاجتماع على الحق فى إيمانهم ببعض وكفرهم ببعض. والأمر طلب الفعل بقول مخصوص على سبيل الاستعلاء، وما نكرة موصوفة أو بمعنى الذى وأن يوصل فى موضع جر بدل من الهاء أى بوصله أو فى موضع رفع أى هو أن يوصل (وَيُفْسِدُونَ فِى الأَرْضِ) بقطع السبيل والتعويق عن الإيمان (أُوْلَٰئِكَ) مبتدأ (هُمُ) فصل والخبر (الْخَٰسِرُونَ) أى المغبونون حيث استبدلوا النقض بالوفاء والقطع بالوصل والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ) معنى الهمزة التى فى كيف مثله فى قولك أتكفرون بالله ومعكم ومايصرف عن الكفر ويدعو إلى الإيمان وهو الإنكار والتعجب ، ونظيره قولك أتطير بغير جناح وكيف تطير بغير جناح والواو فى (وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا) نطفاً فى أصلاب آبائكم للحال وقد مضمرة

والأموات جمع ميت كالأقوال جمع قيل ويقال لعادم الحياة أصلا ميت أيضاً كقوله تعالى: بلدةميتاً (فَأَحْيَـٰكُمْ) فى الأرحام (ثُمَّ يُمِيتُكُمْ) عند انقضاء آجالكم (ثُمَّ يُحْيِيكُمْ) للبعث (ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) تصيرون إلى الجزاء ، أو ثم يحييكم فى قبوركم ثم إليه ترجعون للنشور وإنما كان العطف الأول بالفاء والبواقى بثم لأن الإحياء الأول قد تعقب الموت بلا تراخ وأما الموت فقد تراخى عن الحياة والحياة الثانية كذلك تتراخى عن الموت إن أريد النشور. وإن أريد إحياء القبر فنه يكتسب العلم بتراخيه، والرجوع إلى الجزاء أيضا متراخ عن النشور. وإنما أنكر اجتماع الكفر مع القصة التى ذكرها لأنها مشتملة على آيات بينات تصرفهم عن الكفر ولأنها تشتمل على نعم جسام حقها أن تشكر ولا تكفر (هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ) أى لأجلكم ولانتفاعكم به فى دنياكم ودينكم أما الأول فظاهر وأما الثانى فالنظر فيه وما فيه من العجائب الدالة على صانع قادر حكيم عليم وما فيه من التذكير بالآخرة لأن ملاذها تذكر ثوابها ومكارهها تذكر عقابها . وقد استدل الكرخى وأبو بكر الرازى والمعتزلة بقوله خلق لكم على أن الأشياء التى يصح أن ينتفع بها خلقت مباحة فى الأصل (جَمِيعاً) نصب على الحال من ما (ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ) الاستواء: الاعتدال والاستقامة يقال استوى العود أى قام واعتدل ثم قيل استوى إليه كالسهم المرسل أى قصده قصدا مستويا من غير أن يلوى على شىء ومنه قوله تعالى: ثم استوى إلى السماء، أى أقبل وعمد إلى خلق السموات بعد ما خلق مافى الأرض من غير أن يريد فيما بين ذلك خلق شىء آخر ، والمراد بالسماء جهات العلو كأنه قيل ثم استوى إلى فوق والضمير فى (فَسَوَّىٰهُنَّ) مبهم يفسره (سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ) كقولهم ربه رجلا وقيل الضمير راجع إلى السماء ولفظها واحد ومعناها الجمع لأنها فى معنى الجنس ومعنى تسويتهن تعديل خلقهن وتقويمه وإخلاؤه من العوج والفطور أو إتمام خلقهن وثم هنا لبيان فضل خلق السموات على خلق الأرض ولا يناقض هذا قوله والأرض بعد ذلك دحاها لأن جرم الأرض تقدم خلقه خلق السماء وأما دحوها فتأخر وعن الحسن خلق الله الأرض فى موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم أصعد الدخان وخلق منها السموات وأمسك الفهر فى موضعها وبسط منها الأرض فذلك قوله تعالى: كانتا رتقا ، وهو الالتزاق (وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ) فمن ثم خلقهن خلقا مستويا محكما من

غير تفاوت مع خلق مافى الأرض على حسب حاجات أهلها ومنافعهم وَهُوَ وأخواته مدنى غيرورش، وَهْوَ هووأبوعمرو وعلى جعلوا الواو كأنها من نفس الكلمة فصار بمنزلة عضد وهم يقولون فى عضد عضد بالسكون ولما خلق الله تعالى الأرض أسكن فيها الجن وأسكن فى السماء الملائكة فأفسدت الجن فى الأرض فبعث إليهم طائفة من الملائكة فطردتهم إلى جزائر البحار ورءوس الجبال وأقاموا مكانهم فأمر نبيه عليه السلام أن يذكر قصتهم فقال (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰئِكَةِ) إذنصب بإضماراذكر. والملائكة جمع ملأك كالشمائل جمع شمأل وإلحاق التاء لتأنيث الجمع (إِنِّى جَاعِلٌ) أى مصير من جعل الذى له مفعولان وهما (فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً) وهو من يخلف غيره فعيلة بمعنى فاعلة وزيدت الهاء للمبالغة والمعنى خليفة منكم لأنهم كانوا سكان الأرض فخلفهم فيها آدم وذريته ولم يقل خلائف أوخلفاء لأنه أريد بالخليفة آدم واستغنى بذكره عن ذكر بنيه كما تستغنى بذكر أبى القبيلة فى قولك مضر وهاشم أوأريد من يخلفكم أوخلقا يخلفكم فوحد لذلك أوخليفة منى لأن آدم كان خليفة الله فى أرضه وكذلك كل نبى، قال الله تعالى: ياداود إناجعلناك خليفة فى الأرض، وإنما أخبرهم بذلك ليسألوا ذلك السؤال ويجابوا بما أجيبوا به فيعرفوا حكمته فى استخلافهم قبل كونهم أو ليعلم عباده المشاورة فى أمورهم قبل أن يقدموا عليها وإن كان هو بعلمه وحكمته البالغة غنيا عن المشاورة (قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا) تعجب من أن يستخلف مكان أهل الطاعة أهل المعصية وهو الحكيم الذى لايجهل وإنما عرفوا ذلك بإخبار من الله تعالى أو من جهة اللوح أو قاسوا أحد الثقلين على الآخر (وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ) أى يصب والواو فى (وَنَحْنُ نُسَبِّحُ) للحال كما تقول أتحسن إلى فلان وأنا أحق منه بالإحسان (بِحَمْدِكَ) فى موضع الحال أى نسبح حامدين لك ومتلبسين بحمدك كقوله تعالى: وقددخلوابالكفر، أى دخلوا كافرين (وَنُقَدِّسُ لَكَ) ونطهر أنفسنا لك وقيل التسبيح والتقديس تبعيد الله من السوء من سبح فى الأرض وقدس فيها إذا ذهب فيها وأبعد (قَالَ إِنِّى أَعْلَمُ مَالَا تَعْلَمُونَ) أى أعلم من الحكم فى ذلك ماهو خفى عليكم يعنى يكون فيهم الأنبياء والأولياء والعلماء، ومابمعنى الذى وهومفعول أعلم والعائد محذوف أى مالا تعلمونه إنِّىَ حجازى وأبو عمرو (وَعَلَّمَ ءَادَمَ) هو اسم أعجمى وأقرب أمره أن يكون على فاعل كآزر واشتقاقهم

آدم من أديم الأرض أو من الأدمة كاشتقاقهم يعقوب من العقب وإدريس من الدرس وإبليس من الإبلاس . (الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا) أى أسماء المسميات فحذف المضاف إليه لكونه معلوماً مدلولا عليه بذكر الأسماء إذ الاسم يدل على المسمى وعوض منه اللام كقوله تعالى : واشتعل الرأس شيباً ، ولا يصح أن يقدر وعلم آدم مسميات الأسماء على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه لأن التعليم تعلق بالأسماء لا بالمسميات لقوله تعالى : أنبئونى بأسماء هؤلاء ـ و ـ أنبئهم بأسمائهم ، ولم يقل أنبئونى بهؤلاء وأنبئهم بهم ومعنى تعليمه أسماء المسميات أنه تعالى أراه الأجناس التى خلقها وعلمه أن هذا اسمه فرس وهذا اسمه بعير وهذا اسمه كذا وهذا اسمه كذا وعن ابن عباس رضى الله عنهما علمه اسم كل شىء حتى القصعة والمغرفة . (ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَٰئِكَةِ) أى عرض المسميات . وإنما ذكر لأن فى المسميات العقلاء فغلبهم وإنما استنبأهم وقد علم عجزهم عن الإنباء على سبيل التبكيت (فَقَالَ أَنبِئُونِى) أخبرونى (بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ) فى زعمكم أنى أستخلف فى الأرض مفسدين سفاكين للدماء وفيه رد عليهم وبيان أن فيمن يستخلفه من الفوائد العلمية التى هى أصول الفوائد كلها ما يستأهلون لأجله أن يستخلفوا . (قَالُوا سُبْحَٰنَكَ) تنزيها لك أن يخفى عليك شىء أو عن الاعتراض عليك فى تدبيرك. وأفادتنا الآية أن علم الأسماء فوق التخلى للعبادة فكيف بعلم الشريعة ، وانتصابه على المصدر تقديره سبحت الله تسبيحاً (لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا) وليس فيه علم الأسماء ، وما بمعنى الذى ، والعلم بمعنى المعلوم أى لا معلوم لنا ، إلا الذى علمتنا (إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ) غير المعلم (الْحَكِيمُ) فيما قضيت وقدرت ، والكاف اسم إن وأنت مبتدأ وما بعده خبره والجملة خبر إن ، أو أنت فصل والخبر العليم . والحكيم خبر ثان . (قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ) سمى كل شىء باسمه . (قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّى أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ) أى أعلم ما غاب فيهما عنكم مما كان ومما يكون . (وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ) تظهرون . (وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ) تسرون . (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ) أى اخضعوا له وأقروا بالفضل له ، عن أبى بن كعب . وعن ابن عباس رضى الله عنهما كان ذلك انحناء ولم يكن خروراً على الذقن . والجمهور على أن المأمور به وضع الوجه على الأرض. وكان السجود تحية لآدم عليه السلام فى الصحيح إذ لو كان لله تعالى لما امتنع عنه إبليس .

وكان سجود التحية جائزا فيما مضى ثم نسخ بقوله عليه السلام لسلمان حين أراد أن يسجد له «لاينبغي لمخلوق أن يسجد لأحد إلا لله تعالى» . (فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ) الاستثناء متصل لأنه كان من الملائكة كذا قاله علي وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم ، ولأن الأصل أن الاستثناء يكون من جنس المستثنى منه ، ولهذا قال: مامنعك أن لاتسجد إذ أمرتك، وقوله كان من الجن معناه صار من الجن كقوله فكان من المغرقين . وقيل الاستثناء منقطع لأنه لم يكن من الملائكة بل كان من الجن بالنص وهو قول الحسن وقتادة ، ولأنه خلق من نار والملائكة خلقوا من النور ، ولأنه أبى وعصى واستكبر والملائكة لايعصون الله ماأمرهم ولا يستكبرون عن عبادته ، ولأنه قال: أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني، ولانسل للملائكة . وعن الجاحظ أن الجن والملائكة جنس واحد فمن طهر منهم فهوملك ومن خبث فهو شيطان ومن كان بين بين فهو جن (أَبَى) امتنع مما أمر به (وَاسْتَكْبَرَ) تكبر عنه . (وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) وصار من الكافرين بإبائه واستكباره ورده الأمر. لابترك العمل بالأمر لأن ترك السجود لايخرج من الإيمان ولا يكون كفرا عند أهل السنة خلافا للمعتزلة والخوارج أو كان من الكافرين في علم الله أي وكان في علم الله أنه يكفر بعد إيمانه لأنه كان كافرا أبدا في علم الله وهي مسئلة الموافاة (وَقُلْنَا يَٰآدَمُ اسْكُنْ) أمر من سكن الدار يسكنها سكنى إذا أقام فيها ويقال سكن المتحرك سكوناً (أَنتَ) تأكيد للمستكن في اسكن ليصح عطف (وَزَوْجُكَ) عليه (الْجَنَّةَ) هي جنة الخلد التي وعدت للمتقين للنقل المشهور واللام للتعريف ، وقالت المعتزلة : كانت بستاناً باليمن لأن الجنة لاتكليف فيها ولا خروج عنها قلنا إنما لايخرج منها من دخلها جزاء. وقد دخل النبي عليه السلام ليلة المعراج ثم خرج منها ، وأهل الجنة يكلفون المعرفة والتوحيد . (وَكُلَا مِنْهَا) من ثمارها فحذف المضاف . (رَغَدًا) وصف للمصدر أي أكلا رغداً واسعاً (حَيْثُ شِئْتُمَا) شئتما وبابه بغير همز أبو عمرو وحيث للمكان المبهم أي أي مكان من الجنة شئتما (وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ) أي الحنطة . ولذا قيل كيف لايعصى الإنسان وقوته من شجرة العصيان أو الكرمة لأنها أصل كل فتنة أو التينة . (فَتَكُونَا) جزم عطف على تقربا أو نصب جواب للنهي . (مِنَ الظَّالِمِينَ) من الذين ظلموا أنفسهم أو من الضارين أنفسهم . (فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا)

أي عن الشجرة ، أي فحملهما الشيطان على الزلة بسببها. وتحقيقه فأصدر الشيطان زلتهما عنها أو فأزلهما عن الجنة بمعنى أذهبهما عنها وأبعدهما. فأزالهما حمزة . وزلة آدم بالخطأ فى التأويل إما بحمل النهي على التنزيه دون التحريم، أو بحمل اللام على تعريف العهد وكان الله تعالى أراد الجنس والأول الوجه . وهذا دليل على أنه يجوز إطلاق اسم الزلة على الأنبياء عليهم السلام كما قال مشايخ بخارى . فإنه اسم الفعل يقع على خلاف الأمر من غير قصد إلى الخلاف كزلة الماشى فى الطين. وقال مشايخ سمرقند لايطلق اسم الزلة على أفعالهم كما لاتطلق المعصية . وإنما يقال فعلوا الفاضل وتركوا الأفضل فعوتبوا عليه. (فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ) من النعيم والكرامة . أومن الجنة إن كان الضمير للشجرة فى عنها. وقد توصل إلى إزلالهما بعدما قيل له اخرج منها فإنك رجيم، لأنه منع عن دخولها على جهة التكرمة كدخول الملائكة لا عن دخولها على جهة الوسوسة ابتلاء لآدم وحواء وروى أنه أراد الدخول فمنعته الخزنة فدخل فى فم الحية حتى دخلت به . وقيل قام عند الباب فنادى. (وَقُلْنَا اهْبِطُوا) الهبوط النزول إلى الأرض. والخطاب لآدم وحواء وإبليس وقيل والحية والصحيح لآدم وحواء. والمراد هما وذريتهما لأنهما لما كانا أصل الإنس ومتشعبهم جعلا كأنهما الإنس كلهم ويدل عليه قوله تعالى: قال اهبطا منها جميعا . (بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ) المراد به ما عليه الناس من التباغى والتعادى وتضليل بعضهم لبعض. والجملة فى موضع الحال من الواو فى اهبطوا أى اهبطوا متعادين . (وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ) موضع استقرار أو استقرار. (وَمَتَاعٌ) وتمتع بالعيش . (إِلَى حِينٍ) إلى يوم القيامة أو إلى الموت . قال إبراهيم بن أدهم أورثتنا تلك الأكلة حزنا طويلا.(فَتَلَقَّى ءادَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ) أى استقبلها بالأخذ والقبول والعمل بها . وبنصب آدم ورفع كلمات مكى على أنها استقبلته بأن بلغته واتصلت به وهن قوله تعالى: ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين. وفيه موعظة لذريتهما حيث عرفوا كيفية السبيل إلى التنصل من الذنوب . وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن أحب الكلام إلى الله تعالى ماقاله أبونا آدم حين اقترف الخطيئة : سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله إلا أنت ظلمت نفسى فاغفر لى إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت . وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : يا رب ألم تخلقنى بيدك . قال : بلى . قال : يا رب ألم تنفخ فىّ من روحك ، ألم تسبق رحمتك غضبك ، ألم تسكنى جنتك . وهو تعالى يقول: بلى بلى . قال:

فَلِمَ أخرجتنى من الجنة . قال: بشؤم معصيتك . قال: فلو تبت أراجعى أنت إليها . قال: نعم (فَتَابَ عَلَيْهِ) فرجع عليه بالرحمة والقبول واكتفى بذكر توبة آدم لأن حواء كانت تبعا له، وقد طوى ذكر النساء فى أكثر القرآن والسنة لذلك . (إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ) الكثير القبول للتوبة . (الرَّحِيمُ) على عباده . (قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً) حال أى مجتمعين . وكرر الأمر بالهبوط للتأكيد ، أو لأن الهبوط الأول من الجنة إلى السماء والثانى من السماء إلى الأرض ، أو لما نيط به من زيادة قوله . (فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى) أى رسول أبعثه إليكم، أو كتاب أنزله عليكم بدليل قوله تعالى: والذين كفروا وكذبوا بآياتنا. فى مقابلة قوله (فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ) أى بالقبول والإيمان به . (فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ) فى المستقبل (وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) على ما خلفوا والشرط الثانى مع جوابه جواب الشرط الأول كقولك إن جئتنى فإن قدرت أحسنت إليك. فلا خوف بالفتح فى كل القرآن يعقوب. (وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِئَايَتِنَا أُولَئِكَ) مبتدأ والخبر (أَصْحَبُ النَّارِ) أى أهلها ومستحقوها. والجملة فى موضع الرفع خبر المبتدأ أعنى والذين (هُمْ فِيهَا خَلِدُونَ يَبَنِى إِسْرَءِيلَ) هو يعقوب عليه السلام وهو لقب له ومعناه فى لسانهم صفوة الله أو عبد الله . فإسرا هو العبد أو الصفوة ، وإيل هو الله بالعبرية ، وهو غير منصرف لوجود العلمية والعجمة . (اذْكُرُوا نِعْمَتِىَ الَّتِى أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ) ذكرهم النعمة أن لا يخلوا بشكرها ويطيعوا مانحها. وأراد بها ما أنعم به على آبائهم مما عدد عليهم من الإنجاء من فرعون وعذابه ومن الغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل والتوبة عليهم ، وما أنعم به عليهم من إدراك زمن محمد ﷺ المبشر به فى التوراة والإنجيل . (وَأَوْفُوا) أدوا وافيا تاما ، يقال وفيت له بالعهد فأنا واف به وأوفيت له بالعهد فأنا موف به ، والاختيار أوفيت ، وعليه نزل التنزيل . (بِعَهْدِى) بما عاهدتمونى عليه من الإيمان بى والطاعة لى ، أو من الإيمان بنبى الرحمة والكتاب المعجز . (أُوفِ بِعَهْدِكُمْ) بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب على حسناتكم. والعهد يضاف إلى المعاهِد والمعاهَد جميعا . وعن قتادة هما لئن أقمتم ولأكفرن . وقال أهل الإشارة : أوفوا فى دار محنتى ، على بساط خدمتى ، بحفظ حرمتى ، أوف فى دار نعمتى ، على بساط كرامتى ، بسرور رؤيتى . (وَإِيَّاىَ فَارْهَبُونِ) فلا تنقضوا عهدى وهو من قولك زيدا رهبته وهو أوكد فى إفادة الاختصاص من إياك نعبد وإيّىَ منصوب بفعل مضمر دل عليه

ما بعده وتقديره فارهبوا إياى فارهبون وحذف الأول لأن الثانى يدل عليه وإنما لم ينتصب بقوله فارهبون لأنه أخذ مفعوله وهو الياء المحذوفة وكسرة النون دليل الياء كما لايجوز نصب زيد فى زيدا فاضربه باضرب الذى هو ظاهر (وَءَامِنُوا بِمَآ أَنزَلْتُ) يعنى القرآن (مُصَدِّقًا) حال مؤكدة من الهاء المحذوفة كأنه قيل أنزلته مصدقا (لِّمَا مَعَكُمْ) من التوراة يعنى فى العبادة والتوحيد والنبوة وأمر محمد عليه السلام (وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ) أى أول من كفر به أو أول حزب أو فوج كافر به أوولا يكن كل واحد منكم أول كافر به . وهذا تعريض بأنه كان يجب أن يكونوا أول من يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته . والضمير فى به يعود إلى القرآن. (وَلَا تَشْتَرُوا) ولا تستبدلوا . (بِـَٔايَـٰتِى) بتغييرها وتحريفها . (ثَمَنًا قَلِيلًا) قال الحسن هو الدنيا بحذافيرها . وقيل هو الرياسة التى كانت لهم فى قومهم خافوا عليها الفوات لو اتبعوا رسول الله . (وَإِيَّـٰىَ فَاتَّقُونِ) نخافونى فارهبونى فاتقونى بالياء فى الحالين وكذلك كل ياء محذوفة فى الخط يعقوب . (وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَـٰطِلِ) لبس الحق بالباطل خلطه . والباء ، إن كانت صلة مثلها فى قولك لبست الشىء بالشىء خلطته به ، كان المعنى ولا تكتبوا فى التوراة ماليس منها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذى كتبتم حتى لايميز بين حقها وباطلكم . وإن كانت باء الاستعانة كالتى فى قولك كتبت بالقلم ، كان المعنى ولا تجعلوا الحق ملتبسا مشتبها بباطلكم الذى تكتبونه . (وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ) هو مجزوم داخل تحت حكم النهى بمعنى ولا تكتموا ، أو منصوب بإضمار أن، والواو بمعنى الجمع، أى ولا تجمعوا بين لبس الحق بالباطل وكتمان الحق كقولك لا تأكل السمك وتشرب اللبن. وهما أمران متميزان. لأن لبس الحق بالباطل ما ذكرنا من كتبهم فى التوراة ما ليس منها ، وكتمانهم الحق أن يقولوا لانجد فى التوراة صفة محمد أو حكم كذا (وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) فى حال علمكم أنكم لابسون وكاتمون وهو أقبح لهم لأن الجهل بالقبيح ربما عذر مرتكبه . (وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ) أى صلاة المسلمين وزكاتهم. (وَارْكَعُوا مَعَ الرَّٰكِعِينَ) منهم لأن اليهود لا ركوع فى صلاتهم أى أسلموا واعملوا عمل أهل الإسلام. وجاز أن يراد بالركوع الصلاة كما يعبر عنها بالسجود ، وأن يكون أمرا بالصلاة مع المصلين يعنى فى الجماعة ، أى صلوها مع المصلين لامنفردين . والهمزة فى (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ) للتقرير مع التوبيخ والتعجب من حالهم. (بِالْبِرِّ) أى بسعة الخير والمعروف

ومنه البَرّ لسعته . ويتناول كل خير ومنه قولهم صدقت وبررت . وكان الأحبار يأمرون من نصحوه فى السر من أقاربهم وغيرهم باتباع محمد عليه السلام ولا يتبعونه . وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون وإذا أتوا بالصدقات ليفرقوها خانوا فيها. (وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ) وتتركونها من البر كالمنسيات . (وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَٰبَ) تبكيت أى تتلون التوراة وفيها نعت محمد عليه السلام أو فيها الوعيد على الخيانة وترك البر ومخالفة القول العمل (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) أفلا تفطنون لقبح ما أقدمتم عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه وهو توبيخ عظيم. (وَاسْتَعِينُوا) على حوائجكم إلى الله (بِالصَّبْرِ وَالصَّلَوٰةِ) أى بالجمع بينهما وأن تصلوا صابرين على تكاليف الصلاة محتملين لمشاقها ومايجب فيها من إخلاص القلب ودفع الوساوس الشيطانية والهواجس النفسانية ومراعاة الآداب والخشوع واستحضار العلم بأنه انتصاب بين يدى جبار السموات والأرض ، أو استعينوا على البلايا والنوائب بالصبر عليها والالتجاء إلى الصلاة عند وقوعها ، وكان رسول ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه نعى إليه أخوه قُثَمُ وهو فى سفر فاسترجع وصلى ركعتين ثم قال : واستعينوا بالصبر والصلاة . وقيل الصبر الصوم لأنه حبس عن المفطرات ومنه قيل لشهر رمضان شهر الصبر . وقيل الصلاة الدعاء أى استعينوا على البلايا بالصبر والالتجاء إلى الدعاء والابتهال إلى الله فى دفعه . (وَإِنَّهَا) الضمير للصلاة أو للاستعانة . (لَكَبِيرَةٌ) لشاقة ثقيلة من قولك كبر على هذا الأمر . (إِلَّا عَلَى الْخَٰشِعِينَ) لأنهم يتوقعون ما ادخر للصابرين على متاعبها فتهون عليهم ألا ترى إلى قوله : (الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا رَبِّهِمْ) أى يتوقعون لقاء ثوابه ونيل ماعنده ويطمعون فيه . وفسر يظنون بيتيقنون لقراءة عبد الله يعلمون ، أى يعلمون أنه لابد من لقاء الجزاء فيعملون على حسب ذلك ، وأما من لم يوقن بالجزاء ولم يرج الثواب كانت عليه مشقة خالصة ، والخشوع الإخبات والتطامن وأما الخضوع فاللين والانقياد ، وفسر اللقاء بالرؤية وملاقو ربهم بمعاينوه بلا كيف . (وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ) لايملك أمرهم فى الآخرة أحد سواه . (يَٰبَنِى إِسْرَٰٓءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِى أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ) التكرير للتأكيد (وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ) نصب عطف على نعمتى أى اذكروا نعمتى وتفضيلى. (عَلَى الْعَٰلَمِينَ) على الجم الغفير من الناس يقال رأيت عالما من الناس والمراد الكثرة . (وَاتَّقُوا يَوْمًا) أى

يوم القيامة وهو مفعول به لاظرف . (لاَّ تَجْزِى نَفْسٌ) مؤمنة . (عَن نَّفْسٍ) كافرة (شَيْئًا) أى لاتقضى عنها شيئاً من الحقوق التى لزمتها وشيئاً مفعول به أو مصدر أى قليلا من الجزاء والجملة منصوبة المحل صفة يوماً والعائد منها إلى الموصوف محذوف تقديره لاتجزى فيه (وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَـٰعَةٌ) ولا تقبل بالتاء مكى وبصرى ، والضمير فى منها يرجع إلى النفس المؤمنة أى لاتقبل منها شفاعة للكافرة، وقيل كانت اليهود تزعم أن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم فأويسوا فهو كقوله : فماتنفعهم شفاعة الشافعين، وتشبث المعتزلة بالآية فى نفى الشفاعة للعصاة مردود لأن المنفى شفاعة الكفار وقد قال عليه السلام شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى من كذب بها لم ينلها . (وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ) أى فدية لأنها معادلة للمفدى . (وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ) يعاونون وجمع لدلالة النفس المنكرة على النفوس الكثيرة ، وذكّر لمعنى العباد أو الأناسى (وَإِذْ نَجَّيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ) أصل آل أهل ولذلك يصغر بأهيل فأبدلت هاؤه ألفا وخص استعماله بأولى الخطر كالملوك وأشباههم فلا يقال آل الإسكاف والحجام ، وفرعون علم لمن ملك العمالقة كقيصر لملك الروم وكسرى لملك الفرس. (يَسُومُونَكُمْ) حال من آل فرعون أى يولونكم من سامه خسفاً إذا أولاه ظلما، وأصله من سام السلعة إذا طلبها كأنها بمعنى يبغونكم (سُوٓءَ الْعَذَابِ) ويريدونكم عليه ومساومة البيع مزيدة أو مطالبة، وسوء مفعول ثان ليسومونكم وهومصدر سيىء يقال أعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما ، ومعنى سوء العذاب، والعذاب كله سيىء أشده وأفظعه. (يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ) بيان لقوله يسومونكم ولذا ترك العاطف (وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ) يتركون بناتكم أحياء للخدمة ، وإنما فعلوا بهم ذلك لأن الكهنة أنذروا فرعون بأنه يولد مولود يزول ملكه بسببه كما أنذروا نمرود فلم يغن عنهما اجتهادهما فى التحفظ وكان ماشاء الله (وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ) محنة إن أشير بذلكم إلى صنع فرعون ، ونعمة أن أشير به إلى الانتجاء . (مِّن رَّبِّكُمْ) ، صفة لبلاء (عَظِيمٌ) صفة ثانية (وَإِذْ فَرَقْنَا) فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم ، وقرئ فرّقنا أى فصلنا يقال فرَق بين الشيئين وفرق بين الأشياء لأن المسالك كانت اثنى عشر على عدد الأسباط . (بِكُمُ الْبَحْرَ) كانوا يسلكونه ويتفرق الماء عند سلوكهم فكأنما فرق بهم ، أو فرقناه بسببكم ، أو فرقناه ملتبساً بكم فيكون فى موضع الحال روى

أن بنى اسرائيل قالوا لموسى عليه السلام: أين أصحابنا فنحن لانرضى حتى نراهم ، فأوحى الله إليه أن قل بعصاك هكذا فقال بها على الحيطان فصارت فيها كوى فتراءوا وتسامعوا كلامهم (فَأَنجَيْنَـٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ) إلى ذلك وتشاهدونه ولا تشكون فيه وإنما قال (وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ) لأن الله تعالى وعده الوحى ووعده هو المجىء للميقات إلى الطور، وعدنا حيث كان بصرى ، لما دخل بنو اسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب ينتهون إليه وعد الله تعالى موسى أن ينزل عليه التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذى الحجة ، وقال (أَرْبَعِينَ لَيْلَةً) لأن الشهور غررها بالليالى وأربعين مفعول ثان لواعدنا لاظرف لأنه ليس معناه واعدناه فى أربعين ليلة (ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ) أى إلها فحذف المفعول الثانى لاتخذتم ، وبابه بالإظهار مكى وحفص (مِنۢ بَعْدِهِۦ) من بعد ذهابه إلى الطور، (وَأَنتُمْ ظَـٰلِمُونَ) أى بوضعكم العبادة غير موضعها والجملة حال أى عبدتموه ظالمين . (ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم) محونا ذنوبكم عنكم . (مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ) من بعد اتخاذكم العجل. (لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) لكى تشكروا النعمة فى العفو عنكم. (وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ) يعنى الجامع بين كونه كتاباً منزلا وفرقانا يفرق بين الحق والباطل وهو التوراة ونظيره رأيت الغيث والليث تريد الرجل الجامع بين الجود والجراءة أوالتوراة والبرهان الفارق بين الكفر والإيمان من العصا واليد وغيرها من الآيات ، أو الشرع الفارق بين الحلال والحرام وقيل الفرقان انفلاق البحر أوالنصر الذى فرق بينه وبين عدوه (لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) لكى تهتدوا (وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ) للذين عبدوا العجل. (يَـٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ) معبودا (فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ) هو الذى خلق الخلق بريئا من التفاوت . وفيه تقريع لما كان منهم من ترك عبادة العالم الحكيم الذى برأهم إبرياء من التفاوت إلى عبادة البقر الذى هو مثل فى الغباوة والبلادة (فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ) قيل هو على الظاهر وهو البخع . وقيل معناه قتل بعضهم بعضا وقيل أمر من لم يعبد العجل أن يقتلوا العبدة فقتل سبعون ألفا . (ذَٰلِكُمْ) التوبة والقتل (خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ) من الإصرار على المعصية . (فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ) المفضال بقبول التوبة وإن كثرت (ٱلرَّحِيمُ) يعفو الحوبة وإن كبرت . والفاء الأولى للتسبيب لأن الظلم سبب التوبة . والثانية للتعقيب لأن المعنى فاعزموا على التوبة

فاقتلوا أنفسكم إذ الله تعالى جعل توبتهم قتل أنفسهم . والثالثة متعلقة بشرط محذوف كأنه قال فإن فعلتم فقد تاب عليكم . ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ عيانا وانتصابها على المصدر كما تنصب القرفصاء بفعل الجلوس . أو على الحال من نرى أى ذوى جهرة . ﴿ فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ ﴾ أى الموت . قيل هى نار جاءت من السماء فأحرقتهم . روى أن السبعين الذين كانوا مع موسى عليه السلام عند الانطلاق إلى الجبل قالوا له نحن لم نعبد العجل كما عبده هؤلاء فأرنا الله جهرة . فقال موسى سألته ذلك فأباه علىّ . فقالوا إنك رأيت الله تعالى فلن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة . فبعث الله عليهم صاعقة فأحرقتهم . وتعلقت المعتزلة بهذه الآية فى نفى الرؤية لأنه لو كان جائز الرؤية لما عذبوا بسؤال ما هو جائز الثبوت. قلنا إنما عوقبوا بكفرهم لأن قولهم: إنك رأيت الله فلن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة كفر منهم . ولأنهم امتنعوا عن الإيمان بموسى بعد ظهور معجزته حتى يروا ربهم جهرة، والإيمان بالأنبياء واجب بعد ظهور معجزاتهم ولا يجوز اقتراح الآيات عليهم. ولأنهم لم يسألوا سؤال استرشاد بل سؤال تعنت وعناد . ﴿ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ إليها حين نزلت . ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم ﴾ أحييناكم وأصله الإثارة ﴿ مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ نعمة البعث بعد الموت. ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ ﴾ جعلنا الغمام يظلكم وذلك فى التيه سخر الله لهم السحاب يسير بسيرهم يظلهم من الشمس وينزل بالليل عمود من نار يسيرون فى ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى ﴿ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ ﴾ الترنجبين وكان ينزل عليهم مثل الثلج من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس لكل إنسان صاع ﴿ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴾ كان يبعث الله عليهم الجنوب فتحشر عليهم السلوى وهى السمانى فيذبح الرجل منها ما يكفيه. وقلنا لهم ﴿ كُلُوا مِن طَيِّبَٰتِ ﴾ لذيذات أو حلالات ﴿ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا ﴾ يعنى فظلموا بأن كفروا هذه النعم وما ظلمونا ﴿ وَلَٰكِن كَانُوٓا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ أنفسهم مفعول يظلمون وهو خبر كان ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ﴾ لهم بعدما خرجوا من التيه . ﴿ ٱدْخُلُوا هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ أى بيت المقدس أو أريحاء والقرية المجتمع من قريت لأنها تجمع الخلق أمروا بدخولها بعد التيه ﴿ فَكُلُوا مِنْهَا ﴾ من طعام القرية وثمارها . ﴿ حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا ﴾ واسعا ﴿ وَٱدْخُلُوا ٱلْبَابَ ﴾ باب القرية أو باب القبة التى كانوا يصلون إليها ، وهم لم يدخلوا بيت المقدس فى حياة موسى

عليه السلام وإنما دخلوا الباب فى حياته ودخلوا بيت المقدس بعده . (سُجَّدًا) حال وهو جمع ساجد، أمروا بالسجود عند الانتهاء إلى الباب شكراً لله تعالى وتواضعاً له . (وَقُولُوا حِطَّةٌ) فعلة من الحط كالجلسة وهى خبر مبتدأ محذوف أى مسألتنا حطة أو أمرك حطة ، والأصل النصب وقد قرئ به بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة ، وإنما رفعت لتعطى معنى الثبات . وقيل أمرنا حطة أى أن نحط فى هذه القرية ونستقر فيها . وعن على رضى الله عنه هو بسم الله الرحمن الرحيم. وعن عكرمة هو لا إله إلا الله . (نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ) جمع خطيئة وهى الذنب ، يغفر مدنى تغفر شامى . (وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ) أى من كان محسنا منكم كانت تلك الكلمة سببا فى زيادة ثوابه ومن كان مسيئا كانت له توبة ومغفرة . (فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ) فيه حذف وتقديره فبدل الذين ظلموا بالذى قيل لهم قولا غير الذى قيل لهم فبدل يتعدى إلى مفعول واحد بنفسه وإلى آخر بالباء فالذى مع الباء متروك والذى بغير باء موجود، يعنى وضعوا مكان حطة قولا غيرها أى أمروا بقول معناه التوبة والاستغفار فخالفوه إلى قول ليس معناه معنى ما أمروا به ولم يمتثلوا أمر الله . وقيل قالوا مكان حطة حنطة . وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا أى حنطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم وعدولا عن طلب ما عند الله إلى طلب ما يشتهون من أعراض الدنيا . (فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا) عذابا . وفى تكرير الذين ظلموا زيادة فى تقبيح أمرهم وإيذان بإنزال الرجز عليهم لظلمهم . (مِنَ السَّمَاءِ) صفة لرجز (بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) بسبب فسقهم. روى أنه مات منهم فى ساعة بالطاعون أربعة وعشرون ألفا وقيل سبعون ألفا (وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ) موضع إذ نصب كأنه قيل واذكروا إذ استسقى أى استدعى أن يسقى قومه . (فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ) عطشوا فى التيه فدعا لهم موسى بالسقيا فقيل له اضرب بعصاك الحجر. واللام للعهد والإشارة إلى حجر معلوم فقد روى أنه حجر طورى حمله معه وكان مربعا له أربعة أوجه كانت تنبع من كل وجه ثلاث أعين لكل سبط عين وكانوا ستمائة ألف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا ، أو للجنس أى اضرب الشىء الذى يقال له الحجر ، وهذا أظهر فى الحجة وأبين فى القدرة. (فَانْفَجَرَتْ) الفاء متعلقة بمحذوف أى فضرب فانفجرت أى سالت بكثرة ، أو فإن ضربت فقد انفجرت وهى على هذا فاء فصيحة لاتقع إلا فى كلام بليغ. (مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا) على عدد الأسباط

وقرئ بكسر الشين وفتحها وهما لغتان ، وعينا تميز . (قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ) كل سبط . (مَّشْرَبَهُمْ) عينهم التى يشربون منها . وقلنا لهم (كُلُوا) من المن والسلوى . (وَاشْرَبُوا) من ماء العيون . (مِن رِّزْقِ اللهِ) أى الكل مما رزقكم الله . (وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ) لا تفسدوا فيها . والعيث أشد الفساد (مُفْسِدِينَ) حال مؤكدة أى لا تمادوا فى الفساد فى حال فسادكم لأنهم كانوا متمادين فيه . (وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ) هو ما رزقوا فى التيه من المن والسلوى . وإنما قالوا على طعام واحد وهما طعامان لأنهم أرادوا بالواحد ما لا يتبدل . ولو كان على مائدة الرجل ألوان عدة يداوم عليها كل يوم لا يبدلها يقال لا يأكل فلان إلا طعاما واحدا ويراد بالوحدة نفى التبدل والاختلاف . أو أرادوا أنهما ضرب واحد لأنهما معا من طعام أهل التلذذ والترف وكانوا من أهل الزراعات فأرادوا ما ألفوا من البقول والحبوب وغير ذلك (فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ) سله وقل له أخرج لنا (يُخْرِجْ لَنَا) يظهر لنا ويوجد (مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا) هو ما أنبتته الأرض من الخضر والمراد به أطايب البقول كالنعناع والكرفس والكراث ونحوهامما يأكل الناس. (وَقِثَّائِهَا) يعنى الخيار (وَفُومِهَا) هوالحنطة أوالثوم لقراءة ابن مسعود وثومها (وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ) أقرب منزلة وأدون مقدارا والدنو والقرب يعبر بهما عن قلة المقدار (بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ) أرفع وأجل . (اهْبِطُوا مِصْرًا) من الأمصار أى انحدروا إليه من التيه. وبلاد التيه مابين بيت المقدس إلى قنسرين وهى اثنا عشر فرسخا فى ثمانية فراسخ . أو مصر فرعون وإنما صرفه مع وجود السببين وهما التأنيث والتعريف لإرادة البلد أو لسكون وسطه كنوح ولوط وفيهما العجمة والتعريف (فَإِنَّ لَكُم) فيها (مَّا سَأَلْتُمْ) أى فإن الذى سألتم يكون فى الأمصار لا فى التيه . (وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ) أى الهوان والفقر يعنى جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم فهم فيها كما يكون فى القبة من ضربت عليه أو ألصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه . فاليهود صاغرون أذلاء أهل مسكنة وفقر إما على الحقيقة وإما لتصاغرهم وتفاقرهم خيفة أن تضاعف عليهم الجزية . عليهم الذلة حمزة وعلى وكذا كل ما كان قبل الهاء ياء ساكنة وبكسر الهاء والميم أبو عمرو . وبكسر الهاء وضم الميم غيرهم (وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللهِ) من قولك باء

فلان بفلان إذا كان حقيقا بأن يقتل به لمساواته له . أى صاروا أحقاء بغضبه. وعن الكسائى حفوا (ذَٰلِكَ) إشارة إلى ما تقدم من ضرب الذلة والمسكنة والخلاقة بالغضب . (بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِئَايَٰتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ) بالهمزة نافع وكذا بابه . أى ذلك بسبب كفرهم وقتلهم الأنبياء . وقد قتلت اليهود شعياء وزكريا ويحيى صلوات الله عليهم . والنبى من النبإ لأنه يخبر عن الله تعالى فعيل بمعنى مفعِل أو بمعنى مفعَل . أو من نبا أى ارتفع . والنبوة المكان المرتفع. (بِغَيْرِ الْحَقِّ) عندهم أيضا فإنهم لو أنصفوا لم يذكروا شيئاً يستحقون به القتل عندهم فى التوراة . وهو فى محل النصب على الحال من الضمير فى يقتلون أى يقتلونهم مبطلين (ذَٰلِكَ) تكرار للإشارة. (بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ) بسبب ارتكابهم أنواع المعاصى واعتدائهم حدود الله فى كل شىء مع كفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء . وقيل هو اعتداؤهم فى السبت. ويجوز أن يشار بذلك إلى الكفر وقتل الأنبياء على معنى أن ذلك بسبب عصيانهم واعتدائهم لأنهم انهمكوا فيهما وغلوا حتى قست قلوبهم فجسروا على جحود الآيات وقتلهم الأنبياء أو ذلك الكفر والقتل مع ماعصوا (إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا) بألسنتهم من غير مواطأة القلوب وهم المنافقون . (وَالَّذِينَ هَادُوا) تهودوا يقال هاد يهود وتهودا إذا دخل فى اليهودية وهو هائد والجمع هود (وَالنَّصَٰرَىٰ) جمع نصران كندمان وندامى يقال رجل نصران وامرأة نصرانة . والياء فى نصرانى للمبالغة كالتى فى أحمرى سموا نصارى لأنهم نصروا المسيح (وَالصَّٰبِئِينَ) الخارجين من دين مشهور إلى غيره من صبأ إذا خرج من الدين . وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة. وقيل هم يقرءون الزبور (مَنْ ءَامَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) من هؤلاء الكفرة إيمانا خالصا (وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ) ثوابهم (عِندَ رَبِّهِمْ) فى الآخرة (وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) ومحل من آمن الرفع إن جعلته مبتدأ خبره فلهم أجرهم ، والنصب إن جعلته بدلا من اسم إن والمعطوف عليه . فخبر إن فى الوجه الأول الجملة كما هى ، وفى الثانى فلهم والفاء لتضمن من معنى الشرط (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ) بقبول مافى التوراة . (وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ) أى الجبل حتى قبلتم وأعطيتم الميثاق . وذلك أن موسى عليه السلام جاءهم بالألواح فرأوا ما فيها من الآصار والتكاليف الشاقه فكبرت عليهم وأبوا قبولها . فأمر الله تعالى جبريل عليه السلام فقلع الطور من أصله

ورفعه فظلله فوقهم وقال لهم موسى إن قبلتم وإلا ألقى عليكم حتى قبلوا وقلنا لكم (خُذُوا مَاءَاتَيْنَـٰكُم) من الكتاب أى التوراة (بِقُوَّةٍ) بجد وعزيمة (وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ) واحفظوا ماقى الكتاب وادرسوه ولاتنسوه ولاتغفلوا عنه (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) رجاءمنكم أن تكونوا متقين . (ثُمَّ تَوَلَّيْتُم) ثم أعرضتم عن الميثاق والوفاء به . (مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ) من بعد القبول (فَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ) بتأخير العذاب عنكم أوبتوفيقكم للتوبة. (لَكُنتُم مِّنَ الْخَـٰسِرِينَ) الهالكين فى العذاب . (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ) عرفتم فيتمدى إلى مفعول واحد (الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِى السَّبْتِ) هو مصدر سبتت اليهود إذا عظمت يوم السبت . وقد اعتدوا فيه أى جاوزوا ما حد لهم فيه من التجرد للعبادة وتعظيمه واشتغلوا بالصيد . وذلك أن الله تعالى نهاهم أن يصيدوا فى السبت ثم ابتلاهم فما كان يبقى حوت فى البحر إلا أخرج خرطومه يوم السبت فإذا مضى تفرقت فحفروا حياضا عندالبحر وشرعوا إليها الجداول فكانت الحيتان تدخلها يوم السبت لأمنها من الصيد فكانوا يسدون مشارعها من البحر فيصطادونها يوم الأحد ء فذلك الحبس فى الحياض هو اعتداؤهم . (فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا) بتكويننا إيا كم (قِرَدَةً خَـٰسِئِينَ) خبر كان أى كونوا جامعين بين القردية والخسوء وهو الصغار والطرد . (فَجَعَلْنَـٰهَا) يعنى المسخة (نَكَـٰلًا) عبرة تنكل من اعتبر بها أى تمنعه . (لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا) لما قبلها . (وَمَا خَلْفَهَا) ومابعدها من الأمم والقرون لأن مسختهم ذكرت فى كتب الأولين فاعتبروا بها واعتبر بها من بلغتهم من الآخرين . (وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ) الذين نهوهم عن الاعتداء من صالحى قومهم أو لكل متق سمعها . (وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ) أى واذكروا إذ قال موسى . وهو معطوف على نعمتى فى قوله اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم كأنه قال اذكروا ذاك واذكروا إذ قال موسى . وكذلك هـذا فى الظروف التى مضت أى اذكروا نعمتى واذكروا وقت إنجائنا إيا كم واذكروا وقت فرقنا واذكروا نعمتى واذكروا وقت استسقاء موسى ربه لقـومه . والظروف التى تأتى إلى قوله وإذ ابتلى إبراهيم ربه . (إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن) أى بأن (تَذْبَحُوا بَقَرَةً) قال المفسرون أول القصة مؤخر فى التلاوة وهو قوله تعالى وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها . وذلك أن رجلا موسرا اسمه عاميل قتله بنوعمه ليرثوه وطرحوه على باب مدينة ثم جاؤا يطالبون بديته فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها

ليحيا فيخبرهم بقاتله . (قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا) أتجعلنا مكان هزء أوأهل هزءأوالهزء نفسه لفرطالاستهزاء. هزأ بسكون الزاى والهمزةحمزة، وبضمتين والواوحفص غيرهمابالتثقيل والهمزة. (قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ) العياذ واللياذ من واد واحد . (أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ) لأن الهزء فى مثل هذا من باب الجهل والسفه ، وفيه تعريض بهم أى أنتم جاهلون حيث نسبتمونى إلى الاستهزاء . (قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ) سؤال عن حالها وصفتها لأنهم كانوا عالمين بماهيتها ، لأن ما وإن كانت سؤالا عن الجنس ، وكيف عن الوصف ولكن قد تقع ماموقع كيف ، وذلك أنهم تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيا فسألوا عن صفة تلك البقرة العجيبة الشان ، وما هى خبرومبتدأ . (قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ) مسنة ، وسميت فارضاً لأنها فرضت سنها أى قطعتها وبلغت آخرها وارتفع فارض لأنه صفة لبقرة ، وقوله : (وَلَا بِكْرٌ) فتيةعطف عليه . (عَوَانٌ) نصف.(بَيْنَ ذَلِكَ) بين الفارض والبكر ، ولم يقل بين ذينك مع أن بين يقتضى شيئين فصاعدا لأنه أراد بين هذا المذكور ، وقد يجرى الضمير مجرى اسم الإشارة فى هذا ، قال أبو عبيدة قلت لرؤبة فى قوله :

فيها خطوط من سواد وبلق   كأنه فى الجلد توليع البهق

إن أردت الخطوط فقل كأنها . وإن أردت السواد والبلق فقل كأنهما ، فقال أردت كأن ذاك (فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ) أى تؤمرونه بمعنى تؤمرون به ، أو أمركم بمعنى مأموركم تسمية المفعول بالمصدر كضرب الأمير . (قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا) موضع ما رفع لأن معناه الاستفهام تقديره ادع لنا ربك يبين لنا أى شىء لونها . (قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا) الفقوع أشد ما يكون من الصفرة وأنصعه يقال فى التوكيد أصفر فاقع، وهو توكيد لصفراء وليس خبراً عن اللون إلا أنه ارتفع اللون به ارتفاع الفاعل ، ولا فرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها ، وفى ذكر اللون فائدة التوكيد لأن اللون اسم للهيئة وهى الصفرة فكأنه قيل شديدة الصفرة صفرتها فهو من قولك جد جده (تَسُرُّ النَّاظِرِينَ) لحسنها والسرور لذة فى القلب عند حصول نفع أو توقعه عن على رضى الله عنه من لبس نعلا صفراء قل همه لقوله تعالى : تسر الناظرين ، (قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ) تكرير للسؤال عن حالها وصفتها واستكشاف زائد ليزدادوا بياناً لوصفها ، وعن

النبي عليه السلام «لو اعترضوا أدنى بقرة فذبحوها لـكفتهم ولـكن شددوا فشدد الله عليهم» والاستقصاء شؤم (إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا) إن البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا (وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ) إلى البقرة المراد ذبحها أو إلى ماخفى علينا من أمر القاتل وإن شاء الله اعتراض بين اسم إن وخبرها وفي الحديث «لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الأبد» أى لولم يقولوا إن شاء الله (قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ) لاذلول صفة لبقرة بمعنى بقرة غير ذلول ، يعنى لم تذلل للـكراب وإثارة الأرض (وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ) ولا هى من النواضح التى يسنى عليها لسقى الحروث ، ولا الأولى نافية والثانية مزيدة لتوكيد الأولى لأن المعنى لاذلول تثير الأرض أى تقلبها للزراعة وتسقى الحرث على أن الفعلين صفتان لذلول كأنه قيل لاذلول مثيرة وساقية (مُسَلَّمَةٌ) عن العيوب وآثار العمل . (لَا شِيَةَ فِيهَا) لالمة فى نقبتها من لون آخر سوى الصفرة فهى صفراء كلها حتى قرنها وظلفها ، وهى فى الأصل مصدر وشاه وشيا وشية إذا خلط بلونه لون آخر . (قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ) أى بحقيقة وصف البقرة وما بقى إشكال فى أمرها ، جئت وبابه بغير همز أبو عمرو (فَذَبَحُوهَا) فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الأوصاف كلها فذبحوها (وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ) لغلاء ثمنها أو خوف الفضيحة فى ظهور القاتل ، روى أنه كان فى بنى إسرائيل شيخ صالح له عجلة فأتى بها الغيضة وقال اللهم إنى استودعتـكها لابنى حتى يكبر وكان براً بوالديه فشبت البقرة وكانت من أحسن البقر وأسمنه ، فساوموها اليتيم وأمه حتى اشتروها بملء مسكها ذهباً وكانت البقرة إذ ذاك بثلاثة دنانير ، وكانوا طلبوا البقرة الموصوفة أربعين سنة ، وهذا البيان من قبيل تقييد المطلق فـكان نسخاً والنسخ قبل الفعل جائز وكذا قبل التمـكن منه عندنا خلافا للمعتزلة (وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا) بتقدير واذكروا ، خوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم . (فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا) فاختلفتم واختصمتم فى شأنها لأن المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضاً أى يدفع ، أو تدافعتم بمعنى طرح قتلها بعضكم على بعض فيدفع المطروح عليه الطارح ، أو لأن الطرح فى نفسه دفع ، وأصله تدارأتم ثم أرادوا التخفيف فقلبوا التاء دالا لتصير من جنس الدال التى هى فاء الكلمة ليمـكن الإدغام ثم سكنوا الدال إذ شرط الإدغام أن يكون الأول ساكنا وزيدت همزة الوصل لأنه لايمـكن الابتداء بالساكن ، فاداراتم بغـير همز أبو عمرو . (وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ

تَكْتُمُونَ) مظهر لامحالة ما كتمتم من أمر القتل لايتركه مكتوماً ، وأعمل مخرج على حكاية ما كان مستقبلا فى وقت التدارؤ وهذه الجملة اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وهما ادارأتم و (فَقُلْنَا) والضمير فى (اضْرِبُوهُ) يرجع إلى النفس، والتذكير بتأويل الشخص والإنسان ، أو إلى القتيل لما دل عليه ما كنتم تكتمون . (بِبَعْضِهَا) ببعض البقرة وهو لسانها أو فخذها اليمنى أو عجبها ، والمعنى فضربوه فحيي فحذف ذلك لدلالة (كَذَٰلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَىٰ) عليه ، روى أنهم لما ضربوه قام بإذن الله تعالى وقال قتلنى فلان وفلان لابنى عمه ثم سقط ميتاً فأخذا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك ، وقوله كذلك يحيي الله الموتى إما أن يكون خطاباً للمنكرين فى زمن النبي عليه السلام وإما أن يكون خطاباً للذين حضروا حياة القتيل بمعنى وقلنا لهم كذلك يحيي الله الموتى يوم القيامة . (وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ) دلائله على أنه قادر على كل شيء (لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) فتعملون على قضية عقولكم وهى أن من قدر على إحياء نفس واحدة قدر على إحياء جميعها لعدم الاختصاص ، والحكمة فى ذبح البقرة وضربه ببعضها وإن قدر على إحيائه بلا واسطة التقرب به ، الإشعار بحسن تقديم القربة على الطلب والتعليم لعباده ترك التشديد فى الأمور والمسارعة إلى امتثال أوامر الله من غير تفتيش وتكثير سؤال وغير ذلك ، وقيل إنما أمروا بذبح البقرة دون غيرها من البهائم لأنها أفضل قرابينهم، ولعبادتهم العجل فأراد الله تعالى أن يهون معبودهم عندهم ، وكان ينبغى أن يقدم ذكر القتيل والضرب ببعض البقرة على الأمر بذبحها وأن يقال وإذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة واضربوه ببعضها ولكنه تعالى إنما قص قصص بنى إسرائيل تعديداً لما وجد منهم من الجنايات وتقريعاً لهم عليها ، وهاتان القصتان وإن كانتا متصلتين فتستقل كل واحدة منهما بنوع من التقريع . فالأولى لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة إلى الامتثال وما يتبع ذلك . والثانية للتقريع على قتل النفس المحرمة وما تبعه من الآية العظيمة . وإنما قدمت قصة الأمر بذبح البقرة على ذكر القتيل لأنه لو عمل على عكسه لكانت قصة واحدة ولذهب المراد فى تثنية التقريع ولقد روعيت نكتة بعد ما استؤنفت الثانية استئناف قصة برأسها أن وصلت بالأولى بضمير البقرة لا باسمها الصريح فى قوله اضربوه ببعضها ليعلم أنهما قصتان فيما يرجع إلى التقريع وقصة واحدة بالضمير الراجع إلى البقرة . وقيل هذه القصة تشير إلى أن من أراد إحياء قلبه

بالمشاهدات فليمت نفسه بأنواع المجاهدات . ومعنى (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم) استبعاد القسوة (مِّن بَعْدِ) ما ذكر مما يوجب لين القلوب ورقتها . وصفة القلوب بالقسوة مثل لنبوها عن الاعتبار والاتعاظ . من بعد (ذَٰلِكَ) إشارة إلى إحياء القتيل أو إلى جميع ماتقدم من الآيات المعدودة (فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ) فهى فى قسوتها مثل الحجارة (أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً) منها . وأشد معطوف على الكاف تقديره أو مثل أشد قسوة . فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه . أو هى فى أنفسها أشد قسوة . يعنى أن من عرف حالها شبهها بالحجارة أو بجوهر أقسى منها وهو الحديد مثلا . أو من عرفها شبهها بالحجارة أو قال هى أقسى من الحجارة . وإنما لم يقل أقسى لكونه أبين وأدل على فرط القسوة . وترك ضمير المفضل عليه لعدم الإلباس كقولك زيد كريم وعمرو أكرم (وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ) بيان لزيادة قسوة قلوبهم على الحجارة (لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ) مابمعنى الذى فى موضع النصب وهواسم إن واللام للتوكيد. والتفجر التفتح بالسعة والكثرة (وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ) أصله يتشقق وبه قرأ الأعمش فقلبت التاء شينا وأدغمت (فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ) يعنى أن من الحجارة ما فيه خروق واسعة يتدفق منها الماء الكثير ومنها ماينشق انشقاقا بالطول أوبالعرض فينبع منه الماء أيضا وقلوبهم لاتندى (وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ) يتردى من أعلى الجبل (مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ) قيل هومجاز عن انقيادها لأمرالله وأنها لا تمتنع على ما يريد فيها وقلوب هؤلاء لاتنقاد ولا تفعل ما أمرت به . وقيل المراد به حقيقة الخشية على معنى أنه يخلق فيها الحياة والتميز . وليس شرط خلق الحياة والتميز فى الجسم أن يكون على بنية مخصوصة عندأهل السنة وعلى هذا قوله: لو أنزلنا هذا القرآن على جبل، الآية . يعنى وقلوبهم لاتخشى (وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) وبالياء مكى وهو وعيد (أَفَتَطْمَعُونَ) الخطاب لرسول الله والمؤمنين . (أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ) أن يؤمنوا لأجل دعوتكم ويستجيبوا لكم كقوله تعالى : فآمن له لوط ، يعنى اليهود . (وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ) طائفة فيمن سلف منهم . (يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ) أى التوراة (ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ) كما حرفوا صفة رسول الله ﷺ وآية الرجم . (مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ) من بعد ما فهموه وضبطوه بعقولهم . (وَهُمْ يَعْلَمُونَ) أنهم كاذبون مفترون . والمعنى إن كفر هؤلاء وحرفوا فلهم سابقة فى ذلك . (وَإِذَا لَقُوا) أى المنافقون أو اليهود . (الَّذِينَ آمَنُوا) أى المخلصون من أصحاب محمد عليه السلام.

(قَالُوا) أى المنافقون (ءَامَنَّا) بأنكم على الحق وأن محمدا هو الرسول المبشر به . (وَإِذَا خَلاَ بَعْضُهُمْ) الذين لم ينافقوا (إِلَىٰ بَعْضٍ) إلى الذين نافقوا (قَالُوا) عاتبين عليهم (أَتُحَدِّثُونَهُمْ) أتخبرون أصحاب محمدعليه السلام (بِمَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمْ) بما بين اللهلكم فى التوراة من صفة محمد عليه السلام (لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ) ليحتجوا عليكم بما أنزل ربكم فى كتابه جعلوا محاجتهم به وقولهم هو فى كتابكم هكذا محاجة عند الله ألا تراك تقول هو فى كتاب الله تعالى هكذا وهو عند الله هكذا بمعنى واحد . وقيل هذا على إضمار المضاف أى عند كتاب ربكم وقيل ليجادلوكم ويخاصموكم به بما قلتم لهم عند ربكم فى الآخرة يقولون كفرتم به بعد أن وقفتم على صدقه (أَفَلاَ تَعْقِلُونَ) أن هذه حجة عليكم حيث تعترفون به ثم لاتتابعونه (أَوَلاَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ) جميع (مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ) ومن ذلك إسرارهم الكفر وإعلانهم الإيمان (وَمِنْهُمْ) ومن اليهود (أُمِّيُّونَ) لايحسنون الكتب فيطالعوا التوراة ويتحققوا ما فيها (لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَٰبَ) التوراة (إِلاَّ أَمَانِيَّ) إلا ماهم عليه من أمانيهم وأن الله يعفوعنهم ويرحمهم ولا تمسهم النار إلا أياما معدودة ، أو إلا أكاذيب مختلقة سمعوها من علمائهم فتقبلوها على التقليد ومنه قول عثمان رضى الله عنه ماتمنيت منذ أسلمت ؛ أو إلا ما يقرءون من قوله

تمنى كتاب الله أول ليلة وآخرها لا فى حمام القادر

أى لايعلمون هؤلاء حقيقة المنزل وإنما يقرءون أشياء أخذوها من أحبارهم . والاستثناء منقطع (وَإِنْ هُمْ) وماهم (إِلاَّ يَظُنُّونَ) لايدرون مافيه فيجحدون نبوتك بالظن . ذكر العلماء الذين عاندوا بالتحريف مع العلم ثم العوام الذين قلدوهم (فَوَيْلٌ) فى الحديث ويل واد فى جهنم (لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَٰبَ) المحرف (بِأَيْدِيهِمْ) من تلقاء أنفسهم من غير أن يكون منزلا . وذكر الأيدى للتأكيد وهو من مجاز التأكيد (ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً) عوضا يسيرا (فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ) من الرشا (وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً) أربعين يوما عدد أيام عبادة العجل . وعن مجاهد رضى الله عنه كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وإنما نعذب مكان كل ألف سنة يوما (قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللهِ عَهْداً) أى عهد إليكم

أنه لا يعذبكم إلا هذا المقدار (فَلَن يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ) متعلق بمحذوف تقديره إن اتخذتم عندالله عهدا فلن يخلف الله عهده (أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَالَا تَعْلَمُونَ) أم إما أن تكون معادلة أي أتقولون على الله ماتعلمون أم تقولون عليه مالا تعلمون . أو منقطعة أي بل أتقولون على الله مالاتعلمون (بَلَىٰ) إثبات لمابعد النفى وهو لن تمسنا النار أى بلى تمسكم أبدا بدليل قوله هم فيها خالدون (مَن كَسَبَ سَيِّئَةً) شركا عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما رضى الله عنهم (وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ) وسدت عليه مسالك النجاة بأن مات على شركه فأما إذامات مؤمنافأعظم الطاعات وهو الإيمان معه فلا يكون الذنب محيطا به فلا يتناوله النص، وبهذاالتأويل يبطل تشبث المعتزلة والخوارج. وقيل استولت عليه كما يحيط العدوولم يتفص عنها بالتوبة، خطياته مدنى (فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ) الميثاق العهد المؤكد غاية التأكيد (لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ) اخبار في معنى النهي كما تقول تذهب إلى فلان تقول له كذا تريد الأمر . وهو أبلغ من صريح الأمر والنهي لأنه كأنه سورع إلى الامتثال والانتهاء وهو يخبر عنه . وتنصره قراءة أبيّ لاتعبدوا ، وقوله وقولوا والقول مضمر. لايعبدون مكى وحمزه وعلى لأن بنى إسرائيل اسم ظاهر والأسماء الظاهرة كلها غيب. ومعناه أن لايعبدوا فلما حذفت أن رفع (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) أى وأحسنوا ليلتئم عطف الأمر وهو قوله وقولوا عليه (وَذِي الْقُرْبَىٰ) القرابة (وَالْيَتَامَىٰ) جمع يتيم وهو الذى فقد أباه قبل الحلم إلى الحلم لقوله عليه السلام لايتم بعد البلوغ (وَالْمَسَاكِينِ) جمع مسكين وهو الذى أسكنته الحاجة (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا) قولا هو حسن فى نفسه لإفراط حسنه . حسنا حمزة وعلى . (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ) عن الميثاق ورفضتموه (إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ) قيل هم الذين أسلموا منهم (وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ) وأنتم قوم عادتكم الإعراض والتولية ، عن المواثيق . (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ) أى لايفعل ذلك بعضكم ببعض . جعل غير الرجل نفسه إذا اتصل به أصلا أو دينا . وقيل إذا قتل غيره فكأنما قتل نفسه لأنه يقتص منه (ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ) بالميثاق واعترفتم على أنفسكم بلزومه (وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ) عليها كما تقول فلان مقر على نفسه بكذا شاهد عليها . أو وأنتم تشهدون اليوم يا معشر اليهود

على إقرار أسلافكم بهذا الميثاق (ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ) استبعاد لما أسند إليهم من القتل والإجلاء والعدوان بعد أخذ الميثاق منهم وإقرارهم وشهادتهم. أنتم مبتدأ وهؤلاء بمعنى الذين (تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ) صلة هؤلاء . وهؤلاء مع صلته خبر أنتم (وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ) غير مراقبين ميثاق الله (تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم) بالتخفيف كوفى أى تتعاونون وبالتشديد غيرهم. فمن خفف فقد حذف إحدى التائين . ثم قيل هى الثانية لأن الثقل بها . وقيل الأولى . ومن شدد قلب التاء الثانية ظاء وأدغم (بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ) بالمعصية والظلم (وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ) تفدوهم أبو عمرو . أسرى تفدوهم مكى وشامى . أسرى تفدوهم حمزة أسارى تفادوهم على. فدى وفادى بمعنى . وأسارى حال وهو جمع أسير وكذلك أسرى والضمير فى (وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ) للشأن أو هو ضمير مبهم تفسيره (إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ) بفداء الأسرى (وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ) بالقتال والإجلاء . قال السدى : أخذ الله عليكم أربعة عهود ترك القتل وترك الإخراج وترك المظاهرة وفداء الأسير فأعرضوا عن كل ما أمروا به إلا الفداء (فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ) هو إشارة إلى الإيمان ببعض والكفر ببعض (مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ) فضيحة وهوان (فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ) وهو الذى لا روح فيه ولا فرح أو إلى أشد من عذاب الدنيا (وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) بالياء مكى ونافع وأبو بكر (أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ) اختاروها على الآخرة اختيار المشترى (فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ) ولا ينصرهم أحد بالدفع عنهم (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ) التوراة . آتاه جملة (وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ) يقال قفاه إذا اتبعه من القفا نحو ذنبه من الذنب وقفاه به إذا أتبعه إياه . يعنى وأرسلنا على أثره الكثير من الرسل وهم يوشع واشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعياء وأرمياء وعزير وحزقيل وإلياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم (وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ) هى بمعنى الخادم ، ووزن مريم عند النحويين مفعل لأن فعيلا لم يثبت فى الأبنية، البينات المعجزات الواضحات كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص والإخبار بالمغيبات (وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ) أى الطهارة وبالسكون حيث كان مكى . أى بالروح المقدسة كما يقال حاتم الجود ووصفها بالقدس للاختصاص والتقريب . أو بجبريل عليه السلام لأنه يأتى

بما فيه حياة القلوب . وذلك لأنه رفعه إلى السماء حين قصد اليهود قتله . أو بالإنجيل كما قال في القرآن: روحا من أمرنا ، أو باسم الله الأعظم الذى كان يحيي الموتى بذكره (أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ) تحب (أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ) تعظمتم عن قبوله (فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ) كعيسى ومحمد عليهما السلام (وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ) كزكريا ويحيى عليهما السلام. ولم يقل قتلتم لوفاق الفواصل . أو لأن المراد وفريقا تقتلونه بعد لأنكم تحومون حول قتل محمد عليه السلام لولا أنى أعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة . والمعنى ولقد آتينا يا بنى إسرائيل أنبياءكم ما آتيناهم فكلما جاءكم رسول منهم بالحق استكبرتم عن الإيمان به . فوسط ما بين الفاء وما تعلقت به همزة التوبيخ والتعجب من شأنهم (وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ) جمع أغلف أى هى خلقة مغشاة بأغطية لا يتوصل إليها ما جاء به محمد عليه السلام ولا تفقهه مستعار من الأغلف الذى لم يختن (بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ) فرد الله أن تكون قلوبهم مخلوقة كذلك لأنها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق . وإنما طردهم بكفرهم وزيغهم (فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ) فقليلا صفة مصدر محذوف أى فإيمانا قليلا يؤمنون . وما مزيدة وهو إيمانهم ببعض الكتاب وقيل القلة بمعنى العدم . غلف تخفيف غلف وقرئ به جمع غلاف أى قلوبنا أوعية للعلوم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره . أو أوعية للعلوم فلو كان ما جئت به حقا لقبلنا (وَلَمَّا جَآءَهُمْ) أى اليهود (كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ) أى القرآن (مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ) من كتابهم لا يخالفه (وَكَانُوا مِن قَبْلُ) يعنى القرآن (يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا) يستنصرون على المشركين إذ قاتلوهم قالوا اللهم انصرنا بالنبى المبعوث فى آخر الزمان الذى نجد نعته فى التوراة ويقولون لأعدائهم المشركين قد أظل زمان نبى يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وإرم (فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا) ما موصولة أى ما عرفوه وهو فاعل جاء (كَفَرُوا بِهِ) بغيا وحسدا وحرصا على الرياسة (فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَٰفِرِينَ) أى عليهم وضعا للظاهر موضع المضمر للدلالة على أن اللعنة لحقتهم لكفرهم . واللام للعهد أو للجنس ودخلوا فيه دخولا أوليا ، وجواب لما الأولى مضمر وهو نحو كذبوا به أو أنكروه . أو كفروا جواب الأولى والثانية لأن مقتضاهما واحد وما فى (بِئْسَمَا) نكرة موصوفة مفسرة لفاعل

بئس أى بئس شيئاً (اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ) أى باعوه والمخصوص بالذم . (أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ) يعني القرآن . (بَغْياً) مفعول له أى حسدا وطلبا لما ليس لهم ، وهو علة اشتروا (أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ) لأن ينزل. أوعلى أن ينزل أى حسدوه على أن ينزل الله . (مِن فَضْلِهِ) الذي هو الوحي (عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) وهو محمد عليه السلام . (فَبَاءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ) فصاروا أحقاء بغضب مترادف لأنهم كفروا بنبي الحق وبغوا عليه أو كفروا بمحمد بعد عيسى عليهما السلام ، أو بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يدا لله مغلولة وغير ذلك . (وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ) مذل بئسما وبابه غير مهموز أبو عمرو وينزل بالتخفيف مكي وبصرى . (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ) لهولاء اليهود . (ءَامِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ) يعني القرآن ، أو مطلق يتناول كل كتاب (قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا) أى التوراة . (وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ) أى قالوا ذلك والحال أنهم يكفرون بما وراء التوراة . (وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَهُمْ) غير مخالف له وفيه رد لمقالتهم لأنهم إذا كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها ومصدقا حال مؤكدة . (قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ) أى فلم قتلتم فوضع المستقبل موضع الماضي ويدل عليه قوله (مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) أى من قبل محمد عليه السلام اعتراض عليهم بقتلهم الأنبياء مع ادعائهم الإيمان بالتوراة والتوراة لاتسوغ قتل الأنبياء قيل قتلوا فى يوم واحد ثلثمائة نبي فى بيت المقدس (وَلَقَدْ جَاءَكُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ) بالآيات التسع وأدغم الدال فى الجيم حيث كان أبو عمرو وحمزة وعلى (ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ) إلها (مِن بَعْدِهِ) من بعد خروج موسى عليه السلام إلى الطور . (وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ) هو حال أى عبدتم العجل وأنتم واضعون العبادة غير موضعها، أو اعتراض أى وأنتم قوم عادتكم الظلم (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ) كرر ذكر رفع الطور لما نيط به من زيادة ليست مع الأولى . (وَاسْمَعُوا) ما أمرتم به فى التوراة (قَالُوا سَمِعْنَا) قولك (وَعَصَيْنَا) أمرك وطابق قوله جوابهم من حيث إنه قال لهم اسمعوا وليكن سماعكم سماع تقبل وطاعة فقالوا سمعنا ولكن لاسماع طاعة (وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ) أى تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الصبغ الثوب، وقوله: فى قلوبهم، بيان لمكان الإشراب والمضاف وهو الحب محذوف (بِكُفْرِهِمْ) بسبب كفرهم واعتقادهم

التشبيه . (قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَـٰنُكُمْ) بالتوراة لأنه ليس فى التوراة عبادة العجل ، وإضافة الأمر إلى إيمانهم تهكم وكذا إضافة الإيمان إليهم . (إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) تشكيك فى إيمانهم وقدح فى صحة دعواهم له . (قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ) أى الجنة . (عِندَ اللَّهِ) ظرف ، ولكم خبر كان (خَالِصَةً) حال من الدار الآخرة أى سالمة لكم ليس لأحد سواكم فيها حق يعنى إن صح قولكم لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً (مِّن دُونِ النَّاسِ) هو للجنس . (فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ) فيما تقولون لأن من أيقن أنه من أهل الجنة اشتاق إليها تخلصاً من الدار ذات الشوائب كما نقل عن العشرة المبشرين بالجنة أن كل واحد منهم كان يحب الموت ويحن إليه . (وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا) هو نصب على الظرف أى لن يتمنوه ماعاشوا (بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ) بما أسلفو من الكفر بمحمد عليه السلام وتحريف كتاب الله وغير ذلك وهو من المعجزات لأنه إخبار بالغيب وكان كما أخبر به كقوله: ولن تفعلوا، ولو تمنوه لنقل ذلك كما نقل سائر الحوادث (وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّـٰلِمِينَ) تهديد لهم (وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ) مفعولا وجدهم و أحرص (عَلَىٰ حَيَوٰةٍ) التنكير يدل على أن المراد حياة مخصوصة وعلى الحياة المتطاولة ولذا كانت القراءة بها أوقع من قراءة أبى على الحياة (وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا) هو محمول على المعنى لأن معنى أحرص الناس أحرص من الناس نعم قد دخل الذين أشركوا تحت الناس ولكنهم أفردوا بالذكر لأن حرصهم شديد كما أن جبريل وميكائيل خصا بالذكر وإن دخلا تحت الملائكة أو أريد وأحرص من الذين أشركوا فحذف لدلالة أحرص الناس عليه وفيه توبيخ عظيم لأن الذين أشركوا لايؤمنون بعاقبة ولا يعرفون إلا الحياة الدنيا فحرصهم عليها لايستبعد لأنها جنتهم فإذا زاد فى الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقاً بأعظم التوبيخ وإنما زاد حرصهم على الذين أشركوا لأنهم علموا أنهم صائرون إلى النار لعلمهم بحالهم والمشركون لايعلمون ذلك وقوله : (يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ) بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستئناف، وقيل أراد بالذين أشركوا المجوس لأنهم كانوا يقولون لملوكهم عش ألف نيروز. وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو قول الأعاجم زى هزارسال . وقيل ومن الذين أشركوا كلام مبتدأ أى ومنهم ناس يود أحدهم على حذف الموصوف والذين أشركوا على هذا مشار به إلى اليهود لأنهم قالوا عزير ابن

الله والضمير فى (وَمَاهُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ) لأحدهم وقوله (أَن يُعَمَّرَ) فاعل بمزحزحه أى وما أحدهم بمن يزحزحه من النار تعميره ويجوز أن يكون هو مبهما وأن يعمر موضحه والزحزحة التبعيد والإنحاء . قال فى جامع العلوم وغيره: لو يعمر بمعنى أن يعمر، فلو هنا نائبة عن أن وأن مع الفعل فى تأويل المصدر وهو مفعول يود أى يود أحدهم تعمير ألف سنة (وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ) أى بعمل هؤلاء الكفار فيجازيهم عليه وبالتاء يعقوب (قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ) بفتح الجيم وكسر الراء بلا همز مكى وبفتح الراء والجيم والهمز مشبعا كوفى غير حفص وبكسر الراء والجيم بلاهمز غيرهم. ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة ومعناه عبدالله لأن جبر هو العبد بالسريانية وإيل اسم الله روى ان ابن صوريا من أحبار اليهود حاج النبى ﷺ وسأله عمن يهبط عليه بالوحى فقال جبريل فقال ذاك عدونا ولو كان غيره لآمنا بك وقد عادانا مرارا وأشدها أنه أنزل على نبينا أن بيت المقدس سيخربه بختنصر فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكيناً فدفع عنه جبريل وقال إن كان ربكم أمره بهلاككم فإنه لايسلطكم عليه وإن لم يكن إياه فعلى أى ذنب تقتلونه (فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ) فإن جبريل نزل القرآن ونحو هذا الاضمار أعنى إضمار مالم يسبق ذكره فيه فخامة حيث يجعل لفرط شهرته كأنه يدل على نفسه ويكتفى عن اسمه الصريح بذكر شىء من صفاته (عَلَىٰ قَلْبِكَ) أى حفظه إياك وخص القلب لأنه محل الحفظ كقوله: نزل به الروح الأمين على قلبك، وكان حق الكلام أن يقال على قلبى ولكن جاء على حكاية كلام الله كما تكلم به وإنما استقام أن يقع فإنه نزله جزاء للشرط لأن تقديره إن عادى جبريل أحد من أهل الكتاب فلا وجه لمعاداته حيث نزل كتابا مصدقا للكتب بين يديه فلو أنصفوا لأحبوه وشكروا له صنيعه فى إنزاله ما ينفعهم ويصحح المنزل عليهم وقيل جواب الشرط محذوف تقديره من كان عدوا لجبريل فليمت غيظا فإنه نزل الوحى على قلبك (بِإِذْنِ اللهِ) بأمره (مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ) ردعلى اليهود حين قالوا إن جبريل ينزل بالحرب والشدة فقيل فإنه ينزل بالهدى والبشرى أيضا (مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ) بصرى وحفص وميكائل باختلاس الهمزة كميكاعل مدنى وميكائيل بالمد وكسر الهمزة مشبعة غيرهم وخص الملكان بالذكر لفضلهما كأنهما من جنس آخر إذ التغاير فى الوصف ينزل منزلة التغاير فى الذات (فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ) أى لهم فجاء بالظاهر ليدل على أن الله إنما عاداهم لكفرهم وأن

عداوة الملائكة كفر كعداوة الأنبياء ومن عاداهم عاداه الله (وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلاَّ الْفَٰسِقُونَ) المتمردون من الكفرة واللام للجنس والأحسن أن تكون إشارة إلى أهل الكتاب وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال ابن صوريا لرسول الله ﷺ ماجئتنا بشيء نعرفه وما أنزل عليك من آية فنتبعك بها فنزلت الواو فى (أَوَ كُلَّمَا) الواو للعطف على محذوف تقديره أكفروا بالآيات البينات وكلما (عَٰهَدُوا عَهْداً نَّبَذَهُ) نقضه ورفضه وقال (فَرِيقٌ مِّنْهُم) لأن منهم من لم ينقض (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ) بالتوراة وليسوا من الدين فى شيء فلا يعدون نقض المواثيق ذنبا ولا يبالون به (وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللهِ) محمد ﷺ (مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ) أى التوراة والذين أوتوا الكتاب اليهود (كِتَٰبَ اللهِ) يعنى التوراة لأنهم بكفرهم برسول الله ﷺ المصدق لما معهم كافرون بها نابذون لها أو كتاب الله القرآن نبذوه بعد مالزمهم تلقيه بالقبول . (وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ) مثل لتركهم وإعراضهم عنه. مثل بما يرمى به وراء الظهور استغناء عنه وقلة التفات إليه (كَأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ) أنه كتاب الله (وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَٰطِينُ) أى نبذ اليهود كتاب الله واتبعوا كتب السحر والشعوذة التى كانت تقرؤها (عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ) أى على عهد ملكه وفى زمانه وذلك أن الشياطين كانوا يسترقون السمع ثم يضمون إلى ماسمعوا أكاذيب يلفقونها ويلقونها إلى الكهنة وقد دونوها فى كتب يقرءونها ويعلمونها الناس وفشا ذلك فى زمن سليمان عليه السلام حتى قالوا إن الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم لسليمان ملكه إلا بهذا العلم وبه سخر الجن والإنس والريح (وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ) تكذيب للشياطين ودفع لما بهتت به سليمان من اعتقاد السحر والعمل به (وَلَٰكِنَّ الشَّيَٰطِينَ) هم الذين (كَفَرُوا) باستعمال السحر وتدوينه ولكن بالتخفيف الشياطين بالرفع شامى وحمزة وعلى (يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ) فى موضع الحال أى كفروا معلمين الناس السحر قاصدين به إغواءهم وإضلالهم (وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ) الجمهور على أن ما بمعنى الذى هو نصب عطف على السحر أى ويعلمونهم ما أنزل على الملكين أو على ماتتلو أى واتبعوا ما أنزل على الملكين (بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ) علمان لهما وهما عطف بيان للملكين والذى أنزل عليهما هو علم

السحر ابتلاء من الله للناس من تعلمه منهم وعمل به كان كافرا إن كان فيه رد مالزم فى شرط الإيمان ومن تجنبه أو تعلمه لا ليعمل به ولـكن ليتوقاه لئلا يغتر به كان مؤمناً قال الشيخ أبو منصور الماتريدى رحمه الله القول بأن السحر على الاطلاق كفر خطأ بل يجب البحث عن حقيقته فإن كان فى ذلك رد مالزم فى شرط الإيمان فهو كفر وإلا فلا. ثم السحر الذى هو كفر يقتل عليـه الذكور لا الأناث وما ليس بكفر وفيه إهلاك النفس ففيه حكم قطاع الطريق ويستوى فيـه الذكر والمؤنث وتقبل توبته إذا تاب ومن قال لاتقبل فقد غلط فإن سحرة فرعون قبلت توبتهم وقيل أنزل أى قذف فى قلوبهما مع النهى عن العمل قيل إنهما ملـكان اختارتهما الملائـكة لتركب فيهما الشهوة حـين عيرت بنى آدم فـكانا يحكمان فى الأرض ويصعدان بالليل فهويا زهرة فحملتهما على شرب الخمر فزنيا فرآهما إنسان فقتلاه فاختارا عذاب الدنيا على عذاب الآخرة فهما يعذبان منكوسين فى جب ببابل وسميت ببابل لتبلبل الألسن بهـا (وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ) ومايعلم الملـكان أحداً (حَتَّىٰ يَقُولَا) حتى ينبهاه وينصحاه ويقولا له (إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ) ابتلاء واختبار من الله . (فَلَا تَكْفُرْ) بتعلمه والعمل به على وجه يكون كفراً (فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا) الفاء عطف على قوله يعلمون الناس السحر أى يعلمونهم فيتعلمون من السحر والـكفر اللذين دل عليهما قوله كفروا ـو ـيعلمون الناس السحر أو على مضمر والتقدير فيأتون فيتعلمون والضمير لما دل عليه من أحد أى فيتعلم الناس من الملـكين (مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ) أى علم السحر الذى يكون سـببا فى التفريق بين الزوجين بأن يحدث الله عنـده النشوز والخلاف ابتلاء منه. وللسحر حقيقة عند أهل السنة كثرهم الله وعنده المعتزلة هو تخييل وتمويه (وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ) بالسحر (مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) بعلمه ومشيئته (وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ) فى الآخرة وفيه دليل على أنه واجب الاجتناب كتعلم الفلسفة التى تجر إلى الغواية (وَلَقَدْ عَلِمُوا) أى اليهود (لَمَنِ اشْتَرَاهُ) أى استبدل ماتتلوا الشياطين من كتاب الله (مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ) من نصيب (وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ) باعوها وإنما نفى العلم عنهم بقوله (لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) مع إثباته لهم بقوله ولقد علموا على سبيل التوكيد القسمى لأن معناه لوكانوا يعملون بعلمهم جعلهم حين لم يعملوا به كأنهم لايعلمون (وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا) برسول الله والقرآن (وَاتَّقَوْا) الله فتركوا

ماهم عليه من نبذ كتاب الله واتباع كتب الشياطين (لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) أن ثواب الله خير مما هم فيه وقد علموا لكنه جهلهم لما تركوا العمل بالعلم والمعنى لأثيب من عند الله ما هو خير وأوثرت الجملة الاسمية على الفعلية فى جواب لولما فيها من الدلالة على ثبات المثوبة واستقرارها ولم يقل لمثوبة الله خير لأن المعنى لشىء من الثواب خير لهم وقيل لو بمعنى التمنى كأنه قيل وليتهم آمنوا ثم ابتدأ لمثوبة من عند الله خير (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا) كان المسلمون يقولون لرسول الله ﷺ إذا ألقى عليهم شيئاً من العلم راعنا يارسول الله أى راقبنا وانتظرنا حتى نفهمه ونحفظه وكانت لليهود كلمة يتسابون بها عبرانية أو سريانية وهى راعينا فلما سمعوا بقول المؤمنين راعنا افترصوه وخاطبوا به الرسول وهم يعنون به تلك المسبة فنهى المؤمنون عنها وأمروا بما هو فى معناها وهو انظرنا من نظره إذا انتظره (وَاسْمَعُوا) وأحسنوا سماع ما يكلمكم به رسول الله ﷺ ويلقى عليكم من المسائل بآذان واعية وأذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا إلى الاستعادة وطلب المراعاة أو واسمعوا سماع قبول وطاعة ولا يكن سماعكم كسماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا (وَلِلْكَـٰفِرِينَ) ولليهود الذين سبوا رسول الله ﷺ (عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم (مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَـٰبِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم) وبالتخفيف مكى وأبو عمرو (مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ) من الأولى للبيان لأن الذين كفروا جنس تحته نوعان أهل الكتاب والمشركون والثانية مزيدة لاستغراق الخير والثالثة لابتداء الغاية والخير الوحى وكذلك الرحمة (وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ) يعنى أنهم يرون أنفسهم أحق بأن يوحى إليهم فيحسدونكم ومايحبون أن ينزل عليكم شىء من الوحى والله يختص بالنبوة من يشاء (وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) فيه إشعار بأن إيتاء النبوة من الفضل العظيم ولما طعنوا فى النسخ فقالوا ألا ترون إلى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا نزل (مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا) تفسير النسخ لغة التبديل وشريعة بيان انتهاء الحكم الشرعى المطلق الذى تقرر فى أوهامنا استمراره بطريق التراخى فكان تبديلا فى حقنا بيانا محضا فى حق صاحب الشرع وفيه جواب عن البداء الذى يدعيه منكروه أعنى اليهود ومحله حكم يحتمل الوجود والعدم فى نفسه لم يلحق به ما ينافى النسخ من توقيت أو تأبيد ثبت نصا أو دلالة وشرطه

التمكن من عقد القلب عندنا دون التمكن من الفعل خلافا للمعتزلة وإنما يجوز النسخ بالكتاب والسنة متفقا ومختلفا ويجوز نسخ التلاوة والحكم، والحكم دون التلاوة والتلاوة دون الحكم ونسخ وصف بالحكم مثل الزيادة على النص فإنه نسخ عندنا خلافا للشافعى رحمه الله. والإنساء أن يذهب بحفظها عن القلوب أو ننسأها مكى وأبو عمرو أى نؤخرها من نسأت أى أخرت (نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا) أى نأت بآية خير منها للعباد أى بآية العمل بها أكثر للثواب (أَوْ مِثْلِهَا) فى ذلك إذ لا فضيلة لبعض الآيات على البعض (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ) أى قادر فهو يقدر على الخير وعلى مثله (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ) فهو يملك أموركم ويدبرها وهو أعلم بما يتعبدكم به من ناسخ أو منسوخ (وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللهِ مِن وَلِيٍ) يلى أمركم (وَلاَ نَصِيرٍ) ناصر يمنعكم من العذاب (أَمْ تُرِيدُونَ) أم منقطعة وتقديره بل أتريدون (أَن تَسْئَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ) روى أن قريشا قالوا يا محمد اجعل لنا الصفا ذهبا ووسع لنا أرض مكة فنهوا أن يقترحوا عليه الآيات كما اقترح قوم موسى عليه حين قالوا اجعل لنا إلها (وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ) ومن ترك الثقة بالآيات المنزلة وشك فيها واقترح غيرها (فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ)قصده ووسطه(وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم) أن يردوكم (مِّن بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّاراً) حال من كم أى يردونكم عن دينكم كافرين نزلت حين قالت اليهود للمسلمين بعد واقعة أحد ألم تروا إلى ما أصابكم ولو كنتم على الحق لما هزمتم فارجعوا إلى ديننا فهو خير لكم (حَسَداً) مفعول له أى لأجل الحسد وهو الأسف على الخير عند الغير (مِنْ عِندِ أَنفُسِهِم) يتعلق بود أى ودوا من عند أنفسهم ومن قبل شهوتهم لا من قبل التدين والميل مع الحق لأنهم ودوا ذلك (مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ) أى من بعد علمهم بأنكم على الحق أو بحسدا أى حسدا متبالغا منبعثا من أصل نفوسهم (فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا) فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح عما يكون منهم من الجهل والعداوة (حَتَّىٰ يَأْتِىَ اللهُ بِأَمْرِهِ) بالقتال (إِنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ) فهو يقدر على الانتقام منهم (وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ) من حسنة صلاة أو صدقة أو غيرها (تَجِدُوهُ عِندَ اللهِ) تجدوا ثوابه عنده (إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) فلا يضيع عنده عمل عامل والضمير فى (وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ

نَصَٰرَىٰ) لأهل الكتاب من اليهود والنصارى أى وقالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى فلف بين القولين ثقة بأن السامع يرد إلى كل فريق قوله وأمنا من الالباس لما علم من التعادى بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما صاحبه ألا ترى إلى قوله تعالى: وقالت اليهود ليست النصارى على شىء وقالت النصارى ليست اليهود على شىء ، وهود جمع هائد كعائذ وعوذ ووحد اسم كان للفظ من، وجمع الخبر لمعناه (تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ) أشير بها إلى الأمانى المذكورة وهى أمنيتهم ألا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وأمنيتهم أن يردوهم كفارا، وأمنيتهم أن لا يدخل الجنة غيرهم أى تلك الأمانى الباطلة أمانيهم . والأمنية أفعولة من التمنى مثل الأضحوكة (قُلْ هَاتُوا بُرْهَٰنَكُمْ) هلموا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة وهات بمنزلة هاء بمعنى أحضر وهو متصل بقولهم لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى وتلك أمانيهم اعتراض (إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ) فى دعواكم (بَلَىٰ) إثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة (مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ) من أخلص نفسه له لايشرك به غيره (وَهُوَ مُحْسِنٌ) مصدق بالقرآن (فَلَهُ أَجْرُهُ) جواب من أسلم. وهو كلام مبتدأ متضمن لمعنى الشرط وبلى رد لقولهم (عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتْ النَّصَٰرَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ) أى على شىء يصح ويعتد به والواو فى (وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَٰبَ) للحال والكتاب للجنس أى قالوا ذلك وحالهم أنهم من أهل العلم والتلاوة للكتب. وحق من حمل التوراة والإنجيل وآمن به ألا يكفر بالباقى لأن كل واحد من الكتابين مصدق للآخر (كَذَٰلِكَ) مثل ذلك القول الذى سمعت به (قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ) أى الجهلة الذين لا علم عندهم ولا كتاب كعبدة الأصنام والمعطلة، قالوا لأهل كل دين ليسوا على شىء وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا أنفسهم مع علمهم فى سلك من لا يعلم (فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) أى بين اليهود والنصارى بما يقسم لكل فريق منهم من العقاب اللائق به (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ) موضع من رفع على الابتداء وهو استفهام وأظلم خبره والمعنى أى أحد أظلم وأن يذكر ثانى مفعولى منع لأنك تقول منعته كذا

ومثله وما منعنا أن نرسل بالآيات . وما منع الناس أن يؤمنوا . ويجوز أن يحذف حرف الجر مع أن أى من أن يذكر وأن تنصبه مفعولا له بمعنى منعها كراهة أن يذكر وهو حكم عام لجنس مساجد الله وأن مانعها من ذكر الله مفرط فى الظلم ، والسبب فيه طرح النصارى فى بيت المقدس الأذى ، ومنعهم الناس أن يصلوا فيه، أو منع المشركين رسول الله أن يدخل المسجدالحرام عام الحديبية. وإنما قيل مساجدالله وكان المنع على مسجد واحد وهو بيت المقدس أو المسجد الحرام لأن الحكم ورد عاما وإن كان السبب خاصاً كقوله تعالى : ويل لكل همزة، والمنزول فيه الأخنس بن شريق (وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا) بانقطاع الذكر والمراد بمن العموم كما أريد العموم بمساجد الله (أُوْلَٰئِكَ) المانعون (مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا) أى ما كان ينبغى لهم أن يدخلوا مساجد الله (إِلَّا خَائِفِينَ) حال من الضمير فى يدخلوها أى على حال التهيب وارتعاد الفرائص من المؤمنين أن يبطشوا بهم فضلا أن يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا المؤمنين منها والمعنى ما كان الحق إلا ذلك لولا ظلم الكفرة وعتوهم. روى أنه لايدخل بيت المقدس أحد من النصارى إلا متنكرا خيفة أن يقتل. وقال قتادة : لايوجد نصرانى فى بيت المقدس إلا بولغ ضربا ونادى رسول الله ﷺ ألا لايحجن بعد هذا العام مشرك وقيل معناه النهى عن تمكينهم من الدخول والتخلية بينهم وبينه كقوله تعالى : وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله (لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ) قتل وسبي للحربى وذلة بضرب الجزية للذمى (وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) أى النار (وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ) أى بلاد المشرق والمغرب كلها له وهو مالكها ومتوليها (فَأَيْنَمَا) شرط (تُوَلُّوا) مجزوم به أى ففى أى مكان فعلتم التولية يعنى تولية وجوهكم شطر القبلة بدليل قوله تعالى : فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره، والجواب (فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ) أى جهته التى أمر بها ورضيها والمعنى أنكم إذا منعتم أن تصلوا فى المسجد الحرام أو فى بيت المقدس فقد جعلت لكم الأرض مسجدا فصلوا فى أى بقعة شئتم من بقاعها وافعلوا التولية فيها فإن التولية ممكنة فى كل مكان (إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) أى هو واسع الرحمة يريد التوسعة على عباده وهو عليم بمصالحهم وعن ابن عمر رضى الله عنهما نزلت فى صلاة المسافر على الراحلة أينما توجهت وقيل عميت القبلة على قوم فصلوا إلى أنحاء مختلفة فلما أصبحوا تبينوا خطأهم فعذروا. هو حجة على الشافعى رحمه

لله فيما إذا استدبر وقيل فأينما تولوا للدعاء والذكر (وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا) يريد الذين قالوا المسيح ابن الله وعزير ابن الله قالوا شامى فإثبات الواو باعتبار أنه قصة معطوفة على ماقبلها وحذفه باعتبار أنه استئناف قصة أخرى (سُبْحَٰنَهُۥ) تنزيه له عن ذلك وتبعيد (بَل لَّهُۥ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ) أى هو خالقه ومالكه ومن جملته المسيح وعزير والولادة تنافى الملك (كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ) منقادون لايمتنع شيء منهم على تكوينه وتقديره والتنوين فى كل عوض عن المضاف إليه أى كل مافى السموات والأرض أو كل من جعلوه لله ولداً له قانتون مطيعون عابدون مقرون بالربوبية منكرون لما أضافوا إليهم . وجاء بما الذى لغير أولى العلم مع قوله قانتون كقوله سبحان ماسخركن لنا (بَدِيعُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ) أى مخترعهما ومبدعهما لاعلى مثال سبق. وكل من فعل مالم يسبق إليه يقال له أبدعت ولهذا قيل لمن خالف السنة والجماعة مبتدع لأنه يأتى فى دين الإسلام مالم يسبقه إليه الصحابة والتابعون رضى الله عنهم (وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا) أى حكم أو قدر (فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ) هو من كان التامة أى احدث فيحدث وهذا مجاز عن سرعة التكوين وتمثيل ولا قول ثم. وإنما المعنى أن ماقضاه من الأمور وأراد كونه فإنما يتكون ، ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف كما أن المأمور المطيع الذى يؤمر فيمتثل لايتوقف ولايمتنع ولا يكون منه إباء. وأكد بهذا استبعاد الولادة لأن من كان بهذه الصفة من القدرة كانت صفاته مباينة لصفات الأجسام فأنى يتصور التوالد ثمّ . والوجه الرفع فى فيكون وهو قراءة العامة على الاستئناف أى فهو يكون . أو على العطف على يقول ونصبه ابن عامر على لفظ كن لأنه أمر وجواب الأمر بالفاء نصب. وقلنا إن كن ليس بأمر حقيقة إذ لافرق بين أن يقال وإذا قضى أمرا فإنما يكونه فيكون وبين أن يقال فإنما يقول له كن فيكون وإذا كان كذلك فلامعنى للنصب. وهذا لأنه لو كان أمراً فإما أن يخاطب به الموجود والموجود لايخاطب بكن أو المعدوم والمعدوم لايخاطب (وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) من المشركين أو من أهل الكتاب ونفى عنهم العلم لأنهم لم يعملوا به (لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ) هلايكلمنا كما يكلم الملائكة وكلم موسى استكباراً منهم وعتوا (أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ) جحودا لأن يكون ماأتاهم من آيات الله آيات واستهانة بها (كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ) أى قلوب هؤلاء ومن قبلهم فى العمى (قَدْ بَيَّنَّا الْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) أى لقوم ينصفون فيوقنون

أنها آيات يجب الاعتراف بها والإذعان لها والاكتفاء بها عن غيرها (إِنَّا أَرْسَلْنَـٰكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا) للمؤمنين بالثواب (وَنَذِيرًا) للكافرين بالعقاب (وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَـٰبِ الْجَحِيمِ) ولا نسألك عنهم مالهم لم يؤمنوا بعد أن بلغت وبلغت جهدك فى دعوتهم وهو حال كنذيراً وبشيراً وبالحق أى وغير مسؤل أو مستأنف. قراءة نافع ولا تسئل على النهى ومعناه تعظيم ماوقع فيه الكفار من العذاب كما تقول كيف فلان سائلا عن الواقع فى بلية فيقال لك لا تسأل عنه وقيل نهى الله نبيه عن السؤال عن أحوال الكفرة حين قال ليت شعرى ما فعل أبواى (وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ) كأنهم قالوا لن نرضى عنك وإن أبلغت فى طلب رضانا حتى تتبع ملتنا اقناطا منهم لرسول الله عن دخولهم فى الإسلام فذكر الله عز وجل كلامهم (قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ) الذى رضى لعباده (هُوَ الْهُدَىٰ) أى الإسلام. وهو الهدى كله ليس وراءه هدى والذى تدعون إلى اتباعه ماهو هدى إنما هو هوى . ألا ترى إلى قوله (وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم) أى أقوالهم التى هى أهواء وبدع (بَعْدَ الَّذِى جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ) أى من العلم بأن دين الله هو الإسلام أو من الدين المعلوم صحته بالبراهين الواضحة والحجج اللائحة (مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ) من عذاب الله (مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ) ناصر (الَّذِينَ) مبتدأ (ءَاتَيْنَـٰهُمُ الْكِتَـٰبَ) صلته وهم مؤمنو أهل الكتاب وهو التوراة والإنجيل أو أصحاب النبى عليه السلام والكتاب القرآن (يَتْلُونَهُ) حال مقدرة من هم لأنهم لم يكونوا تالين له وقت إيتائه ونصب على المصدر (حَقَّ تِلَاوَتِهِ) أى يقرءونه حق قراءته فى الترتيل وأداء الحروف والتدبر والتفكر أو يعملون به ويؤمنون بما فى مضمونه ولا يغيرون مافيه من نعت النبى ﷺ (أُوْلَـٰئِكَ) مبتدأ خبره (يُؤْمِنُونَ بِهِ) والجملة خبر الذين ويجوز أن يكون يتلونه خبرا . والجملة خبر آخر (وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ الْخَـٰسِرُونَ) حيث اشتروا الضلالة بالهدى (يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِىَ الَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ) أى أنعمتها عليكم (وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَـٰلَمِينَ) وتفضيلى إياكم على عالمى زمانكم (وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ) هم رفع بالابتداء والخبر ينصرون. والجمل الأربع وصف ليوما أى واتقوا يوما لا تجزى فيه ولا يقبل فيه ولا تنفعها فيه ولا هم ينصرون فيه . وتكرير هاتين الآيتين لتكرار المعاصى منهم وختم قصة بنى اسرائيل بما بدأ به (وَإِذِ)

أي واذكر إذ (ابْتَلَىٰ إِبْرَٰهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَٰتٍ) اختبره بأوامر ونواه . والاختبار منا لظهور مالم نعلم ومن الله لإظهار ماقد علم وعاقبة الابتلاء ظهور الأمر الخفى فى الشاهد والغائب جميعاً فلذا تجوز إضافته إلى الله تعالى . وقيل اختبار الله عبده مجاز عن تمكينه من اختيار أحد الأمرين ما يريد الله تعالى وما يشتهيه العبد كأنه يمتحنه ما يكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك . وقرأ أبوحنيفة رضى الله عنه: ابراهيم ربه، برفع ابراهيم وهى قراءة ابن عباس رضى الله عنهما أى دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه إليهن أم لا (فَأَتَمَّهُنَّ) أى قام بهن حق القيام وأداهن أحسن التأدية من غير تفريط وتوان ونحوه وابراهيم الذى وفى ومعناه فى قراءة أبى حنيفة رحمه الله فأعطاه ماطلبه لم ينقص منه شيئا والكلمات على هذا ماسأل ابراهيم ربه فى قوله: رب اجعل هذا بلدا آمنا. واجعلنا مسلمين لك. وابعث فيهم رسولا منهم. ربنا تقبل منا. والكلمات على القراءة المشهورة خمس فى الرأس الفرق وقص الشارب والسواك والمضمضة والاستنشاق وخمس فى الجسد الختان وتقليم الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة والاستنجاء وعن ابن عباس رضى الله عنهما هى ثلاثون سهما من الشرائع عشر فى براءة التائبون الآية وعشر فى الأحزاب ان المسلمين والمسلمات الآية وعشر فى المؤمنين والمعارك إلى قوله يحافظون وقيل هى مناسك الحج (قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا) هو اسم من يؤتم به أى يأتمون بك فى دينهم (قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى) أى واجعل من ذريتى إماما يقتدى به . ذرية الرجل أولاده ذكورهم وإناثهم فيه سواء. فعيلة من الذرء أى الخلق فأبدلت الهمزة ياء (قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى الظَّٰلِمِينَ) بسكون الياء حمزة وحفص أى لا تصيب الإمامة أهل الظلم من ولدك أى أهل الكفر . أخبر أن إمامة المسلمين لاتثبت لأهل الكفر وأن من أولاده المسلمين والكافرين قال الله تعالى: وباركنا عليه وعلى إسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين . والمحسن المؤمن والظالم الكافر . قالت المعتزلة هذا دليل على أن الفاسق ليس بأهل للإمامة قالوا وكيف يجوز نصب الظالم للإمامة والإمام إنما هو لكف الظلمة فإذا نصب من كان ظالما فى نفسه فقد جاء المثل السائر من استرعى الذئب ظلم . ولكنا نقول المراد بالظالم الكافر هنا إذ هو الظالم المطلق. وقيل إنه سأل أن يكون ولده نبيا كما كان هو فأخبر أن الظالم لا يكون نبيا (وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ) أى الكعبة وهو اسم غالب لها كالنجم للثريا (مَثَابَةً لِّلنَّاسِ) مباءة ومرجعا للحجاج والعمار

يتفرقون عنه ثم يثوبون إليه (وَأَمْنًا) وموضع أمن فإن الجانى يأوى إليه فلا يتعرض له حتى يخرج وهو دليل لنا فى الملتجئ إلى الحرم . (وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِيمَ مُصَلًّى) وقلنا اتخذوا منه موضع صلاة تصلون فيه . وعنه عليه السلام أنه أخذ بيد عمر فقال «هذا مقام ابراهيم» فقال عمر أفلا نتخذه مصلى فقال عليه السلام «لم أومر بذلك» . فلم تغب الشمس حتى نزلت. وقيل مصلى مدعى. ومقام ابراهيم الحجر الذى فيه أثر قدميه . وقيل الحرم كله مقام ابراهيم . واتخذوا شامى ونافع بلفظ الماضى عطفا على جعلنا أى واتخذ الناس من مكان ابراهيم الذى وسم به لاهتمامه به وإسكان ذريته عنده قبلة يصلون إليها (وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ) أمرناهما (أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ) بفتح الياء مدنى وحفص أى بأن طهرا أو أى طهرا والمعنى طهراه من الأوثان والخبائث والأنجاس كلها (لِلطَّآئِفِينَ) للدائرين حوله (وَالْعَٰكِفِينَ) المجاورين الذين عكفوا عنده أى أقاموا لا يبرحون أو المعتكفين . وقيل للطائفين للنزاع إليه من البلاد والعاكفين والمقيمين من أهل مكة (وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) والمصلحين جمع راكع وساجد (وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا) أى اجعل هذا البلد أو هذا المكان (بَلَدًا ءَامِنًا) ذا أمن كعيشة راضية أو آمنا من فيه كقولك ليل نائم فهذا مفعول أول . وبلدا مفعول ثان وآمنا صفة له (وَارْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ الثَّمَرَٰتِ) لأنه لم يكن لهم ثمرة ثم أبدل (مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْءَاخِرِ) من أهله بدل البعض من الكل أى وارزق المؤمنين من أهله خاصة. قاس الرزق على الإمامة فخص المؤمنين به قال الله تعالى جوابا له (وَمَن كَفَرَ) أى وارزق من كفر (فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا) تمتيعا قليلا أو زمانا قليلا إلى حين أجله فأمتعه شامى (ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ) ألجئه (إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) المرجع الذى يصير إليه النار فالمخصوص بالذم محذوف (وَإِذْ يَرْفَعُ) حكاية حال ماضية (إِبْرَٰهِيمُ الْقَوَاعِدَ) هى جمع قاعدة وهى الأساس والأصل لما فوقه وهى صفة غالبة ومعناها الثابتة . ورفع الأساس البناء عليها لأنها إذا بنى عليها نقلت عن هيئة الانخفاض إلى هيئة الارتفاع وتطاولت بعد التقاصر (مِنَ الْبَيْتِ) بيت الله وهو الكعبة (وَإِسْمَٰعِيلُ) هو عطف على ابراهيم وكان ابراهيم يبنى واسمعيل يناوله الحجارة (رَبَّنَا) أى يقولان ربنا . وهذا الفعل فى محل النصب على الحال وقد أظهره عبد الله فى قراءته ومعناه يرفعانها قائلين ربنا (تَقَبَّلْ مِنَّآ) تقربنا إليك ببناء هذا البيت (إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ) لدعائنا

(الْعَلِيمُ) بضمائرنا ونياتنا وفى إبهام القواعد وتبيينها بعد الإبهام تفخيم لشأن المبين (رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ) مخلصين لك أوجهنا من قوله أسلم وجهه لله أو مستسلمين يقال أسلم له واستسلم إذا خضع وأذعن، والمعنى زدنا إخلاصا وإذعانا لك (وَمِن ذُرِّيَّتِنَا) واجعل من ذريتنا (أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ) ومن للتبعيض أو للتبيين وقيل أراد بالأمة أمة محمد عليه السلام وإنما خصا بالدعاء ذريتهما لأنهم أولى بالشفقة كقوله تعالى: قوا أنفسكم وأهليكم نارا، (وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا) منقول من رأى بمعنى أبصر أو عرف ولذا لم يتجاوز مفعولين أى وبصرنا متعبداتنا فى الحج أوعرفناها. وواحد المناسك منسك بفتح السين وكسرها وهو المتعبد ولهذا قيل للعابد ناسك وأرنا مكى قاسه على فخذ فى فخذ وأبو عمرو يشم الكسرة (وَتُبْ عَلَيْنَا) مافرط منا من التقصير أو استتابا لذريتهما (إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ) فى الأمة المسلمة (رَسُولًا مِّنْهُمْ) من أنفسهم فبعث الله فيهم محمدا عليه السلام ، قال عليه السلام «أنا دعوة أبى إبراهيم وبشرى عيسى ورؤيا أمى» (يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ) يقرأ عليهم ويبلغهم ماتوحى إليه من دلائل وحدانيتك وصدق أنبيائك ورسلك (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَٰبَ) القرآن (وَالْحِكْمَةَ) السنة وفهم القرآن (وَيُزَكِّيهِمْ) ويطهرهم من الشرك وسائر الأرجاس (إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ) الغالب الذى لايغلب (الْحَكِيمُ) فيما أوليت (وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِيمَ) استفهام بمعنى الجحد وإنكار أن يكون فى العقلاء من يرغب عن الحق الواضح الذى هو ملة إبراهيم. والملة السنة والطريقة كذا عن الزجاج (إِلَّا مَن) فى محل الرفع على البدل من الضمير فى يرغب وصح البدل لأن من يرغب غير موجب كقولك هل جاءك أحد إلا زيد والمعنى وما يرغب عن ملة إبراهيم إلا من (سَفِهَ نَفْسَهُ) أى جهل نفسه أى لم يفكر فى نفسه. فوضع سفه موضع جهل وعدى كما عدى أو معناه سفه فى نفسه فحذف فى كما حذف من فى قوله واختار موسى قومه أى من قومه وعلى فى قوله : ولا تعزموا عقدة النكاح. أى على عقدة النكاح والوجهان عن الزجاج وقال الفراء هو منصوب على التمييز وهو ضعيف لكونه معرفة (وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَٰهُ فِى الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِى الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّٰلِحِينَ) بيان لخطأ رأى من يرغب عن ملته لأن من جمع كرامة الدارين لم يكن أحد أولى بالرغبة فى طريقته منه (إِذْ قَالَ) ظرف لاصطفيناه، أوانتصب بإضمار اذكر كأنه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم أنه المصطفى الصالح الذى لايرغب عن ملة مثله (لَهُ رَبُّهُ

أَسْلِمْ) أذعن أوأطع أوأخلص دينك لله (قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَـٰلَمِينَ) أى أخلصت أوانقدت (وَوَصَّىٰ) وأوصى مدنى وشامى (بِهَا) بالملة أو بالكلمة وهى أسلمت لرب العالمين (إِبْرَٰهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ) هو معطوف على إبراهيم داخل فى حكمه والمعنى ووصى بها يعقوب بنيه أيضا (يَـٰبَنِىَّ) على إضمار القول (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ) أى أعطاكم الدين الذى هو صفوة الأديان وهو دين الإسلام ووفقكم للأخذ به (فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) فلا يكن موتكم إلا على حال كونكم ثابتين على الإسلام فالنهى فى الحقيقة عن كونهم على خلاف حال الإسلام إذا ماتوا كقولك لا تصلّ إلا وأنت خاشع فلا تنهاه عن الصلاة ولكن عن ترك الخشوع فى صلاته (أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ) أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها الإنكار. والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر أى ما كنتم حاضرين يعقوب عليه السلام إذ حضره الموت أى حين احتضر والخطاب للمؤمنين بمعنى ما شهدتم ذلك وإنما حصل لكم العلم به من طريق الوحى أو متصلة ويقدر قبلها محذوف والخطاب لليهود لأنهم كانوا يقولون ما مات نبى إلا على اليهودية كأنه قيل أتدّعون على الأنبياء اليهودية أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت (إِذْ قَالَ) بدل من إذ الأولى والعامل فيهما شهداء أو ظرف لحضر (لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ) ما استفهام فى محل النصب بتعبدون أى أىّ شىء تعبدون وما عام فى كل شىء أو هو سؤال عن صفة المعبود كما تقول ما زيد تريد أفقيه أم طبيب (مِن بَعْدِى) من بعد موتى (قَالُوا نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَائِكَ) أعيد ذكر الإله لئلا يعطف على الضمير المجرور بدون إعادة الجار (إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ) عطف بيان لآبائك وجعل إسمعيل من جملة آبائه وهو عمه لأن العم أب قال عليه السلام فى العباس «هذا بقية آبائى» (إِلَـٰهًا وَٰحِدًا) بدل من إله آبائك كقوله: بالناصية ناصية كاذبة، أو نصب على الاختصاص أى نريد بإله آبائك إلها واحدا (وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) حال من فاعل نعبد أو جملة معطوفة على نعبد أو جملة اعتراضية مؤكدة (تِلْكَ) إشارة إلى الأمة المذكورة التى هى إبراهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون (أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ) مضت (لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ) أى ان أحداً لا ينفعه كسب غيره متقدما كان أو متأخرا فكما أن أولئك لا ينفعهم إلا ما اكتسبوا فكذلك أنتم لا ينفعكم إلا ما اكتسبتم وذلك لافتخارهم بآبائهم (وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) ولا تؤاخذون بسيآتهم (وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ) أى قالت

اليهود كونوا هوداً وقالت النصارى كونوا نصارى وجزم (تَهْتَدُوا) لأنه جواب الأمر (قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ) بل نتبع ملة إبراهيم (حَنِيفاً) حال من المضاف إليه نحو رأيت وجه هند قائمة. والحنيف المائل عن كل دين باطل إلى دين الحق (وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) تعريض بأهل الكتاب وغيرهم لأن كلا منهم يدعى اتباع ملة إبراهيم وهو على الشرك (قُولُوا)هذا خطاب للمؤمنين أو للكافرين أى قولوا لتكونوا على الحق وإلا فأنتم على الباطل (ءَامَنَّا بِاللهِ وَمَاأُنزِلَ إِلَيْنَا) أى القرآن (وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ) السبط الحافد وكان الحسن والحسين سبطى رسول الله ﷺ والأسباط حفدة يعقوب ذرارى أبنائه الاثنى عشر ويعدى أنزل بإلى وعلى فلذا ورد هنا بإلى وفى آل عمران بعلى (وَمَاأُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَاأُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ) أى لانؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى وأحد فى معنى الجماعة ولذا صح دخول بين عليه (وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) لله مخلصون (فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا) ظاهر الآية مشكل لأنه يوجب أن يكون لله تعالى مثل وتعالى عن ذلك. فقيل الباء زائدة ومثل صفة مصدر محذوف تقديره فإن آمنوا إيمانا مثل إيمانكم والهاء يعود إلى الله عز وجل وزيادة الباء غير عزيز قال الله تعالى : والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها والتقدير جزاء سيئة مثلها كقوله فى الآية الآخرى : وجزاء سيئة سيئة مثلها وقيل المثل زيادة أى فإن آمنوا بما آمنتم به يؤيده قراءة ابن مسعود رضى الله عنه بما آمنتم به وما بمعنى الذى بدليل قراءة أبى بالذى آمنتم به وقيل الباء للاستعانة كقولك كتبت بالقلم أى فإن دخلوا فى الإيمان بشهادة مثل شهادتكم التى آمنتم بها (وَّإِن تَوَلَّوْا) عما تقولون لهم ولم ينصفوا أو إن تولوا عن الشهادة والدخول فى الإيمان بها (فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ) أى فما هم إلا فى خلاف وعداوة وليسوا من طلب الحق فى شىء (فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ) ضمان من الله لإظهار رسوله عليهم وقد أنجز وعده بقتل بعضهم وإجلاء بعضهم ومعنى السين أن ذلك كائن لامحالة وإن تأخر إلى حين (وَهُوَ السَّمِيعُ) لما ينطقون به (الْعَلِيمُ) بما يضمرون من الحسد والغل وهو معاقبهم عليه فهو وعيد لهم أو وعد لرسول الله ﷺ أى يسمع ماتدعو به ويعلم نيتك وما تريده من إظهار دين الحق وهو مستجيب لك وموصلك إلى مرادك (صِبْغَةَ اللهِ) دين الله وهو مصدر مؤكد منتصب

عن قوله: آمنا بالله. وهى فعلة من صبغ كالجلسة من جلس وهى الحالة التى يقع عليها الصبغ والمعنى تطهير الله لأن الإيمان يطهر النفوس والأصل فيه أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم فى ماء أصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم فإذا فعل الواحد منهم بولده ذلك قال الآن صار نصرانياً حقاً ، فأمر المسلمون بأن يقولوا لهم : آمنا بالله وصبغنا الله بالإيمان صبغته ولم نصبغ صبغتكم. وجيء بلفظ الصبغة للمشاكلة كقولك لمن يغرس الأشجار اغرس كما يغرس فلان تريد رجلا يصطنع الكرم (وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً) تميز أى لاصبغة أحسن من صبغته يريد الدين أو التطهير (وَنَحْنُ لَهُ عَٰبِدُونَ) عطف على آمنا بالله وهذا العطف يدل على أن قوله: صبغة الله. داخل فى مفعول قولوا آمنا أى قولوا هذا وهذا ونحن له عابدون ويردّ قول من زعم أن صبغة الله بدل من ملة ابراهيم أو نصب على الإغراء بمعنى عليكم صبغة الله لما فيه من فك النظم وإخراج الكلام عن التئامه. وانتصابها على أنها مصدر مؤكد هو الذى ذكره سيبويه والقول ما قالت حذام (قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِى اللهِ) أى أتجادلوننا فى شأن الله واصطفائه النبي من العرب دونكم وتقولون لو أنزل الله على أحد لأنزل علينا وترونكم أحق بالنبوة منا (وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ) نشترك جميعا فى أننا عباده وهو ربنا وهو يصيب برحمته وكرامته من يشاء من عباده (وَلَنَا أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ) يعنى أن العمل هو أساس الأمر وكما أن لكم أعمالا فلنا كذلك (وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ) أى نحن له موحدون نخصه بالإيمان وأنتم به مشركون، والمخلص أحرى بالكرامة وأولى بالنبوة من غيره (أَمْ تَقُولُونَ) بالتاء شامى وكوفى غير أبى بكر. وأمْ على هذا معادلة للهمزة فى أتحاجوننا يعنى أى الأمرين تأتون: المحاجة فى حكم الله أم ادعاء اليهودية والنصرانية على الأنبياء أو منقطعة أى بل أتقولون. يقولون غيرهم بالياء وعلى هذا لاتكون الهمزة إلا منقطعة (إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ) ثم أمر نبيه عليه السلام أن يقول مستفهما رادا عليهم بقوله: (قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللهُ) يعنى أن الله شهد لهم بملة الإسلام فى قوله: ما كان إبراهيم يهوديا ولانصرانياً ولكن حنيفاً مسلما. (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُ مِنَ اللهِ) أى كتم شهادة الله التى عنده أنه شهد بها وهى شهادة الله لإبراهيم بالحنيفية. والمعنى أن أهل الكتاب لا أحد أظلم منهم لأنهم كتموا هذه الشهادة وهم عالمون بها أو أنا لو كتمنا هذه الشهادة

لم يكن أحد أظلم منا فلا نكتمها. وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد عليه السلام بالنبوة فى كتبهم وسائر شهاداته. ومن فى قوله من الله مثلها فى قولك هذه شهادة منى لفلان إذا شهدت له فى أنها صفة لها (وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) من تكذيب الرسل وكتمان الشهادة (تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) كررت للتأكيد أو لأن المراد بالأول الأنبياء عليهم السلام وبالثانى أسلاف اليهود والنصارى (سَيَقُولُ السُّفَهَآءُ مِنَ النَّاسِ) الخفاف الأحلام فأصل السفه الخفة، وهم اليهود لكراهتهم التوجه إلى الكعبة وأنهم لا يرون النسخ أو المنافقون لحرصهم على الطعن والاستهزاء أو المشركون لقولهم رغب عن قبلة آبائه ثم رجع إليها والله ليرجعن إلى دينهم. وفائدة الاخبار بقولهم قبل وقوعه توطين النفس إذ المفاجأة بالمكروه أشد وإعداد الجواب قبل الحاجة إليه أقطع للخصم فقبل الرمى يراش السهم (مَا وَلَّـٰهُمْ) ماصرفهم (عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِى كَانُوا عَلَيْهَا) يعنون بيت المقدس. والقبلة الجهة التى يستقبلها الإنسان فى الصلاة لأن المصلى يقابلها (قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ) أى بلاد المشرق والمغرب والأرض كلها له (يَهْدِى مَن يَشَآءُ) من أهلها (إِلَى صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ) طريق مستو. أى يرشد من يشاء إلى قبلة الحق وهى الكعبة التى أمرنا بالتوجه إليها أو الأماكن كلها لله فيأمر بالتوجه إلى حيث شاء فتارة إلى الكعبة وطوراً إلى بيت المقدس لا اعتراض عليه لأنه المالك وحده (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ) ومثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم فالكاف للتشبيه وذا جر بالكاف واللام للفرق بين الإشارة إلى القريب والإشارة إلى البعيد والكاف للخطاب لا محل لها من الإعراب (أُمَّةً وَسَطًا) خيارا. وقيل للخيار وسط لأن الأطراف يتسارع إليها الخلل والأوساط محمية أى كما جعلت قبلتكم خير القبل جعلتكم خير الأمم أو عدولا لأن الوسط عدل بين الأطراف ليس إلى بعضها أقرب من بعض. أى كما جعلنا قبلتكم متوسطة بين المشرق والمغرب جعلناكم أمة وسطا بين الغلو والتقصير فإنكم لم تغلوا غلو النصارى حيث وصفوا المسيح بالألوهية ولم تقصروا تقصير اليهود حيث وصفوا مريم بالزنا وعيسى بأنه ولد الزنا (لِّتَكُونُوا شُهَدَآءَ) غير منصرف لمكان ألف التأنيث (عَلَى النَّاسِ) صلة شهداء (وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) عطف على لتكونوا. روى أن الأمم يوم القيامة يجحدون تبليغ الأنبياء فيطالب الله الأنبياء بالبينة على أنهم قد بلغوا وهو أعلم فيؤتى بأمة محمد

عليه السلام فيشهدون فتقول الأمم من أين عرفتم فيقولون علمنا ذلك بإخبار الله تعالى فى كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد عليه السلام فيسئل عن حال أمته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم. والشهادة قد تكون بلا مشاهدة كالشهادة بالتسامع فى الأشياء المعروفة ولما كان الشهيد كالرقيب جيء بكلمة الاستعلاء كقوله تعالى : كنت أنت الرقيب عليهم . وقيل لتكونوا شهداء على الناس فى الدنيا فيما لا يصح إلا بشهادة العدول الأخيار ويكون الرسول عليكم شهيدا يزكيكم ويعلم بعدالتكم. واستدل الشيخ أبو منصور رحمه الله بالآية على أن الإجماع حجة لأن الله تعالى وصف هذه الأمة بالعدالة والعدل هو المستحق للشهادة وقبولها فإذا اجتمعوا على شيء وشهدوا به لزم قبوله . وأخرت صلة الشهادة أولا وقدمت آخراً لأن المراد فى الأول إثبات شهادتهم على الأمم وفى الآخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم (وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ) أى وما جعلنا القبلة الجهة التى كنت عليها وهى الكعبة فالتى كنت عليها ليست بصفة للقبلة بل هى ثانى مفعولى جعل روى أن رسول الله ﷺ كان يصلى بمكة إلى الكعبة ثم أمر بالصلاة إلى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة تأليفا لليهود ثم حول إلى الكعبة (إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ) أى وما جعلنا القبلة التى تحب أن تستقبلها الجهة التى كنت عليها أولا بمكة إلا امتحانا للناس وابتلاء لنعلم الثابت على الإسلام الصادق فيه ممن هو على حرف ينكص على عقبيه لقلقه يرجع فيرتد عن الإسلام عند تحويل القبلة قال الشيخ أبو منصور رحمه الله معنى قوله لنعلم أى لنعلم كائنا أو موجودا ما قد علمناه أنه يكون ويوجد فالله تعالى عالم فى الأزل بكل ما أراد وجوده أنه يوجد فى الوقت الذى شاء وجوده فيه ولا يوصف بأنه عالم فى الأزل بأنه موجود كائن لأنه ليس بموجود فى الأزل فكيف يعلمه موجودا فإذا صار موجودا يدخل تحت علمه الأزلى فيصير معلوما له موجودا كائنا والتغير على المعلوم لا على العلم أو لنميز التابع من الناكص كما قال تعالى : ليميز الله الخبيث من الطيب. فوضع العلم موضع التميز لأن العلم به يقع التميز أو ليعلم رسول الله عليه الصلاة والسلام والمؤمنون وإنما أسند علمهم إلى ذاته لأنهم خواصه أو هو على ملاطفة الخطاب لمن لا يعلم كقولك لمن ينكر ذوب الذهب فلنلقه فى النار لنعلم أيذوب (وَإِن كَانَتْ) أى التحويلة أو الجعلة أو القبلة وإن هى المخففة واللام فى (لَكَبِيرَةً) أى ثقيلة شاقة وهى خبر كان

واللام فارقة (إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ) أى هداهم الله فحذف العائد أى إلا على الثابتين الصادقين فى اتباع الرسول (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ) أى صلاتكم إلى بيت المقدس سمى الصلاة إيمانا لأن وجوبها على أهل الإيمان وقبولها من أهل الإيمان وأداؤها فى الجماعة دليل الإيمان. ولما توجه رسول الله ﷺ إلى الكعبة قالوا كيف بمن مات قبل التحويل من إخواننا فنزلت ثم علل ذلك فقال (إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ) مهموز مشبع حجازى وشامى وحفص رؤف غيرهم بوزن فعل وهما للمبالغة (رَّحِيمٌ) لا يضيع أجورهم ، والرأفة أشد من الرحمة وجمع بينهما كما فى الرحمن الرحيم (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى السَّمَاءِ) ترددوجهك وتصرف نظرك فى جهة السماء . وكان رسول ﷺ يتوقع من ربه أن يحوله إلى الكعبة موافقة لإبراهيم ومخالفة لليهود، ولأنها أدعى للعرب إلى الإيمان لأنها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم (فَلَنُوَلِّيَنَّكَ) فلنعطينك ولنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا إذا جعلته واليا له أو فلنجعلنك تلى سمتها دون سمت بيت المقدس (قِبْلَةً تَرْضَاهَا) تحبها وتميل إليها لأغراضك الصحيحة التى أضمرتها ووافقت مشيئة الله وحكمته . (فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) أى نحوه. وشطر نصب على الظرف أى اجعل تولية الوجه تلقاء المسجد أى فى جهته وسمته لأن استقبال عين القبلة متعسر على النائى . وذكر المسجد الحرام دون الكعبة دليل على أن الواجب مراعاة الجهة دون العين . روى أنه عليه السلام قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه إلى الكعبة. (وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ) من الأرض وأردتم الصلاة (فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ) أى التحويل إلى الكعبة هو الحق لأنه كان فى بشارة أنبيائهم برسول الله ﷺ أنه يصلى إلى القبلتين . (مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ) بالياء مكى وأبو عمرو ونافع وعاصم وبالتاء غيرهم فالأول وعيد للكافرين بالعقاب على الجحود والإباء والثانى وعد للمؤمنين بالثواب على القبول والأداء (وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) أراد ذوى العناد منهم (بِكُلِّ ءَايَةٍ) برهان قاطع أن التوجه إلى الكعبة هو الحق (مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ) لأن تركهم اتباعك ليس عن شبهة تزيلها بإيراد الحجة إنما هو عن مكابرة وعناد مع علمهم بما فى كتبهم من نعتك أنك على الحق وجواب القسم المحذوف سد

مسد جواب الشرط (وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ) حسم لأطماعهم إذ كانوا اضطربوا فى ذلك وقالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو أن يكون صاحبنا الذى ننتظره وطمعوا فى رجوعه إلى قبلتهم ووحدت القبلة وإن كان لهم قبلتان فلليهود قبلة وللنصارى قبلة لاتحادهم فى البطلان (وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ) يعنى أنهم مع اتفاقهم على مخالفتك مختلفون فى شأن القبلة لا يرجى اتفاقهم كالا ترجى موافقتهم لك فاليهود تستقبل بيت المقدس والنصارى مطلع الشمس (وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّن بَعْدِ مَاجَآءَكَ مِنَ الْعِلْمِ) أى من بعد وضوح البرهان والإحاطة بأن القبلة هى الكعبة وأن دين الله هو الإسلام (إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّٰلِمِينَ) لمن المرتكبين الظلم الفاحش . وفى ذلك لطف للسامعين وتهييج للثبات على الحق وتحذير لمن يترك الدليل بعد إنارته ويتبع الهوى . وقيل الخطاب فى الظاهر للنبى عليه السلام والمراد أمته ولزم الوقف على الظالمين إذ لو وصل لصار (الَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ الْكِتَٰبَ) صفة للظالمين . وهو مبتدأ والخبر (يَعْرِفُونَهُ) أى محمدا عليه السلام أو القرآن أو تحويل القبلة . والأول أظهر لقوله (كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ) قال عبد الله بن سلام أنا أعلم به منى بابنى فقال له عمر ولم قال: لأنى لست أشك فى محمد أنه نبى فأما ولدى فلعل والدته خانت فقبل عمر رأسه . (وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ) أى الذين لم يسلموا (لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ) حسدا وعنادا (وَهُمْ يَعْلَمُونَ) أن الله تعالى بينه فى كتابهم (الْحَقُّ) مبتدأ خبره (مِن رَّبِّكَ) واللام للجنس أى الحق من الله لا من غيره . يعنى أن الحق ماثبت أنه من الله كالذى أنت عليه . ومالم يثبت أنه من الله كالذى عليه أهل الكتاب فهو الباطل . أو للعهد والإشارة إلى الحق الذى عليه رسول الله ﷺ . أو خبر مبتدإ محذوف أى هو الحق ومن ربك خبر بعد خبر أو حال . (فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) الشاكين فى أنه من ربك (وَلِكُلٍّ) من أهل الأديان المختلفة . (وِجْهَةٌ) قبلة . وقرىء بها . والضمير فى (هُوَ) لكل . وفى (مُوَلِّيهَا) للوجهة . أى هو موليها وجهه فحذف أحد المفعولين أو هو لله تعالى . أى الله موليها إياه . هو مولاها شامى أى هو مولى تلك الجهة قد وليها . والمعنى ولكل أمة قبلة يتوجه إليها منكم ومن غيركم (فَاسْتَبِقُوا) أنتم (الْخَيْرَٰتِ) فاستبقوا إليها غيركم من أمر القبلة وغيره . (أَيْنَ مَا تَكُونُوا) أنتم وأعداؤكم (يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا) يوم القيامة فيفصل بين المحقق والمبطل أو ولكل منكم يا أمة محمد وجهة يصلى

إليها جنوبية أوشمالية أوشرقية أوغربية فاستبقوا الفاضلات من الجهات وهى الجهات المسامتة للكعبة وإن اختلفت أينما تكونوا من الجهات المختلفة يأت بكم الله جميعاً ويجمعكم ويجعل صلاتكم كأنها إلى جهة واحدة وكأنكم تصلون حاضرى المسجد الحرام (إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ) ومن أى بلد خرجت للسفر (فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) إذا صليت . (وَإِنَّهُ) وإن هذا المأمور به (لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) وبالياء أبو عمرو . (وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ) وهذا التكرير لتأكيد أمر القبلة وتشديده لأن النسخ من مظان الفتنة والشبهة فكرر عليهم ليثبتوا على أنه نيط بكل واحد مالم ينط بالآخر فاختلفت فوائدها (لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ) أى قد عرّفكم الله جل ذكره أمر الاحتجاج فى القبلة بما قد بين فى قوله: ولكل وجهة هو موليها. لئلا يكون للناس لليهود عليكم حجة فى خلاف مافى التوراة من تحويل القبلة . وأطلق اسم الحجة على قول المعاندين لأنهم يسوقونه سياق الحجة . (إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) استثناء من الناس أى لئلا يكون حجة لأحد من اليهود إلا المعاندين منهم القائلين ماترك قبلتنا إلى الكعبة إلا ميلا إلى دين قومه وحباً لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة الأنبياء عليهم السلام أو معناه لئلا يكون للعرب عليكم حجة واعتراض فى ترككم التوجه إلى الكعبة التى هى قبلة ابراهيم واسمعيل أبى العرب إلاالذين ظلموا منهم وهم أهل مكة حين يقولون بدا له فرجع إلى قبلة آبائه ويوشك أن يرجع إلى دينهم ثم استأنف منبها بقوله : (فَلَا تَخْشَوْهُمْ) فلا تخافوا مطاعنهم فى قبلتكم فإنهم لايضرونكم (وَاخْشَوْنِي) فلاتخالفوا أمرى (وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ) أى عرفتكم لئلا يكون عليكم حجة ولأتم نعمتى عليكم بهدايتى إياكم إلى الكعبة . (وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) ولكى تهتدوا إلى قبلة ابراهيم. الكاف فى (كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ) إما أن يتعلق بما قبله أى ولأتم نعمتى عليكم فى الآخرة بالثواب كما أتممتها عليكم فى الدنيا بإرسال الرسول أو بما بعده أى كما ذكرتكم بإرسال الرسول فاذكرونى بالطاعة أذكركم بالثواب. فعلى هذا يوقف على تهتدون وعلى الأول لا. (رَسُولًا مِّنكُمْ) من العرب (يَتْلُوا عَلَيْكُمْ) يقرأ عليكم (ءَايَاتِنَا) القرآن (وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ)

القرآن (وَالْحِكْمَةَ) السنة والفقه (وَيُعَلِّمُكُم مَّالَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ) مالاسبيل إلى معرفته إلا بالوحى (فَاذْكُرُونِي) بالمعذرة (أَذْكُرْكُمْ) بالمغفرة أو بالثناء والعطاء ، أو بالسؤال والنوال، أو بالتوبة وعفو الحوبة، أو بالإخلاص والخلاص ، أو بالمناجاة والنجاة. (وَاشْكُرُوا لِي) ماأنعمت به عليكم (وَلَا تَكْفُرُونِ) ولا تجحدوا نعمائى . (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ) فبه تنال كل فضيلة (وَالصَّلَوٰةِ) فإنها تنهى عن كل رذيلة (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّـٰبِرِينَ) بالنصر والمعونة (وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) نزلت فى شهداء بدر وكانوا أربعة عشر رجلا . (أَمْوَاتٌ) أى هم أموات (بَلْ أَحْيَاءٌ) أى هم أحياء (وَلَـٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ) لاتعلمون ذلك لأن حياة الشهيد لاتعلم حسا . عن الحسن رضى الله عنه أن الشهداء أحياء عند الله تعرض أرزاقهم على أرواحهم فيصل إليهم الروح والفرح كما تعرض النار على أرواح آل فرعون غدوا وعشياً فيصل إليهم الوجع . وعن مجاهد يرزقون ثمر الجنة ويجدون ريحها وليسوا فيها . (وَلَنَبْلُوَنَّكُم) ولنصيبنكم بذلك إصابة تشبه فعل المختبر لأحوالكم هل تصبرون على ماأنتم عليه من الطاعة أم لا (بِشَىْءٍ) بقليل من كل واحدة من هذه البلايا وطرف منه. وقلل ليؤذن أن كل بلاء أصاب الإنسان وإن جل ففوقه مايقل إليهم . ويريهم أن رحمته معهم فى كل حال . وأعلمهم بوقوع البلواء قبل وقوعها ليوطنوا نفوسهم عليها . (مِّنَ الْخَوْفِ) خوف الله والعدو (وَالْجُوعِ) أى القحط أو صوم شهر رمضان (وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ) بموت المواشى أو الزكاة. وهو عطف على شيء. أو على الخوف أى وشيء من نقص الأموال. (وَالْأَنفُسِ) بالقتل والموت . أو بالمرض والشيب (وَالثَّمَرَاتِ) ثمرات الحرث أو موت الأولاد لأن الولد ثمرة الفؤاد (وَبَشِّرِ الصَّـٰبِرِينَ) على هذه البلايا أو المسترجعين عند البلايا لأن الاسترجاع تسليم وإذعان وفى الحديث « من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته وأحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه » . وطفىء سراج رسول الله ﷺ فقال : «إنا لله وإنا إليه راجعون» فقيل أمصيبة هى؟ قال . «نعم كل شيء يؤذى المؤمن فهو مصيبة» والخطاب لرسول الله ﷺ أو لكل من يتأتى منه البشارة . (الَّذِينَ) نصب صفة للصابرين. ولا وقف عليه بل يوقف على راجعون. ومن ابتدأ بالذين وجعل الخبر أولئك يقف على الصابرين لا على راجعون . والأول الوجه لأن الذين ومابعده بيان للصابرين . (إِذَا أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ) مكروه. اسم فاعل من أصابته شدة أى

لحقته. ولا وقف على مصيبة لأن (قَالُوا) جواب إذا. وإذا وجوابها صلة الذين. (إِنَّا لِلَّهِ) إقرار له بالملك. (وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) إقرار على نفوسنا بالهلك (أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ) الصلاة: الحنو والتعطف فوضعت موضع الرأفة. وجمع بينها وبين الرحمة كقوله رأفة ورحمة رؤف رحيم. والمعنى عليهم رأفة بعد رأفة ورحمة بعد رحمة. (وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) لطريق الصواب حيث استرجعوا وأذعنوا لأمر الله. قال عمر رضي الله عنه نعم العدلان ونعم العلاوة أى الصلاة والرحمة والاهتداء. (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ) هما علمان للجبلين. (مِن شَعَائِرِ اللَّهِ) من أعلام مناسكه ومتعبداته جمع شعيرة وهى العلامة (فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ) قصد الكعبة (أَوِ اعْتَمَرَ) زار الكعبة، فالحج: القصد. والاعتمار: الزيارة ثم غلبا على قصد البيت وزيارته للنسكين المعروفين وهما فى المعانى كالنجم والبيت فى الأعيان (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ) فلا إثم عليه (أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا). أى يتطوف فأدغم التاء فى الطاء. وأصل الطوف المشى حول الشىء والمراد هنا السعى بينهما قيل كان على الصفا إساف وعلى المروة نائلة وهما صنمان يروى أنهما كانا رجلا وامرأة زنيا فى الكعبه فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا من دون الله وكان أهل الجاهلية إذا سعوا مسحوهما فلما جاء الإسلام وكسرت الأوثان كره المسلمون الطواف بينهما لأجل فعل الجاهلية فرفع عنهم الجناح بقوله فلا جناح. وهو دليل على أنه ليس بركن كما قال مالك والشافعى رحمهما الله تعالى. وكذا قوله (وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا) أى بالطواف بهما مشعر بأنه ليس بركن ومن يطوع حمزة وعلى أى يتطوع فأدغم التاء فى الطاء (فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ) مجاز على القليل كثيرا (عَلِيمٌ) بالأشياء صغيرا أو كبيرا (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ) من أحبار اليهود (مَا أَنزَلْنَا) فى التوراة (مِنَ الْبَيِّنَاتِ) من الآيات الشاهدة على أمر محمد عليه السلام (وَالْهُدَىٰ) الهداية إلى الإسلام بوصفه عليه السلام (مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ) أوضحناه (لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ) فى التوراة لم ندع فيه موضع إشكال فعمدوا إلى ذلك المبين فكتموه (أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ) الذين يتأتى منهم اللعن وهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا) عن الكتمان وترك الإيمان (وَأَصْلَحُوا) ما أفسدوا من أحوالهم وتداركوا ما فرط منهم (وَبَيَّنُوا) وأظهروا ما كتموا (فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ) أقبل توبهم (وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ) يعنى الذين ماتوا من هؤلاء الكاتمين ولم

يتوبوا (أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَٰئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) ذكر لعنتهم أحياء ثم لعنتهم أمواتا. والمراد بالناس المؤمنون أو المؤمنون والكافرون إذ بعضهم يلعن بعضا يوم القيامة قال الله تعالى: كلما دخلت أمة لعنت أختها. (خَٰلِدِينَ) حال من هم فى عليهم (فِيهَا) فى اللعنة أو فى النار إلا أنها أضمرت تفخيما لشأنها وتهويلا (لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ) من الإنظار أى لا يمهلون أو لا ينتظرون ليعتذروا أو لا ينظر إليهم نظر رحمة (وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ) فرد فى ألوهيته لا شريك له فيها ولا يصح أن يسمى غيره إلها (لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ) تقرير للوحدانية بنفى غيره وإثباته. وموضع هو رفع لأنه بدل من موضع لا إله ولا يجوز النصب هنا لأن البدل يدل على أن الاعتماد على الثانى والمعنى فى الآية على ذلك والنصب يدل على أن الاعتماد على الأول ورفع (الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ) أى المولى لجميع النعم أصولها وفروعها ولا شىء سواه بهذه الصفة فما سواه إما نعمة وإما منعم عليه على أنه خبر مبتدأ. أو على البدل من هو لا على الوصف لأن المضمر لا يوصف. ولما عجب المشركون من إله واحد وطلبوا آية على ذلك نزل (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَٰفِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ) فى اللون والطول والقصر وتعاقبهما فى الذهاب والمجىء (وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ) بالذى ينفعهم مما يحمل فيها أو بنفع الناس ومن فى (وَمَا أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ) لابتداء الغاية وفى (مِن مَّاءٍ) مطر لبيان الجنس لأن ماينزل من السماء مطر وغيره. ثم عطف على أنزل (فَأَحْيَا بِهِ) بالماء (الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا) يبسها ثم عطف على فأحيا (وَبَثَّ) وفرق (فِيهَا) فى الأرض (مِن كُلِّ دَآبَّةٍ) هى كل مايدب (وَتَصْرِيفِ الرِّيَٰحِ) الريح حمزة وعلى أى وتقليبها فى مهابها قبولا ودبورا وجنوبا وشمالا وفى أحوالها حارة وباردة وعاصفة ولينة وعقما ولواقح. وقيل تارة بالرحمة وطورا بالعذاب (وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ) المذلل المنقاد لمشيئة الله تعالى فيمطر حيث شاء (بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) فى الهواء (لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون فيستدلون بهذه الأشياء على قدرة موجدها وحكمة مبدعها ووحدانية منشئها. وفى الحديث «ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها» أى لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها (وَمِنَ النَّاسِ) أى ومع هذا البرهان النير من الناس (مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَندَادًا) أمثالا من الأصنام (يُحِبُّونَهُمْ) يعظمونهم ويخضعون لهم تعظيم المحبوب (كَحُبِّ اللهِ) كتعظيم الله والخضوع له أى يحبون الأصنام كما يحبون الله

يعنى يسوون بينهم وبينه فى محبتهم لأنهم كانوا يقرون بالله ويتقربون إليه . وقيل يحبونهم كحب المؤمنين الله (وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ) من المشركين لآلهتهم لأنهم لايعدلون عنه إلى غيره بحال، والمشركون يعدلون عن أندادهم إلى الله عند الشدائد فيفزعون إليه ويخضعون (وَلَوْ يَرَى) ترى نافع وشامى على خطاب الرسول أو كل مخاطب أى ولو ترى ذلك لرأيت أمرا عظيما (الَّذِينَ ظَلَمُوا) إشارة إلى متخذى الأنداد (إِذْ يَرُونَ) يرون شامى (الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً) حال (وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ)شديد عذابه أى ولو يعلم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم أن القدرة كلها لله تعالى على كل شىء من الثواب والعقاب دون أندادهم ويعلمون شدة عقابه للظالمين إذا عاينوا العذاب يوم القيامة لكان منهم مالايدخل تحت الوصف من الندم والحسرة فحذف الجواب لأن لو إذا جاء فيما يشوق إليه أو يخوف منه قلما يوصل بجواب ليذهب القلب فيه كل مذهب . ولو يليها الماضى . وكذا إذ وضعها لتدل على الماضى، وإنما دخلتا على المستقبل هنا لأن إخبار الله تعالى عن المستقبل باعتبار صدقه كالماضى (إِذْ تَبَرَّأَ) مدغمة الذال فى التاء حيث وقعت عراقى غير عاصم. وهو بدل من إذ يرون العذاب (الَّذِينَ اتُّبِعُوا) أى المتبعون وهم الرؤساء (مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا) من الأتباع (وَرَأَوُا الْعَذَابَ) الواو فيه للحال أى تبرءوا فى حال رؤيتهم العذاب (وَتَقَطَّعَتْ) عطف على تبرأ (بِهِمُ الْأَسْبَابُ) الوصل التى كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد ومن الأنساب والمحاب (وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا) أى الاتباع (لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً) رجعة إلى الدنيا (فَنَتَبَرَّأَ) نصب على جواب التمنى لأن لو فى معنى التمنى والمعنى ليت لنا كرة فنتبرأ (مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا) الآن (كَذَٰلِكَ) مثل ذلك الإراء الفظيع (يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ) أى عبادتهم الأوثان (حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ) ندامات . وهى مفعول ثالث ليريهم ومعناه أن أعمالهم تنقلب عليهم حسرات فلا يرون إلا حسرات مكان أعمالهم (وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ) بل هم فيها دائمون ونزل فيمن حرموا على أنفسهم البحائر ونحوها (يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا) أمر إباحة (مِمَّا فِي الْأَرْضِ) من للتبعيض لأن كل مافى الأرض ليس بمأكول (حَلَالًا) مفعول كلوا أو حال مما فى الأرض (طَيِّبًا) طاهرا من كل شبهة (وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ) طرقه التى يدعوكم إليها بسكون الطاء أبو عمر غير عباس ونافع وحمزة وأبو بكر ، والخطوة فى الأصل مابين قدمى الخاطى يقال

اتبع خطواته إذا اقتدى به واستن بسنته (إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) ظاهر المداوة لاخفاء به. وأبان متعد ولازم . ولا يناقض هذه الآية قوله تعالى : والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت أى الشيطان لأنه عدو للناس حقيقة ووليهم ظاهراً فإنه يريهم فى الظاهر الموالاة ويزين لهم أعمالهم ويريد بذلك هلاكهم فى الباطن (إِنَّمَا يَأْمُرُكُم) بيان لوجوب الانتهاء عن اتباعه وظهور عداوته أى لايأمركم بخير قط إنما يأمركم (بِالسُّوءِ) بالقبيح (وَالْفَحْشَاءِ) وما يتجاوز الحد فى القبح من العظائم : وقيل السوء مالاحد فيه والفحشاء مافيه حد (وَأَن تَقُولُوا) فى موضع الجر بالعطف على بالسوء أى وبأن تقولوا (عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) هو قولكم هذا حلال وهذا حرام بغير علم ويدخل فيه كل مايضاف إلى الله تعالى مما لايجوز عليه (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللهُ) الضمير للناس . وعدل بالخطاب عنهم على طريق الالتفاف قيل هم المشركون. وقيل طائفة من اليهود لما دعاهم رسول ﷺ إلى الإيمان واتباع القرآن ، (قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا) وجدنا (عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا) فإنهم كانوا خيراً منا وأعلم فرد الله عليهم بقوله (أَوَلَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ) الواو للحال والهمزة بمعنى الرد والتعجب معناه أيتبعونهم ولو كان آباؤهم (لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً) من الدين (وَلَا يَهْتَدُونَ) للصواب ثم ضرب لهم مثلا فقال (وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا) المضاف محذوف أى ومثل داعى الذين كفروا (كَمَثَلِ الَّذِى يَنْعِقُ) يصيح والمراد (بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً) البهائم والمعنى ومثل داعيهم إلى الإيمان فى أنهم لايسمعون من الدعاء إلا جرس النغمة ودوى الصوت من غير إلقاء أذهان ولا استبصار كمثل الناعق بالبهائم التى لاتسمع إلا دعاء الناعق ونداءه الذى هو تصويت بها وزجر لها ولاتفقه شيئاً آخر كما يفهم العقلاء. والنعيق: التصويت، يقال نعق المؤذن ونعق الراعى بالضأن والنداء مايسمع والدعاء قد يسمع وقد لايسمع (صُمٌّ) خبر مبتدإ مضمر أى هم صم (بُكْمٌ) خبر ثان (عُمْىٌ) عن الحق خبر ثالث (فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) الموعظة ثم بين أن ماحرمه المشركون حلال فقال : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ) من مستلذاته أومن حلالاته (وَاشْكُرُوا اللهِ) الذى رزقكموها (إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) إن صح أنكم تختصونه بالعبادة وتقرون أنه معطى النعم ثم بين المحرم فقال (إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ) وهى كل مافارقه الروح من غير ذكاة مما يذبح وإنما لإثبات المذكور ونفى ماعداه أى ماحرم عليكم

إلا الميتة (وَالدَّمَ) يعنى السائل لقوله فى موضع آخر: أودما مسفوحا. وقد حلت الميتتان والدمان بالحديث «أحلت لنا ميتتان ودمان: السمك والجراد والكبد والطحال» (وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ) يعنى الخنزير بجميع أجزائه وخص اللحم لأنه المقصود بالأكل (وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ) أى ذبح للأصنام فذكر عليه غير اسم الله وأصل الإهلال رفع الصوت أى رفع به الصوت للصنم، وذلك قول أهل الجاهلية باسم اللات والعزى (فَمَنِ اضْطُرَّ) أى ألجىء بكسر النون بصرى وحمزة وعاصم لالتقاء الساكنين أعنى النون والضاد وبضمها غيرهم لضمة الطاء (غَيْرَ) حال أى أكل غير (بَاغٍ) للذة وشهوة (وَلَا عَادٍ) متعد مقدار الحاجة . وقول من قال غير باغ على الإمام ولا عاد فى سفر حرام ضعيف لأن سفر الطاعة لايبيح بلا ضرورة والحبس بالحضر يبيح بلاسفر ولأن بغيه لايخرج عن الإيمان فلا يستحق الحرمان. والمضطر يباح له قدر مايقع به القوام وتبقى معه الحياة دون ما فيه حصول الشبع لأن الإباحة للاضطرار فتقدر بقدر ماتندفع الضرورة (فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ) فى الأكل (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) للذنوب الكبائر فأنى يؤاخذ بتناول الميتة عند الاضطرار (رَّحِيمٌ) حيث رخص ، ونزل فى رؤساء اليهود وتغييرهم نعت النبي عليه السلام وأخذهم على ذلك الرشا (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَٰبِ) فى صفة محمد عليه السلام (وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا) أى عوضاً أو ذا ثمن (أُوْلَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ) ملء بطونهم تقول: أكل فلان فى بطنه وأكل فى بعض بطنه (إِلَّا النَّارَ) لأنه إذا أكل مايتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكأنه أكل النار. ومنه قولهم أكل فلان الدم إذا أكل الدية التى هى بدل منه قال : * يأكلن كل ليلة إكافا * أى ثمن إكاف فسماه إكافا لتلبسه به بكونه ثمناً له . (وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ) كلاما يسرهم ولكن بنحو قوله : اخسئوا فيها ولا تكلمون . (وَلَا يُزَكِّيهِمْ) ولا يطهرهم من دنس ذنوبهم أولا يثنى عليهم (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم لحرف النفى مع الفعل خبر أولئك وأولئك مع خبره خبر إن والجمل الثلاث معطوفة على خبر إن فقد صار لإن أربعة أخبار من الجمل . (أُوْلَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَٰلَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ) بكتمان نعت محمد عليه السلام (فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ) فأى شىء أصبرهم على عمل يؤدى إلى النار . وهذا استفهام معناه التوبيخ (ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ) أى ذلك

العذاب بسبب أن الله نزل مانزل من الكتب بالحق . (وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا) أى أهل الكتاب (فِى الْكِتَٰبِ) هو للجنس أى فى كتب الله فقالوا فى بعضها حق وفى بعضها باطل (لَفِى شِقَاقٍ) خلاف (بَعِيدٍ) عن الحق أو كفرهم ذلك بسبب أن الله نزل القرآن بالحق كما يعلمون وإن الذين اختلفوا فيه لفى شقاق بعيد عن الهدى (لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا) أى ليس البر توليتكم (وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ) والخطاب لأهل الكتاب لأن قبلة النصارى مشرق بيت المقدس وقبلة اليهود مغربه وكل واحد من الفريقين يزعم أن البر التوجه إلى قبلته فرد عليهم بأن البر ليس فيما أنتم عليه فإنه منسوخ (وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ) بر (مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ) أو ذا البر من آمن والقولان على حذف المضاف والأول أجود والبر اسم للخير ولكل فعل مرضى وقيل كثر خوض المسلمين وأهل الكتاب فى أمر القبلة فقيل ليس البر العظيم الذى يجب أن تذهلوا بشأنه عن سائر صنوف البر أمر القبلة ولكن البر الذى يجب الاهتمام به برمن آمن وقام بهذه الأعمال ليس البر بالنصب . على أنه خبر ليس واسمه أن تولوا حمزة وحفص ولكن البر نافع وشامى وعن المبرد لو كنت ممن يقرأ القرآن لقرأت ولكن البر وقرئ ولكن البار (وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) أى يوم البعث (وَالْمَلَٰٓئِكَةِ وَالْكِتَٰبِ) أى جنس كتب الله أو القرآن (وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ) أى على حب الله أو حب المال أو حب الإيتاء يريد أن يعطيه وهو طيب النفس بإعطائه (ذَوِى الْقُرْبَىٰ) أى القرابة وقدمهم لأنهم أحق . قال عليه الصلاة والسلام: «صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذوى رحمك صدقة وصلة» (وَالْيَتَٰمَىٰ) والمراد الفقراء من ذوى القربى واليتامى وإنما أطلق لعدم الإلباس (وَالْمَسَٰكِينَ) المسكين الدائم السكون إلى الناس لأنه لاشىء له كالسكير للدائم السكر (وَابْنَ السَّبِيلِ) المسافر المنقطع وهو جنس وإن كان مفردا لفظا وجعل ابنا للسبيل لملازمته له أو الضيف (وَالسَّآئِلِينَ) المستطعمين (وَفِى الرِّقَابِ) وفى معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم أوفى الأسارى (وَأَقَامَ الصَّلَوٰةَ) المكتوبة (وَءَاتَى الزَّكَوٰةَ) المفروضة قيل هو تأكيد للأول وقيل المراد بالأول نوافل الصدقات والمبار (وَالْمُوفُونَ) عطف على من آمن (بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا) الله والناس (وَالصَّٰبِرِينَ) نصب على المدح والاختصاص إظهارا لفضل الصبر فى الشدائد ومواطن القتال على سائر الأعمال . (فِى الْبَأْسَآءِ) الفقر والشدة

(وَالضَّرَّآءِ) المرض والزمانة (وَحِينَ الْبَأْسِ) وقت القتال (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا) أى أهل هذه الصفة هم الذين صدقو فى الدين (وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) روى أنه كان بين حيين من أحياء العرب دماء فى الجاهلية وكان لأحدهما طول على الآخر فأقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالأنثى والاثنين بالواحد فتحاكموا إلى رسول الله ﷺ حين جاء الله بالإسلام فنزل (يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ) أى فرض (عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ) وهو عبارة عن المساواة وأصله من قص أثره واقتصه إذا اتبعه ومنه القاص لأنه يتبع الآثار والأخبار (فِي الْقَتْلَى) جمع قتيل والمعنى فرض عليكم اعتبار المماثلة والمساواة بين القتلى (الْحُرُّ بِالْحُرِّ) مبتدأ وخبر أى الحر مأخوذ أومقتول بالحر (وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ) وقال الشافعى رحمه الله لايقتل الحر بالعبد لهذا النص وعندنا يجرى القصاص بين الحر والعبد بقوله تعالى: أن النفس بالنفس. كما بين الذكر والأنثى وبقوله عليه السلام «المسلمون تتكافأ دماؤهم» وبأن التفاضل غير معتبر فى الأنفس بدليل أن جماعة لوقتلوا واحداً قتلوا به وبأن تخصيص الحكم بنوع لاينفيه عن نوع آخر بل يبقى الحكم فيه موقوفاً على ورود دليل آخر وقد ورد كما بينا (فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ) قالوا العفو ضد العقوبة. يقال عفوت عن فلان إذا صفحت عنه وأعرضت عن أن تعاقبه وهو يتعدى بعن إلى الجانى وإلى الجناية ثم عفونا عنكم ويعفو عن السيئات وإذا اجتمعا عدى إلى الاول باللام فتقول عفوت له عن ذنبه ومنه الحديث «عفوت لكم عن صدقة الخيل والرقيق» وقال الزجاج من عفى له أى من ترك له القتل بالدية وقال الأزهرى العفو فى اللغة الفضل ومنه : يسألونك ماذا ينفقون قل العفو. ويقال عفوت لفلان بمال إذا أفضلت له وأعطيته وعفوت له عما لى عليه إذا تركته ومعنى الآية عند الجمهور فمن عفى له من جهة أخيه شيء من العفو على أن الفعل مسند إلى المصدر كما فى سير بزيد بعض السير والأخ ولى المقتول وذكر بلفظ الأخوة بعثاً له على العطف لما بينهما من الجنسية والإسلام ومن هو القاتل المعفو له عما جنى وترك المفعول الآخر استغناء عنه. وقيل أقيم له مقام عنه والضمير فى له وأخيه لمن، وفى إليه للأخ أوللمتبع الدال عليه فاتباع لأن المعنى فليتبع الطالب القاتل بالمعروف بأن يطالبه مطالبة جميلة وليؤد إليه المطلوب أى القاتل بدل الدم أداء بإحسان بأن لا يمطله ولا يبخسه وإنما قيل شيء من العفو ليعلم أنه إذا عفا عن بعض الدم أو عفا عنه بعض الورثة

م العفو وسقط القصاص ومن فسر عُفِى بترك جعل شىء مفعولا به، وكذا من فسره بأعطى يعنى أن الولى إذا أعطى له شىء من مال أخيه يعنى القاتل بطريق الصلح فليأخذه بمعروف من غير تعنيف وليؤده القاتل إليه بلاتسويف وارتفاع اتباع بأنه خبر مبتدأ مضمر أى فالواجب اتباع (ذَٰلِكَ) الحكم المذكور من العفو وأخذ الدية (تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ) فإنه كان فى التوراة القتل لاغير وفى الإنجيل العفو بغير بدل لا غير وأبيح لنا القصاص والعفو وأخذ المال بطريق الصلح توسعة وتيسيرا. والآية تدل على أن صاحب الكبيرة مؤمن للوصف بالإيمان بعد وجود القتل ولبقاء الأخوّة الثابتة بالإيمان ولاستحقاق التخفيف والرحمة (فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ) التخفيف فتجاوز ماشرع له من قتل غير القاتل أو القتل بعد أخذ الدية (فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ) نوع من العذاب شديد الألم فى الآخرة (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ) كلام فصيح لما فيه من الغرابة إذ القصاص قتل وتفويت للحياة وقد جعل ظرفا للحياة وفى تعريف القصاص وتنكير الحياة بلاغة بينة لأن المعنى ولكم فى هذا الجنس من الحكم الذى هو القصاص حياة عظيمة لمنعه عما كانوا عليه من قتل الجماعة بواحد متى اقتدروا فكان القصاص حياة وأى حياة. أو نوع من الحياة وهى الحياة الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالقصاص من القاتل لأنه إذا هم بالقتل فتذكر الاقتصاص ارتدع فسلم صاحبه من القتل وهو من القود فكان شرع القصاص سبب حياة نفسين (يَا أُولِي الْأَلْبَابِ) ياذوى العقول (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) القتل حذرا من القصاص (كُتِبَ) فرض (عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ) أى إذا دنا منه فظهرت أمارته (إِن تَرَكَ خَيْرًا) مالا كثيرا لما روى عن على رضى الله عنه إن مولى له أراد أن يوصى وله سبعمائة فمنعه وقال: قال الله تعالى: إن ترك خيرا. والخير هو المال الكثير وليس لك مال وفاعل كتب (الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ) وكانت الوصية للوارث فى بدء الإسلام فنسخت بآية المواريث كما بيناه فى شرح المنار، وقيل هى غير منسوخة لأنها نزلت فى حق من ليس بوارث بسبب الكفر لأنهم كانوا حديثى عهد بالإسلام يسلم الرجل ولايسلم أبواه وقرائبه والإسلام قطع الإرث فشرعت الوصية فيما بينهم قضاء لحق القرابة ندبا وعلى هذا لايراد بكتب فرض (بِالْمَعْرُوفِ) بالعدل وهو أن لايوصى للغنى ويدع الفقير ولا يتجاوز الثلث (حَقًّا) مصدر مؤكد أى حق ذلك حقا (عَلَى الْمُتَّقِينَ) على الذين يتقون الشرك

(فَمَن بَدَّلَهُ) فمن غير الإيصاء عن وجهه إن كان موافقاً للشرع من الأوصياء والشهود (بَعْدَ مَا سَمِعَهُ) أى الإيصاء (فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ) فما إثم التبديل إلا على مبدليه دون غيرهم من الموصى والموصى له لأنهما بريئان من الحيف (إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ) لقول الموصى (عَلِيمٌ) بجور المبدل (فَمَنْ خَافَ) علم وهذا شائع فى كلامهم يقولون أخاف أن ترسل السماء ويريدون الظن الغالب الجارى مجرى العلم (مِن مُّوصٍ) موَصّ كوفى غير حفص (جَنَفاً) ميلا عن الحق بالخطإ فى الوصية (أَوْ إِثْماً) تعمدا للحيف (فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ) بين الموصى لهم وهم الوالدان والأقربون بإجرائهم على طريق الشرع (فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ) حينئذ لأن تبديله تبديل باطل إلى حق ذكر من يبدل بالباطل ثم من يبدل بالحق ليعلم أن كل تبديل لا يؤثم وقيل هذا فى حال حياة الموصى أى فمن حضر وصيته فرآه على خلاف الشرع فنهاه عن ذلك وحمله على الصلاح فلا إثم على هذا الموصى بما قال أولا (إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ) أى فرض (عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ) هو مصدر صام والمراد صيام شهر رمضان (كَمَا كُتِبَ) أى كتابة مثل ما كتب فهو صفة مصدر محذوف (عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ) على الأنبياء والأمم من لدن آدم عليه السلام إلى عهدكم فهو عبادة قديمة والتشبيه باعتبار أن كل أحد له صوم أيام أى أنتم متعبدون بالصيام فى أيام كما تعبد من كان قبلكم (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) المعاصى بالصيام لأن الصيام أظلف لنفسه وأردع لها من مواقعة السوء أو لعلكم تنتظمون فى زمرة المتقين إذ الصوم شعارهم وانتصاب (أَيَّامًا) بالصيام أى كتب عليكم أن تصوموا أياماً (مَّعْدُودَٰتٍ) موقتات بعدد معلوم أى قلائل وأصله أن المال القليل يقدر بالعدد لا الكثير (فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً) يخاف من الصوم زيادة المرض (أَوْ عَلَى سَفَرٍ) أو راكب سفر (فَعِدَّةٌ) فعليه عدة أى فأفطر فعليه صيام عدد أيام فطره والعدة بمعنى المعدود أى أمر أن يصوم أياماً معدودة مكانها (مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ) سوى أيام مرضه وسفره. وأخر لا ينصرف للوصف والعدل عن الألف واللام لأن الأصل فى فعلى صفة أن تستعمل فى الجمع بالألف واللام كالكبرى والكبر والصغرى والصغر (وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ) وعلى المطيقين للصيام الذين لا عذر لهم إن أفطروا (فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ) نصف صاع من بر أو صاع من غيره. فطعام بدل من فدية. فدية طعام مساكين مدنى وابن ذكوان وكان ذلك فى

بدء الإسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم فرخص لهم فى الإفطار والفدية ثم نسخ التخيير بقوله : فمن شهد منكم الشهر فليصمه . ولهذا كرر قوله: فمن كان منكم مريضاً أو على سفر. لأنه لما كان مذكوراً مع المنسوخ ذكر مع الناسخ ليدل على بقاء هذا الحكم وقيل معناه لايطيقونه فأضمر لا لقراءة حفصة كذلك وعلى هذا لا يكون منسوخاً (فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا) فزادعلى مقدار الفدية (فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ) فالتطوع أوالخير خيرله يطوع بمعنى يتطوع حمزة وعلى (وَأَن تَصُومُوا) أيها المطيقون (خَيْرٌ لَّكُمْ) من الفدية وتطوع الخير وهذا فى الابتداء وقيل وأن تصوموا فى السفر والمرض خير لكم لأنه أشق عليكم (إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) شرط محذوف الجواب (شَهْرُ رَمَضَانَ) مبتدأ خبره (الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ) أى ابتدىء فيه إنزاله وكان فى ليلة القدر أوأنزل فى شأنه القرآن وهو قوله تعالى: كتب عليكم الصيام وهو بدل من الصيام أوخبر مبتدأ محذوف أى هو شهر والرمضان مصدر رمض إذا احترق من الرمضاء فأضيف إليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف للتعريف والألف والنون وسموه بذلك لارتماضهم فيه من حر الجوع ومقاساة شدته ولأنهم سموا الشهور بالأزمنة التى وقعت فيها فوافق هذا الشهر أيام رمض الحر فإن قلت ماوجه ماجاء فى الحديث «من صام رمضان إيماناًواحتساباً» مع أن التسمية واقعة مع المضاف والمضاف إليه جميعاً قلت هو من باب الحذف لأمن الإلباس . القران حيث كان غير مهموز مكى وانتصب (هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ) على الحال أى أنزل وهو هداية للناس إلى الحق وهو آيات واضحات مكشوفات مما يهدى إلى الحق ويفرق بين الحق والباطل ذكر أولا أنه هدى ثم ذكر أنه بينات من جملة ماهدى به الله وفرق بين الحق والباطل من وحيه وكتبه السماوية الهادية الفارقة بين الهدى والضلال (فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ) فمن كان شاهداً أى حاضراً مقيما غير مسافر فى الشهر فليصم فيه ولا يفطر والشهر منصوب على الظرف وكذا الهاء فى ليصمه ولا يكون مفعولا به لأن المقيم والمسافر كلاهما شاهدان للشهر (وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ) فعدة مبتدأ والخبر محذوف أى فعليه عدة أى صوم عدة (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ) حيث أباح الفطر بالسفر والمرض (وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) ومن فرض الفطر على المريض والمسافر حتى لوصاما تجب عليهما الإعادة فقدعدل عن موجب هذا (وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ)

عدة ماأفطرتم بالقضاء إذا زال المرض والسفر والفعل المعلل محذوف مدلول عليه بما سبق تقديره لتعلموا ولتكملوا العدة (وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَىٰ مَاهَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)شرع ذلك يعنى جملة ماذكر من أمر الشاهد بصوم الشهر وأمر المرخص له بمراعاة عدة ماأفطر فيه ومن الترخيص فى إباحة الفطر فقوله: لتكملوا علة الأمر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ماعلم من كيفية القضاء والخروج من عهدة الفطر ولعلكم تشكرون علة الترخيص وهذا نوع من اللف اللطيف المسلك. وعدى التكبير بعلى لتضمنه معنى الحمد كأنه قيل لتكبروا الله أى لتعظموه حامدين على ماهداكم إليه ولتكملوا بالتشديد أبو بكر. ولما قال إعرابى لرسول الله ﷺ: أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه نزل (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ) علما وإجابة لتعاليه عن القرب مكاناً (أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ) الداعى دعانى فى الحالين سهل ويعقوب ووافقهما أبو عمرو ونافع غير قالون فى الوصل غيرهم بغير ياء فى الحالين ثم إجابة الدعاء وعد صدق من الله لا خلف فيه غير أن إجابة الدعوة تخالف قضاء الحاجة فإجابة الدعوة أن يقول العبد يارب فيقول الله لبيك عبدى .وهذا أمر موعود موجود لكل مؤمن وقضاء الحاجة إعطاء المراد وذا قد يكون ناجزا وقد يكون بعد مدة وقد يكون فى الآخرة وقد تكون الخيرة له فى غيره (فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى) إذا دعوتهم للإيمان والطاعة كما أنى أجيبهم إذا دعونى لحوائجهم (وَلْيُؤْمِنُوا بِى) واللام فيهما للأمر (لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) ليكونوا على رجاء من إصابة الرشد وهو ضد الغى كان الرجل إذا أمسى حل له الأكل والشرب والجماع إلى أن يصلى العشاء الآخرة أو يرقد فإذا صلاها أو رقد ولم يفطر حرم عليه الطعام والشراب والنساء إلى القابلة ثم إن عمر رضى الله عنه واقع أهله بعد صلاة العشاء الآخرة فلما اغتسل أخذ يبكى ويلوم نفسه فأتى النبى عليه السلام وأخبره بما فعل فقال عليه السلام ما كنت جديراً بذلك فنزل (أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ) أى الجماع (إِلَى نِسَائِكُمْ) عدى بإلى لتضمنه معنى الإفضاء وإنما كنى عنه بلفظ الرفث الدال على معنى القبح ولم يقل الإفضاء إلى نسائكم استقباحا لما وجد منهم قبل الإباحة كما سماه اختيانا لأنفسهم، ولما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه فى عناقه شبه باللباس المشتمل عليه بقوله تعالى : (هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ) وقيل لباس أى ستر عن الحرام وهن لباس لكم استئناف كالبيان لسبب الإحلال وهو أنه إذا كانت بينكم وبينهن مثل هذه المخالطة

والملابسة قل صبركم عنهن وصعب عليكم اجتنابهن فلذا رخص لكم فى مباشرتهن (عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ) تظلمونها بالجماع وتنقصونها حظها من الخير. والاختيان من الخيانة كالاكتساب من الكسب فيه زيادة وشدة (فَتَابَ عَلَيْكُمْ) حين تبتم مما ارتكبتم من المحظور (وَعَفَا عَنكُمْ) مافعلتم قبل الرخصة (فَالْئَنَ بَٰشِرُوهُنَّ) جامعوهن فى ليالى الصوم وهو أمر اباحة وسميت المجامعة مباشرة لالتصاق بشرتيهما (وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ) واطلبوا ما قسم الله لكم وأثبت فى اللوح من الولد بالمباشرة أى لاتباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن لابتغاء ماوضع الله له النكاح من التناسل أو وابتغوا المحل الذى كتبه الله لكم وحلله دون ما لم يكتب لكم من المحل المحرم (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ) هو أول مايبدو من الفجر المعترض فى الأفق كالخيط الممدود (مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ) وهو مايمتد من سواد الليل شبها بخيطين أبيض وأسود لامتدادهما (مِنَ الْفَجْرِ) بيان أن الخيط الأبيض من الفجر لامن غيره واكتفى به عن بيان الخيط الأسود لأن بيان أحدهما بيان للآخر أو من للتبعيض لأنه بعض الفجر وأوله وقوله من الفجر أخرجه من باب الاستعارة وصيره تشبيها بليغاً كما أن قولك رأيت أسداً مجاز فإذا زدت من فلان رجع تشبيها. وعن عدى ابن حاتم قال عمدت إلى عقالين أبيض وأسود فجعلتهما تحت وسادتى فنظرت إليهما فلم يتبين لى الأبيض من الأسود فأخبرت النبى عليه السلام بذلك فقال إنك لعريض القفا أى سليم القلب لأنه مما يستدل به على بلاهة الرجل وقلة فطنته إنما ذلك بياض النهار وسواد الليل وفى قوله (ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ) أى الكف عن هذه الأشياء دليل على جواز النية بالنهار فى صوم رمضان وعلى جواز تأخير الغسل إلى الفجر وعلى نفى الوصال وعلى وجوب الكفارة فى الأكل والشرب وعلى أن الجنابة لاتنافى الصوم (وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى الْمَسَٰجِدِ) معتكفون فيها. بين أن الجماع يحل فى ليالى رمضان لكن لغير المعتكف والجملة فى موضع الحال وفيه دليل على أن الاعتكاف لايكون إلا فى المسجد وأنه لايختص به مسجد دون مسجد (تِلْكَ) الأحكام التى ذكرت (حُدُودُ اللهِ) أحكامه المحدودة (فَلَا تَقْرَبُوهَا) بالمخالفة والتغيير (كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ ءَايَٰتِهِ) شرائعه (لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) المحارم (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم) أى لايأكل بعضكم مال بعض (بِالْبَٰطِلِ) بالوجه الذى لم

يبحه الله ولم يشرعه (وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ) ولا تدلوا بها فهو مجزوم داخل فى حكم النهى يعنى ولاتلقوا أمرها والحكومة فيها إلى الحكام (لِتَأْكُلُوا) بالتحاكم (فَرِيقًا) طائفة (مِّنْ أَمْوَٰلِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ) بشهادة الزور أو بالأيمان الكاذبة أو بالصلح مع العلم بأن المقضى له ظالم وقال عليه السلام للخصمين إنما أنا بشر وأنتم تختصمون إلى ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض فأقضى له على نحو ماأسمع منه فمن قضيت له بشىء من حق أخيه فلا يأخذن منه شيئاً فإن ماأقضى له قطعة من نار فبكيا وقال كل واحد منهما حق لصاحبي وقيل وتدلوا بها وتلقوا بعضها إلى حكام السوء على وجه الرشوة يقال أدلى دلوه أى ألقاه فى البئر للاستقاء (وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) أنكم على الباطل وارتكاب المعصية مع العلم بقبحها أقبح وصاحبه بالتوبيخ أحق. قال معاذ بن جبل يارسول الله مابال الهلال يبدو دقيقاً مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلىء ويستوى ثم لايزال ينقص حتى يعود كما بدا لا يكون على حالة واحدة كالشمس فنزل (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ) جمع هلال سمى به لرفع الناس أصواتهم عند رؤيته (قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ) أى معالم يوقت بها الناس مزارعهم ومتاجرهم ومحال ديونهم وصومهم وفطرهم وعدة نسائهم وأيام حيضهن ومدة حملهن وغير ذلك ومعالم للحج يعرف بها وقته كان ناس من الأنصار إذا احرموا لم يدخل أحد منهم حائطاً ولا داراً ولا فسطاطاً من باب فإن كان من أهل المدر نقب نقباً فى ظهر بيته منه يدخل ويخرج وإن كان من أهل الوبر خرج من خلف الخباء فنزل (وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا) أى ليس البر بتحرجكم من دخول الباب ولا خلاف فى رفع البر هنا لأن الآية ثمة تحتمل الوجهين كما بينا فجاز الرفع والنصب ثمة وهذه لا تحتمل إلا وجها واحداً وهو الرفع إذ الباء لاتدخل إلا على خبر ليس (وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ) بر (مَنِ اتَّقَىٰ) ماحرم الله. البيوت وبابه مدنى وبصرى وحفص وهو الأصل مثل كعب وكعوب ومن كسر الباء فلمكان الياء بعدها ولكن هى توجب الخروج من كسر إلى ضم وكأنه قيل لهم عند سؤالهم عن الأهلة وعن الحكمة فى نقصانها وتمامها. معلوم أن كل مايفعله الله تعالى لا يكون إلا حكمة فدعوا السؤال عنه وانظروا فى خصلة واحدة تفعلونها مما ليس من البر فى شىء وأنتم تحسبونها براً فهذا وجه اتصاله بما قبله ويحتمل أن يكون ذلك على طريق

الاستطراد لما ذكر أنها مواقيت الحج لأنه كان من أفعالهم فى الحج ويحتمل أن يكون هذا تمثيلا لتعكيسهم فى سؤالهم وإن مثلهم فيه كمثل من يترك باب البيت ويدخل من ظهره والمعنى ليس البر وماينبغى أن تكونوا عليه بأن تعكسوا فى مسائلكم ولكن البر بر من اتقى ذلك وتجنبه ولم يجسر على مثله (وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا) وباشروا الأمور من وجوهها التى يجب أن تباشر عليها ولا تعكسوا أو المراد وجوب الاعتقاد بأن جميع أفعاله تعالى حكمة وصواب من غير اختلاج شبهة ولااعتراض شك فى ذلك حتى لايسئل عنه لما فى السؤال من الاتهام بمقارنة الشك لايسئل عما يفعل وهم يسئلون (وَاتَّقُوا اللهَ) فيم أمركم به ونهاكم عنه (لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) لتفوزوا بالنعيم السرمدى (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ) المقاتلة فى سبيل الله الجهاد لإعلاء كلمة الله وإعزاز الدين (الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ) يناجزونكم القتال دون المحاجزين وعلى هذا يكون منسوخا بقوله تعالى وقاتلوا المشركين كافة وقيل هى أول آية نزلت فى القتال فكان رسول الله ﷺ يقاتل من قاتل ويكف عمن كف أو الذين يناصبونكم القتال دون من ليس من أهل المناصبة من الشيوخ والصبيان والرهبان والنساء أو الكفرة كلهم لأنهم قاصدون لمقاتلة المسلمين فهم فى حكم المقاتلة (وَلَا تَعْتَدُوا) فى ابتداء القتال أو بقتال من نهيتم عنه من النساء والشيوخ ونحوهما أو بالمثلة (إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ) وجدتموهم والثقف الوجود على وجه الأخذ والغلبة (وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ)أى من مكة وعدهم الله تعالى فتح مكة بهذه الآية وقد فعل رسول الله ﷺ بمن لم يسلم منهم يوم الفتح (وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ) أى شركهم بالله أعظم من القتل الذى يحل بهم منكم وقيل الفتنة عذاب الآخرة وقيل المحنة والبلاء الذى ينزل بالإنسان فيعذب به أشد عليه من القتل وقيل لحكيم ما أشد من الموت قال الذى يتمنى فيه الموت فقد جعل الإخراج من الوطن من الفتن التى يتمنى عندها الموت (وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ) أى ولاتبدءوا بقتالهم فى الحرم حتى يبدءوا فعندنا المسجد الحرم يقع على الحرم كله (فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ) فى الحرم فعندنا يقتلون فى الأشهر الحرم لافى الحرم إلا أن يبدءوا بالقتال معنا فحينئذ نقتلهم وإن كان ظاهر قوله واقتلوهم حيث ثقفتموهم يبيح القتل فى الأمكنة كلها لكن لقوله ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه خص الحرم إلاعند البداءة منهم كذا فى شرح التأويلات

(كَذَٰلِكَ جَزَآءُ الْكَٰفِرِينَ) مبتدأ وخبر. ولاتقتلوهم حتى يقتلوكم فإن قتلوكم حمزة وعلى (فَإِنِ انتَهَوْا)عن الشرك والقتال (فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) لما سلف من طغيانهم (رَّحِيمٌ) بقبول توبتهم وإيمانهم (وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ) شرك وكان تامة وحتى بمعنى كى أوالى أن (وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ) خالصا ليس للشيطان فيه نصيب أى لايعبد دونه شىء (فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى الظَّٰلِمِينَ) فإن امتنعوا عن الكفر فلا تقاتلوهم فإنه لا عدوان إلا على الظالمين ولم يبقوا ظالمين أوفلا تظلموا إلاالظالمين غير المنتهين سمى جزاء الظالمين ظلما للمشاكلة كقوله: فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه . قاتلهم المشركون عام الحديبية فى الشهر الحرام وهو ذوالقعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء وكراهتهم القتال وذلك فى ذى القعدة (الشَّهْرُ الْحَرَامُ) مبتدأ خبره (بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ) أى هـذا الشهر بذلك الشهر وهتكه بهتكه يعنى تهتكون حرمته عليهم كما هتكوا حرمته عليكم (وَالْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ) أى وكل حرمة يجرى فيها القصاص. من هتك حرمة أى حرمة كانت اقتص منه بأن تهتك له حرمة فحين هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم نحو ذلك ولاتبالوا وأكد ذلك بقوله(فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ)من شرطية والباء غيرزائدة والتقدير بعقوبة مماثلة لعدوانهم أو زائدة وتقديره عدوانا مثل عدوانهم (وَاتَّقُوا اللَّهَ) فى حال كونكم منتصرين ممن اعتدى عليكم فلاتعتدوا إلى مالايحل لكم (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) بالنصر(وَأَنفِقُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ) تصدقوا فى رضا الله وهوعام فى الجهاد وغيره(وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ) أى أنفسكم والباء زائدة أو ولا تقتلوا أنفسكم بأيديكم كما يقال أهلك فلان نفسه بيده إذا تسبب لهلاكها والمعنى النهى عن ترك الإنفاق فى سبيل الله لأنه سبب الهلاك أوعن الإسراف فى النفقة حتى يفقر نفسه ويضيع عياله أو عن الإخطار بالنفس أو عن ترك الغزو الذى هو تقوية للعدو والتهلكة والهلاك والهلك واحد (وَأَحْسِنُوا)الظن بالله فى الإخلاف(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) إلى المحتاجين (وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ) وأدوهما تامين بشرائطهما وفرائضهما لوجه الله تعالى بلا توان ولا نقصان وقيل الإتمام يكون بعد الشروع فهو دليل على أن من شرع فيهما لزمه إتمامهما وبه نقول إن العمرة تلزم بالشروع ولاتمسك للشافعى رحمه الله بالآية على لزوم العمرة لأنه أمر بإتمامها وقد يؤمر بإتمام الواجب والتطوع أو إتمامهما أن تحرم بهما

من دويرة أهلك أوأن تفرد لكل واحد منهما سفرا أو أن تنفق فيهما حلالا أو أن لا تتجر معهما (فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ) يقال أحصر فلان إذا منعه أمر من خوف أو مرض أو عجز وحصر إذا حبسه عدو عن المضى وعندنا الإحصار يثبت بكل منع من عدو أومرض أو غيرهما لظاهر النص وقد جاء فى الحديث من كسر أو عرج فقدحل أى جاز له أن يحل وعليه الحج من قابل وعند الشافعى رحمه الله الإحصار بالعدووحده وظاهر النص يدل على أن الإحصار يتحقق فى العمرة أيضا لأنه ذكر عقبهما (فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ) فما تيسر منه يقال يسر الأمر واستيسر كما يقال صعب واستصعب والهدى جمع هدية يعنى فإن منعتم من المضى إلى البيت وأنتم محرمون بحج أوعمرة فعليكم إذا أردتم التحلل ما استيسر من الهدى من بعير أوبقرة أوشاة فما رفع بالابتداء أى فعليكم ما استيسر أو نصب أى فأهدوا لهما استيسر (وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ)الخطاب للمحصرين أى لا تحلوا بحلق الرأس حتى تعلموا أن الهدى الذى بعثتموه إلى الحرم بلغ محله أى مكانه الذى يجب نحره فيه وهو الحرم وهو حجة لنا فى أن دم الإحصار لا يذبح إلا فى الحرم على الشافعى رحمه الله إذ عنده يجوز فى غير الحرم (فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا) فمن كان منكم به مرض يحوجه إلى الحلق (أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ) وهو القمل أو الجراحة (فَفِدْيَةٌ) فعليه إذا حلق فدية (مِّن صِيَامٍ) ثلاثة أيام (أَوْ صَدَقَةٍ) على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من بر (أَوْ نُسُكٍ) شاة وهو مصدر أوجمع نسيكة (فَإِذَا أَمِنتُمْ) الإحصار أى فإذا لم تحصروا وكنتم فى حال أمن وسعة (فَمَن تَمَتَّعَ)استمتع (بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ) واستمتاعه بالعمرة إلى وقت الحج انتفاعه بالتقرب بها إلى الله قبل انتفاعه بالتقرب بالحج وقيل إذا حل من عمرته انتفع باستباحة ما كان محرما عليه إلى أن يحرم بالحج (فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ) هو هدى المتعة. وهو نسك يؤكل منه ويذبح يوم النحر . (فَمَن لَّمْ يَجِدْ)الهدى(فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ) فعليه صيام ثلاثة أيام فى وقت الحج وهو أشهره ما بين الإحرامين إحرام العمرة وإحرام الحج (وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ) إذا نفرتم وفرغتم من أفعال الحج (تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ) فى وقوعها بدلا عن الهدى أو فى الثواب . أو المراد رفع الإبهام فلا يتوهم فى الواو أنها بمعنى الإباحة كما فى جالس الحسن وابن سيرين . ألا ترى أنه لو جالسهما أوواحدا منهما كان ممتثلا (ذَٰلِكَ) إشارة إلى التمتع عندنا إذ لا تمتع ولا قران لحاضرى المسجد الحرام عندنا وعند الشافعى

رحمه الله إلى الحكم الذى هو وجوب الهدى أوالصيام ولم يوجب عليهم شيئا (لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ) هم أهل المواقيت فمن دونها إلى مكة (وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ) فيما أمركم به ونهاكم عنه فى الحج وغيره (وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ) لمن لم يتقه (ٱلْحَجُّ) أى وقت الحج كقولك البرد شهران (أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ) معروفات عند الناس لا يشكلن عليهم وهى شوال وذ القعدة وعشر ذو الحجة . وفائدة توقيت الحج بهذه الأشهر أن شيئا من أفعال الحج لا يصح إلا فيها وكذا الإحرام عند الشافعى رحمه الله وعندنا وان انعقد لكنه مكروه وجمعت أى الأشهر لبعض الثالث . أو لأن اسم الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما (فَمَن فَرَضَ) ألزم نفسه بالإحرام (فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ) فى هذه الأشهر (فَلَا رَفَثَ) هو الجماع أو ذكره عند النساء أو الكلام الفاحش (وَلَا فُسُوقَ) هو المعاصى أو السباب لقوله عليه السلام «سباب المؤمن فسوق» أو التنابز بالألقاب لقوله تعالى : بئس الاسم الفسوق (وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ) ولامراء مع الرفقاء والخدم والمكارين وإنما أمر باجتناب ذلك وهو واجب الاجتناب فى كل حال لأنه مع الحج أسمج كلبس الحرير فى الصلاة والتطريب فى قراءة القرآن . والمراد بالنفى وجوب انتفائها وأنها حقيقة بأن لا تكون وقرأ أبو عمرو ومكى الأولين بالرفع فحملاهما على معنى النهى كأنه قيل فلا يكونن رفث ولا فسوق والثالث بالنصب على معنى الإخبار بانتفاء الجدال كأنة قيل ولاشك ولا خلاف فى الحج ثم حث على الخير عقيب النهى عن الشر وأن يستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى. ومكان الجدال الوفاق والأخلاق الجميلة بقوله تعالى (وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ) اعلم بأنه عالم به يجازيكم عليه ورد قول من نفى علمه بالجزئيات . كان أهل اليمن لا يتزودون ويقولون نحن متوكلون فيكونون كلا على الناس فنزل فيهم (وَتَزَوَّدُوا۟) أى تزودوا واتقوا الاستطعام وإبرام الناس والتثقيل عليهم (فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ) أى الاتقاء عن الإبرام والتثقيل عليهم أو تزودوا للمعاد باتقاء المحظورات فإن خير الزاد اتقاؤها (وَٱتَّقُونِ) وخافوا عقابى وهو مثل دعان (يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ) ياذوى العقول يعنى أن قضية اللب تقوى الله ومن لم يتقه من الألباء فكأنه لا لب له . ونزل فى قوم زعموا أن لا حج لجمال وتاجر وقالوا هؤلاء الداجّ وليسوا بالحاج (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟) فى أن تبتغوا فى مواسم الحج (فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ) عطاء

وتفضلا وهو النفع والربح بالتجارة والكراء (فَإِذَا أَفَضْتُم) دفعتم بكثرة من إفاضة الماء وهو صبه بكثرة. وأصله أفضتم أنفسكم فترك ذكر المفعول (مِّنْ عَرَفَتٍ) هى علم للموقف سمى بجمع كأذرعات. وإنما صرفت لأن التاء فيها ليست للتأنيث بل هى مع الألف قبلها علامة جمع المؤنث وسميت بذلك لأنها وصفت لإبراهيم عليه السلام فلما رآها عرفها . وقيل التقى فيها آدم وحواء فتعارفا وفيه دليل على وجوب الوقوف بعرفة لأن الإفاضة لا تكون إلا بعده (فَاذْكُرُوا اللَّهَ) بالتلبية والتهليل والتكبير والثناء والدعوات أو بصلاة المغرب والعشاء (عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ) هو قزح وهو الجبل الذى يقف عليه الإمام وعليه الميقدة . والمشعر المعلم لأنه معلم العبادة . ووصف بالحرام لحرمته. وقيل المشعر الحرام مزدلفة، وسميت المزدلفة جمعا لأن آدم عليه السلام اجتمع فيها مع حواء وازدلف إليها أى دنا منها أو لأنه يجمع فيها بين الصلاتين أو لأن الناس يزدلفون إلى الله تعالى أى يتقربون بالوقوف فيها (وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ) ما مصدرية أو كافة أى اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة أو اذكروه كما علمكم كيف تذكرونه ولا تعدلوا عنه (وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ) من قبل الهدى (لَمِنَ الضَّالِّينَ) الجاهلين لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه وإن مخففة من الثقيلة واللام فارقة (ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ) ثم لتكن إفاضتكم من حيث أفاض الناس ولا تكن من المزدلفة . قالوا : هذا أمر لقريش بالإفاضة من عرفات إلى جمع وكانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفات ويقولون نحن قطان حرمه فلا نخرج منه. وقيل الإفاضة من عرفات مذكورة فهى الإفاضة من جمع إلى منى. والمراد بالناس على هذا الجنس ويكون الخطاب للمؤمنين (وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ) من مخالفتكم فى الموقف ونحو ذلك من جاهليتكم أو من تقصيركم فى أعمال الحج (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) بكم (فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَسِكَكُمْ) فإذا فرغتم من عباداتكم التى أمرتم بها فى الحج ونفرتم (فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ) أى فاذكروا الله ذكرا مثل ذكركم آباءكم . والمعنى فاكثروا من ذكر الله وبالغوا فيه كما تفعلون فى ذكر آبائكم ومفاخرهم وأيامهم . وكانوا إذا قضوا مناسكهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل فيعددون فضائل آبائهم ويذكرون محاسن أيامهم (أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا) أى أكثر . وهو فى موضع جر عطف على ما أضيف إليه الذكر فى قوله كذكركم كما تقولون كذكر قريش آباءهم أو قوم أشد منهم ذكرا وذكرا تمييز (فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ) فمن الذين يشهدون

الحج من يسأل الله حظوظ الدنيا فيقول (رَبَّنَا ءاتِنَا فِى الدُّنْيَا) اجعل إيتاءنا أى إعطاءنا فى الدنيا خاصة يعنى الجاه والغنى (وَمَا لَهُ فِى الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ) نصيب لأن همه مقصور على الدنيا لكفره بالآخرة . والمعنى أكثروا ذكر الله ودعاءه لأن الناس من بين مقل لا يطلب بذكر الله إلا أغراض الدنيا ومكثر يطلب خير الدارين فكونوا من المكثرين أى من الذين قيل فيهم (وَمِنْهُم) ومن الذين يشهدون الحج (مَّن يَقُولُ رَبَّنَا ءاتِنَا فِى الدُّنْيَا حَسَنَةً) نعمة وعافية . أو علماً وعبادة . (وَفِى الْآخِرَةِ حَسَنَةً) عفوا ومغفرة . أو المال والجنة . أو ثناء الخلق ورضا الحق . أوالإيمان والأمان . أوالإخلاص والخلاص . أو السنة والجنة . أو القناعة والشفاعة . أو المرأة الصالحة والحور العين . أو العيش على سعادة والبعث من القبور على بشارة . (وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) احفظنا من عذاب جهنم . أو عذاب النار امرأة السوء . (أُوْلَئِكَ) أى الداعون بالحسنتين (لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا) من جنس ما كسبوا من الأعمال الحسنة وهو الثواب الذى هو المنافع الحسنة أو من أجل ما كسبوا أو سمى الدعاء كسبا لأنه من الأعمال والأعمال موصوفة بالكسب ويجوز أن يكون أولئك للفريقين وأن لكل فريق نصيباً من جنس ما كسبوا (وَاللهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ) يوشك أن يقيم القيامة ويحاسب العباد فبادروا إكثار الذكر وطلب الآخرة أو وصف نفسه بسرعة حساب الخلائق على كثرة عددهم وكثرة أعمالهم ليدل على كمال قدرته ووجوب الحذر من نقمته . وروى أنه يحاسب الخلق فى قدر حلب شاة وروى فى مقدار لمحة (وَاذْكُرُوا اللهَ فِى أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ) هى أيام التشريق وذكر الله فيها التكبير فى أدبار الصلوات وعند الجمار (فَمَن تَعَجَّلَ) فمن عجل فى النفر أو استعجل النفر . وتعجل واستعجل يجيئان مطاوعين بمعنى عجل . يقال تعجل فى الأمر واستعجل ومتعديين يقال تعجل الذهاب واستعجله والمطاوعة أوفق لقوله ومن تأخر (فِى يَوْمَيْنِ) من هذه الأيام الثلاثة فلم يمكث حتى يرمى فى اليوم الثالث واكتفى برمى الجمار فى يومين من هذه الأيام الثلاثة (فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ) فلا يأثم بهذا التعجل (وَمَن تَأَخَّرَ) حتى رمى فى اليوم الثالث (فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى) الصيد أو الرفث والفسوق أو هو مخير فى التعجل . والتأخر وإن كان التأخر أفضل فقد يقع التخيير بين الفاضل والأفضل كما خير المسافر بين الصوم والإفطار وإن كان الصوم أفضل وقيل كان أهل الجاهلية فريقين منهم

من جعل المتعجل آثما ومنهم من جعل المتأخر آثما فورد القرآن بنفي المأثم عنهما (وَاتَّقُوا اللَّهَ) في جميع الأمور (وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) حين يبعثكم من القبور. كان الأخنس ابن شريق حلو المنطق إذا لقي رسول الله ﷺ ألان له القول وادعى أنه يحبه وأنه مسلم وقال يعلم الله أني صادق فنزل فيه (وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ) يروقك ويعظم في قلبك ومنه الشيء العجيب الذي يعظم في النفس (فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) في يتعلق بالقول أي يعجبك ما يقوله في معنى الدنيا لأنه يطلب بادعاء المحبة حظ الدنيا ولا يريد به الآخرة أو بيعجبك أي يعجبك حلو كلامه في الدنيا لا في الآخرة لما يرهقه في الموقف من الحبسة واللكنة (وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ) أي يحلف ويقول الله شاهد على ما في قلبي من محبتك ومن الإسلام (وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ) شديد الجدال والعداوة للمسلمين، والخصام المخاصمة والإضافة بمعنى في لأن أفعل يضاف إلى ما هو بعضه تقول زيد أفضل القوم ولا يكون الشخص بعض الحدث فتقديره ألد في الخصومة أو الخصام جمع خصم كصعب وصعاب والتقدير وهو أشد الخصوم خصومة (وَإِذَا تَوَلَّىٰ) عنك وذهب بعد إلانة القول وإحلاء المنطق (سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ) كما فعل بثقيف فإنه كان بينه وبينهم خصومة فبيتهم ليلا وأهلك مواشيهم وأحرق زروعهم (فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ) أي الزرع والحيوان أو إذا كان واليا فعل ما يفعله ولاة السوء من الفساد في الأرض بإهلاك الحرث والنسل وقيل يظهر الظلم حتى يمنع الله بشؤم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل (وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ وَإِذَا قِيلَ لَهُ) للأخنس (اتَّقِ اللَّهَ) في الإفساد والإهلاك (أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ) حملته النخوة وحمية الجاهلية على الإثم الذي ينهى عنه وألزمته ارتكابه أو الباء للسبب أي أخذته العزة من أجل الإثم الذي في قلبه وهو الكفر (فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ) أي كافيه (وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ) أي الفراش جهنم. ونزل في صهيب حين أراده المشركون على ترك الإسلام وقتلوا نفرا كانوا معه فاشترى نفسه بماله منهم وأتى المدينة أو فيمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ) يبيعها (ابْتِغَاءَ) لابتغاء (مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ) حيث أثابهم على ذلك (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ) وبفتح السين حجازي وعلي، وهو الاستسلام والطاعة أي استسلموا لله وأطيعوه أو الإسلام والخطاب لأهل الكتاب لأنهم آمنوا بنبيهم وكتابهم أو للمنافقين لأنهم آمنوا بألسنتهم (كَافَّةً) لا يخرج أحد منكم يده عن طاعته حال من الضمير في ادخلوا أي جميعا أو من السلم لأنها تؤنث

كأنهم أمروا أن يدخلوا فى الطاعات كلها أو فى شعب الإسلام وشرائعه كلها وكافة من الكف كأنهم كفوا أن يخرج منهم أحد باجتماعهم (وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ) وساوسه (إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) ظاهر العداوة (فَإِن زَلَلْتُم) ملتم عن الدخول فى السلم (مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ) أى الحجج الواضحة والشواهد اللائحة على أن مادعيتم إلى الدخول فيه هو الحق (فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ) غالب لايمنعه شىء من عذابكم (حَكِيمٌ) لايعذب إلا بحق وروى إن قارئاً قرأ غفور رحيم فسمعه أعرابى لم يقرأ القرآن فأنكره وقال ليس هذا من كلام الله إذ الحكيم لايذكر الغفران عند الزلل والعصيان لأنه إغراء عليه (هَلْ يَنظُرُونَ) ماينتظرون (إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ) أى أمر الله وبأسه كقوله: أو يأتى أمر ربك. فجاءها بأسنا أو المأتى به محذوف بمعنى أن يأتيهم الله ببأسه للدلالة عليه بقوله: فاعلموا أن الله عزيز (فِي ظُلَلٍ) جمع ظلة وهى ما أظلك (مِّنَ الْغَمَامِ) السحاب. وهو للتهويل إذ الغمام مظنة الرحمة أنزل منه العذاب كان الأمر أفظع وأهول (وَالْمَلَائِكَةُ) أى وتأتى الملائكة الذين وكلوا بتعذيبهم أو المراد حضورهم يوم القيامة (وَقُضِيَ الْأَمْرُ) أى وتم أمر إهلاكهم وفرغ منه (وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ) أى أنه ملك العباد بعض الأمور فترجع إليه الأمور يوم النشور ترجع الأمور حيث كان شامى وحمزة وعلى (سَلْ) أصله اسأل فنقلت فتحة الهمزة إلى السين بعد حذفها واستغنى عن همزة الوصل فصار سل. وهو أمر للرسول أو لكل أحد وهو سؤال تقريع كما يسئل الكفرة يوم القيامة (بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ) على أيدى أنبيائهم وهى معجزاتهم أو من آية فى الكتب شاهدة على صحة دين الإسلام وكم استفهامية أو خبرية (وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ) هى آياته وهى أجل نعمة من الله لأنها أسباب الهدى والنجاة من الضلالة وتبديلهم إياها، أن الله أظهرها لتكون أسباب هداهم فجعلوها أسباب ضلالتهم كقوله فزادتهم رجسا إلى رجسهم أو حرفوا آيات الكتب الدالة على دين محمد عليه السلام (مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ) من بعد ماعرفها وصحت عنده لأنه إذا لم يعرفها فكأنها غائبة عنه (فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) لمن استحقه (زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) المزين هو الشيطان زين لهم الدنيا وحسنها فى أعينهم بوساوسه وحببها إليهم فلايريدون غيرها أو الله تعالى يخلق الشهوات فيهم ولأن جميع الكائنات منه ويدل عليه قراءة من قرأ زين للذين كفروا الحياة الدنيا (وَيَسْخَرُونَ

مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا) كانوا يسخرون من فقراء المؤمنين كابن مسعود وعمار وصهيب ونحوهم أى لا يريدون غير الدنيا وهم يسخرون ممن لا حظ له فيها أو ممن يطلب غيرها (وَالَّذِينَ اتَّقَوْا) عن الشرك وهم هؤلاء الفقراء (فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ) لأنهم فى جنة عالية وهم فى وهم فى نار هاوية (وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) بغير تقتير يعنى أنه يوسع على من أراد التوسعة عليه كما وسع على قارون وغيره وهذه التوسعة عليكم من الله لحكمة وهى استدارجكم بالنعمة ولو كانت كرامة لكان المؤمنون أحق بها منكم (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً) متفقين على دين الإسلام من آدم إلى نوح عليهما السلام أو هم نوح ومن كان معه فى السفينة فاختلفوا (فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّـۧنَ) ويدل على حذفه قوله تعالى ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وقراءة عبد الله كان الناس أمة واحدة فاختلفوا وقوله تعالى وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا أو كان الناس أمة واحدة كفارا فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم والأول الأوجه (مُبَشِّرِينَ) بالثواب للمؤمنين (وَمُنذِرِينَ) بالعقاب للكافرين وهما حالان (وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَـٰبَ) أى مع كل واحد منهم كتابه (بِالْحَقِّ) بتبيان الحق (لِيَحْكُمَ) الله أو الكتاب أو النبى المنزل عليه (بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ) فى دين الإسلام الذى اختلفوا فيه بعد الاتفاق (وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ) فى الحق (إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ) أى الكتاب المنزل لإزاله الاختلاف أى ازدادوا فى الاختلاف لما أنزل عليهم الكتاب (مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ الْبَيِّنَـٰتُ) على صدقه (بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ) مفعول له أى حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا وقلة إنصاف منهم (فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ) أى هدى الله الذين آمنوا للحق الذى اختلف فيه من اختلف فيه (مِنَ الْحَقِّ) بيان لما اختلفوا فيه (بِإِذْنِهِ) بعلمه (وَاللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ أَمْ حَسِبْتُمْ) أم منقطعة لا متصلة لأن شرطها أن يكون قبلها همزة الاستفهام كقولك أعندك زيد أم عمرو أى أيهما عندك وجوابه زيد إن كان عنده زيد أو عمرو إن كان عنده عمرو وأما أم المنقطعة فتقع بعد الاستفهام وبعد الخبر وتكون بمعنى بل والهمزة، والتقدير بل أحسبتم ومعنى الهمزة فيها للتقرير وإنكار الحسبان واستبعاده . لما ذكر ما كانت عليه الأمم من الاختلاف على النبيين بعد مجىء البينات تشجيعاً لرسول الله ﷺ والمؤمنين على الثبات والصبر مع الذين اختلفوا عليه من المشركين وأهل الكتاب وإنكارهم لآياته وعداوتهم له قال لهم على طريقة الالتفات

التي هي أبلغ أم حسبتم (أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم) أى ولم يأتكم وفى لما معنى التوقع يعنى أن إتيان ذلك متوقع منتظر (مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا) مضوا أى حالهم التى هى مثل فى الشدة (مِن قَبْلِكُم) من النبيين والمؤمنين (مَّسَّتْهُمُ) بيان للمثل وهو استئناف كأن قائلا قال كيف كان ذلك المثل فقيل مستهم (الْبَأْسَآءُ) أى البؤس (وَالضَّرَّآءُ) المرض والجوع (وَزُلْزِلُوا) وحركوا بأنواع البلايا وأزعجوا إزعاجا شديداً شبيها بالزلزلة (حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ) إلى الغاية التى قال الرسول ومن معه من المؤمنين فيها (مَتَىٰ نَصْرُ اللهِ) أى بلغ بهم الضجر ولم يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك ومعناه طلب النصر وتمنيه واستطالة زمان الشدة فقيل لهم (أَلَآ إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ) إجابة لهم إلى طلبهم من عاجل النصر، يقول بالرفع نافع على حكاية حال ماضية نحو شربت الإبل حتى يجىء البعير يجر بطنه وغيره بالنصب على إضمار أن ومعنى الاستقبال لأن أن علم له * ولما قال عمرو بن الجموح وهو شيخ كبير وله مال عظيم ماذا ننفق من أموالنا وأين نضعها نزل (يَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَٰمَىٰ وَالْمَسَٰكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ) فقد تضمن قوله ما أنفقتم من خير بيان ماينفقونه وهو كل خير وبنى الكلام على ماهو أهم وهو بيان المصرف لأن النفقة لايعتد بها الا أن تقع موقعها عن الحسن هى فى التطوع (وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ) فيجزى عليه (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ) فرض عليكم جهاد الكفار (وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ) من الكراهة فوضع المصدر موضع الوصف مبالغة كقولها .

* فإنما هى إقبال وإدبار * كأنه فى نفسه كراهة لفرط كراهتهم له أوهو فعل بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز أى وهو مكروه لكم (وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ) فأنتم تكرهون الغزو وفيه إحدى الحسنيين إما الظفر والغنيمة وإما الشهادة والجنة (وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا) وهو القعود عن الغزو (وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ) لما فيه من الذل والفقر وحرمان الغنيمة والأجر (وَاللهُ يَعْلَمُ) ماهو خير لكم (وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) ذلك فبادروا إلى مايأمركم به وإن شق عليكم ونزل فى سرية بعثها رسول الله ﷺ فقاتلوا المشركين وقد أهل هلال رجب وهم لا يعلمون ذلك فقالت قريش قد استحل محمد عليه السلام الشهر الحرام شهراً يأمن فيه الخائف (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ) أى يسألك الكفار أو المسلمون عن القتال

فى الشهر الحرام (قِتَالٍ فِيـــهِ) بدل الاشتمال من الشهر وقرىء عن قتال فيه على تكرير العامل كقوله: للذين استضعفوا لمن آمن منهم . (قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ) أى إثم كبير قتال مبتدأ وكبير خبره وجاز الابتداء بالنكرة لأنها قد وصفت بفيه وأكثر الأقاويل على أنها منسوخة بقوله تعالى: فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم: (وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللهِ) أى منع المشركين رسول الله ﷺ وأصحابه عن البيت عام الحديبية وهو مبتدأ (وَكُفْرٌ بِهِ) أى بالله عطف على صد (وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) عطف على سبيل الله أى وصد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وزعم الفراء أنه معطوف على الهاء فى به أى كفر به وبالمسجد الحرام ولا يجوز عند البصريين العطف على الضمير المجرور إلا بإعادة الجار فلا تقول مررت به وزيد ولكن تقول وبزيد ولو كان معطوفاً على الهاء هنا لقيل وكفر به وبالمسجد الحرام (وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ) أى أهل المسجد الحرام وهم رسول الله ﷺ والمؤمنون وهو عطف على صد أيضاً (مِنْهُ) من المسجد الحرام وخبر الأسماء الثلاثة (أَكْبَرُ عِندَ اللهِ) أى مما فعلته السرية من القتال فى الشهر الحرام على سبيل الخطإ والبناء على الظن (وَالْفِتْنَةُ) الإخراج أو الشرك (أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ) فى الشهر الحرام أو تعذيب الكفار المسلمين أشد قبحاً من قتل هؤلاء المسلمين فى الشهر الحرام (وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ) أى إلى الكفر وهو إخبار عن دوام عداوة الكفار للمسلمين وأنهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى معناها التعليل نحو فلان يعبدالله حتى يدخل الجنة أى يقاتلونكم كى يردوكم وقوله تعالى (إِنِ اسْتَطَٰعُوا) استبعاد لاستطاعتهم كقولك لعدوك إن ظفرت بى فلا تبق على وأنت واثق بأنه لا يظفر بك (وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ) ومن يرجع عن دينه إلى دينهم (فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ) أى يمت على الردة (فَأُوْلَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) لما يفوتهم بالردة مما للمسلمين فى الدنيا من ثمرات الاسلام وفى الآخرة من الثواب وحسن المآب(وَأُوْلَٰئِكَ أَصْحَٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ) وبها احتج الشافعى رحمه الله على أن الردة لا تحبط العمل حتى يموت عليها وقلنا قد علق الحبط بنفس الردة بقوله تعالى ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله والأصل عندنا أن المطلق لا يحمل على المقيد وعنده يحمل عليه فهو بناء على هذا ولما قالت السرية أيكون لنا أجر المجاهدين فى سبيل الله نزل (إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا) تركوا مكة

وعشائرهم (وَجَٰهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) المشركين ولا وقف عليه لأن (أُوْلَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ) خبر إن قيل من رجا طلب ومن خاف هرب (وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) نزل فى الخمر أربع آيات نزل بمكة: ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا. فكان المسلمون يشربونها وهى لهم حلال ثم إن عمر ونفرا من الصحابة قالوا يارسول الله أفتنا فى الخمر فإنها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزل (يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ) فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبدالرحمن ابن عوف، جماعة فشربوا وسكروا فأم بعضهم فقرأ قل ياأيها الكافرون أعبد ماتعبدون فنزل لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى فقل من يشربها، ثم دعا عتبان بن مالك جماعة فلما سكروا منها تخاصموا وتصاربوا فقال عمر اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا فنزل إنما الخمر والميسر إلى قوله فهل أنتم منتهون فقال عمر انتهينا يارب وعن على رضى الله عنه لو وقعت قطرة فى بئر فبنيت مكانها منارة لم أؤذن عليها ولو وقعت فى بحر ثم جف ونبت فيه الكلأ لم أرعه والخمر ماغلى واشتد وقذف بالزبد من عصير العنب وسميت بمصدر خمره خمرا إذا ستره لتغطيتها العقل، والميسر القمار مصدر من يسر كالموعد من فعله يقال يسرته إذا أقرته واشتقاقه من اليسر لأنه أخذ مال الرجل بيسر وسهولة بلا كد وتعب أومن اليسار كأنه سلب يساره وصفة الميسر أنه كانت لهم عشرة أقداح سبعة منها عليها خطوط وهو الفذ وله سهم والتوأم وله سهمان والرقيب وله ثلاثة والحلس وله أربعة والنافس وله خمسة والمسبل وله ستة والمعلى وله سبعة وثلاثة أغفال لا نصيب لها وهى المنيح والسفيح والوغد فيجعلون الأقداح فى خريطة ويضعونها على يد عدل ثم يجلجلها ويدخل يده ويخرج باسم رجل قدحا قدحا منها فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء أخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح ومن خرج له قدح مما لانصيب له لم يأخذ شيئا وغرم ثمن الجزور كله وكانوا يدفعون تلك الأنصباء إلى الفقراء ولا يأكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه وفى حكم الميسر أنواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما والمعنى يسألونك عما فى تعاطيهما بدليل (قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ) بسبب التخاصم والتشاتم وقول الفحش والزور كثير حمزة وعلى (وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ) بالتجارة فى الخمر والتلذذ بشربها وفى الميسر بارتفاق الفقراء أو نيل المال بلا كد (وَإِثْمُهُمَآ) وعقاب الإثم فى تعاطيهما (أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا) لأن أصحاب الشرب والقمار يقترفون فيهما الآثام من وجوه كثيرة (وَيَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ

الْعَفْوَ) أى الفضل أى أنفقوا مافضل عن قدر الحاجة وكان التصدق بالفضل فى أول الإسلام فرضا فإذا كان الرجل صاحب زرع أمسك قوت سنة وتصدق بالفضل وإذا كان صانعا أمسك قوت يومه وتصدق بالفضل فنسخت بآية الزكاة العفو أبو عمرو فمن نصبه جعل ماذا اسما واحدا فى موضع النصب بينفقون والتقدير قل ينفقون العفو ومن رفعه جعل ما مبتدأ وخبره ذا مع صلته فذا بمعنى الذى وينفقون صلته أى ما الذى ينفقون فجاء الجواب العفو أى هو العفو فإعراب الجواب كإعراب السؤال ليطابق الجواب السؤال (كَذَٰلِكَ) الكاف فى موضع نصب نعت لمصدر محذوف أى تبيينا مثل هذا التبيين (يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فِي الدُّنْيَا) أى فى أمر الدنيا (وَالْآخِرَةِ) وفى يتعلق بتتفكرون أى تتفكرون فيما يتعلق بالدارين فتأخذون بما هو أصلح لكم أو تتفكرون فى الدارين فتؤثرون أبقاهما وأكثرهما منافع ويجوز أن يتعلق بيبين أى يبين لكم الآيات فى أمر الدارين وفيما يتعلق بهما لعلكم تتفكرون ولما نزل إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى وتركوا مخالطتهم والقيام بأموالهم وذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فنزل (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ) أى مداخلتهم على وجه الإصلاح لهم ولأموالهم خير من مجانبتهم (وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ) وتعاشروهم ولم تجانبوهم (فَإِخْوَانُكُمْ) فهم إخوانكم فى الدين ومن حق الأخ أن يخالط أخاه (وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ) لأموالهم (مِنَ الْمُصْلِحِ) لها فيجازيه على حسب مداخلته فاحذروه ولا تتحروا غير الإصلاح (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ) إعناتكم (لَأَعْنَتَكُمْ) لحملكم على العنت وهو المشقة وأحرجكم فلم يطلق لكم مداخلتهم (إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ) غالب يقدر على أن يعنت عباده ويحرجهم (حَكِيمٌ) لا يكلف إلا وسعهم وطاقتهم ولما سأل مرثد النبي ﷺ عن أن يتزوج عناق وكانت مشركة نزل (وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ) أى لا تتزوجوهن يقال نكح إذا تزوج وأنكح غيره زوجه (وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ) ولو كان الحال أن المشركة تعجبكم وتحبونها (وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ) ولا تزوجوهم بمسلمة كذا قاله الزجاج وقال جامع العلوم حذف أحد المفعولين والتقدير ولا تنكحوهن المشركين (حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ) ثم بين علة ذلك فقال (أُولَٰئِكَ) وهو إشارة إلى المشركات والمشركين (يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ) إلى الكفر الذى هو عمل أهل

النار فحقهم أن لايوالوا ولا يصاهروا (وَاللّهُ يَدْعُوٓا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ) أى وأولياء الله وهم المؤمنون يدعون إلى الجنة والمغفرة وما يوصل إليهما فهم الذين تجب موالاتهم ومصاهرتهم (بِإِذْنِهِ) بعلمه أوبأمره (وَيُبَيِّنُ ءايَتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) يتعظون كانت العرب لم يؤاكلوا الحائض ولم يشاربوها ولم يساكنوها كفعل اليهود والمجوس فسأل أبو الدحداح رسول الله ﷺ عن ذلك وقال يارسول الله كيف نصنع بالنساء إذا حضن فنزل (وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ) هو مصدر يقال حاضت محيضاً كقولك جاء مجيئًا (قُلْ هُوَ أَذًى) أى المحيض شيء يستقذر ويؤذى من يقربه (فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ) فاجتنبوهن أى فاجتنبوا مجامعتهن وقيل إن النصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض واليهود كانوا يعتزلونهن فى كل شيء فأمر الله بالاقتصاد بين الأمرين ثم عند أبى حنيفة وأبى يوسف رحمهما الله يجتنب ما اشتمل عليه الإزار ومحمد رحمه الله لا يوجب إلا اعتزال الفرج وقالت عائشة رضى الله عنها يجتنب شعار الدم وله ما سوى ذلك (وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ) مجامعين أو ولا تقربوا مجامعتهن (حَتَّىٰ يَطَّهَّرْنَ) بالتشديد كوفى غير حفص أى يغتسلن وأصله يتطهرن فأدغم التاء فى الطاء لقرب مخرجيهما غيرهم يطهرن أى ينقطع دمهن والقراءتان كآيتين فعملنا بهما وقلنا له أن يقربها فى أكثر الحيض بعد انقطاع الدم وإن لم تغتسل عملا بقراءة التخفيف وفى أقل منه لايقربها حتى تغتسل أويمضى عليها وقت الصلاة عملا بقراءة التشديد والحمل على هذا أولى من العكس لأنه حينئذ يجب ترك العمل بإحداهما لما عرف وعند الشافعى رحمه الله لايقربها حتى تطهر وتتطهر دليله قوله تعالى (فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ) فجامعوهن فجمع بينهما (مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللّهُ) من المأتى الذى أمركم الله به وحلله لكم وهو القبل (إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّٰبِينَ) من ارتكاب مانهوا عنه أوالعوادين إلى الله تعالى وإن زلوا فزلوا والمحبة لمعرفته بعظم عفو الله حيث لاييأس (وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) بالماء أوالمتنزهين من أدبار النساء أو من الجماع فى الحيض أومن الفواحش. كان اليهود يقولون إذا أتى الرجل أهله باركة أتى الولد أحول فنزل (نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ) مواضع حرث لكم وهذا مجاز شبهن بالمحارث تشبيها لما يلقى فى أرحامهن من النطف التى منها النسل بالبذور والولد بالنبات ووقع قوله نساؤكم حرث لكم بيانا وتوضيحا لقوله: فأتوهن من حيث أمركم الله. أى إن المأتى الذى أمركم الله به هو مكان الحرث لا مكان

الفرث تنبيها على أن المطلوب الأصلى فى الإتيان هو طلب النسل لاقضاء الشهوة فلا تأتوهن إلا من المأتى الذى نيط به هذا المطلوب (فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ) جامعوهن متى شئتم أو كيف شئتم باركة أو مستلقية أو مضطجعة بعد أن يكون المأتى واحدا وهو موضع الحرث وهو تمثيل أى فأتوهن كما تأتون أراضيكم التى تريدون أن تحرثوها من أى جهة شئتم لايحظر عليكم جهة دون جهة وقوله: هوأذى فاعتزلوا النساء. من حيث أمركم الله فأتوا حرثكم أنى شئتم. من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة فعلى كل مسلم أن يتأدب بها ويتكلف مثلها فى المحاورات والمكاتبات (وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ) ما يجب تقديمه من الأعمال الصالحة وما هو خلاف ما نهيتم عنه أو هو طلب الولد أو التسمية على الوطء (وَاتَّقُوا اللَّهَ) فلا تجترئوا على المناهى (وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ) صائرون إليه فاستعدوا للقائه(وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) بالثواب يامحمد وإنما جاءيسئلونك ثلاث مرات بلاواو ثم مع الواو ثلاثا لأن سؤالهم عن تلك الحوادث الأول كأنه وقع فى أحوال متفرقة فلم يؤت بحرف العطف لأن كل واحد من السؤالات سؤال مبتدأ وسألوا عن الحوادث الأخر فى وقت واحد فجىء بحرف الجمع لذلك (وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ) العرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة وهى اسم ما تعرضه دون الشىء من عرض العود على الإناء فيتعرض دونه ويصير حاجزا ومانعا منه تقول فلان عرضة دون الخير وكان الرجل يحلف على بعض الخيرات من صلة رحم أو إصلاح ذات بين أو إحسان إلى أحد أو عبادة ثم يقول أخاف الله أن أحنث فى يمينى فيترك البرّ إرادة البر فى يمينه فقيل لهم ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أى حاجزا لما حلفتم عليه وسمى المحلوف عليه يمينا بتلبسه باليمين كقوله عليه السلام «من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه» وقوله (أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ) عطف بيان لأيمانكم أى للأمور المحلوف عليها التى هى البر والتقوى والإصلاح بين الناس واللام تتعلق بالفعل أى ولا تجعلوا الله لأيمانكم برزخا ويجوز أن تكون اللام للتعليل ويتعلق أن تبروا بالفعل أو بالعرضة أى ولا تجعلوا الله لأجل أيمانكم به عرضة لأن تبروا (وَاللَّهُ سَمِيعٌ) لأيمانكم (عَلِيمٌ) بنياتكم (لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ) اللغو الساقط الذى لا يعتد به من كلام وغيره ولغو اليمين الساقط الذى لا يعتد به فى الأيمان وهو أن يحلف على شىء يظنه على ما حلف عليه والأمر

بخلافه والمعنى لا يعاقبكم بلغو اليمين الذى يحلفه أحدكم وعند الشافعى رحمه الله هو ما يجرى على لسانه من غير قصد للحلف نحو لاوالله وبلى والله (وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم) ولـكن يعاقبكم (بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ) بمااقترفته من إثم القصد إلى الـكذب فى اليمين وهو أن يحلف على ما يعلم أنه خلاف مايقوله وهو اليمين الغموس وتعلق الشافعى بهذا النص على وجوب الـكفارة فى الغموس لأن كسب القلب العزم والقصد، والمؤاخذة غير مبينة هنا وبينت فى المائدة فكان البيان ثمة بيانا هنا، وقلنا المؤاخذة هنا مطلقة وهى فى دار الجزاء والمؤاخذة ثم مقيدة بدار الابتلاء فلا يصح حمل البعض على البعض (وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ) حيث لم يؤاخذكم باللغو فى أيمانكم (لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ) يقسمون وهى قراءة ابن عباس رضى الله عنه ومن فى (مِن نِّسَآئِهِمْ) يتعلق بالجار والمجرور أى للذين كما تقول لك منى نصرة ولك منى معونة أى للمؤلين من نسائهم (تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ) أى استقر للمؤلين ترقب أربعة أشهر لا بيؤلون لأن آلى يعدى بعلى يقال آلى فلان على امرأته وقول القائل آلى فلان من امرأته وهم توهمه من هذه الآية ولك أن تقول عدى بمن لما فى هذا القسم من معنى البعد فـكأنه قيل يبعدون من نسائهم مؤلين (فَإِن فَآءُو) فى الأشهر لقراءة عبد الله فإن فاءوا فيهن أى رجعـوا إلى الوطء عن الإصرار بتركه (فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) حيث شرع الـكفارة (وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ) بترك الفيء فتربصوا إلى مضى المدة (فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ) لإيلائه (عَلِيمٌ) بنيته وهو وعيد على إصرارهم وتركهم الفيئة، وعند الشافعى رحمه الله معناه فإن فاءوا وإن عزموا بعده مضى المدة لأن الفاء للتعقيب وقلنا قوله: فإن فاءوا. وإن عزموا تفصيل لقوله للذين يؤلون من نسائهم والتفصيل يعقب المفصل كما تقول أنا نزيلـكم هذا الشهر فإن أحمدتـكم أقمت عندكم إلى آخره والالم أقم إلا ريثما أتحول (وَالْمُطَلَّقَٰتُ) أراد المدخول بهن من ذوات الأقراء (يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ) خـبر فى معنى الأمر وأصل الـكلام ولتتربص المطلقات، وإخراج الأمر فى صورة الخبر تأكيد للأمر وإشعار بأنه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة إلى امتثاله فـكأنهن امتثلن الأمر بالتربص فهو يخبر عنه موجودا ونحوه قولهم فى الدعاء رحمك الله أخرج فى صورة الخبر ثقة بالاستجابة كأنما وجدت الرحمة فهو يخبر عنها وبناؤه على المبتدأ مما زاده أيضا فضل تأكيد لأن الجملة الاسمية تدل على الدوام والثبات بخلاف الفعلية وفى

ذكر الأنفس تهييج لهن على التربص وزيادة بعث لأن أنفس النساء طوامح إلى الرجال فأمرن أن يقمعن أنفسهن ويغلبنها على الطموح ويجبرنها على التربص (ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ) جمع قرء أو قرء وهو الحيض لقوله عليه السلام «دعي الصلاة أيام أقرائك» وقوله «طلاق الأمة تطليقتان وعدتها حيضتان» ولم يقل طهران وقوله تعالى: واللائى يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر. فأقام الأشهر مقام الحيض دون الأطهار ولأن المطلوب من العدة استبراء الرحم والحيض هو الذى يستبرأ به الأرحام دون الطهر ولذلك كان الاستبراء من الأمة بالحيضة ولأنه لو كان طهراً كما قال الشافعى لانقضت العدة بقرأين وبعض الثالث فانتقص العدد عن الثلاثة لأنه إذا طلقها لآخر الطهر فذا محسوب من العدة عنده وإذا طلقها فى آخر الحيض فذا غير محسوب من العدة عندنا، والثلاث اسم خاص لعدد مخصوص لا يقع على مادونه ويقال أقرأت المرأة إذا حاضت وامرأة مقرىء وانتصاب ثلاثة على أنه مفعول به أى يتربصن مضى ثلاثة قروء أو على الظرف أى يتربصن مدة ثلاثة قروء وجاء المميز على جمع الكثرة دون القلة التى هى الأقراء لاشتراكهما فى الجمعية اتساعاً ولعل القروء كانت أكثر استعمالا فى جمع قرء من الاقراء فأوثر عليه تنزيلا لقليل الاستعمال منزلة المهمل (وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ) من الولد أو من دم الحيض أو منهما وذلك إذا أرادت المرأة فراق زوجها فكتمت حملها لئلا ينتظر بطلاقها أن تضع ولئلا يشفق على الولد فيترك تسريحها أو كتمت حيضها وقالت وهى حائض قد طهرت استعجالا للطلاق ثم عظم فعلهن فقال (إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) لأن من آمن بالله وبعقابه لا يجترىء على مثله من العظائم (وَبُعُولَتُهُنَّ) البعول جمع بعل والتاء لاحقة لتأنيث الجمع (أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ) أى أزواجهن أولى برجعتهن وفيه دليل على أن الطلاق الرجعى لا يحرم الوطء حيث سماه زوجا بعد الطلاق (فِي ذَٰلِكَ) فى مدة ذلك التربص، والمعنى أن الرجل إن أراد الرجعة وأبتها المرأة وجب إيثار قوله على قولها وكان هو أحق منها لا أن لها حقا فى الرجعة (إِنْ أَرَادُوا) بالرجعة (إِصْلَاحًا) لما بينهم وبينهن وإحساناً إليهن ولم يريدوا مضارتهن (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ) ويجب لهن من الحق على الرجال من المهر والنفقة وحسن العشرة وترك المضارة مثل الذى يجب لهم عليهن من الأمر والنهى (بِالْمَعْرُوفِ) بالوجه الذى لا ينكر فى الشرع

وعادات الناس فلا يكلف أحد الزوجين صاحبه ما ليس له والمراد بالمماثلة مماثلة الواجب الواجبَ في كونه حسنة لا في جنس الفعل فلا يجب عليه إذا غسلت ثيابه أو خبزت له أن يفعل نحو ذلك ولكن يقابله بما يليق بالرجال (وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ) زيادة في الحق وفضيلة بالقيام بأمرها وإن اشتركا في اللذة والاستمتاع أو بالإنفاق وملك النكاح (وَاللهُ عَزِيزٌ) لا يعترض عليه في أموره (حَكِيمٌ) لا يأمر إلا بما هو صواب وحسن (الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ) الطلاق بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم أي التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والإرسال دفعة واحدة ولم يرد بالمرتين التثنية ولكن التكرير كقوله ثم ارجع البصر كرتين أي كرة بعد كرة لا كرتين اثنتين وهو دليل لنا في أن الجمع بين الطلقتين والثلاثة بدعة في طهر واحد لأن الله تعالى أمرنا بالتفريق لأنه وإن كان ظاهره الخبر فمعناه الأمر وإلا يؤدي إلى الخلف في خبر الله تعالى لأن الطلاق على وجه الجمع قد يوجد وقيل قالت انصارية إن زوجي قال لا أزال أطلقك ثم أراجعك فنزلت الطلاق مرتان أي الطلاق الرجعي مرتان لأنه لا رجعة بعد الثالث (فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ) برجعة والمعنى فالواجب عليكم إمساك بمعروف (أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ) بأن لا يراجعها حتى تبين بالعدة وقيل بأن يطلقها الثالثة في الطهر الثالث ونزل في جميلة وزوجها ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه وهو يحبها وقد أعطاها حديقة فاختلعت منه بها وهو أول خلع كان في الإسلام (وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ) أيها الأزواج أو الحكام لأنهم الآمرون بالأخذ والإيتاء عند الترافع إليهم فكأنهم الآخذون والمؤتون (أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا) مما أعطيتموهن من المهور (إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ) إلا أن يعلم الزوجان ترك إقامة حدود الله فيما يلزمهما من مواجب الزوجية لما يحدث من نشوز المرأة وسوء خلقها (فَإِنْ خِفْتُمْ) أيها الولاة وجاز أن يكون أول خطاب للأزواج وآخره للحكام (أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا) فلا جناح على الرجل فيما أخذ ولا عليها فيما أعطت (فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ) فيما افتدت به نفسها واختلعت به من بذل ما أوتيت من المهر إلا أن يخافا حمزة على البناء للمفعول وإبدال ألا يقيما من ألف الضمير وهو من بدل الاشتمال نحو خيف زيد تركه إقامة حدود الله (تِلْكَ حُدُودُ اللهِ) أي ما حد من النكاح واليمين والإيلاء والطلاق والخلع وغير ذلك (فَلَا تَعْتَدُوهَا) فلا تجاوزوها بالمخالفة (وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ

الظَّٰلِمُونَ) الضارون أنفسهم (فَإِن طَلَّقَهَا) مرة ثالثة بعد المرتين فإن قلت الخلع طلاق عندنا وكذا عند الشافعى رحمه الله فى قول فكأن هذه تطليقة رابعة قلت الخلع طلاق ببدل فيكون طلقة ثالثة وهذه بيان لتلك أى فإن طلقها الثالثة ببدل فحكم التحليل كذا (فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ) من بعد التطليقة الثالثة (حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ) حتى تتزوج غيره والنكاح يسند إلى المرأة كما يسند إلى الرجل كالتزوج وفيه دليل على أن النكاح ينعقد بعبارتها والإصابة شرطت بحديث العسيلة كما عرف فى أصول الفقه والفقه فيه أنه لما أقدم على فراق لم يبق للندم مخلصا لم تحل له إلا بدخول فحل عليها ليمتنع عن ارتكابه (فَإِن طَلَّقَهَا) الزوج الثانى بعد الوطء (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ) على الزوج الأول وعليها (أَن يَتَرَاجَعَآ) أن يرجع كل واحد منهما إلى صاحبه بالزواج (إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ) إن كان فى ظنهما أنهما يقيمان حقوق الزوجية ولم يقل إن علما أنهما يقيمان لأن اليقين مغيب عنهما لا يعلمه إلا الله (وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ يُبَيِّنُهَا) وبالنون المفضل (لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) يفهمون ما بين لهم (وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ) أى آخر عدتهن وشارفن منتهاها والأجل يقع على المدة كلها وعلى آخرها يقال لعمر الإنسان أجل وللموت الذى ينتهى به أجل (فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ) أى فإما أن يراجعها من غير طلب ضرار بالمراجعة وإما أن يخليها حتى تنقضى عدتها وتبين من غير ضرار (وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا) مفعول له أو حال أى مضارين وكان الرجل يطلق المرأة ويتركها حتى يقرب انقضاء عدتها ثم يراجعها لا عن حاجة ولكن ليطول المدة عليها فهو الإمساك ضرارا (لِّتَعْتَدُوا) لتظلموهن أو لتلجئوهن إلى الافتداء (وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ) يعنى الإمساك للضرار (فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ) بتعريضها لعقاب الله (وَلَا تَتَّخِذُوا ءَايَٰتِ اللهِ هُزُوًا) أى جدوا بالأخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها وإلا فقد اتخذتموها هزوا يقال لمن لم يجد فى الأمر إنما أنت لاعب وهازئ (وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ) بالإسلام وبنبوة محمد عليه السلام (وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَٰبِ وَالْحِكْمَةِ) من القرآن والسنة وذكرها مقابلتها بالشكر والقيام بحقها (يَعِظُكُم بِهِ) بما أنزل عليكم وهو حال (وَاتَّقُوا اللهَ) فيما امتحنكم به (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) من الذكر والاتقاء والاتعاظ وغير ذلك وهو أبلغ وعد ووعيد (وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ) أى انقضت

عدتهن فدل سياق الكلامين على افتراق البلوغين لأن النكاح يعقبه هنا وذا يكون بعد العدة وفى الأولى الرجعة وذا يكون فى العدة (فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ) فلا تمنعوهن، العضل: المنع والتضييق (أَن يَنكِحْنَ) من أن ينكحن (أَزْوَٰجَهُنَّ) الذين يرغبن فيهم ويصلحون لهن وفيه إشارة إلى انعقاد النكاح بعبارة النساء والخطاب للأزواج الذين يعضلون نساءهم بعد انقضاء العدة ظلما ولا يتركونهن يتزوجن من شئن من الأزواج سموا أزواجا باسم مايؤول إليه أوللاولياء فى عضلهن أن يرجعن إلى أزواجهن الذين كانوا أزواجا لهن سموا أزواجا باعتبار ما كان نزلت فى معقل بن يسار حين عضل اخته أن ترجع إلى الزوج الأول أو للناس أى لا يوجد فيما بينكم عضل لأنه إذا وجد بينهم وهم راضون كانوا فى حكم العاضلين (إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم) إذا تراضى الخطاب والنساء (بِٱلْمَعْرُوفِ) بما يحسن فى الدين والمروءة من الشرائط أو بمهر المثل والكفء لأن عند عدم أحدهما للاولياء أن يتعرضوا، والخطاب فى (ذَٰلِكَ) للنبي ﷺ أولكل واحد (يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ) فالموعظة إنما تنجع فيهم (ذَٰلِكُمْ) أى ترك العضل والضرار (أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ) أى لكم من أدناس الآثام أو أزكى وأطهر أفضل وأطيب (وَٱللَّهُ يَعْلَمُ) مافى ذلك من الزكاء والطهر (وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) ذلك (وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ) خبر فى معنى الأمر المؤكد كيتربصن وهذا الأمر على وجه الندب أو على وجه الوجوب إذا لم يقبل الصبي إلا ثدى أمه أو لم توجد له ظئر أو كان الأب عاجزا عن الاستئجار أوأراد الوالدات المطلقات وإيجاب النفقة والكسوة لأجل الرضاع (حَوْلَيْنِ) ظرف (كَامِلَيْنِ) تامين وهو تأكيد لأنه مما يتسامح فيه فإنك تقول: أقمت عند فلان حولين ولم تستكملهما (لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ) بيان لمن توجه إليه الحكم أى هذا الحكم لمن أراد إتمام الرضاعة والحاصل أن الأب يجب عليه إرضاع ولده دون الأم وعليه أن يتخذ له ظئرا إلا إذا تطوعت الأم بإرضاعه وهى مندوبة إلى ذلك ولا تجبر عليه ولا يجوز استئجار الأم ما دامت زوجة أو معتدة (وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ) الهاء يعود إلى اللام الذى بمعنى الذى، والتقدير وعلى الذى يولد له وهو الوالد وله فى محل الرفع على الفاعلية كعليهم فى المغضوب عليهم وإنما قيل على المولود له دون الوالد ليعلم أن الوالدات إنما ولدن لهم إذ الاولاد للآباء والنسب إليهم لا إليهن فكان عليهم أن يرزقوهن ويكسوهن

إذا أرضعن ولدهم كالأظآر ألا ترى أنه ذكره باسم الوالد حيث لم يكن هذا المعنى وهو قوله: واخشوا يوما لايجزى والد عن ولده ولامولود هو جاز عن والده شيئا. (رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) بلا إسراف ولا تقتير وتفسيره ما يعقبه وهو أن لا يكلف واحد منهما ما ليس فى وسعه ولا يتضارا (لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا) وجدها أوقدر إمكانها. والتكليف إلزام ما يؤثره فى الكلفة وانتصاب وسعها على أنه مفعول ثان لتكلف لاعلى الاستثناء ودخلت إلا بين المفعولين (لَا تُضَآرَّ) مكى وبصرى بالرفع على الإخبار ومعناه النهى وهو يحتمل البناء للفاعل والمفعول وأن يكون الأصل تضارر بكسر الراء أو تضارر بفتحها الباقون لاتضار على النهى والأصل تضارر أسكنت الراء الأولى وأدغمت فى الثانية فالتقى الساكنان ففتحت الثانية لالتقاء الساكنين (وَٰلِدَةٌ بِوَلَدِهَا) أى لاتضار والدة زوجها بسبب ولدها وهو أن تعنف به وتطلب منه ما ليس بعدل من الرزق والكسوة وأن تشغل قلبه بالتفريط فى شأن الولد وأن تقول بعدما ألفها الصبى أطلب له ظئرا وما أشبه ذلك (وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ) أى ولا يضار مولود له امرأته بسبب ولده بأن يمنعها شيئا مما وجب عليه من رزقها وكسوتها أو يأخذه منها وهى تريد ارضاعه وإذا كان مبنيا للمفعول فهو نهى عن أن يلحق بها الضرار من قبل الزوج وعن أن يلحق الضرار بالزوج من قبلها بسبب الولد أو تضار بمعنى تضر والباء من صلته أى لاتضر والدة ولدها فلا تسىء غذاءه وتعهده ولا تدفعه إلى الأب بعد ما ألفها ولا يضر الوالد به بأن ينتزعه من يدها أو يقصر فى حقها فتقصر هى فى حق الولد وإنما قيل بولدها وبولده لأنه لما نهيت المرأة عن المضارة أضيف إليها الولد استعطافا لها عليه وكذلك الوالد (وَعَلَى الْوَارِثِ) عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تفسير للمعروف معترض بين المعطوف والمعطوف عليه أى وعلى وارث الصبى عند عدم الأب (مِثْلُ ذَٰلِكَ) أى مثل الذى كان على أبيه فى حياته من الرزق والكسوة واختلف فيه فعند ابن أبى ليلى كل من ورثه وعندنا من كان ذا رحم محرم منه لقراءة ابن مسعود رضى الله عنه وعلى الوارث ذى الرحم المحرم مثل ذلك ، وعند الشافعى رحمه الله لانفقة فيما عدا الولاد (فَإِنْ أَرَادَا) يعنى الأبوين (فِصَالًا) فطاما صادراً (عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ) بينهما (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا) فى ذلك

زادا على الحولين أو نقصا وهـذه توسعة بعد التحديد والتشاور استخراج الرأى من شرت العسل إذا استخرجته وذكره ليكون التراضى عن تفكر فلا يضر الرضيع فسبحان الذى أدب الكبير ولم يهمل الصغير واعتبر اتفاقهما لأن للأب النسبة والولاية وللأم الشفقة والعناية (وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا أَوْلَادَكُمْ) أى لا ولادكم عن الزجاج وقيل استرضع منقول من أرضع يقال أرضعت المرأة الصبي واسترضعتها الصبي معدى إلى مفعولين أى أن تسترضعوا المراضع أولادكم فحذف أحد المفعولين يعنى غـير الأم عند إبائها أو عجزها (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم) إلى المراضع (مَّآ ءَاتَيْتُم) ما أردتم إيتاءه من الأجرة أتيتم مكى من أتى إليه إحساناً إذا فعله ومنه قوله كان وعده مأتيا أى مفعولا والتسليم ندب لاشرط للجواز (بِالْمَعْرُوفِ) متعلق بسلمتم أى سلمتم الأجرة إلى المراضع بطيب نفس وسرور (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوٓا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) لاتخفى عليه أعمالكم فهو يجازيكم عليها (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ) تقول توفيت الشيء واستوفيته إذا أخذته وافيا تاما أى تستوفى أرواحهم (وَيَذَرُونَ) ويتركون (أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ) أى وزوجات الذين يتوفون منكم يتربصن أى يعتددن أو معناه يتربصن بعدهم بأنفسهن فحذف بعدهم للعلم به وإنما احتيج إلى تقديره لأنه لابد من عائد يرجع إلى المبتدأ فى الجملة التى وقعت خبرا يتوفون المفضل أى يستوفون آجالهم (أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا) أى وعشر ليال والأيام داخلة معها ولايستعمل التذكير فيه ذهابا إلى الأيام تقول صمت عشرا ولو ذكرت لخرجت من كلامهم (فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ) فإذا انقضت عدتهن (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ) أيها الأئمة والحكام (فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ) من التعرض للخطاب (بِالْمَعْرُوفِ) بالوجـه الذى لاينكره الشرع (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) عالم بالبواطن (وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَآءِ) الخطبة الاستنكاح، والتعريض أن تقول لها إنك لجميلة أو صالحة ومن غرضى أن أتزوج ونحو ذلك من الكلام الموهم أنه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه إن رغبت فيـه ولا يصرح بالنكاح فلا يقول إنى أريد أن أتزوجك والفرق بين الكناية والتعريض أن الكناية أن تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له والتعريض أن تذكر شيئاً تدل به على شيء لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج إليه جئتك لأسلم عليك ولأنظر إلى وجهك الكريم ولذلك قالوا * وحسبك بالتسليم منى تقاضيا * فكأنه

إمالة الكلام إلى غرض يدل على الغرض (أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ) أو سترتم وأضمرتم فى قلوبكم فلم تذكروه بألسنتكم لامعرضين ولا مصرحين (عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ) لامحالة ولا تنفكون عن النطق برغبتكم فيهن فاذكروهن (وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا) جماعا لأنه مما يسر أى لاتقولوا فى العدة إنى قادر على هذا العمل (إِلَّآ أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا) وهو أن تعرضوا ولاتصرحوا وإلا متعلق بلا تواعدوهن أى لاتواعدوهن مواعدة قط إلا مواعدة معروفة غير منكرة (وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ) من عزم الأمر وعزم عليه وذكر العزم مبالغة فى النهى عن عقد النكاح لأن العزم على الفعل يتقدمه فإذا نهى عنه كان عن الفعل أنهى ومعناه ولاتعزموا عقد عقدة النكاح أو ولاتقطعوا عقدة النكاح لأن حقيقة العزم القطع ومنه الحديث «لاصيام لمن لم يعزم الصيام من الليل» وروى لمن لم يبيت الصيام أى ولاتعزموا على عقدة النكاح (حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَٰبُ أَجَلَهُ) حتى تنقضى عدتها وسميت العدة كتابا لأنها فرضت بالكتاب يعنى حتى يبلغ التربص المكتوب عليها أجله أى غايته (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَافِى أَنفُسِكُمْ) من العزم على مالا يجوز (فَاحْذَرُوهُ) ولا تعزموا عليه (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ) لايعاجلكم بالعقوبة ونزل فيمن طلق امرأته ولم يكن سمى لها مهرا ولاجامعها (لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ) لاتبعة عليكم من إيجاب مهر (إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَآءَ) شرط ويدل على جوابه لاجناح عليكم والتقدير إن طلقتم النساء فلاجناح عليكم (مَالَمْ تَمَسُّوهُنَّ) مالم تجامعوهن وماشرطية أى إن لم تمسوهن تماسوهن حمزة وعلى حيث وقع لأن الفعل واقع بين اثنين (أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً) إلا أن تفرضوا لهن فريضة أو حتى تفرضوا وفرض الفريضة تسمية المهر وذلك أن المطلقة غير الموطوءة لها نصف المسمى إن سمى لها مهر وإن لم يسم لها مهر فليس لها نصف مهر المثل بل تجب المتعة والدليل على أن الجناح تبعة المهر قوله وإن طلقتموهن إلى قوله فنصف مافرضتم فقوله فنصف مافرضتم إثبات للجناح المنفى ثمة (وَمَتِّعُوهُنَّ) معطوف على فعل محذوف تقديره فطلقوهن ومتعوهن والمتعة درع وملحفة وخمار (عَلَى الْمُوسِعِ) الذى له سعة (قَدَرُهُ) مقداره الذى يطيقه قدره فيهما كوفى غير أبى بكر وهما لغتان (وَعَلَى الْمُقْتِرِ) الضيق الحال (قَدَرُهُ) ولا تجب المتعة عندها إلا لهذه وتستحب لسائر المطلقات (مَتَٰعًا) تأكيد لمتعوهن أى تمتيعاً (بِالْمَعْرُوفِ) بالوجه الذى يحسن فى الشرع والمروءة (حَقًّا) صفة لمتاعا أى متاعا

واجبا عليهم أوحق ذلك حقا (عَلَى الْمُحْسِنِينَ) على المسلمين أوعلى الذين يحسنون إلى المطلقات بالتمتيع وسماهم قبل الفعل محسنين كقوله عليه السلام «من قتل قتيلا فله سلبه» وليس هذا الإحسان هو التبرع بما ليس عليه إذ هذه المتعة واجبة ثم بين حكم التى سمى لها مهرا فى الطلاق قبل المس فقال (وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ) أن مع الفعل بتأويل المصدر فى موضع الجر أى من قبل مسكم إياهن (وَقَدْ فَرَضْتُمْ) فى موضع الحال (لَهُنَّ فَرِيضَةً) مهرا (فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلاَّ أَن يَعْفُونَ) يريد المطلقات وأن مع الفعل فى موضع النصب على الاستثناء كأنه قيل فعليكم نصف مافرضتم فى جميع الأوقات إلا وقت عفوهن عنكم من المهر والفرق بين الرجال يعفون والنساء يعفون أن الواو فى الأول ضميرهم والنون علم الرفع والواو فى الثانى لام الفعل والنون ضميرهن والفعل مبنى لا أثر فى لفظه للعامل (أَوْ يَعْفُوَاْ) عطف على محله (الَّذِى بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ) هو الزوج كذا فسره على رضى الله عنه وهو قول سعيد بن جبير وشريح ومجاهد وأبى حنيفة والشافعى على الجديد رضى الله عنهم وهذا لأن الطلاق بيده فكان بقاء العقد بيده والمعنى أن الواجب شرعا هو النصف إلا أن تسقط هى الكل أو يعطى هو الكل تفضلا وعند مالك والشافعى فى القديم هو الولى قلنا هو لا يملك التبرع بحق الصغيرة فكيف يجوز حمله عليه (وَأَن تَعْفُوا) مبتدأ خبره (أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ) والخطاب للأزواج والزوجات على سبيل التغليب ذكره الزجاج أى عفو الزوج بإعطاء كل المهر خير له وعفو المرأة بإسقاط كله خير لها أو للأزواج (وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ) التفضل (بَيْنَكُمْ) أى ولا تنسوا أن يتفضل بعضكم على بعض (إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) فيجازيكم على تفضلكم (حَٰفِظُوا عَلَى الصَّلَوَٰتِ) داوموا عليها بمواقيتها وأركانها وشرائطها (وَالصَّلَوٰةِ الْوُسْطَىٰ) بين الصلوات أى الفضلى من قولهم للأفضل الأوسط وإنما أفردت وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل وهى صلاة العصر عند أبى حنيفة رحمه الله وعليه الجمهور لقوله عليه السلام يوم الأحزاب «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله بيوتهم نارا» وقال عليه السلام «إنها الصلاة التى شغل عنها سليمان حتى توارت بالحجاب» وفى مصحف حفصة والصلاة الوسطى صلاة العصر ولأنها بين صلاتى الليل وصلاتى النهار وفضلها لما فى وقتها من اشتغال الناس

بتجاراتهم ومعايشهم وقيل صلاة الظهر لأنها فى وسط النهار أو صلاة الفجر لأنها بين صلاتى النهار وصلاتى الليل أو صلاة المغرب لأنها بين الأربع والمثنى ولأنها بين صلاتى مخافتة وصلاتى جهر أو صلاة العشاء لأنها بين وترين أو هى غير معينة كليلة القدر ليحفظوا الكل (وَقُومُوا لِلَّهِ) فى الصلاة (قَـٰنِتِينَ) حال أى مطيعين خاشعين أو ذاكرين الله فى قيامكم والقنوت أن تذكر الله قائماً أو مطيلين القيام (فَإِنْ خِفْتُمْ) فإن كان بكم خوف من عدو أو غيره (فَرِجَالًا) حال أى فصلوا راجلين وهو جمع راجل كقائم وقيام (أَوْ رُكْبَانًا) وحدانا بإيماء ويسقط عنه التوجه إلى القبلة (فَإِذَا أَمِنتُمْ) فإذا زال خوفكم (فَاذْكُرُوا اللَّهَ) فصلوا صلاة الأمن (كَمَا عَلَّمَكُم) أى ذكرا مثل ما علمكم (مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ) من صلاة الأمن (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم) بالنصب شامى وأبو عمرو وحمزة وحفص أى فليوصوا وصية عن الزجاج غيرهم بالرفع أى فعليهم وصية (مَّتَاعًا) نصب بالوصية لأنها مصدر أو تقديره متعوهن متاعا (إِلَى الْحَوْلِ) صفة لمتاعا (غَيْرَ إِخْرَاجٍ) مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول أو بدل من متاعاً والمعنى أن حق الذين يتوفون عن أزواجهم أن يوصوا قبل أن يحتضروا بأن تمتع أزواجهم بعدهم حولا كاملا أى ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن من مساكنهن وكان ذلك مشروعا فى أول الإسلام ثم نسخ بقوله تعالى: والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا. إلى قوله: أربعة أشهر وعشرا. والناسخ متقدم عليه تلاوة ومتأخر نزولا كقوله تعالى: سيقول السفهاء من الناس. مع قوله تعالى: قد نرى تقلب وجهك فى السماء. (فَإِنْ خَرَجْنَ) بعد الحول (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ) من التزين والتعرض للخطاب (مِن مَّعْرُوفٍ) مما ليس بمنكر شرعا (وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) فيما حكم (وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ) أى نفقة العدة (بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا) نصب على المصدر (عَلَى الْمُتَّقِينَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) هو فى موضع الرفع لأنه خبر لعل، وإن أريد به المتعة فالمراد غير المطلقة المذكورة وهى على سبيل الندب (أَلَمْ تَرَ) تقرير لمن سمع بقصتهم من أهل الكتاب وأخبار الأولين وتعجيب من شأنهم ويجوز أن يخاطب به من لم ير ولم يسمع لأن هذا الكلام جرى مجرى المثل فى معنى التعجيب (إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَـٰرِهِمْ) من قرية قيل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا هاربين فأماتهم الله

ثم أحياهم بدعاء حزقيل عليه السلام وقيل هم قوم من بنى اسرائيل دعاهم ملكهم إلى الجهاد فهربوا حذرا من الموت فأماتهم الله ثمانية أيام ثم أحياهم (وَهُمْ أُلُوفٌ) فى موضع النصب على الحال وفيه دليل على الالوف الكثيرة لأنها جمع كثرة وهى جمع ألف لا آلف (حَذَرَ الْمَوْتِ) مفعول له (فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا) أى فأماتهم الله وإنما جيء به على هذه العبارة للدلالة على أنهم ماتوا ميتة رجل واحد بأمر الله ومشيئته وتلك ميتة خارجة عن العادة وفيه تشجيع للمسلمين على الجهاد وأن الموت إذا لم يكن منه بد ولم ينفع منه مفر فأولى أن يكون فى سبيل الله (ثُمَّ أَحْيَاهُمْ) ليعتبروا ويعلموا أنه لا مفر من حكم الله وقضائه وهو معطوف على فعل محذوف تقديره فماتوا ثم أحياهم أو لما كان معنى قوله فقال لهم الله موتوا فأماتهم كان عطفا عليه معنى (إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ) حيث يبصرهم ما يعتبرون به كما بصر أولئك وكما بصركم باقتصاص خبرهم أو لذو فضل على الناس حيث أحيا أولئك ليعتبروا فيفوزوا ولو شاء لتركهم موتى إلى يوم النشور (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ) ذلك والدليل على أنه ساق هذه القصة بعثا على الجهاد ما أتبعه من الأمر بالقتال فى سبيل الله وهو قوله (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) فحرض على الجهاد بعد الإعلام لأن الفرار من الموت لا يغنى وهذا الخطاب لأمة محمد عليه السلام أو لمن أحياهم (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ) يسمع ما يقوله المتخلفون والسابقون (عَلِيمٌ) بما يضمرونه (مَّن) استفهام فى موضع رفع بالابتداء (ذَا) خبره (الَّذِي) نعت لذا أو بدل منه (يُقْرِضُ اللَّهَ) صلة الذى سمى ما ينفق فى سبيل الله قرضا لأن القرض ما يقبض ببدل مثله من بعد. سمى به لأن المقرض يقطعه من ماله فيدفعه إليه والقرض القطع ومنه القراض وقرض الفأر والانقراض فنبههم بذلك على أنه لا يضيع عنده وأنه يجزيهم عليه لا محالة (قَرْضًا حَسَنًا) بطيبة النفس من المال الطيب والمراد النفقة فى الجهاد لأنه لما أمر بالقتال فى سبيل الله ويحتاج فيه إلى المال حث على الصدقة ليتهيأ أسباب الجهاد (فَيُضَاعِفَهُ لَهُ) بالنصب عاصم على جواب الاستفهام وبالرفع أبو عمرو ونافع وحمزة وعلى عطفا على يقرض أو هو مستأنف أى فهو يضاعفه فيضعفه شامى فيضعفه مكى (أَضْعَافًا) فى موضع المصدر (كَثِيرَةً) لا يعلم كنهها إلا الله وقيل الواحد سبعمائة (وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ) يقتر الرزق على عباده ويوسعه عليهم فلا تبخلوا عليه بما

وسع عليكم لا يبدلـكم الضيق بالسعة ويبسط حجازى وعاصم وعلى (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) فيجازيكم على ما قدمتم (أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ) الأشراف لأنهم يملئون القلوب جلالة والعيون مهابة (مِن بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ) من للتبعيض (مِن بَعْدِ مُوسَىٰٓ) من بعد موته ومن لابتداء الغاية (إِذْ قَالُوا) حين قالوا (لِنَبِيٍّ لَّهُمُ) هو شمعون أو يوشع أو اشمويل (ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا) أنهض للقتال معنا أميرا نصدر فى تدبير الحرب عن رأيه وننتهى إلى أمره (نُّقَٰتِلْ) بالنون والجزم على الجواب (فِي سَبِيلِ اللَّهِ) صلة نقاتل (قَالَ) النبي (هَلْ عَسَيْتُمْ)عسِيتم حيث كان نافع (إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ)شرط فاصل بين اسم عسى وخبره وهو (أَلَّا تُقَٰتِلُوا) والمعنى هل قاربتم أن لا تقاتلوا يعنى هل الأمر كما أتوقعه أنكم لا تقاتلون وتجبنون فأدخل هل مستفهما عما هو متوقع عنده وأراد بالاستفهام التقرير وتثبيت أن المتوقع كائن وأنه صائب فى توقعه(قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)وأى داع لنا إلى ترك القتال وأى غرض لنا فيه (وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا) الواو فى وقد للحال وذلك أن قوم جالوت كانوا يسكنون بين مصر وفلسطين فأسروا من أبناء ملوكهم أربعمائة وأربعين يعنون إذا بلغ الأمر منا هـذا المبلغ فلا بد من الجهاد (فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ) أى أجيبوا إلى ملتمسهم (تَوَلَّوْا) أعرضوا عنه (إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ) وهم كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر على عدد أهل بدر (وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّٰلِمِينَ) وعيد لهم على ظلمهم بترك الجهاد (وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ)هو اسم أعجمى كجالوت وداود ومنع من الصرف للتعريف والعجمة (مَلِكًا) حال (قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا) أى كيف ومن أين وهو إنكار لتملكه عليهم واستبعاد له(وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ) الواو للحال (وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ) أى كيف يتملك علينا والحال أنه لا يستحق التملك لوجود من هو أحق بالملك وأنه فقير ولا بد للملك من مال يعتضد به وإنما قالوا ذلك لأن النبوة كانت فى سبط لاوى بن يعقوب عليه السلام والملك فى سبط يهوذا وهو كان من سبط بنيامين وكان رجلا سقاء أو دباغا فقيرا وروى أن نبيهم دعا الله حين طلبوا منه ملـكا فأتى بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها إلا طالوت(قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ)الطاء فى اصطفاه بدل من التاء لمكان الصاد الساكنة أى اختاره عليكم وهو أعلم بالمصالح منكم ولا اعتراض على حكمه ثم ذكر مصلحتين أنفع

مما ذكروا من النسب والمال وهما العلم المبسوط والجسامة فقال (وَزَادَهُ بَسْطَةً) مفعول ثان (فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ) قالوا كان أعلم بنى اسرائيل بالحرب والديانات فى وقته وأطول من كل إنسان برأسه ومنكبه والبسطة السعة والامتداد والملك لابد أن يكون من أهل العلم فإن الجاهل ذليل مزدرى غير منتفع به وأن يكون جسيما لأنه أعظم فى النفوس وأهيب فى القلوب (وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَآءُ) أى الملك له غير منازع فيه وهو يؤتيه من يشاء إيتاءه وليس ذلك بالوراثة (وَاللَّهُ وَٰسِعٌ) أى واسع الفضل والعطاء يوسع على من ليس له سعة من المال ويغنيه بعد الفقر (عَلِيمٌ) بمن يصطفيه للملك فثمة طلبوا من نبيهم آية على اصطفاء الله طالوت (وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ) أى صندوق التوراة وكان موسى عليه السلام إذا قاتل قدمه فكانت تسكن نفوس بنى إسرائيل ولا يفرون (فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ) سكون وطمأنينة (وَبَقِيَّةٌ) هى رضاض الألواح وعصا موسى وثيابه وشىء من التوراة ونعلا موسى وعمامة هارون عليهما السلام (مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ) أى مما تركه موسى وهارون والآل مقحم لتفخيم شأنهما (تَحْمِلُهُ الْمَلَٰٓئِكَةُ) يعنى التابوت وكان رفعه الله بعد موسى فنزلت به الملائكة تحمله وهم ينظرون إليه والجملة فى موضع الحال وكذا فيه سكينة. ومن ربكم نعت لسكينة ومما ترك نعت لبقية (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) إن فى رجوع التابوت إليكم علامة أن الله قد ملك طالوت عليكم إن كنتم مصدقين (فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ) خرج (بِالْجُنُودِ) عن بلده إلى جهاد العدو وبالجنود فى موضع الحال أى مختلطا بالجنود وهم ثمانون ألفا وكان الوقت قيظا وسألوا أن يجرى الله لهم نهرا (قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم) مختبركم أى يعاملكم معاملة المختبر (بِنَهَرٍ) وهو نهر فلسطين ليتميز المحقق فى الجهاد من المعذر (فَمَن شَرِبَ مِنْهُ) كرعا (فَلَيْسَ مِنِّي) فليس من أتباعى وأشياعى (وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ) ومن لم يذقه من طعم الشىء إذا ذاقه (فَإِنَّهُ مِنِّي) وبفتح الياء مدنى وأبو عمرو واستثنى (إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ) من قوله فمن شرب منه فليس منى والجملة الثانية فى حكم المتأخرة عن الاستثناء إلا أنها قدمت للعناية (غُرْفَةً بِيَدِهِ) غرفة حجازى وأبو عمرو بمعنى المصدر وبالضم بمعنى المغروف ومعناه الرخصة فى اغتراف الغرفة باليد دون الكرع والدليل عليه (فَشَرِبُوا مِنْهُ) أى فكرعوا (إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ) وهم ثلثمائة وثلاثة

عشر رجلا (فَلَمَّا جَاوَزَهُ) أى النهر (هُوَ) طالوت (وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ) أى القليل (قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ) أى لاقوة لنا (بِجَالُوتَ) هوجبار من العمالقة من أولاد عمليق ابن عاد وكان فى بيضته ثلثمائة رطل من الحديد (وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَقُوا اللَّهِ) يوقنون بالشهادة قيل الضمير فى قالوا للكثير الذين انخذلوا والذين يظنون هم القليل الذين ثبتوا معه وروى أن الغرفة كانت تكفى الرجل لشربه وإداوته والذين شربوا منه اسودت شفاههم وغلبهم العطش (كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ) كم خبرية وموضعها رفع بالابتداء (غَلَبَتْ) خبرها (فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ) بنصره (وَاللَّهُ مَعَ الصَّـٰبِرِينَ) بالنصر (وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ) خرجوا لقتالهم (قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ) اصبب (عَلَيْنَا صَبْرًا) على القتال (وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا) بتقوية قلوبنا وإلقاء الرعب فى صدور عدونا (وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَـٰفِرِينَ) أعنا عليهم (فَهَزَمُوهُم) أى طالوت والمؤمنون جالوت وجنوده (بِإِذْنِ اللَّهِ) بقضائه (وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ) كان ييشا أبو داود فى عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وهو صغير يرعى الغنم فأوحى الله إلى نبيهم أن داود هو الذى يقتل جالوت فطلبه من أبيه فجاء وقد مر فى طريقه بثلاثة أحجار دعاه كل واحد منها أن يحمله وقالت له إنك تقتل بنا جالوت فحملها فى مخلاته ورمى بها جالوت فقتله وزوجه طالوت بنته ثم حسده وأراد قتله ثم مات تائبا (وَءَاتَـٰهُ اللَّهُ الْمُلْكَ) فى مشارق الأرض المقدسة ومغاربها وما اجتمعت بنواسرائيل على ملك قط قبل داود (وَالْحِكْمَةَ) والنبوة (وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ) من صنعة الدروع وكلام الطيور والدواب وغير ذلك (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ) هو مفعول به (بَعْضَهُم) بدل من الناس دفاع مدنى مصدر دفع أو دافع (بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ) أى ولولا أن الله تعالى يدفع بعض الناس ببعض ويكف بهم فسادهم لغلب المفسدون وفسدت الأرض وبطلت منافعها من الحرث والنسل أوولولا أن الله تعالى ينصر المسلمين على الكافرين لفسدت الأرض بغلبة الكفار وقتل الأبرار وتخريب البلاد وتعذيب العباد (وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَـٰلَمِينَ) بإزالة الفساد عنهم وهودليل على المعتزلة فى مسئلة الأصلح (تِلْكَ) مبتدأ خبره (ءَايَـٰتُ اللَّهِ) يعنى القصص التى اقتصها من حديث الألوف وإماتتهم وإحيائهم وتمليك طالوت وإظهاره على الجبابرة على يد صبى (نَتْلُوهَا) حال من آيات الله والعامل فيه معنى الإشارة أو آيات الله

بدل من تلك ونتلوها الخبر (عَلَيْكَ بِالْحَقِّ) باليقين الذى لايشك فيه أهل الكتاب لأنه فى كتبهم كذلك (وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ) حيث تخبر بها من غير أن تعرف بقراءة كتاب أو سماع من أهله (تِلْكَ الرُّسُلُ) إشارة إلى جماعة الرسل التى ذكرت قصصها فى هذه السورة من آدم إلى داود أو التى ثبت علمها عند رسول الله عليه السلام (فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ) بالخصائص وراء الرسالة لاستوائهم فيها كالمؤمنين يستوون فى صفة الإيمان ويتفاوتون فى الطاعات بعد الإيمان ثم بين ذلك بقوله (مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ) أى كلمه الله حذف العائد من الصلة يعنى منهم من فضله الله بأن كلمه من غير سفير وهو موسى عليه السلام (وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ) مفعول أول (دَرَجَٰتٍ) مفعول ثان أى بدرجات أو إلى درجات يعنى ومنهم من رفعه على سائر الأنبياء فكان بعد تفاوتهم فى الفضل أفضل منهم بدرجات كثيرة وهو محمد ﷺ لأنه هو المفضل عليهم بإرساله إلى الكافة وبأنه أوتى مالم يؤته أحد من الآيات المتكاثرة المرتقية إلى ألف أو أكثر وأكبرها القرآن لأنه المعجزة الباقية على وجه الدهر وفى هذا الإبهام تفخيم وبيان أنه العلم الذى لا يشتبه على أحد والمتميز الذى لا يلتبس وقيل أريد به محمد وابراهيم وغيرهما من أولى العزم من الرسل (وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَٰتِ) كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وغير ذلك (وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ) قويناه بجبريل أو بالإنجيل (وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ) أى مااختلف لأنه سببه (الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم) من بعد الرسل (مِّن بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ الْبَيِّنَٰتُ) المعجزات الظاهرات (وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا) بمشيئتى ثم بين الاختلاف فقال (فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ) بمشيئتى يقول الله أجربت أمور رسلى على هذا أى لم يجتمع لأحد منهم طاعة جميع أمته فى حياته ولا بعد وفاته بل اختلفوا عليه فمنهم من آمن ومنهم من كفر (وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا) كرره للتأكيد أى لو شئت أن لا يقتتلوا لم يقتتلوا إذ لا يجرى فى ملكى إلا ما يوافق مشيئتى وهذا يبطل قول المعتزلة لأنه أخبر أنه لو شاء أن لا يقتتلوا لم يقتتلوا وهم يقولون شاء أن لا يقتتلوا فاقتتلوا (وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ) أثبت الإرادة لنفسه كما هو مذهب أهل السنة (يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَٰكُم) فى الجهاد فى سبيل الله أوهو عام فى كل صدقة واجبة (مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ) أى من قبل أن يأتى يوم لاتقدرون فيه على تدارك مافاتكم من الإنفاق لأنه

لا بيع فيه حتى تبتاعوا ماتنفقونه (وَلَا خُلَّةٌ) حتى يسامحكم أخلاؤكم به (وَلَا شَفَاعَةٌ) أى للكافرين فأما المؤمنون فلهم شفاعة أوإلا بإذنه (وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ) أنفسهم بتركهم التقديم ليوم حاجاتهم أو الكافرون بهذا اليوم هم الظالمون لابيع فيه ولا خلة ولا شفاعة مكى وبصرى (اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ) لامع اسمه وخبره وما أبدل من موضعه فى موضع الرفع خبر المبتدأ وهو الله (الْحَيُّ) الباق الذى لا سبيل عليه للفناء (الْقَيُّومُ) الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه (لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ) نعاس وهو ما يتقدم النوم من الفتور (وَلَا نَوْمٌ) عن المفضل السنة ثقل فى الرأس والنعاس فى العين والنوم فى القلب وهو تأكيد للقيوم لأن من جاز عليه ذلك استحال أن يكون قيوما وقد أوحى إلى موسى عليه السلام قل لهؤلاء إنى أمسك السموات والأرض بقدرتى فلو أخذنى نوم أو نعاس لزالتا (لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) ملكا وملكا (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ) ليس لأحد أن يشفع عنده إلا بإذنه وهو بيان لملكوته وكبريائه وأن أحدا لا يتمالك أن يتكلم يوم القيامة إلا إذا أذن له فى الكلام وفيه رد لزعم الكفار أن الأصنام تشفع لهم (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ) ما كان قبلهم وما يكون بعدهم والضمير لما فى السماوات والأرض لأن فيهم العقلاء (وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ) من معلومه يقال فى الدعاء اللهم اغفر علمك فينا أى معلومك (إِلَّا بِمَا شَاءَ) إلا بما علم (وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ) أى علمه ومنه الكراسة لتضمنها العلم والكراسى العلماء وسمى العلم كرسيا تسمية بمكانه الذى هو كرسى العالم وهو كقوله تعالى ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما أو ملكه تسمية بمكانه الذى هو كرسى الملك أو عرشه كذا عن الحسن أو هو سرير دون العرش فى الحديث «ما السماوات السبع فى الكرسى إلا كحلقة ملقاة بفلاة وفضل العرش على الكرسى كفضل الفلاة على تلك الحلقة» أو قدرته بدليل قوله (وَلَا يَئُودُهُ) ولا يثقله ولا يشق عليه (حِفْظُهُمَا) حفظ السموات والأرض (وَهُوَ الْعَلِيُّ) فى ملكه وسلطانه (الْعَظِيمُ) فى عزه وجلاله أو العلى المتعالى عن الصفات التى لا تليق به العظيم المتصف بالصفات التى تليق به فهما جامعان لكمال التوحيد وإنما ترتبت الجمل فى آية الكرسى بلا حرف عطف لأنها وردت على سبيل البيان فالأولى بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمنا عليه غير ساه عنه والثانية لكونه مالكا لما يدبره والثالثة لكبرياء شأنه والرابعة لإحاطته بأحوال الخلق

والخامسة لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها أو لجلاله وعظم قدره وإنما فضلت هذه الآية حتى ورد فى فضلها ماورد، منه ماروى عن على رضى الله عنه عن النبى ﷺ من قرأ آية الكرسى فى دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت ولا يواظب عليها إلا صديق أو عابد ومن قرأها إذا أخذ مضجعه أمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والأبيات حوله. وقال عليه السلام «سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الأيام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسى ـ وقال ـ ما قرئت هذه الآية فى دار إلا هجرتها الشياطين ثلاثين يوماً ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة ـ وقال ـ من قرأ آية الكرسى عند منامه بعث إليه ملك يحرسه حتى يصبح ـ وقال ـ من قرأ هاتين الآيتين حين يمسى حفظ بهما حتى يصبح وإن قرأهما حين يصبح حفظ بهما حتى يمسى : آية الكرسى وأول حم المؤمن إلى إليه المصير لاشتمالهما على توحيد الله تعالى وتعظيمه وتمجيده وصفاته العظمى ولا مذكور أعظم من رب العزة فما كان ذاكراً له كان أفضل من سائر الأذكار وبه يعلم أن أشرف العلوم علم التوحيد» (لَآ إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ) أى لا إجبار على الدين الحق وهو دين الإسلام وقيل هو إخبار فى معنى النهى وروى أنه كان لأنصارى ابنان فتنصرا فلزمهما أبوهما وقال والله لا أدعكما حتى تسلما فأبيا فاختصما إلى رسول الله ﷺ فقال الانصارى يارسول الله أيدخل بعضى فى النار وأنا أنظر فنزلت فخلاهما قال ابن مسعود وجماعة كان هذا فى الابتداء ثم نسخ بالأمر بالقتال (قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَىِّ) قد تميز الإيمان من الكفر بالدلائل الواضحة (فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّٰغُوتِ) بالشيطان أو الأصنام (وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ) تمسك (بِالْعُرْوَةِ) أى المعتصم والتعلق (الْوُثْقَىٰ) تأنيث الأوثق أى الأشد من الحبل الوثيق المحكم المأمون (لَا انفِصَامَ لَهَا) لا انقطاع للعروة وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس حتى يتصوره السامع كأنه ينظر إليه بعينه فيحكم اعتقاده والمعنى فقد عقد لنفسه من الدين عقداً وثيقاً لا تحله شبهة (وَاللَّهُ سَمِيعٌ) لإقراره (عَلِيمٌ) باعتقاده (اللَّهُ وَلِىُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا) أرادوا أن يؤمنوا أى ناصرهم ومتولى أمورهم (يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَٰتِ) من ظلمات الكفر والضلالة وجمعت لاختلافها (إِلَى النُّورِ) إلى الإيمان

والهداية ووحد لاتحاد الإيمان (وَالَّذِينَ كَفَرُوا) مبتدأ والجملة وهي (أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّـٰغُوتُ) خبره (يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَـٰتِ) وجمع لأن الطاغوت في معنى الجمع يعني والذين صمموا على الكفر أمرهم على عكس ذلك أو الله ولي المؤمنين يخرجهم من الشبهة في الدين إن وقعت لهم بما يهديهم ويوفقهم له من حلها حتى يخرجوا منها إلى نور اليقين والذين كفروا أولياؤهم الشياطين يخرجونهم من نور البينات الذي يظهر لهم إلى ظلمات الشك والشبهة (أُوْلَـٰئِكَ أَصْحَـٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ) ثم عجب نبيه عليه السلام وسلاه بمجادلة ابراهيم عليه السلام نمرود الذي كان يدعى الربوبية بقوله (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ) في معارضته ربوبية ربه والهاء في ربه يرجع إلى إبراهيم أو إلى الذي حاج فهو ربهما (أَنْ ءَاتَـٰهُ اللَّهُ الْمُلْكَ) لأن آتاه الله يعني أن إيتاء الملك أبطره وأورثه الكبر فحاج لذلك وهو دليل على المعتزلة في الأصلح أو حاج وقت أن آتاه الله الملك (إِذْ قَالَ) نصب بحاج أو بدل من إن آتاه إذا جعل بمعنى الوقت (إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ) رب حمزة (الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ) كأنه قال له من ربك قال ربي الذي يحيي ويميت (قَالَ) نمرود (أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ) يريد أعفو عن القتل وأقتل فانقطع اللعين بهذا عند المخاصمة فزاد إبراهيم عليه السلام ما لا يتأتى فيه التلبيس على الضعفة حيث (قَالَ إِبْرَاهِيمُ) عليه السلام (فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ) وهذا ليس بانتقال من حجة إلى حجة كما زعم البعض لأن الحجة الأولى كانت لازمة ولكن لما عاند اللعين حجة الإحياء بتخلية واحد وقتل آخر كلمه من وجه لا يعاند وكانوا أهل تنجيم وحركة الكواكب من المغرب إلى المشرق معلومة لهم والحركة الشرقية المحسوسة لنا قسرية كتحريك الماء النمل على الرحى إلى غير جهة حركة النمل فقال إن ربي يحرك الشمس قسراً على غير حركتها فإن كنت ربا فحركها بحركتها فهو أهون (فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ) تحير ودهش (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّـٰلِمِينَ) أي لا يوفقهم وقالوا إنما لم يقل نمرود فليأت ربك بالشمس من المغرب لأن الله تعالى صرفه عنه وقيل إنه كان يدعى الربوبية لنفسه وما كان يعترف بالربوبية لغيره ومعنى قوله أنا أحيي وأميت أن الذي ينسب إليه الإحياء والإماتة أنا لا غيري والآية تدل على إباحة التكلم في علم الكلام والمناظرة فيه لأنه قال: ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه. والمحاجة تكون بين اثنين فدل على أن ابراهيم حاجه

أيضا ولولم يكن مباحا لما باشرها ابراهيم عليه السلام لكون الأنبياء عليهم السلام معصومين عن ارتكاب الحرام ولأنا أمرنا بدعاء الكفرة إلى الإيمان بالله وتوحيده وإذا دعونا هم إلى ذلك لابد أن يطلبوا منا الدليل على ذلك وذا لا يكون إلا بعد المناظرة كذا في شرح التأويلات (أَوْ كَالَّذِي مَرَّ) معناه أو أرأيت مثل الذى فحذف لدلالة ألم تر عليه لأن كلتيهما كلمة تعجيب أو هو محمول على المعنى دون اللفظ تقديره أرأيت كالذى حاج ابراهيم أو كالذى مر وقال صاحب الكشف فيه الكاف زائدة والذى عطف على قوله إلى الذى حاج عن الحسن أن المار كان كافراً بالبعث لانتظامه مع نمرود فى سلك ولكلمة الاستبعاد التى هى أنى يحيي والأكثر أنه عزير أراد أن يعاين إحياء الموتى ليزداد بصيرة كما طلبه إبراهيم عليه السلام وأنى يحيي اعتراف بالعجز عن معرفة طريقة الإحياء واستعظام لقدرة المحيي (عَلَىٰ قَرْيَةٍ) هى بيت المقدس حين خربه بختنصر وهى التى خرج منها الألوف (وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا) ساقطة مع سقوفها أو سقطت السقوف ثم سقطت عليها الحيطان وكل مرتفع عرش (قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي) أى كيف (هَٰذِهِ) أى أهل هذه (اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ) أى أحياه (قَالَ) له ملك (كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ) بناء على الظن وفيه دليل جواز الاجتهاد روى أنه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غيبوبة الشمس فقال قبل النظر إلى الشمس يوماً ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال أو بعض يوم (قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ) روى أن طعامه كان تيناً وعنباً وشرابه عصيراً ولبناً فوجد التين والعنب كما جنيا والشراب على حاله (لَمْ يَتَسَنَّهْ) لم يتغير والهاء أصلية أو هاء سكت واشتقاقه من السنة على الوجهين لأن لامها هاء لأن الأصل سنهة والفعل سانهت يقال سانهت فلانا أى عاملته سنة أو واو لأن الأصل سنوة والفعل سانيت ومعناه لم تغيره السنون لم يتسن بحذف الهاء فى الوصل وبإثباتها فى الوقف حمزة وعلى (وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ)

كيف تفرقت عظامه ونخرت وكان له حمار قد ربطه فمات وتفتتت عظامه أو وانظر إليه سالما فى مكانه كما ربطته وذلك من أعظم الآيات أن يعيش مائة عام من غير علف ولا ماء كما حفظ طعامه وشرابه من التغير (وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ) فعلنا ذلك يريد إحياءه بعد الموت وحفظ مامعه وقيل الواو عطف على محذوف أى لتعتبر ولنجعلك. قيل أتى قومه راكبا حمارا وقال :

أنا عزير فكذبوه فقال هاتوا التوراة فأخذ يقرؤها عن ظهر قلبه ولم يقرأ التوراة ظاهراً أحد قبل عزير فذلك كونه آية وقيل رجع إلى منزله فرأى أولاده شيوخاً وهو شاب (وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ) أى عظام الحمار أو عظام الموتى الذين تعجب من إحيائهم (كَيْفَ نُنشِزُهَا) نحركها ونرفع بعضها إلى بعض للتركيب ننشرها بالراء حجازى وبصرى نحييها (ثُمَّ نَكْسُوهَا) أى العظام (لَحْماً) جعل اللحم كاللباس مجازاً (فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ) فاعله مضمر تقديره فلما تبين له أن الله على كل شيء قدير (قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) فحذف الأول لدلالة الثانى عليه كقولهم ضربنى وضربت زيداً ويجوز فلما تبين له ما أشكل عليه يعنى أمر إحياء الموتى قال اعلم على لفظ الأمر حمزة وعلى أى قال الله له اعلم أو هو خاطب نفسه (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي) بصرى (كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ) موضع كيف نصب بتحى (قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي) وإنما قال له أو لم تؤمن وقد علم أنه أثبت الناس إيماناً ليجيب بما أجاب به لما فيه من الفائدة الجليلة للسامعين وبلى إيجاب لما بعد النفى معناه بلى آمنت ولكن لأزيد سكوناً وطمأنينة بمضامة علم الضرورة علم الاستدلال وتظاهر الأدلة أسكن للقلوب وأزيد للبصيرة فعلم الاستدلال يجوز معه التشكيك بخلاف الضرورى واللام تتعلق بمحذوف تقديره ولكن سألت ذلك أراد طمأنينة القلب (قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ) طاوسا وديكا وغرابا وحمامة (فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ) وبكسر الصاد حمزة أى أملهن واضممهن إليك (ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا) ثم جزئهن وفرق أجزاءهن على الجبال التى بحضرتك وفى أرضك وكانت أربعة أجبل أو سبعة جزأ بضمتين وهمز أبو بكر (ثُمَّ ادْعُهُنَّ) قل لهن تعالين بإذن الله (يَأْتِينَكَ سَعْياً) مصدر فى موضع الحال أى ساعيات مسرعات فى طيرانهن أو فى مشيهن على أرجلهن وإنما أمره بضمها إلى نفسه بعد أخذها ليتأملها ويعرف أشكالها وهيئاتها وحلاها لئلا تلتبس عليه بعد الإحياء ولا يتوهم أنها غير تلك وروى أنه أمر بأن يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق أجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها وأن يمسك رؤسها ثم أمر أن يجعل أجزاءها على الجبال على كل جبل ربعا من كل طائر ثم يصيح بها تعالين بإذن الله تعالى فجعل كل جزء يطير إلى الآخر حتى صارت جثثا ثم أقبلن فانضممن إلى رؤسهن كل جثة إلى رأسها (وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ) لايمتنع عليه مايريده

(حَكِيمٌ) فيما يدبر لايفعل إلا ما فيه الحكمة، ولما برهن على قدرته على الإحياء حث على الانفاق فى سبيل الله وأعلم أن من أنفق فى سبيله فله فى نفقته أجر عظيم وهو قادر عليه فقال (مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) لابد من حذف مضاف أى مثل نفقتهم (كَمَثَلِ حَبَّةٍ) أومثلهم كمثل باذر حبة (أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ) المنبت هو الله ولكن الحبة لما كانت سببا أسند إليها الإنبات كما يسند إلى الأرض وإلى الماء ومعنى إنباتها سبع سنابل أن تخرج ساقا يتشعب منه سبع شعب لكل واحد سنبلة وهذا التمثيل تصوير للأضعاف كأنها ماثلة بين عينى الناظر والممثل به موجود فى الدخن والذرة وربما فرخت ساق البرة فى الأرض القوية المغلة فيبلغ حبها هذا المبلغ على أن التمثيل يصح وإن لم يوجد على سبيل الفرض، والتقدير ووضع سنابل موضع سنبلات كوضع قروء موضع أقراء (وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ) أى يضاعف تلك المضاعفه لمن يشاء لا لكل منفق لتفاوت أحوال المنفقين أو يزيد على سبعمائة لمن يشاء يضَعِّفُ شامى ويضعِّفُ مكى (وَاللَّهُ وَاسِعٌ) واسع الفضل والجود (عَلِيمٌ) بنيات المنفقين (الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا) هو أن يعتد على من أحسن إليه بإحسانه ويريه أنه اصطنعه وأوجب عليه حقا له وكانوا يقولون إذا صنعتم صنيعة فانسوها (وَلَا أَذًى) هو أن يتطاول عليه بسبب ما أعطاه ومعنى ثم إظهار التفاوت بين الإنفاق وترك المن والأذى وأن تركهما خير من نفس الإنفاق كما جعل الاستقامة على الإيمان خيراً من الدخول فيه بقوله ثم استقاموا (لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ) أى ثواب انفاقهم (وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ) من بخس الأجر (وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) من فوته أو لا خوف من العذاب ولا حزن بفوت الثواب وإنما قال هنا: لهم أجرهم وفيما بعد فلهم أجرهم لأن الموصول هنا لم يضمن معنى الشرط وضمنه ثمة (قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ) رد جميل (وَمَغْفِرَةٌ) وعفو عن السائل إذا وجد منه ما يثقل على المسئول أو ونيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل (خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى) وصح الإخبار عن المبتدأ النكرة لاختصاصه بالصفة (وَاللَّهُ غَنِيٌّ) لا حاجة له إلى منفق يمن ويؤذى (حَلِيمٌ) عن معاجلته بالعقوبة وهذا وعيدله ثم أكد ذلك بقوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي) الكاف نصب صفة مصدر محذوف والتقدير إبطالا مثل إبطال الذى (يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

الْآخِرِ)أى لاتبطلوا ثواب صدقاتكم بالمن والأذى كإبطال المنافق الذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يريد بإنفاقه رضا الله ولا ثواب الآخرة ورئاء مفعول له (فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ) مثله ونفقته التى لا ينتفع بها البتة بحجر أملس عليه تراب (فَأَصَابَهُ وَابِلٌ) مطر عظيم القطر (فَتَرَكَهُ صَلْدًا)أجرد نقيامن التراب الذى كان عليه (لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا) لايجدون ثواب شىء مما أنفقوا أوالكاف فى محل النصب على الحال أى لاتطلبوا صدقاتكم مماثلين الذى ينفق وإنما قال لايقدرون بعد قوله كالذى ينفق لأنه أراد بالذى ينفق الجنس أو الفريق الذى ينفق (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَـٰفِرِينَ) ماداموا مختارين الكفر (وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ابْتِغَآءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ) أى وتصديقا للإسلام وتحقيقا للجزاء من أصل أنفسهم لأنه إذا أنفق المسلم ماله فى سبيل الله علم أن تصديقه وإيمانه بالثواب من أصل نفسه ومن إخلاص قلبه ومن لابتداء الغاية وهو معطوف على المفعول له أى للإبتغاء والتثبيت والمعنى ومثل نفقة هؤلاء فى زكاتها عند الله (كَمَثَلِ جَنَّةٍ) بستان (بِرَبْوَةٍ) مكان مرتفع وخصها لأن الشجر فيها أزكى وأحسن ثمرا بربوة عاصم وشامى(أَصَابَهَا وَابِلٌ فَئَاتَتْ أُكُلَهَا)ثمرتها أكلها نافع ومكى وأبو عمرو (ضِعْفَيْنِ) مثلى ما كانت تثمر قبل بسبب الوابل (فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ) فطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها أو مثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل وكما أن كل واحد من المطرين يضعف أكل الجنة فكذلك نفقتهم كثيرة كانت أو قليلة بعد أن يطلب بها رضا الله تعالى زاكية عند الله زائدة فى زلفاهم وحسن حالهم عنده (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) يرى أعمالكم على إكثار وإقلال ويعلم نياتكم فيهما من رياء وإخلاص الهمزة فى(أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ) للإنكار (أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ) بستان (مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ لَهُ) لصاحب البستان (فِيهَا) فى الجنة (مِن كُلِّ الثَّمَرَٰتِ) يريد بالثمرات المنافع التى كانت تحصل له فيها أو أن النخيل والأعناب لما كانا أكرم الشجر وأكثرها منافع خصهما بالذكر وجعل الجنة منهما وإن كانت محتوية على سائر الأشجار تغليبا لهما على غيرهما ثم أردفهما ذكر كل الثمرات (وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ) الواو للحال ومعناه أن تكون له جنة وقد أصابه الكبر والواو

فى (وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ) أولاد صغار للحال أيضا والجملة فى موضع الحال من الهاء فى أصابه (فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ) ريح تستدير فى الأرض ثم تستطع نحو السماء كالعمود (فِيهِ) فى الإعصار وارتفع (نَارٌ) بالظرف إذ جرى الظرف وصفا لإعصار (فَاحْتَرَقَتْ) الجنة وهذا مثل لمن يعمل الأعمال الحسنة رياء فإذا كان يوم القيامة وجدها محبطة فيتحسر عند ذلك حسرة من كانت له جنة جامعة للثمار فبلغ الكبر وله أولاد ضعاف والجنة معاشهم فهلكت بالصاعقة (كَذَٰلِكَ) كهذا البيان الذى بين فيما تقدم (يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ) فى التوحيد والدين (لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ) فتنتبهوا (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ) من جياد مكسوباتكم وفيه دليل وجوب الزكاة فى أموال التجارة (وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ) من الحب والثمر والمعادن وغيرها والتقدير ومن طيبات ما أخرجنا لكم إلا أنه حذف لذكر الطيبات (وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ) ولا تقصدوا المال الردىء (مِنْهُ تُنفِقُونَ) تخصونه بالإنفاق وهو فى محل الحال أى ولا تيمموا الخبيث منفقين أى مقدرين النفقة (وَلَسْتُم بِئَاخِذِيهِ) وحالكم أنكم لا تأخذونه فى حقوقكم (إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا فِيهِ) إلا بأن تتسامحوا فى أخذه وتترخصوا فيه من قولك أغمض فلان عن بعض حقه إذا غض بصره ويقال للبائع أغمض أى لا تستقص كأنك لا تبصر وعن ابن عباس رضى الله عنهما كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ) عن صدقاتكم (حَمِيدٌ) مستحق للحمد أو محمود (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ) فى الإنفاق (الْفَقْرَ) ويقول لكم إن عاقبة إنفاقكم أن تفتقروا والوعد يستعمل فى الخير والشر (وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَآءِ) ويغريكم على البخل ومنع الصدقات إغراء الآمر للمأمور والفاحش عند العرب البخيل (وَاللَّهُ يَعِدُكُم) فى الإنفاق (مَّغْفِرَةً مِّنْهُ) لذنوبكم وكفارة لها (وَفَضْلًا) وأن يخلف عليكم أفضل مما أنفقتم أو وثوابا عليه فى الآخرة (وَاللَّهُ وَاسِعٌ) يوسع على من يشاء (عَلِيمٌ) بأفعالكم ونياتكم (يُؤْتِى الْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ) علم القرآن والسنة أو العلم النافع الموصل إلى رضا الله والعمل به والحكيم عند الله هو العالم العامل (وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ) ومن يؤت يعقوب أى ومن يؤته الله الحكمة (فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا) تنكير تعظيم أى أوتى خيرا أى خير كثير (وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُولُوا

الْأَلْبَٰبِ) وما يتعظ بمواعظ الله إلا ذوو العقول السليمة أو العلماء العمال والمراد به الحث على العمل بما تضمنت الآى فى معنى الإنفاق (وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ) فى سبيل الله أو فى سبيل الشيطان (أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ) فى طاعة الله أوفى معصيته (فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ) لايخفى عليه وهو مجازيكم عليه (وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ) الذين يمنعون الصدقات أو ينفقون أموالهم فى المعاصى أو ينذرون فى المعاصى أولا يفون بالنذور (مِنْ أَنصَارٍ) ممن ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه (إِن تُبْدُوا الصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ) فنعم شيئا إبداؤها وما نكرة غير موصولة ولا موصوفة والمخصوص بالمدح هى فنعما هى بكسر النون وإسكان العين أبو عمرو ومدنى غير ورش وبفتح النون وكسر العين شامى وحمزة وعلى وبكسر النون والعين غيرهم (وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ) وتصيبوا بها مصارفها مع الإخفاء (فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ) فالإخفاء خير لكم قالوا المراد صدقات التطوع والجهر فى الفرائض أفضل لنفى التهمة حتى إذا كان المزكى ممن لا يعرف باليسار كان إخفاؤه أفضل والمتطوع إن أراد أن يقتدى به كان إظهاره أفضل (وَيُكَفِّرُ) بالنون وجزم الراء مدنى وحمزة وعلى بالياء ورفع الراء شامى وحفص وبالنون والرفع غيرهم فمن جزم فقد عطف على محل الفاء وما بعده لأنه جواب الشرط ومن رفع فعلى الاستئناف والياء على معنى يكفر الله (عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ) والنون على معنى نحن نكفر (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ) من الإبداء والإخفاء (خَبِيرٌ) عالم (لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ) لا يجب عليك أن تجعلهم مهديين إلى الانتهاء عما نهوا عنه من المن والأذى والإنفاق من الخبيث وغير ذلك وما عليك إلا أن تبلغهم النواهى فحسب (وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ) أو ليس عليك التوفيق على الهدى أو خلق الهدى وإنما ذلك إلى الله (وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ) من مال (فَلِأَنفُسِكُمْ) فهو لأنفسكم لا ينتفع به غيركم فلاتمنوا به على الناس ولا تؤذوهم بالتطاول عليهم (وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ) وليست نفقتكم إلا ابتغاء وجه الله أى رضا الله ولطلب ماعنده فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذى لا يوجه مثله إلى الله أو هذا نفى معناه النهى أى ولا تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله (وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ) ثوابه أضعافا مضاعفة فلا عذر لكم فى أن ترغبوا عن إنفاقه وأن يكون على أحسن الوجوه.

وأجملها (وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ) ولا تنقصون كقوله: ولم تظلم منه شيئا. أى لم تنقص الجار فى (لِلْفُقَرَآءِ) متعلق بمحذوف أى اعمدوا للفقراء أو هو خبر مبتدأ محذوف أى هذه الصدقات للفقراء (الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ) هم الذين أحصرهم الجهاد فمنعهم من التصرف (لاَ يَسْتَطِيعُونَ) لاشتغالهم به (ضَرْباً فِي الأَرْضِ) للكسب وقيل هم أصحاب الصفة وهم نحو من أربعمائة رجل من مهاجرى قريش لم تكن لهم مساكن فى المدينة ولا عشائر فكانوا فى صفة المسجد وهى سقيفته يتعلمون القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون فى كل سرية بعثها رسول الله ﷺ فمن كان عنده فضل أتاهم به إذا أمسى (يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ) بحالهم يحسبهم وبابه شامى ويزيد وحمزة وعاصم غير الأعشى وهبيرة والباقون بكسر السين (أَغْنِيَآءَ مِنَ التَّعَفُّفِ) مستغنين من أجل تعففهم عن المسئلة (تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ) من صفرة الوجوه ورثاثة الحال (لاَ يَسْئَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً) إلحاحا قيل هو نفى السؤال والإلحاح جميعا كقوله * على لاحب لا يهتدى بمناره * يريد نفى المنار والاهتداء به والإلحاح هو اللزوم وأن لا يفارق إلا بشىء يعطاه وفى الحديث «إن الله يحب الحيي الحليم المتعفف ويبغض البذى السآل الملحف» وقيل معناه أنهم إن سألوا سألوا بتلطف ولم يلحوا (وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ) لا يضيع عنده (الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً) هما حالان أى مسرين ومعلنين يعنى يعممون الأوقات والأحوال بالصدقة لحرصهم على الخير فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه ولم يتعللوا بوقت ولا حال وقيل نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه حين تصدق بأربعين ألف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة فى السر وعشرة فى العلانية أو فى على رضى الله عنه لم يملك إلا أربعة دراهم تصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية (فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَوٰا) هو فضل مال خال عن العوض فى معاوضة مال بمال وكتب الربوا بالواو على لغة من يفخم كما كتبت الصلوة والزكوة وزيدت الألف بعدها تشبيها بواو الجمع (لاَ يَقُومُونَ) إذا بعثوا من قبورهم (إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ) أى المصروع لأنه تخبط فى المعاملة فجوزى على المقابلة، والخبط:

الضرب على غير استواء كخبط العشواء (مِنَ الْمَسِّ) من الجنون وهو يتعلق بلا يقومون أى لا يقومون من المس الذى بهم إلا كما يقوم المصروع أو بيقوم أى كما يقوم المصروع من جنونه والمعنى أنهم يقومون يوم القيامة مخبلين كالمصروعين تلك سيماهم يعرفون بها عند أهل الموقف وقيل الذين يخرجون من الأجداث يوفضون إلا أكلة الربا فإنهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لأنهم أكلوا الربا فأرباه الله فى بطونهم حتى أثقلهم فلا يقدرون على الإيفاض (ذَٰلِكَ) العقاب (بِأَنَّهُمْ) بسبب أنهم (قَالُوٓا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَوٰا) ولم يقل إنما الربا مثل البيع مع أن الكلام فى الربا لا فى البيع لأنه جىء به على طريقة المبالغة وهو أنه قد بلغ من اعتقادهم فى حل الربا أنهم جعلوه أصلا وقانونا فى الحل حتى شبهوا به البيع (وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَوٰا) إنكار لتسويتهم بينهما إذ الحل مع الحرمة ضدان فأنى يتماثلان ودلالة على أن القياس يهدمه النص لأنه جعل الدليل على بطلان قياسهم إحلال الله وتحريمه (فَمَن جَآءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ) فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهى عن الربا (فَانْتَهَىٰ) فتبع النهى وامتنع (فَلَهُ مَا سَلَفَ) فلا يؤاخذ بما مضى منه لأنه أخذ قبل نزول التحريم (وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ) يحكم فى شأنه يوم القيامة وليس من أمره إليكم شىء فلا تطالبوه به (وَمَنْ عَادَ) إلى استحلال الربا عن الزجاج أو إلى الربا مستحلا (فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ) لأنهم بالاستحلال صاروا كافرين لأن من أحل ما حرم الله عز وجل فهو كافر فلذا استحق الخلود وبهذا تبين أنه لا تعلق للمعتزلة بهذه الآية فى تخليد الفساق (يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَوٰا) يذهب بركته ويهلك المال الذى يدخل فيه (وَيُرْبِى الصَّدَقَٰتِ) ينميها ويزيدها أى يزيد المال الذى أخرجت منه الصدقة ويبارك فيه وفى الحديث «مانقصت زكاة من مال قط» (وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ) عظيم الكفر باستحلال الربا (أَثِيمٍ) متماد فى الإثم بأكله (إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) قيل المراد به الذين آمنوا بتحريم الربا (يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِىَ مِنَ الرِّبَوٰا) أخذوا ماشرطوا على الناس من الربا وبقيت لهم بقايا فأمروا أن يتركوها ولا يطالبوا بها روى أنها نزلت فى ثقيف وكان لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم عند المحل

بالمال والربا (إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) كاملى الإيمان فإن دليل كماله امتثال المأمور به (فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ) فاعلموا بها من أذن بالشىء إذا علم يؤيده قراءة الحسن فأيقنوا فآذنوا حمزة وأبو بكر غير ابن غالب فأعلموا بها غيركم ولم يقل بحرب الله ورسوله لأن هذا أبلغ لأن المعنى فأذنوا بنوع من الحرب عظيم من عند الله ورسوله وروى أنها لما نزلت قالت ثقيف لاطاقة لنا بحرب الله ورسوله (وَإِن تُبْتُمْ) من الارتباء (فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ) المديونين بطلب الزيادة عليها (وَلَا تُظْلَمُونَ) بالنقصان منها (وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ) وإن وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة ذو إعسار (فَنَظِرَةٌ) فالحكم أوفالأمر نظرة أى إنظار (إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ) يسار ميسرة نافع وهما لغتان (وَأَن تَصَدَّقُوا) بالتخفيف عاصم أى تتصدقوا برءوس أموالكم أو ببعضها على من أعسر من غرمائكم وبالتشديد غيره فالتخفيف على حذف إحدى التاءين والتشديد على الإدغام (خَيْرٌ لَّكُمْ) فى القيامة وقيل أريد بالتصدق الانظار لقوله عليه السلام «لايحل دين رجل مسلم فيؤخره إلا كان له بكل يوم صدقة» (إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) أنه خير لكم فتعملوا به جعل من لايعمل به وإن علمه كأنه لايعلمه (وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ) ترجعون أبو عمرو فرجع لازم ومتعد قيل هى آخر آية نزل بها جبريل عليه السلام وقال ضعها فى رأس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله ﷺ بعدها أحداً وعشرين يوماً أو احداً وثمانين أو سبعة أيام أو ثلاث ساعات (ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ) أى جزاء ما كسبت (وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) بنقصان الحسنات وزيادة السيآت (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ) أى إذا داين بعضكم بعضا يقال داينت الرجل إذا عاملته بدين معطيا أو آخذاً (إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى) مدة معلومة كالحصاد أو الدياس أو رجوع الحاج وإنما احتيج إلى ذكر الدين ولم يقل إذا تداينتم إلى أجل مسمى ليرجع الضمير إليه فى قوله (فَاكْتُبُوهُ) إذ لو لم يذكر لوجب أن يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن ولأنه أبين لتنويع الدين إلى مؤجل وحال وإنما أمر بكتابة الدين لأن ذلك أوثق وآمن من النسيان وأبعد من الجحود والمعنى إذا تعاملتم بدين مؤجل فاكتبوه والأمر للندب وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن المراد به السلم وقال لما حرم الله الربا أباح السلف وعنه أشهد أن الله أباح السلم المضمون إلى أجل معلوم فى كتابه وأنزل فيه أطول آية وفيه دليل على اشتراط الأجل فى السلم (وَلْيَكْتُب

بَيْنَكُمْ) بين المتداينين (كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ) هومتعلق بكاتب صفة له أى كاتب مأمون على ما يكتب يكتب بالاحتياط لايزيد على مايجب أن يكتب ولا ينقص وفيه دليل أن يكون الكاتب فقيها عالما بالشروط حتى يجىء مكتوبه معدلا بالشرع وهو أمر للمتداينين بتخير الكاتب وأن لايستكتبوا إلا فقيها دينا حتى يكتب ماهومتفق عليه (وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ) ولا يمتنع واحد من الكتاب (أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ) مثل ماعلمه الله كتابة الوثائق لايبدل ولا يغير وكامتعلق بأن يكتب (فَلْيَكْتُبْ) تلك الكتابة لايعدل عنها (وَلْيُمْلِلِ الَّذِى عَلَيْهِ الْحَقُّ) ولا يكن المملى إلا من وجب عليه الحق لأنه هو المشهود على ثباته فى ذمته وإقراره به فيكون ذلك إقراراً على نفسه بلسانه والإملال والإملاء لغتان (وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ) وليتق الله الذى عليه الدين ربه فلا يمتنع عن الإملاء فيكون جحوداً لكل حقه (وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا) ولا ينقص من الحق الذى عليه شيئاً فى الإملاء فيكون جحوداً لبعض حقه (فَإِن كَانَ الَّذِى عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا) أى مجنوناً لأن السفه خفة فى العقل أومحجوراً عليه لتبذيره وجهله بالتصرف (أَوْ ضَعِيفًا) صبياً (أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ) لعى به أوخرس أو جهل باللغة (فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ) الذى يلى أمره ويقوم به (بِالْعَدْلِ) بالصدق والحق (وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ) واطلبوا أن يشهد لكم شهيدان على الدين (مِن رِجَالِكُمْ) من رجال المؤمنين. والحرية والبلوغ شرط مع الإسلام وشهادة الكفار بعضهم على بعض مقبولة عندنا (فَإِن لَّمْ يَكُونَا) فإن لم يكن الشهيدان (رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ) فليشهد رجل وامرأتان وشهادة الرجال مع النساء تقبل فيما عدا الحدود والقصاص (مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَآءِ) ممن تعرفون عدالتهم وفيه دليل على أن غير المرضى شاهد (أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ) لأجل أن تنسى إحداهما الشهادة فتذكرها الأخرى إن تضل إحداهما على الشرط فتذكر بالرفع والتشديد حمزة كقوله: ومن عاد فينتقم الله منه. فتُذْكِرَ بالنصب مكى وبصرى من الذِّكر لامن الذَّكر (وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا) لأداء الشهادة أو للتحمل لئلا تتوى حقوقهم وسماهم شهداء قبل التحمل تنزيلا لما يشارف منزلة الكائن فالأول للفرض والثانى للندب (وَلَا تَسْـَٔمُوا) ولا تملوا قال الشاعر:

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا لا أبالك يسأم

والضمير فى (أَن تَكْتُبُوهُ) للدين أوالحق (صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا) على أى حال كان الحق

من صغر أو كبر وفيه دلالة جواز السلم فى الثياب لأن ما يكال أو يوزن لا يقال فيه الصغير والكبير وإنما يقال فى الذرعى ويجوز أن يكون الضمير للكتاب وأن تكتبوه مختصراً أو مشبعاً أو (إِلَى أَجَلِهِ) إلى وقته الذى اتفق الغريمان على تسميته (ذَٰلِكُمْ) إشارة إلى أن تكتبوه لأنه فى معنى المصدر أى ذلك الكتب (أَقْسَطُ) أعدل من القسط وهو العدل (عِندَ اللهِ) ظرف لأقسط (وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ) وأعون على إقامة الشهادة وبنى أفعلا التفضيل أى أقسط وأقوم من أقسط وأقام على مذهب سيبوية (وَأَدْنَىٰ أَلاَّ تَرْتَابُوا) وأقرب من انتفاء الريب للشاهد والحاكم وصاحب الحق فإنه قد يقع الشك فى المقدار والصفات وإذا رجعوا إلى المكتوب زال ذلك وألف أدنى منقلبة من واو لأنه من الدنو (إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً) عاصم أى إلا أن تكون التجارة تجارة أو إلا أن تكون المعاملة تجارة حاضرة غيره تجارة حاضرة على كان التامة أى إلا أن تقع تجارة حاضرة أو هى ناقصة والاسم تجارة حاضرة والخبر (تُدِيرُونَهَا) وقوله (بَيْنَكُمْ) ظرف لتديرونها ومعنى إدارتها بينهم تعاطيها يداً بيد (فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوهَا) يعنى إلا أن تتبايعوا بيعا ناجزاً يداً بيد فلا بأس أن لا تكتبوها لأنه لا يتوهم فيه ما يتوهم فى التداين (وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ) أمر بالإشهاد على التبايع مطلقا ناجزاً أو كالئا لأنه أحوط وأبعد من وقوع الاختلاف أو أريد به وأشهدوا إذا تبايعتم هذا التبايع يعنى التجارة الحاضرة على أن الإشهاد كاف فيه دون الكتابة والأمر للندب (وَلاَ يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ) يحتمل البناء للفاعل لقراءة عمر رضى الله عنه ولا يضارِر وللمفعول لقراءة ابن عباس رضى الله عنهما ولا يضارَر والمعنى نهى الكاتب والشهيد عن ترك الإجابة إلى ما يطلب منهما وعن التحريف والزيادة والنقصان أو النهى عن الضرار بهما بأن يعجلا عن مهم ويلزّا أو لا يعطى الكاتب حقه من الجعل أو يحمل الشهيد مؤنة مجيئه من بلد (وَإِن تَفْعَلُوا) وإن تضاروا (فَإِنَّهُ) فإن الضرار (فُسُوقُ بِكُمْ) مأثم (وَاتَّقُوا اللهَ) فى مخالفة أوامره (وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ) شرائع دينه (وَاللهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ) لا يلحقه سهو ولا قصور (وَإِن كُنتُمْ) أيها المتداينون (عَلَىٰ سَفَرٍ) مسافرين (وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ) فرهان مكى وأبو عمرو أى فالذى يستوثق به رهن وكلاهما جمع رهن كسقف وسقف وبغل وبغال ورهن فى الأصل مصدر سمى به ثم كسر تكسير الأسماء ولما

كان السفر مظنة لأعواز الكتب والإشهاد أمر على سبيل الإرشاد إلى حفظ المال من كان على سفر بأن يقيم التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتب والإشهاد لاأن السفر شرط تجويز الارتهان وقوله (مَّقْبُوضَةٌ)يدل على اشتراط القبض لا كمازعم مالك أن الرهن يصح بالإيجاب والقبول بدون القبض (فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا) فإن أمن بعض الدائنين بعض المديونين بحسن ظنه به فلم يتوثق بالكتابة والشهود والرهن (فَلْيُؤَدِّ الَّذِى اؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُ) دينه وائتمن افتعل من الأمن وهو حث للمديون على أن يكون عند ظن الدائن وأمنه منه وائتمانه له وأن يؤدى إليه الحق الذى ائتمنه عليه فلم يرتهن منهوسمى الدين أمانة وهو مضمون لائتمانه عليه بترك الارتهان منه (وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ) فى إنكار حقه (وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَٰدَةَ) هذا خطاب للشهود (وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ ءَاثِمٌ قَلْبُهُ) ارتفع قلبه بآثم على الفاعلية كأنه قيل فإنه يأثم قلبه أو بالابتداء وآثم خبره مقدم والجملة خبر إن وإنما أسند إلى القلب وحده والجملة هى الآثمة لا القلب وحده لأن كتمان الشهادة أن يضمرها فى القلب ولا يتكلم بها فلما كان إثما مقترفا مكتسبا بالقلب أسند إليه لأن إسناد الفعل إلى الجارحة التى يعمل بها أبلغ كما تقول هذا مما أبصرته عينى ومما سمعته أذنى ومما عرفه قلبى ولأن القلب رئيس الأعضاء والمضغة التى إن صلحت صلح الجسد كله وإن فسدت فسد الجسد كله فكأنه قيل فقد تمكن الإثم فى أصل نفسه وملك أشرف مكان منه ولأن أفعال القلوب أعظم من أفعال سائر الجوارح ألاترى أن أصل الحسنات والسيئات الإيمان والكفر وهما من أفعال القلوب وإذا جعل كتمان الشهادة من آثام القلوب فقد شهد له بأنه من معاظم الذنوب وعن ابن عباس رضى الله عنهما أكبر الكبائر الإشراك بالله وشهادة الزور وكتمان الشهادة (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ) من كتمان الشهادة وإظهارها (عَلِيمٌ) لا يخفى عليه شىء (لِّلَّهِ مَا فِى السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ) خلقا وملكا (وَإِن تُبْدُوا مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ) يعنى من السوء (يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ) يكافئكم ويجازيكم ولا تدخل الوساوس وحديث النفس فيما يخفيه الإنسان لأن ذلك مما ليس فى وسعه الخلو منه ولكن مااعتقده وعزم عليه والحاصل أن عزم الكفر كفر وخطرة الذنوب من غير عزم معفوة وعزم الذنوب إذاندم عليه ورجع عنه واستغفر منه مغفور فأما إذا هم بسيئة وهو ثابت على ذلك إلا أنه منع عنه بمانع ليس باختياره فإنه لا يعاقب على ذلك

عقوبة فعله أى بالعزم على الزنا لا يعاقب عقوبة الزنا وهل يعاقب عقوبة عزم الزنا قيل لا لقوله عليه السلام «إن الله عفا عن أمتى ما حدثت به أنفسها مالم تعمل أوتتكلم به» والجمهور على أن الحديث فى الخطرة دون العزم وأن المؤاخذة فى العزم ثابتة وإليه مال الشيخ أبومنصور وشمس الأئمة الحلوانى رحمهما الله والدليل عليه قوله تعالى: إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة. الآية وعن عائشة رضى الله عنها ماهم العبد بالمعصية من غير عمل يعاقب على ذلك بما يلحقه من الهم والحزن فى الدنيا وفى أكثر التفاسير أنه لما نزلت هذه الآية جزعت الصحابة رضى الله عنهم وقالوا أنؤاخذ بكل ماحدثت به أنفسنا فنزل قوله آمن الرسول إلى قوله لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت فتعلق ذلك بالكسب دون العزم وفى بعضها أنها نسخت بهذه الآية والمحققون على أن النسخ يكون فى الأحكام لا فى الأخبار (فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ) برفعهما شامى وعاصم أى فهو يغفر ويعذب وبجزمهما غيرهم عطفا على جواب الشرط وبالإدغام أبوعمرو وكذا فى الإشارة والبشارة وقال صاحب الكشاف مدغم الراء فى اللام لاحن مخطئ لأن الراء حرف مكرر فيصير بمنزلة المضاعف ولا يجوز ادغام المضاعف وراويه عن أبى عمر مخطئ مرتين لأنه يلحن وينسب إلى أعلم الناس فى العربية ما يؤذن بجهل عظيم (وَاللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ) من المغفرة والتعذيب وغيرهما (قَدِيرٌ) قادر (ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ) إن عطف المؤمنون على الرسول كان الضمير الذى التنوين نائب عنه فى (كُلٌّ) راجعا إلى الرسول والمؤمنون أى كلهم (ءَامَنَ بِاللهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ) ووقف عليه وإن كان مبتدأ كان عليه كل مبتدأ ثانيا والتقدير كل منهم وآمن خبر المبتدأ الثانى والجملة خبر الأول وكان الضمير للمؤمنين ووحد ضمير كل فى آمن على معنى كل واحد منهم آمن وكتابه حمزة وعلى يعنى القرآن أو الجنس (لَا نُفَرِّقُ) أى يقولون لانفرق بل نؤمن بالكل (بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ) أحد فى معنى الجمع ولذا دخل عليه بين وهو لا يدخل إلا على اسم يدل على أكثر من واحد تقول المال بين القوم ولا تقول المال بين زيد (وَقَالُوا سَمِعْنَا) أجبنا قولك (وَأَطَعْنَا) أمرك (غُفْرَانَكَ) أى اغفر لنا غفرانك فهو منصوب بفعل مضمر (رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) المرجع وفيه إقرار بالبعث والجزاء والآية

تدل على بطلان الاستثناء فى الإيمان وعلى بقاء الإيمان لمرتكب الكبائر (لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا) محكى عنهم أو مستأنف (إِلاَّ وُسْعَهَا) إلا طاقتها وقدرتها لأن التكليف لا يرد إلا بفعل يقدر عليه المكلف كذا فى شرح التأويلات وقال صاحب الكشاف الوسع مايسع الإنسان ولا يضيق عليه ولا يحرج فيه أى لا يكلفها إلا ما يتسع فيه طوقه ويتيسر عليه دون مدى غاية الطاقة والمجهود فقد كان فى طاقة الإنسان أن يصلى أكثر من الخمس ويصوم أكثر من الشهر ويحج أكثر من حجة (لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ) ينفعها ما كسبت من خير ويضرها ما اكتسبت من شر وخص الخير بالكسب والشر بالاكتساب لأن الافتعال للانكماش والنفس تنكمش فى الشر وتتكلف للخير (رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ) تركنا أمرا من أوامرك سهوا (أَوْ أَخْطَأْنَا) ودل هذا على جواز المؤاخذة فى النسيان والخطأ خلافا للمعتزلة لإمكان التحرز عنهما فى الجملة ولولا جواز المؤاخذة بهما لم يكن للسؤال معنى (رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا) عبأ يأصر حامله أى يحبسه مكانه لثقله استعير للتكليف الشاق من نحو قتل الأنفس وقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب وغير ذلك (كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا) كاليهود (رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَالاطَاقَةَ لَنَا بِهِ) من العقوبات النازلة بمن قبلنا (وَاعْفُ عَنَّا) امح سيئاتنا (وَاغْفِرْ لَنَا) واستر ذنوبنا وليس بتكرار فالأول للكبائر والثانى للصغائر (وَارْحَمْنَا) بتثقيل ميزاننا مع إفلاسنا أو الأول من المسخ والثانى من الخسف والثالث من الغرق (أَنتَ مَوْلَنَا) سيدنا ونحن عبيدك أو ناصرنا أو متولى أمورنا (فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَـفِرِينَ) فمن حق المولى أن ينصر عبيده فى الحديث «من قرأ آمن الرسول إلى آخره فى ليلة كفتاه» وفيه «من قرأهما بعد العشاء الآخرة اجزأتاه عن قيام الليل» ويجوز أن يقال قرأت صورة البقرة أو قرأت البقرة لما روى عن على رضى الله عنه خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش وقال بعضهم يكره ذلك بل يقال قرأت السورة التى تذكر فيها البقرة والله أعلم .

سورة آل عمران نزلت بالمدينة وهي مائتا آية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(الٓمٓ اللَّهُ) حركت الميم لالتقاء الساكنين أعنى سكونها وسكون لام الله وفتحت لخفة الفتحة ولم تكسر للياء وكسر الميم قبلها تحاميا عن توالى الكسرات وليس فتح الميم لسكونها وسكون ياء قبلها إذ لو كان كذلك لوجب فتحها فى حم ولا يصح أن يقال إن فتح الميم هو فتحة همزة الله نقلت إلى الميم لأن تلك الهمزة همزة وصل تسقط فى الدرج وتسقط معها حركتها ولو جاز نقل حركتها لجاز إثباتها وإثباتها غير جائز وأسكن يزيد والأعشى الميم وقطعا الألف والباقون بوصل الألف وفتح الميم والله مبتدأ (لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ) خبره وخبر لا مضمر والتقدير لا إله فى الوجود إلا هو وهو فى موضع الرفع بدل من موضع لا واسمه (الْحَيُّ الْقَيُّومُ) خبر مبتدأ محذوف أى هو الحى أو بدل من هو والقيوم فيعول من قام وهو القائم بالقسط والقائم على كل نفس بما كسبت (نَزَّلَ) أى هو نزل (عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ) القرآن (بِالْحَقِّ) حال أى نزله حقا ثابتا (مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) لما قبله (وَأَنزَلَ التَّوْرَىٰةَ وَالْإِنجِيلَ) هما اسمان أعجميان وتكلف اشتقاقهما من الورى والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل إنما يصح بعد كونهما عربيين وإنما قيل نزل الكتاب وأنزل التوراة والإنجيل لأن القرآن نزل منجما ونزل الكتابان جملة (مِن قَبْلُ) من قبل القرآن (هُدًى لِّلنَّاسِ) لقوم موسى وعيسى أو لجميع الناس (وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ) أى جنس الكتب لأن الكل يفرق بين الحق والباطل أو الزبور أو كرر ذكر القرآن بما هو نعت له تفخيما لشأنه (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ) من كتبه المنزلة وغيرها (لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ) ذو عقوبة شديدة لا يقدر على مثلها منتقم (إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى الْأَرْضِ وَلَا فِى السَّمَآءِ) أى فى العالم فعبر عنه بالسماء والأرض أى هو مطلع على كفر من كفر وإيمان من آمن وهو مجازيهم عليه (هُوَ الَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ) من الصور المختلفة (لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ) فى سلطانه (الْحَكِيمُ) فى تدبيره روى أنه لما قدم وفد بنى نجران وهم ستون راكبا أميرهم العاقب وعمدتهم السيد وأسقفهم وحبرهم أبو حارثة

خاصموا فى أن عيسى إن لم يكن ولدا لله فمن أبوه فقال عليه السلام ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا وهو يشبه أباه قالوا بلى قال ألم تعلموا أن الله تعالى حى لايموت وعيسى يموت وأن ربنا قيم على العباد يحفظهم ويرزقهم وعيسى لايقدر على ذلك وانه لايخفى عليه شيء فى الأرض ولافى السماء وعيسى لايعلم إلا ماعلم وإنه صور عيسى فى الرحم كيف شاء فحملته أمه ووضعته وأرضعته وكان يأكل ويحدث وربنا منزه عن ذلك كله فانقطعوا فنزل فيهم صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية (هُوَ الَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ) القرآن (مِنْهُ) من الكتاب (ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ) أحكمت عبارتها بأن حفظت من الاحتمال والاشتباه (هُنَّ أُمُّ الْكِتَٰبِ) أصله الكتاب تحمل المتشابهات عليها وترد إليها (وَأُخَرُ) وآيات أخر (مُتَشَٰبِهَٰتٌ) مشتبهات محتملات. مثال ذلك الرحمن على العرش استوى فالاستواء يكون بمعنى الجلوس وبمعنى القدرة والاستيلاء ولايجوز الأول على الله تعالى بدليل المحكم وهو قوله ليس كمثله شيء أوالمحكم ما أمر الله به فى كل كتاب أنزله نحو قوله : قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم الآيات، وقضى ربك ألاتعبدوا إلا إياه. الآيات والمتشابه ماوراءه أو مالا يحتمل إلا وجها واحداً وما احتمل أوجها أو ما يعلم تأويله وما لا يعلم تأويله أو الناسخ الذى يعمل به والمنسوخ الذى لايعمل به وإنما لم يكن كل القرآن محكما لما فى المتشابه من الابتلاء به والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه ولما فى تقادح العلماء واتعابهم والقرائح فى استخراج معانيه ورده إلى المحكم من الفوائد الجليلة والعلوم الجمة ونيل الدرجات عند الله تعالى (فَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ) ميل عن الحق وهم أهل البدع (فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ) فيتعلقون بالمتشابه الذى يحتمل مايذهب إليه المبتدع مما لايطابق المحكم ويحتمل مايطابقه من قول أهل الحق (مِنْهُ ابْتِغَآءَ الْفِتْنَةِ) طلب أن يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم (وَابْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِ) وطلب أن يؤولوه التأويل الذى يشتهونه (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ) أى لايهتدى إلى تأويله الحق الذى يجب أن يحمل عليه إلا الله(وَالرَّٰسِخُونَ فِى الْعِلْمِ) والذين رسخوا أى ثبتوا فيه وتمكنوا وعضوا فيه بضرس قاطع مستأنف عند الجمهور والوقف عندهم على قوله إلا الله وفسروا المتشابه بما استأثر الله بعلمه وهو مبتدأ عندهم والخبر (يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ) وهو ثناء منه تعالى عليهم بالإيمان على التسليم واعتقاد الحقية بلا تكييف وفائدة إنزال المتشابه الإيمان به واعتقاد حقية ما أراد الله به ومعرفة قصور أفهام

البشر عن الوقوف على مالم يجعل لهم إليه سبيلا ويعضده قراءة أبى ويقول الراسخون وعبدالله إن تأويله إلا عند الله ومنهم من لا يقف عليه ويقول بأن الراسخين فى العلم يعلمون المتشابه ويقولون كلام مستأنف موضح لحال الراسخين بمعنى هؤلاء العالمون بالتأويل يقولون آمنا به أى بالمتشابه أو بالكتاب (كُلٌّ) من متشابهه ومحكمه (مِّنْ عِندِ رَبِّنَا) من عند الله الحكيم الذى لايتناقض كلامه (وَمَا يَذَّكَّرُ) وما يتعظ وأصله يتذكر (إِلَّآ أُوْلُوا الْأَلْبَٰبِ) أصحاب العقول وهو مدح للراسخين بإلقاء الذهن وحسن التأمل وقيل يقولون حال من الراسخين (رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا) لاتملها عن الحق بخلق الميل فى القلوب (بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا) للعمل بالمحكم والتسليم للمتشابه (وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً) من عندك نعمة بالتوفيق والتثبيت (إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ) كثير الهبة والآية من مقول الراسخين ويحتمل الاستئناف أى قولوها وكذلك التى بعدها وهى (رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ) أى تجمعهم لحساب يوم أو لجزاء يوم (لَّا رَيْبَ فِيهِ) لاشك فى وقوعه (إِنَّ اللهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ) الموعد والمعنى أن الإلٰهية تنافى خلف الميعاد كقولك إن الجواد لايخيب سائله أى لايخلف ما وعد المسلمين والكافرين من الثواب والعقاب (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) برسول الله (لَن تُغْنِىَ) تنفع أو تدفع (عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَا أَوْلَٰدُهُم مِّنَ اللهِ) من عذابه (شَيْئًا) من الأشياء (وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وُقُودُ النَّارِ) حطبها (كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) الدأب مصدر دأب فى العمل إذا كدح فيه فوضع موضع ماعليه الإنسان من شأنه وحاله والكاف مرفوع المحل تقديره دأب هؤلاء الكفرة فى تكذيب الحق كدأب من قبلهم من آل فرعون وغيرهم أو منصوب المحل بلن تغنى أى لن تغنى عنهم مثل مالم تغن عن أولئك كداب بلا همز حيث كان أبو عمرو (كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا) تفسير لدأبهم مما فعلوا أو فعل بهم على أنه جواب سؤال مقدر عن حالهم ويجوز أن يكون حالا أى قد كذبوا (فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِمْ) بسبب ذنوبهم يقال أخذته بكذا أى جازيته عليه (وَاللهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ) شديد عقابه فالإضافة غير محضة (قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا) هم مشركو مكة (سَتُغْلَبُونَ) يوم بدر (وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ) من الجهنام وهى بئر عميقة .وبالياء فيهما حمزة وعلى(وَبِئْسَ الْمِهَادُ) المستقر جهنم (قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ) الخطاب لمشركى قريش (فِى فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا) يوم بدر (فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ اللهِ) وهم المؤمنون

(وَأُخْرَىٰ) وفئة أخرى (كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِّثْلَيْهِمْ) يرى المشركون المسلمين مثلى عدد المشركين ألفين أو مثلى عدد المسلمين ستمائة ونيفاً وعشرين أراهم الله إياهم مع قلتهم أضعافهم ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم . ترونهم نافع أى ترون يا مشركى قريش المسلمين مثلى فئتكم الكافرة أومثلى أنفسهم ولايناقض هذا ماقال فى سورة الأنفال ويقللكم فى أعينهم لأنهم قللوا أولا فى أعينهم حتى اجترؤا عليهم فلما اجتمعوا كثروا فى أعينهم حتى غلبوا فكان التقليل والتكثير فى حالتين مختلفتين ونظيره من المحمول على اختلاف الأحوال فيومئذ لايسئل عن ذنبه إنس ولاجان. وقفوهم إنهم مسؤلون. وتقليلهم تارة وتكثيرهم أخرى فى أعينهم أبلغ فى القدرة وإظهار الآية. ومثليهم نصب على الحال لأنه من رؤية العين بدليل قوله (رَأْيَ الْعَيْنِ) يعنى رؤية ظاهرة مكشوفة لالبس فيها (وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ) كما أيد أهل بدر بتكثيرهم فى أعين العدو (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ) فى تكثير القليل (لَعِبْرَةً) لعظة (لِّأُولِي الْأَبْصَارِ) لذوى البصائر (زُيِّنَ لِلنَّاسِ) المزين هو الله عند الجمهور للابتلاء كقوله: إنا جعلنا ما على الأرض زينة لنبلوهم . دليله قراءة مجاهد زين للناس على تسمية الفاعل وعن الحسن: الشيطان (حُبُّ الشَّهَوَاتِ) الشهوة توقان النفس إلى الشىء، جعل الأعيان التى ذكرها شهوات مبالغة فى كونها مشتهاة أو كأنه أراد تخسيسها بتسميتها شهوات إذ الشهوة مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية (مِنَ النِّسَاءِ) والإماء داخلة فيها (وَالْبَنِينَ) جمع ابن وقد يقع فى غير هذا الموضع على الذكور والإناث وهنا أريد به الذكور فهم المشتهون فى الطباع والمعدون للدفاع (وَالْقَنَاطِيرِ) جمع قنطار وهو المال الكثير قيل ملء مسك ثور أو مائة ألف دينار ولقد جاء الإسلام وبمكة مائة رجل قد قنطروا (الْمُقَنطَرَةِ) المنضدة أو المدفونة (مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ) سمى ذهبا لسرعة ذهابه بالإنفاق وفضة لأنها تتفرق بالإنفاق والفض التفريق (وَالْخَيْلِ) سميت به لاختيالها فى مشيها (الْمُسَوَّمَةِ) المعلمة من السومة وهى العلامة أو المرعية من أسام الدابة وسومها (وَالْأَنْعَامِ) هى الأزواج الثمانية (وَالْحَرْثِ) الزرع (ذَٰلِكَ) المذكور (مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) يتمتع بها فى الدنيا (وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ) المرجع ثم زهدهم فى الدنيا فقال (قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ) من الذى تقدم (لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ) كلام مستأنف فيه دلالة على بيان ماهو خير من ذلكم فجنات مبتدأ وللذين اتقوا خبره

(تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ) صفة لجنات ويجوز أن يتعلق اللام بخير واختص المتقين لأنهم هم المنتفعون به ويرتفع جنات على هو جنات وتنصره قراءة من قرأ جنات بالجر على البدل من خير (خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ) أى رضا الله (وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ) عالم بأعمالهم فيجازيهم عليها أو بصير بالذين اتقوا وبأحوالهم فلذا أعد لهم الجنات (ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ) نصب على المدح أو رفع أو جر صفة للمتقين أو للعباد (رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا) إجابة لدعوتك (فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا) إنجازاً لوعدك (وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ)بفضلك(ٱلصَّٰبِرِينَ) على الطاعات والمصائب وهو نصب على المدح (وَٱلصَّٰدِقِينَ) قولا باخبار الحق وفعلا بإحكام العمل ونية بإمضاء العزم (وَٱلْقَٰنِتِينَ) الداعين أو المطيعين (وَٱلْمُنفِقِينَ) المتصدقين (وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ) المصلين أو طالبين المغفرة وخص الأسحار لأنه وقت إجابة الدعاء ولأنه وقت الخلوة قال لقمان لابنه يابنى لا يكن الديك أكيس منك ينادى بالأسحار وأنت نائم والواو المتوسطة بين الصفات للدلالة على كما لهم فى كل واحدة منها وللاشعار بأن كل صفة مستقلة بالمدح (شَهِدَ ٱللَّهُ) أى حكم أو قال (أَنَّهُۥ) أى بأنه (لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ) بما عاينوا من عظيم قدرته (وَأُولُوا ٱلْعِلْمِ) أى الأنبياء والعلماء (قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ) مقيما للعدل فيما يقسم من الأرزاق والآجال ويثيب ويعاقب وما يأمر به عباده من إنصاف بعضهم لبعض والعمل على السوية فيما بينهم وانتصابه على أنه حال مؤكدة من اسم الله تعالى أو من هو، وإنما جاز إفراده بنصب الحال دون المعطوفين عليه ولو قلت جاء زيد وعمرورا كبا لم يجز لعدم الالباس فإنك لو قلت جاءنى زيد وهندا راكبا جاز لتميزه بالذكورة أو على المدح وكرر (لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ) للتأكيد (ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ)رفع على الاستئناف أى هو العزيز وليس بوصف لهو لأن الضمير لا يوصف يعنى أنه العزيز الذى لا يغالب الحكيم الذى لا يعدل عن الحق (إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ) جملة مستأنفة وقرئ أن الدين على البدل من قوله أنه لا إله إلا هو أى شهد الله أن الدين عند الله الإسلام قال عليه السلام «من قرأ الآية عند منامه خلق الله تعالى منها سبعين ألف خلق يستغفرون له إلى يوم القيامة ومن قال بعدها وأنا أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهى لى عند الله وديعة يقول الله تعالى يوم القيامة إن لعبدى عندى عهدا وأنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا عبدى الجنة» (وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ) أى أهل الكتاب من اليهود والنصارى واختلافهم أنهم تركوا الإسلام

وهو التوحيد فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير بن الله (إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ الْعِلْمُ) أنه الحق الذى لامحيد عنه (بَغْياً بَيْنَهُمْ) أى ما كان ذلك الاختلاف إلا حسدا بينهم وطلبا منهم للرياسة وحظوظ الدنيا واستتباع كل فريق ناسا لاشبهة فى الإسلام وقيل هو اختلافهم فى نبوة محمد عليه الصلاة والسلام حيث آمن به بعض وكفر به بعض وقيل هم النصارى واختلافهم فى أمر عيسى بعد ما جاءهم العلم أنه عبد الله ورسوله (وَمَن يَكْفُرْ بِئَايَٰتِ اللَّهِ) بحججه ودلائله (فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) سريع المجازاة (فَإِنْ حَآجُّوكَ) فإن جادلوك فى أن دين الله الإسلام والمراد بهم وفد بنى نجران عند الجمهور (فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ) أى أخلصت نفسى وجملتى لله وحده لم أجعل فيها لغيره شريكا بأن أعبده وأدعو إلها معه يعنى أن دينى دين التوحيد وهو الدين القويم الذى ثبتت عندكم صحته كما ثبتت عندى وما جئت بشئ بديع حتى تجادلونى فيه ونحوه: قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا. فهو دفع للمحاجة بأن ما هو عليه ومن معه من المؤمنين هو اليقين الذى لا شك فيه فما معنى المحاجة فيه (وَمَنِ اتَّبَعَنِ) عطف على التاء فى أسلمت أى أسلمت أنا ومن اتبعنى وحسن للفاصل ويجوز أن يكون الواو بمعنى مع فيكون مفعولا معه ومن اتبعنى فى الحالين سهل ويعقوب وافق أبو عمرو فى الوصل وجهى مدنى وشامى وحفص والأعشى والبرجمى (وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ) من اليهود والنصارى (وَالْأُمِّيِّنَ) والذين لا كتاب لهم من مشركى العرب (ءَأَسْلَمْتُمْ) بهمزتين كوفى يعنى أنه قد أتاكم من البينات ما يقتضى حصول الإسلام فهل أسلمتم أم أنتم بعد على كفركم وقيل لفظه لفظ الاستفهام ومعناه الأمر أى أسلموا كقوله فهل أنتم منتهون أى انتهوا (فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا) فقد أصابوا الرشد حيث خرجوا من الضلال إلى الهدى (وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَٰغُ) أى لم يضروك فإنك رسول منبه ما عليك إلا أن تبلغ الرسالة وتنبه على طريق الهدى (وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) فيجازيهم على إسلامهم وكفرهم (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِئَايَٰتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ) هم أهل الكتاب راضون بقتل آبائهم الأنبياء (بِغَيْرِ حَقٍّ) حال مؤكدة لأن قتل النبى لايكون حقا (وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ) ويقاتلون حمزة (بِالْقِسْطِ) بالعدل (مِنَ النَّاسِ) أى سوى الأنبياء قال عليه السلام «قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار فى ساعة واحدة

فقام مائة واثناعشر رجلا من عباد بنى إسرائيل فأمروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا فى آخر النهار من ذلك اليوم» (فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) دخلت الفاء فى خبر إن لتضمن اسمها معنى الجزاء كانه قيل الذين يكفرون فبشرهم بعذاب أليم بمعنى من يكفر فبشرهم وهذا لأن إن لاتغير معنى الابتداء فهى للتحقيق فكأن دخولها كلا دخول ولوكان مكانها ليت أولعل لامتنع دخول الفاء (أُوْلَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ) اى ضاعت (فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) فلهم اللعنة والخزى فى الدنيا والعذاب فى الآخرة (وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ) جمع لوفق رءوس الآى وإلا فالواحد النكرة فى النفى يعم (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِّنَ الْكِتَٰبِ) يريد أحبار اليهود وانهم حصلوا نصيبا وافرا من التوراة ومن للتبعيض أو للبيان (يُدْعَوْنَ) حال من الذين (إِلَىٰ كِتَٰبِ اللهِ) أى التوراة أو القرآن (لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ) جعل حاكما حيث كان سببا للحكم أوليحكم النبى روى أنه عليه السلام دخل مدراسهم فدعاهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث ابن زيد على أى دين أنت قال النبى عليه السلام على ملة ابراهيم قالا إن ابراهيم كان يهوديا قال لهما إن بيننا وبينكم التوراة فهلموا إليها فأبيا (ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ) استبعاد لتوليهم بعد علمهم بأن الرجوع إلى كتاب الله واجب (وَهُم مُّعْرِضُونَ) وهم قوم لا يزال الإعراض ديدنهم (ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ) أى ذلك التولى والإعراض بسبب تسهيلهم على أنفسهم أمر العقاب وطمعهم فى الخروج من النار بعد أيام قلائل وهى أربعون يوما أوسبعة أيام وذلك مبتدأ وبأنهم خبره (وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ) أى غرهم افتراؤهم على الله وهو قولهم نحن أبناء الله وأحباؤه فلا يعذبنا بذنوبنا إلا مدة يسيرة (فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ) فكيف يكون حالهم فى ذلك الوقت (لَّا رَيْبَ فِيهِ) لا شك فيه (وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ) جزاء ما كسبت (وَهُمْ) يرجع إلى كل نفس على المعنى لأنه فى معنى كل الناس (لَا يُظْلَمُونَ) بزيادة فى سيئاتهم ونقصان فى حسناتهم (قُلِ اللَّهُمَّ) الميم عوض من يا ولذا لا يجتمعان وهذا بعض خصائص هذا الاسم كما اختص بالتاء فى القسم وبدخول حرف النداء عليه وفيه لام التعريف وبقطع همزته فى ياالله وبالتفخيم (مَٰلِكَ الْمُلْكِ) تملك جنس الملك فتتصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون وهو نداء ثان أى يامالك الملك (تُؤْتِى الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ) تعطى من تشاء النصيب الذى قسمت له من الملك (وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ) أى تنزعه

فالملك الأول عام والملكان الآخران خاصان بعضان من الكل. روى أنه عليه السلام حين فتح مكة وعد أمته ملك فارس والروم فقالت اليهود والمنافقون هيهات هيهات من أين لمحمد ملك فارس والروم هم أعز وأمنع من ذلك فنزلت (وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ) بالملك (وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ) بنزعه منه (بِيَدِكَ الْخَيْرُ) أى الخير والشر فاكتفى بذكر أحد الضدين عن الآخر أو لأن الكلام وقع فى الخير الذى يسوقه إلى المؤمنين وهو الذى أنكرته الكفرة فقال بيدك الخير تؤتيه أولياءك على رغم من أعدائك (إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ) ولا يقدر على شىء أحد غيرك إلا بإقدارك وقيل المراد بالملك ملك العافية أو ملك القناعة. قال عليه السلام «ملوك الجنة من أمتى القانعون بالقوت يوما فيوما» أو ملك قيام الليل وعن الشبلى الاستغناء بالمكون عن الكونين تعز بالمعرفة أو بالاستغناء بالمكون أو بالقناعة وتذل بأضدادها ثم ذكر قدرته الباهرة بذكر حال الليل والنهار فى المعاقبة بينهما وحال الحى والميت فى إخراج أحدهما من الآخر وعطف عليه رزقه بغير حساب بقوله (تُولِجُ الَّيْلَ فِى النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِى الَّيْلِ) فالإيلاج إدخال الشىء فى الشىء وهو مجاز هنا أى تنقص من ساعات الليل وتزيد فى النهار وتنقص من ساعات النهار وتزيد فى الليل (وَتُخْرِجُ الْحَىَّ مِنَ الْمَيِّتِ) الحيوان من النطفة أو الفرخ من البيضة أو المؤمن من الكافر (وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَىِّ) النطفة من الإنسان أو البيض من الدجاج أو الكافر من المؤمن (وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) لا يعرف الخلق عدده ومقداره وإن كان معلوما عنده ـ ليدل على أن من قدر على تلك الأفعال العظيمة المحيرة للأفهام ثم قدر أن يرزق بغير حساب من يشاء من عباده فهو قادر على أن ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم وفى بعض الكتب أنا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدى، فإن العباد أطاعونى جعلتهم عليهم رحمة، وإن العباد عصونى جعلتهم عليهم عقوبة، فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا إلىّ أعطفهم عليكم وهو معنى قوله عليه السلام « كما تكونوا يولى عليكم الحى من الميت والميت من الحى» بالتشديد حيث كان مدنى وكوفى غير أبى بكر (لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ) نهوا أن يوالوا الكافرين لقرابة بينهم أو لصداقة قبل الإسلام أو غير ذلك وقد كرر ذلك فى القرآن والمحبة فى الله والبغض فى الله باب عظيم فى الإيمان (مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ)

يعنى أن لكم فى موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم عليهم (وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ) أى ومن يوال الكفرة فليس من ولاية الله فى شئ لأن موالاة الولى وموالاة عدوه متنافيان (إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً) إلا أن تخافوا من جهتهم أمرا يجب اتقاؤه أى إلا أن يكون للكافر عليك سلطان فتخافه على نفسك ومالك فحينئذ يجوز لك إظهار الموالاة وإبطان المعاداة (وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ) أى ذاته فلا تتعرضوا لسخطه بموالاة أعدائه وهذا وعيد شديد (وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ) أى مصيركم إليه والعذاب معد لديه وهو وعيد آخر (قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ) من ولاية الكفار أوغيرها مما لا يرضى الله (يَعْلَمْهُ اللهُ) ولم يخف عليه وهو أبلغ وعيد (وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) استئناف وليس بمعطوف على جواب الشرط أى هو الذى يعلم مافى السموات ومافى الأرض فلا يخفى عليه سركم وعلنكم (وَاللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) فيكون قادرا على عقوبتكم (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا) يوم منصوب بتود والضمير فى بينه لليوم أى يوم القيامة حين تجد كل نفس خيرها وشرها حاضرين تتمنى لو أن بينها وبين ذلك اليوم وهوله أمدا بعيدا أى مسافة بعيدة أو باذكر ويقع تجد على ماعملت وحده ويرتفع وماعملت على الابتداء وتود خبره أى والذى عملته من سوء تود هى لو تباعد مابينها وبينه ولا يصح أن تكون ماشرطية لارتفاع تود، نعم الرفع جائز إذا كان الشرط ماضيا لكن الجزم هو الكثير وعن المبرد أن الرفع شاذ وكرر قوله (وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ) ليكون على بال منهم لا يغفلون عنه (وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ) ومن رأفته بهم أن حذرهم نفسه حتى لا يتعرضوا لسخطه ويجوز أن يريد أنه مع كونه محذورا لكمال قدرته مرجو لسعة رحمته كقوله تعالى: إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم. ونزل حين قال اليهود نحن أبناء الله وأحباؤه (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ) محبة العبد لله إيثار طاعته على غير ذلك ومحبة الله العبد أن يرضى عنه ويحمد فعله وعن الحسن زعم أقوام على عهد رسول الله ﷺ أنهم يحبون الله فأراد أن يجعل لقولهم تصديقا من عمل فمن ادعى محبته وخالف سنة رسوله فهو كذاب وكتاب الله يكذبه وقيل محبة الله معرفته ودوام خشيته ودوام اشتغال القلب به وبذكره ودوام الأنس به وقيل هى اتباع النبى عليه السلام فى

أقواله وأفعاله وأحواله إلا ماخص به وقيل علامة المحبة أن يكون دائم التفكير كثير الخلوة دائم الصمت لايبصر إذا نظر ولا يسمع إذا نودى ولا يحزن إذا أصيب ولا يفرح إذا أصاب ولا يخشى أحدا ولا يرجوه (وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ) قيل هى علامة المحبة (فَإِن تَوَلَّوْا) أعرضوا عن قبول الطاعة ويحتمل أن يكون مضارعا أى فإن تتولوا (فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ) أى لايحبهم (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ) اختار (ءَادَمَ) أباالبشر (وَنُوحًا) شيخ المرسلين (وَءَالَ إِبْرَاهِيمَ) اسماعيل وإسحق وأولادهما (وَءَالَ عِمْرَانَ) موسى وهارون هما ابنا عمران بن يصهر وقيل عيسى ومريم بنت عمران بن ماثان وبين العمرانين ألف وثمانمائة سنة (عَلَى الْعَالَمِينَ) على عالمى زمانهم (ذُرِّيَّةً) بدل من آل ابراهيم وآل عمران (بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ) مبتدأ وخبره فى موضع النصب صفة لذرية يعنى أن الآلين ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض موسى وهارون من عمران وعمران من يصهر ويصهر من قاهث وقاهث من لاوى ولاوى من يعقوب ويعقوب من اسحق وكذلك عيسى بن مريم بنت عمران بن ماثان وهو يتصل بيهودا بن يعقوب بن إسحق وقد دخل فى آل ابراهيم رسول الله ﷺ وقيل بعضها من بعض فى الدين (وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) يعلم من يصلح للاصطفاء أو سميع عليم لقول امرأة عمران ونيتها (إِذْ قَالَتِ) وإذ منصوب به أو بإضمار اذكر (امْرَأَتُ عِمْرَانَ) هى امرأة عمران بن ماثان أم مريم جدة عيسى وهى حنة بنت فاقوذا (رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ) أوجبت (مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا) هو حال من ما وهى بمعنى الذى أى معتقا لخدمة بيت المقدس لايد لى عليه ولاأستخدمه وكان هذا النوع من النذر مشروعا عندهم أو مخلصا للعبادة يقال طين حر أى خالص (فَتَقَبَّلْ مِنِّى) منىَ مدنى وأبوعمرو، والتقبل: أخذ الشئ على الرضا به (إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا) الضمير لما فى بطنى وإنما أنث على تأويل الحبلة أو النفس أو النسمة (قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ) أنثى حال من الضمير فى وضعتها أى وضعت الحبلة أو النفس أو النسمة أنثى وإنما قالت هذا القول لأن التحرير لم يكن إلا للغلمان فاعتذرت عما نذرت وتحزنت إلى ربها ولتكلمها بذلك على وجه التحزن والتحسر قال الله (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ) تعظيما لموضوعها أى والله أعلم بالشئ الذى وضعت وما علق به من عزائم الأمور وضعتُ شامى وأبو بكر بمعنى ولعل لله فيه سرا وحكمة وعلى هذا يكون داخلا فى القول وعلى الأول يوقف

عندقوله أنثى وقوله: والله أعلم بما وضعت. ابتداء إخبار من الله تعالى (وَلَيْسَ الذَّكَرُ) الذى طلبت (كَالْأُنْثَىٰ) التى وهبت لها واللام فيهما للعهد (وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ) معطوف على إنى وضعتها أنثى وما بينهما جملتان معترضتان وإنما ذكرت حنة تسميتها مريم لربها لأن مريم فى لغتهم العابدة فأرادت بذلك التقرب والطلب إليه أن يعصمها حتى يكون فعلها مطابقاً لاسمها وأن يصدق فيها ظنها بها ألا ترى كيف أتبعته طلب الإعاذة لها ولولدها من الشيطان بقوله (وَإِنِّي) وإنى مدنى (أُعِيذُهَا بِكَ) أجيرها (وَذُرِّيَّتَهَا) أولادها (مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) الملعون فى الحديث «مامن مولود يولد إلاوالشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان إياه إلا مريم وابنها (فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا) قبل الله مريم ورضى بها فى النذر مكان الذكر (بِقَبُولٍ حَسَنٍ) قيل القبول اسم مايقبل به الشيء كالسعوط لما يسعط به وهو اختصاصه لها بإقامتها مقام الذكر فى النذر ولم تقبل قبلها أنثى فى ذلك أو بأن تسلمها من أمها عقيب الولادة قبل أن تنشأ وتصلح للسدانة. روى أن حنة لما ولدت مريم لفتها فى خرقة وحملتها إلى المسجد ووضعتها عندالأحبار أبناء هارون وهم فى بيت المقدس كالحجبة فى الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لأنها كانت بنت إمامهم وصاحب قربانهم وكانت بنو ماثان رءوس بنى اسرائيل وأحبارهم فقال لهم زكريا أنا أحق بها عندى أختها فقالوا لاحتى نقترع عليها فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين إلى نهر فألقوا فيه أقلامهم فارتفع قلم زكريا فوق الماء ورسبت أقلامهم فتكفلها وقيل هو مصدر على تقدير حذف المضاف أى فتقبلها بذى قبول حسن أى بأمر ذى قبول حسن وهو الاختصاص (وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا) مجاز عن التربية الحسنة قال ابن عطاء ماكانت ثمرته مثل عيسى فذاك أحسن النبات ونباتا مصدر على خلاف الصدر أو التصدير فنبتت نباتا (وَكَفَّلَهَا) وكفلها: قبلها أوضمن القيام بأمرها. وكفّلها كوفى أى كفلها الله زكريا يعنى جعله كافلا لها وضامنا لمصالحها (زَكَرِيَّا) بالقصر كوفى غير أبى بكر فى كل القرآن وقرأ أبو بكر بالمد والنصب هنا. غيرهم بالمد والرفع كالثانية والثالثة ومعناه فى العبرى: دائم الذكر والتسبيح (كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ) قيل بنى لها زكريا محرابا فى المسجد أى غرفة تصعد إليها بسلم وقيل المحراب أشرف المجالس ومقدمها كأنها وضعت فى أشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب وكان لا يدخل عليها إلا هو وحده (وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا) كان رزقها ينزل عليها من الجنة ولم

ترضع ثديا قط فكان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء (قَالَ يَـٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا) من أين لك هذا الرزق الذى لايشبه أرزاق الدنيا وهو آت فى غير حينه (قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ) فلاتستبعد. قيل تكلمت وهى صغيرة كما تكلم عيسى وهو فى المهد (إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ) من جملة كلام مريم أو من كلام رب العالمين (بِغَيْرِ حِسَابٍ) بغير تقدير لكثرته أو تفضلا بغير محاسبة ومجازاة على عمل (هُنَالِكَ) فى ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم فى المحراب أو فى ذلك الوقت فقد يستعار هنا وحيث وثم للزمان لما رأى حال مريم فى كرامتها على الله ومنزلتها رغب أن يكون له من إيشاع ولد مثل ولد أمها حنة فى الكرامة على الله وإن كانت عاقراً عجوزاً فقد كانت أمها كذلك وقيل لما رأى الفاكهة فى غير وقتها انتبه على جواز ولادة العاقر (دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً) ولداً والذرية يقع على الواحد والجمع (طَيِّبَةً) مباركة والتأنيث للفظ الذرية (إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ) مجيبه (فَنَادَتْهُ الْمَلَـٰئِكَةُ) قيل ناداه جبريل عليه السلام وإنما قيل الملائكة لأن المعنى أتاه النداء من هذا الجنس كقولهم فلان يركب الخيل فناديه بالياء والإمالة حمزة وعلى (وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ) وفيه دليل على أن المرادات تطلب بالصلوات وفيها إجابة الدعوات وقضاء الحاجات، وقال ابن عطاء مافتح الله تعالى على عبد حالة سنية إلا باتباع الأوامر وإخلاص الطاعات ولزوم المحاريب (أَنَّ اللَّهَ) بكسر الألف شامى وحمزة على إضمار القول أو لأن النداء قول. الباقون بالفتح أى بأن الله (يُبَشِّرُكَ) يبشرك وما بعده حمزة وعلى من بشره والتخفيف والتشديد لغتان (بِيَحْيَىٰ) هو غير منصرف إن كان عجميا وهو الظاهر فللتعريف والعجمة كموسى وعيسى وإن كان عربيا فللتعريف ووزن الفعل كيعمر (مُصَدِّقًا) حال منه (بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ) أى مصدقاً بعيسى مؤمنا به فهو أول من آمن به وسمى عيسى كلمة الله لأن تكونه بكن بلا أب أو مصدقاً بكلمة من الله مؤمنا بكتاب منه (وَسَيِّدًا) هو الذى يسود قومه أى يفوقهم فى الشرف وكان يحيى فائقا على قومه لأنه لم يركب سيئة قط ويالها من سيادة وقال الجنيد هو الذى جاد بالكونين عوضا عن المكون (وَحَصُورًا) هو الذى لايقرب النساء مع القدرة حصرا لنفسه أى منعا لها من الشهوات (وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّـٰلِحِينَ) ناشئا من الصالحين لأنه كان من أصلاب الأنبياء أو كائنا من جملة الصالحين (قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَـٰمٌ)استبعاد من حيث العادة واستعظام للقدرة لاتشكك (وَقَدْ بَلَغَنِيَ

الْكِبَرُ) كقولهم أدركته السن العالية أى أثر فى الكبر وأضعفنى وكان له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون (وَامْرَأَتِى عَاقِرٌ) لم تلد (قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ) من الأفعال العجيبة (قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّى) لىَ مدنى وأبو عمرو (ءَايَةً) علامة أعرف بها الحبل لأتلقى النعمة بالشكر إذا جاءت (قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ) أى لاتقدر على تكليم الناس (ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا) إلا إشارة بيد أو رأس أو عين أو حاجب وأصله التحرك يقال ارتمز إذا تحرك واستثنى الرمز وهو ليس من جنس الكلام لأنه لما أدى مؤدى الكلام وفهم منه مايفهم منه سمى كلاما أو هو استثناء منقطع وإنما خص تكليم الناس ليعلم أنه يحبس لسانه عن القدرة عن تكليمهم خاصة مع إبقاء قدرته على التكلم بذكر الله ولذا قال (وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِىِّ وَالْإِبْكَٰرِ) أى فى أيام عجزك عن تكليم الناس وهى من الآيات الباهرة والأدلة الظاهرة وإنما حبس لسانه عن كلام الناس ليخلص المدة لذكر الله لايشغل لسانه بغيره كأنه لما طلب الآية من أجل الشكر قيل له آيتك أن تحبس لسانك إلا عن الشكر وأحسن الجواب ما كان منتزعا من السؤال والعشى من حين الزوال إلى الغروب والإبكار من طلوع الفجر إلى وقت الضحى (وَإِذْ) عطف على إذ قالت امرأة عمران أو التقدير واذكر إذ (قَالَتِ الْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ) روى أنهم كلموها شفاها (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰكِ) أولا حين تقبلك من أمك ورباك واختصك بالكرامة السنية (وَطَهَّرَكِ) مما يستقذر من الأفعال (وَاصْطَفَىٰكِ) آخرا (عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَٰلَمِينَ) بأن وهب لك عيسى من غير أب ولم يكن ذلك لأحد من النساء (يَٰمَرْيَمُ اقْنُتِى لِرَبِّكِ) أديمى الطاعة أو أطيلى قيام الصلاة (وَاسْجُدِى) وقيل أمرت بالصلاة بذكر القنوت والسجود لكونهما من هيئات الصلاة ثم قيل لها (وَارْكَعِى مَعَ الرَّٰكِعِينَ) أى ولتكن صلاتك مع المصلين أى فى الجماعة أو وانظمى نفسك فى جملة المصلين وكونى فى عدادهم ولا تكونى فى عداد غيرهم (ذَٰلِكَ) إشارة إلى ما سبق من قصة حنة وزكريا ويحيى ومريم (مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ) يعنى أن ذلك من الغيوب التى لم تعرفها إلا بالوحى (وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ) أزلامهم وهى قداحهم التى طرحوها فى النهر مقترعين أو هى الإقلام التى كانوا يكتبون التوراة بها اختاروها للقرعة تبركا بها (أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ) متعلق بمحذوف دل عليه يلقون كأنه قيل يلقونها ينظرون أيهم يكفل مريم أو ليعلموا أو يقولون (وَمَا كُنتَ

لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ) فى شأنها تنافسا فى التكفل بها (إِذْ قَالَتِ الْمَلَٰئِكَةُ) أى اذكر (يَٰمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ) أى بعيسى (مِّنْهُ) فى موضع جر صفة لكلمة (اسْمُهُ) مبتدأ وذكر ضمير الكلمة لأن المسمى بها مذكر (الْمَسِيحُ) خبره والجملة فى موضع جر صفة لكلمة. والمسيح لقب من الألقاب المشرفة كالصديق والفاروق وأصله مشيحا بالعبرانية ومعناه المبارك كقوله: وجعلنى مباركا أينما كنت . وقيل سمى مسيحا لأنه كان لا يمسح ذاعاهة إلا برأ أو لأنه كان يمسح الأرض بالسياحة لايستوطن مكانا (عِيسَى) بدل من المسيح (ابْنُ مَرْيَمَ) خبر مبتدأ محذوف أى هو ابن مريم ولا يجوز أن يكون صفة لعيسى لأن اسمه عيسى فحسب وليس اسمه عيسى بن مريم وإنما قال ابن مريم إعلاما لها أنه يولد من غير أب فلا ينسب إلا إلى أمه (وَجِيهًا) ذاجاه وقدر (فِى الدُّنْيَا) بالنبوة والطاعة (وَالْآخِرَةِ) بعلو الدرجة والشفاعة (وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ) برفعه إلى السماء، وقوله وجيها حال من كلمة لكونها موصوفة وكذا ومن المقربين أى وثابتا من المقربين وكذا (وَيُكَلِّمُ النَّاسَ) أى ومكلما الناس (فِى الْمَهْدِ) حال من الضمير فى يكلم أى ثابتا فى المهد وهو ما يمهد للصبى من مضجعه سمى بالمصدر (وَكَهْلًا) عطف عليه أى ويكلم الناس طفلا وكهلا أى يكلم الناس فى هاتين الحالتين كلام الأنبياء من غير تفاوت بين حال الطفولة وحالة الكهولة التى يستحكم فيها العقل ويستنبأ فيها الأنبياء (وَمِنَ الصَّٰلِحِينَ) حال أيضا والتقدير يبشرك به موصوفا بهذه الصفات (قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ) أى إذا قدر تكون شىء كونه من غير تأخير لكنه عبر بقوله كن إخبارا عن سرعة تكون الأشياء بتكوينه (وَيُعَلِّمُهُ) مدنى وعاصم وموضعه حال معطوفة على وجيها. الباقون بالنون على أنه كلام مبتدأ (الْكِتَٰبَ) أى الكتابة وكان أحسن الناس خطا فى زمانه وقيل كتب الله (وَالْحِكْمَةَ) بيان الحلال والحرام أو الكتاب الخط باليد والحكمة : البيان باللسان (وَالتَّوْرَىٰةَ وَالْإِنجِيلَ وَرَسُولًا) أى ونجعله رسولا أو يكون فى موضع الحال أى وجيها فى الدنيا والآخرة ورسولا (إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى) بأنى (قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ) بدلالة تدل على صدقى فيما أدعيه من النبوة (أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم) نصب بدل من أنى قد جئتكم أو جر بدل من آية أو رفع على هى أنى أخلق لكم إِنِّىَ نافع

على الاستئناف (مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ) أى أقدر لكم شيئا مثل صورة الطير (فَأَنفُخُ فِيهِ) الضمير للكاف أى فى ذلك الشىء المماثل لهيئة الطير (فَيَكُونُ طَيْرًا) فيصير طيرا كسائر الطيور طائرا مدنى (بِإِذْنِ اللهِ) بأمره قيل لم يخلق شيئا غير الخفاش (وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ) الذى ولد أعمى (وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللهِ) كرر بإذن الله دفعا لوهم من يتوهم فيه اللاهوتية روى أنه أحيا سام بن نوح عليه السلام وهم ينظرون إليه فقالوا هذا سحر مبين فأرنا آية فقال يا فلان أكلت كذا ويا فلان خبىء لك كذا وهو قوله (وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ) وما فيهما بمعنى الذى أو مصدرية (إِنَّ فِى ذَٰلِكَ) فيما سبق (لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَىٰةِ) أى قد جئتكم بآية وجئتكم مصدقا (وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ) رد على قوله بآية من ربكم أى جئتكم بآية من ربكم ولأحل لكم. وما حرم الله عليهم فى شريعة موسى عليه السلام الشحوم ولحوم الإبل والسمك وكل ذى ظفر فأحل لهم عيسى بعض ذلك (وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ) كرر للتأكيد (فَاتَّقُوا اللهَ) فى تكذيبى وخلافى (وَأَطِيعُونِ) فى أمرى (إِنَّ اللهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ) إقرار بالعبودية ونفى للربوبية عن نفسه بخلاف ما يزعم النصارى (فَاعْبُدُوهُ) دونى (هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ) يؤدى صاحبه إلى النعيم المقيم (فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ) علم من اليهود كفرا علما لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس (قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ) أنصارىَ مدنى وهو جمع ناصر كأصحاب أو جمع نصير كأشراف (إِلَى اللهِ) يتعلق بمحذوف حال من الياء أى من أنصارى ذاهبا إلى الله ملتجئا إليه (قَالَ الْحَوَارِيُّونَ) حوارىّ الرجل صفوته وخاصته (نَحْنُ أَنصَارُ اللهِ) أعوان دينه (ءَامَنَّا بِاللهِ وَاشْهَدْ) يا عيسى (بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) إنما طلبوا شهادته بإسلامهم تأكيدا لإيمانهم لأن الرسل يشهدون يوم القيامة لقومهم وعليهم وفيه دليل على أن الإيمان والإسلام واحد (رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ) أى رسولك عيسى (فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّٰهِدِينَ) مع الأنبياء الذين يشهدون لأممهم أو مع الذين يشهدون لك بالوحدانية أو مع أمة محمد عليه السلام لأنهم شهداء على الناس (وَمَكَرُوا) أى كفار بنى إسرائيل الذين أحس عيسى منهم الكفر حين أرادوا قتله وصلبه (وَمَكَرَ اللهُ) أى جازاهم على مكرهم بأن رفع عيسى إلى السماء وألقى شبهه على من أراد اغتياله حتى قتل ولا يجوز إضافة المكر إلى الله تعالى إلا على معنى الجزاء لأنه

مذموم عند الخلق وعلى هذا الخداع والاستهزاء كذا فى شرح التأويلات (وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ) أقوى المجازين وأقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر المعاقب (إِذْ قَالَ ٱللَّهُ) ظرف لمكر الله (يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ) أى مستوفى أجلك ومعناه أنى عاصمك من أن يقتلك الكفار ومميتك حتف أنفك لا قتلا بأيديهم (وَرَافِعُكَ إِلَىَّ) إلى سمائى ومقر ملائكتى (وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا) من سوء جوارهم وخبث صحبتهم وقيل متوفيك قابضك من الأرض من توفيت مالى على فلان إذا استوفيته أو مميتك فى وقتك بعد النزول من السماء ورافعك الآن إذ الواو لا توجب الترتيب قال النبى عليه السلام «ينزل عيسى خليفة على أمتى يدق الصليب ويقتل الخنازير ويلبث أربعين سنة ويتزوج ويولد له ثم يتوفى وكيف تهلك أمة أنا فى أولها وعيسى فى آخرها والمهدى من أهل بيتى فى وسطها» أو متوفى نفسك بالنوم ورافعك وأنت نائم حتى لا يلحقك خوف وتستيقظ وأنت فى السماء آمن مقرب (وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ) أى المسلمين لأنهم متبعوه فى أصل الإسلام وإن اختلفت الشرائع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى (فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا) بك (إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ) يعلونهم بالحجة وفى أكثر الأحوال بها وبالسيف (ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ) فى الآخرة (فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ) وتفسير الحكم هاتان الآيتان فيوفيهم حفص (ذَٰلِكَ) إشارة إلى ما سبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ (نَتْلُوهُ عَلَيْكَ) خبره (مِنَ ٱلْـَٔايَـٰتِ) خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف (وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ) القرآن يعنى المحكم أو كأنه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه ونزل لما قال وفد بنى نجران هل رأيت ولدا بلا أب (إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ) أى إن شأن عيسى وحاله الغريبة كشأن آدم عليه السلام (خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ) قدره جسدا من طين وهى جملة مفسرة لحالة شبه عيسى بآدم ولا موضع لها أى خلق آدم من تراب ولم يكن ثمة أب ولا أم فكذلك حال عيسى مع أن الوجود من غير أب وأم أغرب وأخرق للعادة من الوجود من غير أب فشبه الغريب بالأغرب ليكون أقطع للخصم وأحسم لمادة شبهته إذا نظر فيما هو أغرب مما استغربه وعن بعض العلماء أنه أسر بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لأنه لا أب له

قال فآدم أولى لأنه لا أبوين له قالوا كان يحيى الموتى قال فحزقيل أولى لأن عيسى أحيا أربعة نفر وحزقيل ثمانية آلاف فقالوا كان يبرئ الأكمه والأبرص قال فجرجيس أولى لأنه طبخ وأحرق ثم قام سالما (ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن) أى أنشأه بشرا (فَيَكُونُ) أى فكان وهو حكاية حال ماضية وثم لترتيب الخبر على الخبر لا لترتيب المخبر عنه (الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ) خبر مبتدأ محذوف أى هو الحق (فَلَا تَكُن) أيها السامع (مِّنَ الْمُمْتَرِينَ) الشاكين ويحتمل أن يكون الخطاب للنبي ﷺ ويكون من باب التهييج لزيادة الثبات لأنه عليه السلام معصوم من الامتراء (فَمَنْ حَاجَّكَ) من النصارى (فِيهِ) فى عيسى (مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ) من البينات الموجبة للعلم وما بمعنى الذى (فَقُلْ تَعَالَوْا) هلموا والمراد المجىء بالعزم والرأى كما تقول تعال نفكر فى هذه المسئلة (نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ) أى يدع كل منا ومنكم أبناءه ونساءه ونفسه إلى المباهلة (ثُمَّ نَبْتَهِلْ) ثم نتباهل بأن نقول بهلة الله على الكاذب منا ومنكم والبهلة بالفتح والضم اللعنة وبهله الله لعنه وأبعده من رحمته وأصل الابتهال هذا ثم يستعمل فى كل دعاء يجتهد فيه وإن لم يكن التعانا.
روى أنه عليه السلام لما دعاهم إلى المباهلة قالوا حتى ننظر فقال العاقب وكان ذا رأيهم والله لقد عرفتم يامعشر النصارى أن محمدا نبي مرسل وما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولانبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فإن أبيتم إلا إلف دينكم فودعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم فأتوا رسول الله ﷺ وقد غدا محتضنا للحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه وعلىّ خلفها وهو يقول إذا أنا دعوت فأمنوا فقال أسقف نجران يامعشر النصارى إنى لأرى وجوها لو سألوا الله أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصرانى فقالوا ياأباالقاسم رأينا أن لا نباهلك فصالحهم النبي على ألفى حلة كل سنة فقال عليه السلام «والذى نفسى بيده إن الهلاك قد تدلى على أهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير» وإنما ضم الأبناء والنساء وإن كانت المباهلة مختصة به وبمن يكاذبه لأن ذلك آكد فى الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرأ على تعريض أعزته وأفلاذ كبده لذلك، ولم يقتصر على تعريض نفسه له وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع أحبته وأعزته إن تمت

المباهلة . وخص الأبناء والنساء لأنهم أعز الأهل وألصقهم بالقلوب وقدمهم فى الذكر على الأنفس لينبه على قرب مكانهم ومنزلتهم وفيه دليل واضح على صحة نبوة النبى ﷺ لأنه لم يرو أحد من موافق أو مخالف أنهم أجابوا إلى ذلك (فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكَـٰذِبِينَ) منا ومنكم فى شأن عيسى ونبتهل ونجعل معطوفان على ندع (إِنَّ هَـٰذَا) الذى قص عليك من نبأ عيسى (لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ) هو فصل بين اسم إن وخبرها أو مبتدأ والقصص الحق خبره والجملة خبر إن وجاز دخول اللام على الفصل لأنه إذا جاز دخولها على الخبر كان دخولها على الفصل أجوز لأنه أقرب إلى المبتدأ منه وأصلها أن تدخل على المبتدأ ومن فى (وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا اللهُ) بمنزلة البناء على الفتح فى لا إله إلا الله فى إفادة معنى الاستغراق والمراد الرد على النصارى فى تثليثهم (وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ) فى الانتقام (الْحَكِيمُ) فى تدبير الأحكام (فَإِن تَوَلَّوْا) أعرضوا ولم يقبلوا (فَإِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ) وعيد لهم بالعذاب المذكور فى قوله: زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون . (قُلْ يَـٰأَهْلَ الْكِتَـٰبِ) هم أهل الكتابين أو وفد نجران أو يهود المدينة (تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ) أى مستوية (بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ) لا يختلف فيها القرآن والتوراة والإنجيل وتفسير الكلمة قوله (أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ) يعنى تعالوا إليها حتى لا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله لأن كل واحد منهما بعضنا بشر مثلنا ولا نطيع أحبارنا فيما أحدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع إلى ماشرع الله وعن عدى بن حاتم ما كنا نعبدهم يارسول الله قال «أليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم» قال نعم قال «هو ذاك» (فَإِن تَوَلَّوْا) عن التوحيد (فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) أى لزمتكم الحجة فوجب عليكم أن تعترفوا وتسلموا بأنا مسلمون دونكم كما يقول الغالب للمغلوب فى جدال أو صراع : اعترف بأنى أنا الغالب وسلم إلى الغلبة (يَـٰأَهْلَ الْكِتَـٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ التَّوْرَىٰةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦ) زعم كل فريق من اليهود والنصارى أن إبراهيم كان منهم وجادلوا رسول الله ﷺ والمؤمنين فيه فقيل لهم إن اليهودية إنما حدثت بعد نزول التوراة والنصرانية بعد نزول الإنجيل وبين إبراهيم وموسى ألف سنة وبينه وبين عيسى ألفان فكيف يكون إبراهيم على دين لم يحدث إلا بعد عهده بأزمنة متطاولة (أَفَلَا تَعْقِلُونَ)

حتى لاتجادلوا مثل هذا الجدال المحال (هَٰأَنتُمْ هَٰؤُلَآءِ) هاللتنبيه وأنتم مبتدأ وهؤلاء خبره (حَٰجَجْتُمْ) جملةمستأنفة مبينة للجملةالأولى يعنى أنتم هؤلاءالأشخاص الحمقى. وبيان حماقتكم وقلةعقولكم أنكم جادلتم (فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ) مما نطق به التوراة والإنجيل (فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ) ولا ذكر له فى كتابيكم من دين إبراهيم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته هاانتم بالمد وغير الهمز حيث كان مدنى وأبو عمرو (وَٱللَّهُ يَعْلَمُ) علم ما حاججتم فيه (وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) وأنتم جاهلون به ثم أعلمهم بأنه برىء من دينهم فقال (مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ) كأنه أراد بالمشركين اليهود والنصارى لإشراكهم به عزيراً والمسيح أو وما كان من المشركين كما لم يكن منهم (إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ) إن أخصهم به وأقربهم منه من الولى وهو القرب (لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ) فى زمانه وبعده (وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ) خصوصاً خص بالذكر لخصوصيته بالفضل والمراد محمد عليه السلام (وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا) من أمته (وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ) ناصرهم (وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ) هم اليهود دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية (وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ) وما يعود وبال الإضلال إلا عليهم لأن العذاب يضاعف لهم بضلالهم وإضلالهم (وَمَا يَشْعُرُونَ) بذلك (يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ) بالتوراة والإنجيل وكفرهم بها أنهم لا يؤمنون بما نطقت به من صحة نبوة رسول الله ﷺ وغيرها (وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ) تعترفون بأنها آيات الله أو تكفرون بالقرآن ودلائل نبوة الرسول وأنتم تشهدون نعته فى الكتابين أو تكفرون بآيات الله جميعا وأنتم تعلمون أنها حق (يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ) تخلطون الإيمان بموسى وعيسى بالكفر بمحمد ﷺ (وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ) نعت محمد عليه السلام (وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) أنه حق (وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ) فيم بينهم (ءَامِنُوا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا) أى القرآن (وَجْهَ ٱلنَّهَارِ) ظرف أى أوله يعنى أظهروا الإيمان بما أنزل على المسلمين فى أول النهار (وَٱكْفُرُوٓا ءَاخِرَهُۥ) واكفروا به آخره (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) لعل المسلمين يقولون مارجعوا وهم أهل كتاب وعلم إلا لأمر قد تبين لهم فيرجعون برجوعكم (وَلَا تُؤْمِنُوٓا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ) ولا تؤمنوا متعلق بقوله (أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ) وما

بينهما اعتراض أى ولاتظهروا إيمانكم بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا لأهل دينكم دون غيرهم أرادوا أسروا تصديقكم بأن المسلمين قد أوتوا من كتب الله مثل ماأوتيتم ولا تفشوه إلا إلى أشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتا ودون المشركين لئلا يدعوهم إلى الإسلام (أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ) عطف على أن يوتى والضمير فى يحاجوكم لأحد لأنه فى معنى الجمع بمعنى ولا تؤمنوا لغير اتباعكم أن المسلمين يحاجونكم يوم القيامة بالحق ويغالبونكم عند الله بالحجة ومعنى الاعتراض أن الهدى هدى الله من شاء هداه حتى أسلم أو ثبت على الإسلام كان ذلك ولم ينفع كيدكم وحيلكم وزيكم تصديقكم عن المسلمين والمشركين وكذلك قوله (قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ) يريد الهداية والتوفيق أو يتم الكلام عند قوله إلا لمن تبع دينكم أى ولا تؤمنوا هذا الإيمان الظاهر وهو إيمانهم وجه النهار إلا لمن تبع دينكم إلا لمن كانوا تابعين لدينكم ممن أسلموا منكم لأن رجوعهم كان أرجى عندهم من رجوع من سواهم ومعنى قوله أن يؤتى لأن يؤتى أحد مثل ماأوتيتم قلتم ذلك ودبرتموه لا لشىء آخر يعنى أن ما بكم من الحسد والبغى أن يؤتى أحد مثل ماأوتيتم من العلم والكتاب دعاكم إلى أن قلتم ماقلتم ويدل عليه قراءة ابن كثير آن بالمد والاستفهام يعنى الآن يؤتى أحد مثل ماأوتيتم من الكتاب تحسدونهم وقوله أو يحاجوكم على هذا معناه دبرتم مادبرتم لأن يؤتى أحد مثل ماأوتيتم أو لما يتصل به عند كفركم به من محاجتهم لكم عند ربكم (وَاللهُ وَاسِعٌ) أى واسع الرحمة (عَلِيمٌ) بالمصلحة (يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ) بالنبوة أو بالإسلام (مَن يَشَآءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ) هو عبد الله بن سلام استودعه رجل من قريش ألفا ومائتى أوقية ذهبا فأداه إليه (وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ) هو فنحاص بن عازوراء استودعه رجل من قريش دينارا فجحده وخانه وقيل المأمونون على الكثير النصارى لغلبة الأمانة عليهم والخائنون فى القليل اليهود لغلبة الخيانة عليهم (إِلَّا مَادُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا) إلا مدة دوامك عليه ياصاحب الحق قائماً على رأسه ملازماً له يؤده ولايؤده بكسر الهاء مشبعة مكى وشامى ونافع وعلى وحفص واختلس أبو عمرو فى رواية. غيرهم بسكون الهاء (ذَٰلِكَ) إشارة إلى ترك الأداء الذى دل عليه لايؤده (بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِى الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ) أى تركهم أداء الحقوق

بسبب قولهم ليس علينا فى الأميين سبيل أى لايتطرق علينا إثم وذم فى شأن الأميين يعنون الذين ليسوا من أهل الكتاب وما فعلنا بهم من حبس أموالهم والإضرار بهم لأنهم ليسو على ديننا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم وكانوا يقولون لم يجعل لهم فى كتابنا حــرمة وقيل بايع اليهود رجالا من قريش فلما أسـلموا تقاضوهم فقالوا ليس لكم علينا حق حيث تركتم دينكم وادعوا أنهم وجدوا ذلك فى كتابهم (وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ) بادعائهم أن ذلك فى كتابهم (وَهُمْ يَعْلَمُونَ) أنهم كاذبون (بَلَىٰ) إثبات لما نفوه من السبيل عليهم فى الأميين أى بلى عليهم سبيل فيهم وقوله (مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ) جملة مستأنفة مقررة للجملة التى سدت بلى مسدها والضمير فى بعهده يرجع إلى الله تعالى أى كل من أوفى بعهد الله واتقاه (فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) أى يحبهم فوضع الظاهر موضع الضمير وعموم المتقين قام مقام الضمير الراجع من الجزاء إلى من ويدخل فى ذلك الإيمان وغيره من الصالحات وما وجب اتقاؤه من الكفر وأعمال السوء قيل نزلت فى عبد الله بن سلام ونحوه من مسلمى أهل الكتاب ويجوز أن يرجع الضمير إلى من أوفى أى كل من أوفى بما عاهد الله عليه واتقى الله فى ترك الخيانة والغدر فإن الله يحبه ونزل فيمن حرّف التوراة وبدل نعته عليه السلام من اليهود وأخذ الرشوة على ذلك (إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ) يستبدلون (بِعَهْدِ اللهِ) بما عاهدوه عليه من الإيمان بالرسول المصدق لما معهم (وَأَيْمَـٰنِهِمْ) وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه (ثَمَنًا قَلِيلًا) متاع الدنيا من الترؤس والارتشاء ونحو ذلك وقوله بعهد الله يقوى رجوع الضمير فى بعهده إلى الله (أُو۟لَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى الْأَخِرَةِ) أى لانصيب (وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ) بما يسرهم (وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ) نظر رحمة (وَلَا يُزَكِّيهِمْ) ولا يثنى عليهم (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم (وَإِنَّ مِنْهُمْ) من أهل الكتاب (لَفَرِيقًا) هم كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف وحيي بن أخطب وغيرهم (يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَـٰبِ) يفتلونها بقراءته عن الصحيح إلى المحرف واللّيّ الفتل وهو الصرف والمراد تحريفهم كآية الرجم ونعت محمد ﷺ ونحو ذلك والضمير فى (لِتَحْسَبُوهُ) يرجع إلى مادل عليه يلوون ألسنتهم بالكتاب وهو المحرف ويجـوز أن يراد يعطفون ألسنتهم بشبه الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه (مِنَ الْكِتَـٰبِ) أى التوراة (وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَـٰبِ) وليس هو من التوراة

(وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ) تأكيد لقوله وماهو من الكتاب وزيادة تشنيع عليهم (وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) أنهم كاذبون (مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللهُ الْكِتَٰبَ) تكذيب لمن اعتقد عبادة عيسى عليه السلام وقيل قال رجل يارسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض أفلا نسجد لك قال: «لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لأهله» (وَالْحُكْمَ) والحكمة وهى السنة أو فصل القضاء (وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ) عطف على يؤتيه (لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّٰنِيِّينَ) ولكن يقول كونوا ربانيين والرباني منسوب إلى الرب بزيادة الألف والنون وهو شديد التمسك بدين الله وطاعته وحين مات ابن عباس قال ابن الحنفية مات رباني هذه الأمة وعن الحسن ربانيين علماء فقهاء وقيل علماء معلمين وقالوا الرباني العالم العامل (بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَٰبَ) كوفي وشامي أي غيركم غيرهم بالتخفيف (وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ) أي تقرءون والمعنى بسبب كونكم عالمين وبسبب كونكم دارسين للعلم كانت الربانية التي هي قوة التمسك بطاعة الله مسببة عن العلم والدراسة وكفى به دليلا على خيبة سعي من جهد نفسه وكد روحه في جمع العلم ثم لم يجعله ذريعة إلى العمل فكان كمن غرس شجرة حسناء تؤنقه بمنظرها ولا تنفعه بثمرها وقيل معنى تدرسون تدرسونه على الناس كقوله لتقرأه على الناس فيكون معناه معنى تدرسون من التدريس كقراءة ابن جبير (وَلَا يَأْمُرَكُمْ) بالنصب عطفاً على ثم يقول ووجهه أن تجعل لا مزيدة لتأكيد معنى النفي في قوله ما كان لبشر والمعنى ما كان لبشر أن يستنبئه الله وينصبه للدعاء إلى اختصاص الله بالعبادة وترك الأنداد ثم يأمر الناس بأن يكونوا عبادا له ويأمركم (أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَٰئِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا) كما تقول ما كان لزيد أن أكرمه ثم يهينني ولا يستخفبي وبالرفع حجازي وأبو عمرو وعلي على ابتداء الكلام والهمزة في (أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ) للإنكار والضمير في لا يأمركم وأيأمركم للبشر أو لله وقوله (بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ) يدل على أن المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين استأذنوه أن يسجدوا له (وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَٰقَ النَّبِيِّينَ) هو على ظاهره من أخذ الميثاق على النبيين بذلك أو المراد ميثاق أولاد النبيين وهم بنو إسرائيل على حذف المضاف واللام في (لَمَا ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ) لام التوطئة لأن أخذ الميثاق في معنى الاستحلاف وفي لتؤمنن لام جواب القسم وما يجوز أن تكون متضمنة لمعنى

الشرط ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا وأن تكون موصولة بمعنى للذى آتيتكموه لتؤمنن به (ثُمَّ جَآءَكُمْ) معطوف على الصلة والعائد منه إلى ما محذوف والتقدير ثم جاءكم به (رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ) للكتاب الذى معكم (لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ) بالرسول (وَلَتَنصُرُنَّهُ) أى الرسول وهو محمد ﷺ لما آتيتكم حمزة وما بمعنى الذى أو مصدرية أى لأجل إيتائى إياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجىء رسول مصدق لما معكم واللام للتعليل أى أخذ الله ميثاقهم لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه لأجل أنى آتيتكم الحكمة وأن الرسول الذى آمركم بالإيمان به ونصرته موافق لكم غير مخالف آتيناكم مدنى (قَالَ) أى الله (ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى) أى قبلتم عهدى وسمى إصرا لأنه مما يؤصر أى يشد ويعقد (قَالُوٓا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا) فليشهد بعضكم على بعض بالإقرار (وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّٰهِدِينَ) وأنا معكم على ذلك من إقراركم وتشاهدكم من الشاهدين وهذا توكيد عليهم وتحذير من الرجوع إذا علموا بشهادة الله وشهادة بعضهم على بعض وقيل قال الله للملائكة اشهدوا (فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ) الميثاق والتوكيد ونقض العهد بعد قبوله وأعرض عن الإيمان بالنبىّ الجائى (فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْفَٰسِقُونَ) المتمردون من الكفار (أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ) دخلت همزة الإنكار على الفاء العاطفة جملة على جملة والمعنى فأولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون ثم توسطت الهمزة بينهما ويجوز أن يعطف على محذوف تقديره أيتولون فغير دين الله يبغون وقدم المفعول وهو غير دين الله على فعله لأنه أهم من حيث إن الإنكار الذى هو معنى الهمزة متوجه إلى المعبود بالباطل (يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى السَّمَٰوَٰتِ) الملائكة (وَالْأَرْضِ) الإنس والجن (طَوْعًا) بالنظر فى الأدلة والإنصاف من نفسه (وَكَرْهًا) بالسيف أو بمعاينة العذاب كنتق الجبل على بنى إسرائيل وإدراك الغرق فرعون والإشفاء على الموت فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده. وانتصب طوعا وكرها على الحال أى طائعين ومكرهين (وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ) فيجازيكم على الأعمال يبغون ويرجعون بالياء فيهما حفص وبالتاء فى الثانى وفتح الجيم أبو عمرو لأن الباغين هم المتولون والراجعون جميع الناس وبالتاء فيهما وفتح الجيم غيرهما (قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا) أمر رسول الله ﷺ بأن يخبر عن نفسه وعمن معه بالإيمان فلذا وحد الضمير فى قل وجمع فى آمنا أو أمر بأن يتكلم

عن نفسه كما يتكلم الملوك إجلالا من الله لقدر نبيه وعدى أنزل هنا بحرف الاستعلاء وفى البقرة بحرف الانتهاء لوجود المعنيين إذ الوحى ينزل من فوق وينتهى إلى الرسول فجاء تارة بأحد المعنيين وأخرى بالآخر وقال صاحب اللباب الخطاب فى البقرة للأمة لقوله قولوا فلم يصح إلا إلى لأن الكتب منتهية إلى الأنبياء وإلى أمتهم جميعا وهنا قال قل وهو خطاب للنبى عليه السلام دون أمته فكان اللائق به على لأن الكتب منزلة عليه لا شركة للأمة فيه وفيه نظر لقوله تعالى آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا (وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ) أولاد يعقوب وكان فيهم أنبياء (وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ) كرر فى البقرة وما أوتى ولم يكرر هنا لتقدم ذكر الإيتاء حيث قال لما آتيتكم (مِن رَّبِّهِمْ) من عند ربهم (لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ) فى الإيمان كما فعلت اليهود والنصارى (وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ) موحدون مخلصون أنفسنا له لا نجعل له شريكا فى عبادتنا (وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَٰمِ) يعنى التوحيد وإسلام الوجه لله أو غير دين محمد عليه السلام (دِينًا) تمييز (فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَٰسِرِينَ) من الذين وقعوا فى الخسران ونزل فى رهط أسلموا ثم رجعوا عن الإسلام ولحقوا بمكة (كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ) والواو فى (وَشَهِدُوٓا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ) للحال وقد مضمرة أى كفروا وقد شهدوا أن الرسول أى محمدا حق أو للعطف على ما فى إيمانهم من معنى الفعل لأن معناه بعد أن آمنوا (وَجَآءَهُمُ الْبَيِّنَٰتُ) أى الشواهد كالقرآن وسائر المعجزات (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّٰلِمِينَ) أى ماداموا مختارين الكفر أو لا يهديهم طريق الجنة إذا ماتوا كفارا (أُولَٰٓئِكَ) مبتدأ (جَزَآؤُهُمْ) مبتدأ ثان خبره (أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ) وهما خبر أولئك أو جزاؤهم بدل الاشتمال من أولئك (وَالْمَلَٰٓئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ خَٰلِدِينَ) حال من الهاء والميم فى عليهم (فِيهَا) فى اللعنة (لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ) الكفر العظيم والارتداد (وَأَصْلَحُوا) ما أفسدوا أو دخلوا فى الصلاح (فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) لكفرهم (رَّحِيمٌ) بهم ونزل فى اليهود (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) بعيسى والإنجيل (بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ) بموسى والتوراة (ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا) بمحمد ﷺ والقرآن أو كفروا برسول الله ﷺ بعدما كانوا به مؤمنين قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بإصرارهم على ذلك وطعنهم فيه فى كل وقت أو نزل فى الذين ارتدوا ولحقو بمكة. وازديادهم

الـكفر أن قالوا نقيم بمكة نتربص بمحمد ريب المنون (لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ) أى إيمانهم عند البأس لأنهم لا يتوبون إلا عند الموت قال الله تعالى : فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا (وَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الضَّآلُّونَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِلْءُ الْأَرْضِ) الفاء فى فلن يقبل يؤذن بأن الـكلام بنى على الشرط والجزاء وأن سبب امتناع قبول الفدية هو الموت على الـكفر وترك الفاء فيما تقدم يشعر بأن الـكلام مبتدأ وخبر ولا دليل فيه على التسبيب (ذَهَبًا) تميز (وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ) أى فلن يقبل من أحدهم فدية ولو افتدى بملء الأرض ذهبا قال عليه السلام « يقال للـكافر يوم القيامة لو كان لك ملء الأرض ذهباً كنت مفتديا به فيقول نعم فيقال له لقد سئلت أيسر من ذلك » قيل الواو لتأكيد النفى (أُوْلَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم (وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ) معينين دافعين للعذاب (لَن تَنَالُوا الْبِرَّ) لن تبلغوا حقيقة البر أو لن تكونوا أبرارا أو لن تنالوا بر الله وهو ثوابه (حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) حتى تكون نفقتكم من أموالـكم التى تحبونها وتؤثرونها وعن الحسن كل من تصدق ابتغاء وجه الله بما يحبه ولو تمرة فهو داخل فى هذه الآية قال الواسطى الوصول إلى البر بإنفاق بعض المحاب وإلى الرب بالتخلى عن الـكونين وقال أبو بكر الوراق لن تنالوا برى بكم إلا ببركم بإخوانكم والحاصل أنه لا وصول إلى المطلوب إلا بإخراج المحبوب وعن عمر بن عبد العزيز أنه كان يشترى أعدال السكر ويتصدق بها فقيل له لم لا تتصدق بثمنها قال لأن السكر أحب إلىّ فأردت أن أنفق مما أحب (وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) أى هو عليم بكل شىء تنفقونه فيجازيكم بحسبه ومن الأولى للتبعيض لقراءة عبـد الله حتى تنفقوا بعض ما تحبون والثانية للتبيين أى من أى شىء كان الإنفاق طيب تحبونه أو خبيث تكرهونه ولما قالت اليهود للنبى عليه السلام إنك تدعى أنك على ملة ابراهيم وأنت تأكل لحوم الإبل وألبانها فقال عليه السلام « كان ذلك حلالا لإبراهيم فنحن نحله » فقالت اليهود إنها لم تزل محرمة فى ملة إبراهيم ونوح عليهما السلام نزل تكذيبا لهم (كُلُّ الطَّعَامِ) أى المطعومات التى فيها النزاع فإن منها ماهو حرام قبل ذلك كالميتة والدم (كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَٰٓءِيلَ) أى حلالا وهو مصدر يقال حل الشىء حلا ولذا استوى فى صفة المذكر والمؤنث والواحد والجمع قال الله تعالى: لاهن

حل لهم. (إِلاَّ مَاحَرَّمَ إِسْرَٰءِيلُ) أى يعقوب (عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَىٰةُ) وبالتخفيف مكى وبصرى وهو لحوم الإبل وألبانها وكانا أحب الطعام إليه والمعنى أن المطاعم كلها لم تزل حلا لبنى إسرائيل من قبل إنزال التوراة سوى ماحرم إسرائيل على نفسه فلما نزلت التوراة على موسى حرم عليهم فيها لحوم الإبل وألبانها لتحريم إسرائيل ذلك على نفسه (قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَىٰةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ) أمر بأن يحاجهم بكتابهم ويبكتهم بما هو ناطق به من أن تحريم ماحرم عليهم تحريم حادث بسبب ظلمهم وبغيهم لا تحريم قديم كما يدعونه فلم يجرءوا على إخراج التوراة وبهتوا. وفيه دليل بين على صدق النبى عليه السلام وعلى جواز النسخ الذى ينكرونه (فَمَنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ) بزعمه أن ذلك كان محرما فى ملة إبراهيم ونوح عليهما السلام (مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ) من بعدما لزمهم من الحجة القاطعة (فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الظَّٰلِمُونَ) المكابرون الذين لا ينصفون من أنفسهم ولا يلتفتون إلى البينات (قُلْ صَدَقَ اللَّهُ) فى إخباره أنه لم يحرم وفيه تعريض بكذبهم أى ثبت أن الله تعالى صادق فيما أنزل وأنتم الكاذبون (فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ) وهى ملة الإسلام التى عليها محمد عليه السلام ومن آمن معه حتى تتخلصوا من اليهودية التى ورطتكم فى فساد دينكم ودنياكم حيث اضطرتكم إلى تحريف كتاب الله لتسوية أغراضكم وألزمتكم تحريم الطيبات التى أحلها الله لإبراهيم ولمن تبعه (حَنِيفاً) حال من إبراهيم أى مائلا عن الأديان الباطلة (وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) ولما قالت اليهود للمسلمين قبلتنا قبل قبلتكم نزل (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ) والواضع هو الله عز وجل ومعنى وضع الله بيتا للناس أنه جعله متعبدا لهم فكأنه قال إن أول متعبد للناس الكعبة وفى الحديث إن المسجد الحرام وضع قبل بيت المقدس بأربعين سنة قيل أول من بناه إبراهيم وقيل هو أول بيت حج بعد الطوفان وقيل هو أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والأرض وقيل هو أول بيت بناه آدم عليه السلام فى الأرض وقوله وضع للناس فى موضع جر صفة لبيت والخبر (لَلَّذِى بِبَكَّةَ) أى للبيت الذى ببكة وهى علم للبلد الحرام ومكة وبكة لغتان فيه وقيل مكة البلد وبكة موضع المسجد وقيل اشتقاقها من بكه إذا زحمه لازدحام الناس فيها أو لأنها تبك أعناق الجبابرة أى تدقها لم يقصدها جبار إلا قصمه الله (مُبَارَكًا) كثير الخير لما يحصل للحجاج والمعتمرين من الثواب وتكفير السيئات (وَهُدًى

لِلْعَـٰلَمِينَ) لأنه قبلتهم ومتعبدهم، ومباركا وهـدى حالان من الضمير فى وضع (فِيهِ ءَايَٰتٌ بَيِّنَـٰتٌ) علامات واضحات لا تلتبس على أحـد (مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ) عطف بيان لقوله آيات بينات وصح بيان الجماعة بالواحد لأنه وحده بمنزلة آيات كثيرة لظهور شأنه وقوة دلالته على قدرة الله تعالى ونبوة إبراهيم عليه السلام من تأثير قدمه فى حجر صلد أولاشتماله على آيات لأن أثر القدم فى الصخرة الصماء آية وغوصه فيها إلى الـكعبين آية وإلانة بعض الصخرة دون بعض آيةوإبقاؤه دونسائر آيات الأنبياءعليهم السلام آية لإبراهيم خاصة على أن(وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا) عطف بيانلآيات ـوإن كان جملة ابتدائية أوشرطيةـ منحيث المعنى لأنه يدل على أمن داخله فكأنه قيل فيه آيات بينات مقام لإبراهيم وأمن داخله والاثنان فى معنى الجمع ويجوز أنيذكر هاتان الآيتان ويطوى ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الآيات كأنه قيلفيه آيات بينات مقام ابراهيم وأمن داخله وكثير سواهما نحو انمحاق الأحجار مع كثرة الرماة وامتناع الطير منالعلو عليه وغير ذلك ونحوه فى طى الذكر قوله عليه السلام «حبب إلىّ من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عينى فىالصلاة» فقرة عينى ليس من الثلاث بل هو ابتداء كلام لأنها ليست من الدنيا والثالث مطوى وكأنه عليه السلام ترك ذكر الثالث تنبيها على أنه لم يكن من شأنه أن يذكر شيئا من الدنيا فذكر شيئا هو من الدين وقيـل فى سبب هذا الأثر أنه لما ارتفع بنيان الـكعبة وضعف إبراهيم عليه السلام عن رفع الحجارة قام على هذا الحجر فغاصت فيه قدماه وقيل إنه جاء زائرا من الشام إلى مكة فقالت له امرأة إسماعيل عليه السلام : انزل حتى تغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الأيمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق رأسه ثم حولته إلى شقه الأيسر حتى غسلت الشق الآخر فبقى أثر قدميه عليه، وأمان من دخله بدعوة ابراهيم عليه السلام رب اجعل هذا البلد آمنا وكان الرجل لو جنى كل جناية ثم التجأ إلى الحرم لم يطلب وعن عمر رضى الله عنه لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه ومن لزمه القتل فى الحل بقود أو ردة أوزنا فالتجأ إلى الحرم لم يتعرض له إلا أنه لايؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر إلى الخروج وقيل آمنا من النار لقولهعليهالسلام «منمات فىأحد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا منالنار» وعنهعليهالسلام «الحجون والبقيع يؤخذ بأطرافهما وينثران فىالجنة» وهمامقبرتا مكة والمدينة

وعنه عليه السلام «من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتى عام» (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ) أى استقر له عليهم فرض الحج حج البيت كوفى غير أبى بكر وهو اسم وبالفتح مصدر وقيل هما لغتان فى مصدر حج (مَنِ) فى موضع جر على أنه بدل البعض من الكل (اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا) فسرها النبى عليه السلام بالزاد والراحلة والضمير فى إليه للبيت أو للحج وكل ما أتى إلى الشىء فهو سبيل إليه ولما نزل قوله تعالى: ولله على الناس حج البيت. جمع رسول الله ﷺ أهل الأديان كلهم فخطبهم فقال: «إن الله تعالى كتب عليكم الحج فحجوا» فآمنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل قالوا لا نؤمن به ولا نصلى إليه ولا نحجه فنزل (وَمَن كَفَرَ) أى جحد فرضية الحج وهو قول ابن عباس والحسن وعطاء ويجوز أن يكون من الكفران أى ومن لم يشكر ما أنعمت عليه من صحة الجسم وسعة الرزق ولم يحج (فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَٰلَمِينَ) مستغن عنهم وعن طاعتهم وفى هذه الآية أنواع من التأكيد والتشديد، منها اللام وعلى أى أنه حق واجب لله فى رقاب الناس، ومنها الإبدال ففيه تثنية للمراد وتكرير له ولأن الإيضاح بعد الإبهام والتفصيل بعد الإجمال إيراد له فى صورتين مختلفتين ومنها قوله ومن كفر مكان ومن لم يحج تغليظا على تارك الحج ومنها ذكر الاستغناء وذلك دليل على المقت والسخط ومنها قوله عن العالمين وإن لم يقل عنه ومافيه من الدلالة على الاستغناء عنه ببرهان لأنه إذا استغنى عن العالمين تناوله الاستغناء لا محالة ولأنه يدل على الاستغناء الكامل فكان أدل على عظم السخط الذى وقع عبارة عنه (قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ) الواو للحال والمعنى لم تكفرون بآيات الله الدالة على صدق محمد عليه السلام والحال أن الله شهيد على أعمالكم فيجازيكم عليها (قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ) الصد المنع (عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ) عن دين حق علم أنه سبيل الله التى أمر بسلوكها وهو الإسلام وكانوا يمنعون من أراد الدخول فيه بجهدهم ومحل (تَبْغُونَهَا) تطلبون لها نصب على الحال (عِوَجًا) اعوجاجا وميلا عن القصد والاستقامة بتغييركم صفة رسول الله ﷺ عن وجهها ونحو ذلك (وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ) أنها سبيل الله التى لا يصد عنها إلا ضال مضل (وَمَا اللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) من الصد عن سبيله وهو وعيد شديد ثم نهى المؤمنين عن اتباع هؤلاء الصادين عن سبيله بقوله (يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن

تُطِيعُوا فَرِيقاً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ) قيل مرّ شاس بن قيس اليهودى على نفر من الأنصار من الأوس والخزرج فى مجلس لهم يتحدثون فغاظه تحدثهم وتألفهم فأمر شابا من اليهود أن يذكرهم يوم بعاث لعلهم يغضبون وكان يوما اقتتلت فيه الأوس والخزرج وكان الظفر فيه للأوس ففعل فتنازع القوم عند ذلك وقالوا السلاح السلاح فبلغ النبى عليه السلام فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين والأنصار فقال «أتدعون الجاهلية وأنا بين أظهركم» بعد إذ أكرمكم الله بالإسلام وألف بينكم فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان فألقوا السلاح وعانق بعضهم بعضا باكين فنزلت الآية (وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ) معنى الاستفهام فيه الإنكار والتعجب أى من أين يتطرق إليكم الكفر (وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ اللَّهِ) والحال أن آيات الله وهى القرآن المعجز تتلى عليكم على لسان الرسول غضة طرية (وَفِيكُمْ رَسُولُهُ) وبين أظهركم رسول الله عليه السلام ينبهكم ويعظكم ويزيح عنكم شبهكم (وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ) ومن يتمسك بدينه أو بكتابه أوهو حث لهم على الالتجاء إليه فى دفع شرور الكفار ومكايدهم (فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ) أرشد إلى الدين الحق أو ومن يجعل ربه ملجأ ومفزعا عند الشبه يحفظه عن الشبه (يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ) واجب تقواه وما يحق منها وهو القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم وعن عبد الله هو أن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى أوهو أن لا تأخذه فى الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه أو بنيه أو أبيه وقيل لا يتقى الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه والتقاة من اتقى كالتؤدة من اتأد (وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) ولا تكونن على حال سوى حال الإسلام إذا أدرككم الموت (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ) تمسكوا بالقرآن لقوله عليه السلام «القرآن حبل الله المتين لا تنقضى عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدى إلى صراط مستقيم» (جَمِيعاً) حال من ضمير المخاطبين وقيل تمسكوا بإجماع الأمة دليله (وَلَا تَفَرَّقُوا) أى ولا تتفرقوا يعنى ولا تفعلوا ما يكون عنه التفرق ويزول معه الاجتماع أو ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كما اختلفت اليهود والنصارى أو كما كنتم متفرقين فى الجاهلية يحارب بعضكم بعضا (وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَٰناً) كانوا فى الجاهلية بينهم العداوة

والحروب فألف بين قلوبهم بالإسلام وقذف فى قلوبهم المحبة فتحابوا وصاروا إخوانا (وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ) وكنتم مشفين على أن تقعوا فى نار جهنم لما كنتم عليه من الكفر (فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا) بالإسلام وهو رد على المعتزلة فعندهم هم الذين ينقذون أنفسهم لا الله تعالى الضمير للحفرة أو للنار أو للشفا وأنث لإضافته إلى الحفرة وشفا الحفرة: حرفها، ولامها واو فلهذا يثنى شفوان (كَذَٰلِكَ) مثل ذلك البيان البليغ (يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِ) أى القرآن الذى فيه أمر ونهى ووعد ووعيد (لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) لتكونوا على رجاء الهداية أو لتهتدوا به إلى الصواب وماينال به الثواب (وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ) بما استحسنه الشرع والعقل (وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ) عما استقبحه الشرع والعقل أو المعروف ما وافق الكتاب والسنة والمنكر ما خالفهما أو المعروف الطاعة والمنكر المعاصى والدعاء إلى الخير عام فى التكاليف من الأفعال والتروك وما عطف عليه خاص ومن للتبعيض لأن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من فروض الكفاية ولأنه لا يصلح له إلا من علم بالمعروف والمنكر وعلم كيف يرتب الأمر فى إقامته فإنه يبدأ بالسهل فإن لم ينفع ترقى إلى الصعب قال الله تعالى : فأصلحوا بينهما . ثم قال: فقاتلوا . أو للتبيين أى وكونوا أمة تأمرون كقوله تعالى : كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف. (وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) أى هم الأخصاء بالفلاح الكامل قال عليه السلام «من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله فى أرضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه» وعن على رضى الله عنه أفضل الجهاد الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا) بالعداوة (وَاخْتَلَفُوا) فى الديانة وهم اليهود والنصارى فإنهم اختلفوا وكفر بعضهم بعضا (مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَٰتُ) الموجبة للاتفاق على كلمة واحدة وهى كلمة الحق (وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) ونصب (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ) أى وجوه المؤمنين بالظرف وهو لهم أو بعظيم أو باذكروا (وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ) أى وجوه الكافرين. والبياض من النور والسواد من الظلمة (فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ) فيقال لهم (أَكَفَرْتُم) فحذف الفاء والقول جميعا للعلم به والهمزة للتوبيخ والتعجب من حالهم (بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ) يوم الميثاق فيكون المراد به جميع الكفار وهو قول أبى وهو الظاهر أوهم المرتدون أو المنافقون أى أكفرتم باطنا بعد إيمانكم ظاهرا أو أهل

الـكتاب وكفرهم بعدالإيمان تـكذيبهم برسول الله ﷺ بعداعترافهم به قبل مجيئه (فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَـكْفُرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ) ففى نعمته وهى الثواب المخلد ثم استأنف فقال (هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ) لا يظعنون عنها ولا يموتون (تِلْكَ ءَايَٰتُ اللَّهِ) الواردة فى الوعد والوعيد وغير ذلك (نَتْلُوهَا عَلَيْكَ)ملتبسة(بِالْحَقِّ) والعدل من جزاء المحسن والمسيء (وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَٰلَمِينَ) أى لايشاء أن يظلم هو عباده فيأخذ أحدا بغير جرم أو يزيد فى عقاب مجرم أو ينقص من ثواب محسن (وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَافِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ) فيجازى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته ترجع شامى وحمزة وعلى . كان عبارة عن وجود الشيء فى زمان ماض على سبيل الإبهام ولا دليل فيه على عـدم سابق ولا على انقطاع طارئ ومنه قوله (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ) كأنه قيل وجدتم خير أمة أو كنتم فى علم الله أوفى اللوح خير أمةأو كنتم فى الأمم قبلـكم مذكورين بأنكم خـير أمة موصوفين به (أُخْرِجَتْ) أظهرت (لِلنَّاسِ) اللام يتعلق بأخرجت (تَأْمُرُونَ) كلام مستأنف بين به كونهم خيرأمة كماتقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم يبنت بالإطعام والإلباس وجه الـكرم فيه (بِالْمَعْرُوفِ) بالإيمان وطاعة الرسول (وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنـكَرِ) عن الـكفر وكل محظور (وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) وتدومون على الإيمان بهأولأن الواو لاتقتضى الترتيب(وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْـكِتَٰبِ)بمحمد عليه السلام (لَـكَانَ خَيْرًا لَّهُم) لـكان الإيمان خيرالهم مماهم فيه لأنهم إنما آثروادينهم على دين الإسلام حباللرياسة واستتباع العوام ولوآمنوا لـكان لهم من الرياسة والأتباع وحظوظ الدنيا ماهوخيرمما آثروا دين الباطل لأجله مع الفوز بما وعدواعلى الإيمان بهمن إيتاء الأجرمرتين(مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ) كعبدالله بن سلام وأصحابه (وَأَكْثَرُهُمُ الْفَٰسِقُونَ) المتمردون فى الـكفر (لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى) إلا ضررا مقتصرا على أذى بقول من طعن فى الدين أوتهديد أونحو ذلك (وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ) منهزمين ولايضروكم بقتل أوأسر (ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ) ثم لا يكون لهم نصر من أحد ولايمنعون منكم وفيه تثبيت لمن أسلم منهم لأنهم كانوا يؤذونهم بتوبيخهم وتهديدهم وهو ابتداء إخبار معطوف على جملة الشرط والجزاء وليس بمعطوف على يولوكم إذلو كان معطوفاعليه لقيل ثم لاينصروا وإنما استؤنف ليؤذن أن الله لا ينصرهم قاتلوا أم لم يقاتلوا وتقدير الـكلام أخبركم أنهم إن

يقاتلوكم ينهزموا ثم أخبركم أنهم لا ينصرون وثم للتراخى فى المرتبة لأن الإخبار بتسليط الخذلان عليهم أعظم من الإخبار بتوليتهم الأدبار (ضُرِبَتْ) ألزمت (عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ) أى على اليهود (أَيْنَ مَا ثُقِفُوا) وجدوا (إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللهِ) فى محل النصب على الحال والباء متعلق بمحذوف تقديره إلا معتصمين أو متمسكين بحبل من الله (وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ)والحبل العهد والذمة والمعنى ضربت عليهم الذلة فى كل حال إلا فى حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس يعنى ذمة الله وذمة المسلمين أى لاعز لهم قط إلا هذه الواحدة وهى التجاؤهم إلى الذمة لما قبلوه من الجزية (وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللهِ) استوجبوه (وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ) الفقرعقوبة لهم على قولهم إن الله فقير ونحن أغنياء أوخوف الفقر مع قيام اليسار (ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِئَايَٰتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ) ذلك إشارة إلى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بغضب الله أى ذلك كائن بسبب كفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق ثم قال(ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ)أى ذلك الكفر وذلك القتل كائن بسبب عصيانهم لله واعتدائهم لحدوده (لَيْسُوا سَوَآءً) ليس أهل الكتاب مستوين (مِّنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ) كلام مستأنف لبيان قوله ليسوا سواء كما وقع قوله تأمرون بالمعروف بيانا لقوله كنتم خير أمة (أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ) جماعة مستقيمة عادلة من قولك أقمت العود فقام أى استقام وهم الذين أسلموا منهم (يَتْلُونَ ءَايَٰتِ اللهِ) القرآن (ءَانَآءَ الَّيْلِ) ساعاته واحدها إنى كمعى أوإنو كقنو أوإنى كنحى (وَهُمْ يَسْجُدُونَ) يصلون قيل يريد صلاة العشاء لأن أهل الكتاب لا يصلونها وقيل عبر عن تهجدهم بتلاوة القرآن فى ساعات الليل مع السجود (يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ) بالإيمان وسائر أبواب البر(وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ)عن الكفر ومنهيات الشرع(وَيُسَٰرِعُونَ فِى الْخَيْرَٰتِ) يبادرون إليها خشية الفوت وقوله: يتلون ويؤمنون فى محل الرفع صفتان لأمة أى أمة قائمة تالون مؤمنون. وصفهم بخصائص ما كانت فى اليهود من تلاوة آيات الله بالليل ساجدين ومن الإيمان بالله لأن إيمانهم به كلا إيمان لإشراكهم به عزيرا وكفرهم ببعض الكتب والرسل ومن الإيمان باليوم الآخر لأنهم يصفونه بخلاف صفته ومن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لأنهم كانوا مداهنين ومن المسارعة فى الخيرات لأنهم كانوا متباطئين عنها غير راغبين فيها، والمسارعة فى الخير فرط الرغبة

فيه لأن من رغب فى الأمر سارع بالقيام به (وَأُوْلَٰئِكَ) الموصوفون بما وصفوا به (مِنَ الصَّٰلِحِينَ) من المسلمين أو من جملة الصالحين الذين صلحت أحوالهم عند الله ورضيهم (وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ) بالياء فيهما كوفى غير أبى بكر وأبو عمرو مخير غيرهم بالتاء وعدى يكفروه إلى مفعولين ـ وإن كان شكر وكفر لا يتعديان إلا إلى واحد تقول شكر النعمة وكفرها ـ لتضمنه معنى الحرمان كأنه قيل فلن تحرموه أى فلن تحرموا جزاءه (وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ) بشارة للمتقين بجزيل الثواب (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَا أَوْلَٰدُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا) أى من عذاب الله (وَأُوْلَٰئِكَ أَصْحَٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا) فى المفاخر والمكارم وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس أو ما يتقربون به إلى الله مع كفرهم (كَمَثَلِ رِيحٍ) كمثل مهلك ريح وهو الحرث أو مثل إهلاك ما ينفقون كمثل إهلاك ريح (فِيهَا صِرٌّ) برد شديد عن ابن عباس رضى الله عنهما وهو مبتدأ وخبر فى موضع جر صفة لريح مثل (أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ) بالكفر (فَأَهْلَكَتْهُ) عقوبة على كفرهم (وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ) بإهلاك حرثهم (وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) بارتكاب ما استحقوا به العقوبة أو يكون الضمير للمنفقين أى وما ظلمهم الله بأن لم يقبل نفقاتهم ولكنهم ظلموا أنفسهم حيث لم يأتوا بها لائقة للقبول ونزل نهيا للمؤمنين عن مصافات المنافقين (يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً) بطانة الرجل ووليجته خصيصه وصفيه شبه ببطانة الثوب كما يقال فلان شعارى وفى الحديث «الأنصار شعار والناس دثار» (مِّن دُونِكُمْ) من دون أبناء جنسكم وهم المسلمون وهو صفة لبطانة أى بطانة كائنة من دونكم مجاوزة لكم (لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا) فى موضع النصب صفة لبطانة يعنى لا يقصرون فى فساد دينكم يقال ألا فى الأمر يألو إذا قصر فيه والخبال الفساد وانتصب خبالا على التميز أو على حذف فى أى فى خبالكم (وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ) أى عنتكم فما مصدرية والعنت شدة الضرر والمشقة أى تمنوا أن يضروكم فى دينكم ودنياكم أشد الضرر وأبلغه وهو مستأنف على وجه التعليل للنهى عن اتخاذهم بطانة كقوله (قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ) لأنهم لا يتمالكون مع ضبطهم أنفسهم أن ينفلت من ألسنتهم ما يعلم به بغضه للمسلمين (وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ) من البغض لكم (أَكْبَرُ)

مما بدا (قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ) الدالة على وجوب الإخلاص فى الدين وموالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه (إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ) ما بين لكم (هَاأَنتُمْ أُولَاءِ) هاللتنبيه وأنتم مبتدأ وأولاءخبرهأى أنتم أولاءالخاطئون فىموالاةمنافقى أهل الكتاب(تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ) بيان لخطئهم فىموالاتهم حيث يبذلون محبتهم لأهل البغضاء أوأولاء موصول صلته تحبونهم والواو فى (وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ) للحال وانتصابها من لايحبونكم أى لا يحبونكم والحال أنكم تؤمنون بكتابهم كله وهم مع ذلك يبغضونكم فمابالكم تحبونهم وهم لايؤمنون بشيء من كتابكم وفيه توبيخ شديد لأنهم فى باطلهم أصلب منكم فى حقكم وقيل الكتاب للجنس (وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا) أظهروا كلمة التوحيد (وَإِذَا خَلَوْا) فارقوكم أو خلا بعضهم ببعض (عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ) يوصف المغتاظ والنادم بعض الأنامل والبنان والابهام (قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ) دعاء عليهم بأن يزداد غيظهم حتى يهلكوا بهوالمراد بزيادةالغيظ زيادة مايغيظهم من قوة الإسلام وعز أهله ومالهم فى ذلك من الذل والخزى (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) فهو يعلم مافى صدور المنافقين من الحنق والبغضاء ومايكون منهم فى حال خلوبعضهم ببعض وهو داخل فى جملة القول أى أخبرهم بما يسرونه من عضهم الأنامل غيظا إذا خلوا وقل لهم إن الله عليم بما هو أخفى مما تسرونه بينكم وهو مضمرات الصدور فلا تظنوا أن شيئا من أسراركم يخفى عليه أو خارج عن القول أى قل لهم ذلك يا محمد ولا تتعجب من إطلاعى إياك على ما يسرون فإنى أعلم بما هو أخفى من ذلك وهو ما أضمروه فى صدورهم (إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ) رخاءوخصب وغنيمة ونصرة (تَسُؤْهُمْ) تحزنهم إصابتها (وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ) أضداد ماذكرنا والمس مستعار من الإصابة فكأن المعنى واحد الا ترى إلى قوله تعالى : إن تصبك حسنه تسؤهم وإن تصبك مصيبة (يَفْرَحُوا بِهَا) بإصابتها (وَإِن تَصْبِرُوا) على عداوتهم (وَتَتَّقُوا) مانهيتم عنه من موالاتهم أو وإن تصبروا على تكاليف الدين ومشاقه وتتقوا الله فى اجتنابكم محارمه (لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا) مكرهم وكنتم فى حفظ الله وهذا تعليم من الله وإرشاد إلى أن يستعان على كيد العدو بالصبر والتقوى وقال الحكماء إذاأردت أن تكبت من يحسدك فازدد فضلا فى نفسك. لايضركم مكى وبصرى

ونافع من ضاره يضيره بمعنى ضره وهو واضح والمشكل قراءة غيرهم لأنه جواب الشرط وجواب الشرط مجزوم فكان ينبغي أن يكون بفتح الراء كقراءة المفضل عن عاصم إلا أن ضمة الراء لإتباع ضمة الضاد نحو مد ياهذا (إِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ) بالتاء سهل أى من الصبر والتقوى وغيرهما (مُحِيطٌ) ففاعل بكم ما أنتم أهله وبالياء غيره أى أنه عالم بما يعملون فى عداوتكم فمعاقبهم عليه (وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ) واذكر يامحمد إذ خرجت غدوة من أهلك بالمدينة والمراد غدوه من حجرة عائشة رضى الله عنها إلى أحد (تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ) تنزلهم وهو حال (مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ) مواطن ومواقف من الميمنة والميسرة والقلب والجناحين والساقة وللقتال يتعلق بتبوىء (وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) سميع لأقوالكم عليم بنياتكم وضمائركم روى أن المشركين نزلوا بأحد يوم الأربعاء فاستشار رسول الله ﷺ أصحابه ودعا عبد الله بن أبىّ فاستشاره فقال أقم بالمدينة فما خرجنا على عدو قط إلا أصاب منا وما دخلوا علينا إلا أصبنا منهم فقال عليه السلام إنى رأيت فى منامى بقرا مذبحة حولى فأولتها خيرا ورأيت فى ذباب سيفى ثلمة فأولتها هزيمة ورأيت كأنى أدخلت يدى فى درع حصينة فأولتها المدينة فلم يزل به قوم ينشطون فى الشهادة حتى لبس لأمته ثم ندموا فقالوا الأمر إليك يارسول الله فقال عليه السلام «لا ينبغى لنبى أن يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل» فخرج بعد صلاة الجمعة وأصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوال (إِذْ هَمَّت) بدل من إذ غدوت أو عمل فيه معنى عليم (طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ) حيان من الأنصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس وكان عليه السلام خرج إلى أحد فى فى ألف والمشركون فى ثلاثة آلاف ووعدهم الفتح إن صبروا فانخذل عبد الله بن أبىّ بثلث الناس وقال علام نقتل أنفسنا وأولادنا فهم الحيان باتباعه فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله (أَن تَفْشَلَا) أى بأن تفشلا أى بأن تجبنا وتضعفا والفشل الجبن والخور (وَاللهُ وَلِيُّهُمَا) محبهما أو ناصرهما أو متولى أمرهما فما لهما تفشلان ولا تتوكلان على الله (وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) أمرهم بأن لايتوكلوا إلا عليه ولا يفوضوا أمورهم إلا إليه قال جابر والله مايسرنا أنا لم نهم بالذى هممنا به وقد أخبرنا الله بأنه ولينا ثم ذكرهم مايوجب عليهم التوكل مما يسر لهم من الفتح يوم بدر وهم فى حال قلة وذلة فقال (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ) وهو اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمى به أو ذكر بدرا بعد أحد للجمع بين الصبر والشكر

(وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ) لقلة العدد فإنهم كانوا ثلثمائة وبضعة عشر وكان عدوهم زهاء ألف مقاتل والعدد فإنهم خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد وما كان معهم إلا فرس واحد ومع عدوهم مائه فرس والشكة والشوكة وجاء بجمع القلة وهو أذلة ليدل على أنهم على ذلتهم كانوا قليلا (فَاتَّقُوا اللَّهَ) فى الثبات مع رسوله (لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) بتقوا كم ما أنعم الله به عليكم من النصر (إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ) ظرف لنصركم على أن يقول لهم ذلك يوم بدر أى نصركم الله وقت مقالتكم هذه أو بدل ثان من إذ غدوت على أن يقول لهم ذلك يوم أحد (أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ الْمَلَٰئِكَةِ مُنزَلِينَ) منزّلين شامى منزِلين أبو حيوة أى للنصرة ومعنى ألن يكفيكم إنكار أن لا يكفيهم الإمداد بثلاثة آلاف من الملائكة وجيء بلن الذى هو لتأكيد النفى للإشعار بأنهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم وشوكته كالآيسين من النصر (بَلَىٰٓ) إيجاب لما بعد لن أى يكفيكم الإمداد بهم فأوجب الكفاية ثم قال (إِن تَصْبِرُوا) على القتال (وَتَتَّقُوا) خلاف الرسول عليه السلام (وَيَأْتُوكُم) يعنى المشركين (مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا) هو من فارت القدر إذا غلت فاستعير للسرعة ثم سميت بها الحالة التى لا ريث بها ولا تعريج على شيء من صاحبها فقيل خرج من فوره كما تقول من ساعته لم يلبث ومنه قول الكرخى الأمر المطلق على الفور لا على التراخى والمعنى ان يأتوكم من ساعتهم هذه (يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ الْمَلَٰئِكَةِ) فى حال إتيانهم لا يتأخر نزولهم عن إتيانهم يعنى أن الله تعالى يعجل نصرتكم وييسر فتحكم إن صبرتم واتقيتم (مُسَوِّمِينَ) بكسر الواو مكى وأبو عمرو وعاصم وسهل أى معلمين أنفسهم أو خيلهم بعلامة يعرفون بها فى الحرب . والسومة العلامة عن الضحاك معلمين بالصوف الأبيض فى نواصى الدواب وأذنابها غيرهم بفتح الواو أى معلمين قال الكلبى معلمين بعمائم صفر مرخاة على أكتافهم وكانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك قال قتادة نزلت ألفا فصاروا ثلاثة آلاف ثم خمسة آلاف (وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ) الضمير يرجع إلى الإمداد الذى دل عليه أن يمدكم (إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ) أى وما جعل الله إمدادكم بالملائكة إلا بشارة لكم بأنكم تنصرون (وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ) كما كانت السكينة لبنى اسرائيل بشارة بالنصر وطمأنينة لقلوبهم (وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ) لا من عند المقاتلة ولا من عند الملائكة ولكن ذلك

ممايقوى به الله رجاء النصرة والطمع فى الرحمة (ٱلْعَزِيزِ) الذى لايغالب فى أحكامه (ٱلْحَكِيمِ) الذى يعطى النصر لأوليائه ويبتليهم بجهاد أعدائه واللام فى (لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟) ليهلك طائفة منهم بالقتل والأسر وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين من رؤساء قريش متعلقة بقوله : ولقد نصركم الله . أو بقوله : وما النصر إلا من عند الله. أو بيمددكم ربكم (أَوْ يَكْبِتَهُمْ) أو يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة وحقيقة الكبت شدة وهن تقع فى القلب فيصرع فى الوجه لأجله (فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ) فيرجعوا غير ظافرين بمبتغاهم (لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ) اسم ليس شئ والخبر لك ومن الأمر حال من شئ لأنها صفة مقدمة (أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ) عطف على ليقطع طرفا من الذين كفروا أويكبتهم وليس لك من الأمر شئ اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه والمعنى أن الله تعالى مالك أمرهم فإما أن يهلكهم أو يهزمهم أو يتوب عليهم إن أسلموا (أَوْ يُعَذِّبَهُمْ) إن أصروا على الكفر وليس لك من أمرهم شئ إنما أنت عبد مبعوث لإنذارهم ومجاهدتهم وعن الفراء أو بمعنى حتى وعن ابن عيسى بمعنى إلا أن كقولك لألزمنك أو تعطينى حقى أى ليس لك من أمرهم شئ إلا أن يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم أو يعذبهم فتتشفى منهم وقيل أراد أن يدعو عليهم فنهاه الله تعالى لعلمه أن فيهم من يؤمن (فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ) مستحقون للتعذيب (وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ) أى الأمر له لا لك لأن مافى السموات ومافى الأرض ملكه (يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ) للمؤمنين (وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ) الكافرين (وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً) مضعفة مكى وشامى هذا نهى عن الربا مع التوبيخ بما كانوا عليه من تضعيفه كان الرجل منهم إذا بلغ الدين محله يقول إما أن تقضى حقى أو تربى وتزيد فى الأجل (وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ) فى أكله (لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ) كان أبو حنيفة رضى الله عنه يقول: هى أخوف آية فى القرآن حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين إن لم يتقوه فى اجتناب محارمه وقد أمد ذلك بما أتبعه من تعليق رجاء المؤمنين لرحمته بتوفرهم على طاعته وطاعة رسوله بقوله (وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) وفيه رد على المرجئة فى قولهم لا يضر مع الإيمان ذنب ولا يعذب بالنار أصلا وعندنا غير الكافرين من العصاة قد يدخلها ولكن عاقبة أمره الجنة وفى ذكره تعالى لعل وعسى فى نحو

هذه المواضع وإن قال أهل التفسير إن لعل وعسى من الله للتحقيق مالا يخفى على العارف من دقة مسلك التقوى وصعوبة إصابة رضا الله تعالى وعزة التوصل إلى رحمته وثوابه(وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ) سارعوا مدنى وشامى فمن أثبت الواو عطفها على ماقبلها ومن حذفها استأنفها ومعنى المسارعة إلى المغفرة والجنة الإقبال على ما يوصل إليهما ثم قيل هى الصلوات الخمس أو التكبيرة الأولى أو الطاعة أو الإخلاص أو التوبة أو الجمعة والجماعات (عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ) أى عرضها عرض السماوات والأرض كقوله: عرضها كعرض السماء والأرض. والمراد وصفها بالسعة والبسط فشبهت بأوسع ماعلمه الناس من خلقه وأبسطه وخص العرض لأنه فى العادة أدنى من الطول للمبالغة وعن ابن عباس رضى الله عنهما كسبع سموات وسبع أرضين لو وصل بعضها ببعض وما روى أن الجنة فى السماء السابعة أو فى السماء الرابعة فمعناه أنها فى جهتها لا أنها فيها أو فى بعضها كما يقال فى الدار بستان وإن كان يزيد عليها لأن المراد أن بابه إليها (أُعِدَّتْ) فى موضع جر صفة لجنة أيضا أى جنة واسعة معدة (لِلْمُتَّقِينَ)ودلت الآيتان على أن الجنة والنار مخلوقتان ثم المتقى من يتقى الشرك كما قال وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله أو من يتقى المعاصى فإن كان المراد الثانى فهى لهم بغير عقوبة وإن كان الأول فهى لهم أيضا فى العاقبة ويوقف عليه إن جعل (الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى السَّرَّآءِ وَالضَّرَّآءِ) فى حال اليسر والعسر مبتدأ وعطف عليه والذين إذا فعلوا فاحشة وجعل الخبر أولئك وإن جعل وصفا للمتقين وعطف عليه والذين إذا فعلوا فاحشة أى أعدت للمتقين والتائبين فلا وقف فإن قلت الآية تدل على أن الجنة معدة للمتقين والتائبين دون المصرين قلت جاز أن تكون معدة لهما ثم يدخلها بفضل الله وعفوه غيرهما كما يقال أعدت هذه المائدة للأمير ثم قد يأكلها أتباعه ألا ترى أنه قال واتقوا النار التى أعدت للكافرين ثم قد يدخلها غير الكافرين بالاتفاق وافتتح بذكر الإنفاق لأنه أشق شىء على النفس وأدله على الإخلاص ولأنه كان فى ذلك الوقت أعظم الأعمال للحاجة إليه فى مجاهدة العدو ومواساة فقراء المسلمين وقيل المراد الإنفاق فى جميع الأحوال لأنها لا تخلو من حال مسرة ومضرة (وَالْكَـٰظِمِينَ الْغَيْظَ) والممسكين الغيظ عن الإمضاء يقال كظم القربة إذا امتلأها وشد فاها ومنه كظم الغيظ وهو أن يمسك على مافى نفسه منه بالصبر ولا

يظهرله أثرا. والغيظ: توقدحرارةالقلب من الغضب وعن النبي عليه السلام «من كظم غيظاوهو يقدر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمنا وإيمانا» (وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ) أى إذا جنى عليهم أحدلم يؤاخذوه وروى ينادى مناد يوم القيامة أين الذين كانت أجورهم على الله فلا يقوم إلا من عفا. وعن ابن عيينة أنه رواه للرشيد وقد غضب على رجل نخلاه (وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) اللام للجنس فيتناول كل محسن ويدخل تحته هؤلاء المذكورون أو للعهد فيكون إشارة إلى هؤلاء. عن الثورى الإحسان أن تحسن إلى المسئ فإن الإحسان إلى المحسن متاجرة (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً) فعلةمتزايدة القبح ويجوز أن يكون والذين مبتدأ خبره أولئك (أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ) قيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة أو الفاحشة الزنا وظلم النفس القبلة واللمسة ونحوها (ذَكَرُوا اللَّهَ) بلسانهم أو بقلوبهم ليبعثهم على التوبة (فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ) فتابوا عنها لقبحهما نادمين قيل بكى إبليس حين نزلت هذه الآية (وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ) من مبتدأ ويغفر خبره وفيه ضمير يعود إلى من وإلاالله بدل من الضمير فى يغفر والتقدير ولا أحد يغفر الذنوب إلا الله وهذه جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه وفيه تطييب لنفوس العباد وتنشيط للتوبة وبعث عليها وردع عن اليأس والقنوط وبيان لسعة رحمته وقرب مغفرته من التائب وإشعار بأن الذنوب وإن جلّت فإن عفوه أجل وكرمه أعظم (وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا) ولم يقيموا على قبيح فعلهم والإصرار الإقامة قال عليه السلام «ماأصر من استغفر وإن عادفى اليوم سبعين مرة» وروى «لا كبيرة مع الاستغفار ولاصغيرة مع الإصرار» (وَهُمْ يَعْلَمُونَ) حال من الضمير فى ولم يصروا أى وهم يعلمون أنهم أساءوا أو وهم يعلمون أنه لايغفر ذنوبهم إلاالله (أُولَٰئِكَ) الموصوفون (جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ) بتوبته (وَجَنَّاتٌ) برحمته (تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) المخصوص بالمدح محذوف أى ونعم أجر العاملين ذلك يعنى المغفرة والجنات نزلت فى تمار قال لامرأة تريد التمر فى بيتى تمر أجود فأدخلها بيته وضمها إلى نفسه وقبلها فندم أو فى أنصارى استخلفه ثقفى وقدآخى بينهما النبي عليه السلام فى غيبة غزوة فأتى أهله لكفاية حاجة فرآها فقبلها فندم فساح فى الأرض صارخا فاستعتبه الله تعالى (قَدْ خَلَتْ) مضت (مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ) يريد ماسنه الله تعالى فى الأمم المكذبين من وقائعه (فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ)

فتعتبروا بها (هَٰذَا) أى القرآن أوماتقدم ذكره (بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى) أى إرشاد (وَمَوْعِظَةٌ) ترغيب وترهيب (لِّلْمُتَّقِينَ) عن الشرك (وَلَا تَهِنُوا) ولا تضعفوا عن الجهاد لما أصابكم من الهزيمة (وَلَا تَحْزَنُوا) على مافاتكم من الغنيمة أو على من قتل منكم أوجرح وهو تسلية من الله لرسوله وللمؤمنين عما أصابهم يوم أحد وتقوية لقلوبهم (وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ) وحالكم أنكم أعلى منهم وأغلب لأنكم أصبتم منهم يوم بدر أكثر مما أصابوا منكم يوم أحد أو وأنتم الأعلون بالنصر والظفر فى العاقبة وهى بشارة لهم بالعلو والغلبة وإن جندنا لهم الغالبون أو وأنتم الأعلون شأناً لأن قتالكم لله ولإعلاء كلمته وقتالهم للشيطان ولإعلاء كلمة الكفر أو لأن قتلاكم فى الجنة وقتلاهم فى النار (إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) متعلق بالنهى أى ولا تهنوا إن صح إيمانكم يعنى أن صحة الإيمان توجب قوة القلب والثقة بوعد الله وقلة المبالاة بأعدائه أو بالأعلون أى إن كنتم مصدقين بما يعدكم الله به ويبشركم به من الغلبة (إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ) بضم القاف حيث كان كوفى غير حفص وبفتح القاف غيرهم وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل بالفتح الجراحة وبالضم ألمها (فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ) أى إن نالوا منكم يوم أحد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يمنعهم عن معاودتكم إلى القتال فأنتم أولى أن لا تضعفوا (وَتِلْكَ) مبتدأ (الْأَيَّامُ) صفته والخبر (نُدَاوِلُهَا) نصرفها (بَيْنَ النَّاسِ) أى نصرف مافيها من النعم والنقم نعطى لهؤلاء تارة وطورا لهؤلاء كبيت الكتاب .

فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر

(وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا) أى نداولها لضروب من التدبير وليعلم الله المؤمنين مميزين بالصبر والإيمان من غيرهم كما علمهم قبل الوجود (وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ) وليكرم ناسا منكم بالشهادة يريد المستشهدين يوم أحد أوليتخذ منكم من يصلح للشهادة على الأمم يوم القيامة من قوله لتكونوا شهداء على الناس (وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّٰلِمِينَ) اعتراض بين بعض التعليل وبعض ومعناه والله لايحب من ليس من هؤلاء الثابتين على الإيمان المجاهدين فى سبيله وهم المنافقون والكافرون (وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا) التمحيص: التطهير والتصفية (وَيَمْحَقَ الْكَٰفِرِينَ) ويهلكهم يعنى إن كانت الدولة على المؤمنين فللتميز والاستشهاد والتمحيص وإن كانت على الكافرين فلمحقهم ومحو آثارهم (أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ) أم منقطعة

ومعنى الهمزة فيها الإنكار أى لاتحسبوا (وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَٰهَدُوا مِنكُمْ) أى ولما تجاهدوا لأن العلم متعلق بالمعلوم فنزل نفى العلم منزلة نفى متعلقه لأنه منتف بانتفائه تقول ماعلم الله فى فلان خيرا أى مافيه خير حتى يعلمه ولما بمعنى لم إلا أن فيه ضربا من التوقع فدل على نفى الجهاد فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل (وَيَعْلَمَ الصَّٰبِرِينَ) نصب بإضمارأن والواو بمعنى الجمع نحو لاتأكل السمك وتشرب اللبن أوجزم للعطف على يعلم الله وإنما حركت الميم لالتقاء الساكنين واختيرت الفتحة لفتحة ماقبلها (وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ) خوطب به الذين لم يشهدوا بدرا وكانوا يتمنون أن يحضروا مشهدا مع رسول الله ﷺ لينالوا كرامة الشهادة وهم الذين ألحوا على رسول الله ﷺ فى الخروج إلى المشركين وكان رأيه فى الإقامة بالمدينة يعنى وكنتم تمنون الموت قبل أن تشاهدوه وتعرفوا شدته (فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ) أى رأيتموه معاينين مشاهدين له حين قتل إخوانكم بين أيديكم وشارفتم أن تقتلوا وهذا توبيخ لهم على تمنيهم الموت وعلى ما تسببوا له من خروج رسول الله ﷺ بإلحاحهم عليه ثم انهزامهم عنه وإنما تمنوا الشهادة لينالوا كرامة الشهداء من غير قصد إلى مايتضمنه من غلبة الكفار كمن شرب الدواء من طبيب نصرانى فإن قصده حصول الشفاء ولايخطر بباله أن فيه جر منفعة إلى عدو الله وتنفيقا لصناعته لما رمى ابن قمئة رسول الله ﷺ بحجر فكسر رباعيته أقبل يريد قتله فذب عنه مصعب بن عمير وهو صاحب الراية حتى قتله ابن قمئة وهو يرى أنه رسول الله ﷺ فقال قتلت محمدا وخرج صارخ قيل هو الشيطان ألا إن محمدا قد قتل ففشا فى الناس خبر قتله فانكفئوا وجعل رسول الله ﷺ يدعو إلىّ عباد الله حتى انحازت إليه طائفة من أصحابه فلامهم على هربهم فقالوا يارسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا أتانا خبر قتلك فولينا مدبرين فنزل (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ) مضت (مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ) فسيخلو كما خلوا وكما أن أتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم فعليكم أن تتمسكوا بدينه بعد خلوه لأن المقصود من بعثة الرسل تبليغ الرسالة وإلزام الحجة لاوجوده بين أظهرقومه (أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَٰبِكُمْ) الفاء معلقة للجملة الشرطية بالجملة التى قبلها على معنى التسبيب. والهمزة لإنكار أن يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على أعقابهم بعد هلاكه بموت أو قتل مع علمهم أن خلو الرسل قبله وبقاء دينهم

متمسكا به يجب أن يجعل سببا للتمسك بدين محمد عليه السلام لا للانقلاب عنه والانقلاب على العقبين مجاز عن الارتداد أو عن الانهزام (وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا) وإنما ضر نفسه (وَسَيَجْزِى اللَّهُ الشَّـٰكِرِينَ) الذين لم ينقلبوا وسماهم شاكرين لأنهم شكروا نعمة الإسلام فيما فعلوا (وَمَا كَانَ) وما جاز (لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) أى بعلمه أو بأن يأذن ملك الموت فى قبض روحه والمعنى أن موت الأنفس محال أن يكون إلا بمشيئة الله وفيه تحريض على الجهاد وتشجيع على لقاء العدو وإعلام بأن الحذر لاينفع وأن أحداً لايموت قبل بلوغ أجله وإن خاض المهالك واقتحم المعارك (كِتَٰبًا) مصدر مؤكد لأن المعنى كتب الموت كتاباً (مُّؤَجَّلًا) مؤقتاً له أجل معلوم لايتقدم ولا يتأخر (وَمَن يُرِدْ) بقتاله (ثَوَابَ الدُّنْيَا) أى الغنيمة وهو تعريض بالذين شغلتهم الغنائم يوم أحد (نُؤْتِهِ مِنْهَا) من ثوابها (وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ) أى إعلاء كلمة الله والدرجة فى الآخر (نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِى الشَّـٰكِرِينَ) وسنجزى الجزاء المبهم الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شىء عن الجهاد (وَكَأَيِّن) أصله أى دخل عليه كاف التشبيه وصارا فى معنى كم التى للتكثير وكائن بوزن كاع حيث كان مكى (مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ) قتل مكى وبصرى ونافع (مَعَهُ) حال من الضمير فى قتل أى قتل كائنا معه (رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ) والربيون الربانيون وعن الحسن بضم الراء وعن البعض بفتحها فالفتح على القياس لأنه منسوب إلى الرب والضم والكسر من تغييرات النسب (فَمَا وَهَنُوا) فما فتروا عند قتل نبيهم (لِمَا أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا) عن الجهاد بعده (وَمَا اسْتَكَانُوا) وماخضعوا لعدوهم وهذا تعريض بما أصابهم من الوهن عند الإرجاف بقتل رسول الله عليه السلام واستكانتهم لهم حيث أرادوا أن يعتضدوا بابن أبىّ فى طلب الأمان من أبى سفيان (وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّـٰبِرِينَ) على جهاد الكافرين (وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا) أى وما كان قولهم إلا هذا القول وهو إضافة الذنوب إلى أنفسهم مع كونهم ربانيين هضما لها (وَإِسْرَافَنَا فِى أَمْرِنَا) تجاوزنا حد العبودية (وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا) فى القتال (وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَـٰفِرِينَ) بالغلبة وقدم الدعاء بالاستغفار من الذنوب على طلب تثبيت الأقدام فى مواطن الحرب والنصرة على الأعداء لأنه أقرب إلى الإجابة لما فيه من الخضوع والاستكانة (فَـَٔاتَىٰهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا) أى النصرة والظفر والغنيمة (وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ) المغفرة

والجنة وخص بالحسن دلالة على فضله وتقدمه وأنه هو المعتدبه عنده (وَاللّٰهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) أى هم محسنون والله يحبهم (يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ) يرجعوكم إلى الشرك (فَتَنقَلِبُوا خَـٰسِرِينَ) قيل هو عام فى جميع الكفار وعلى المؤمنين أن يجانبوهم ولا يطيعوهم فى شىء حتى لا يستجروهم إلى موافقتهم وعن السدى إن تستكينوا لأبى سفيان وأصحابه وتستأمنوهم يردوكم إلى دينهم وقال على رضى الله عنه نزلت فى قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا إلى إخوانكم وادخلوا فى دينهم (بَلِ اللّٰهُ مَوْلَـٰكُمْ) ناصركم فاستغنوا عن نصرة غيره (وَهُوَ خَيْرُ النَّـٰصِرِينَ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ) الرعب شامى وعلى وهما لغتان قيل قذف الله فى قلوب المشركين الخوف يوم أحد فانهزموا إلى مكة من غير سبب ولهم القوة والغلبة (بِمَآ أَشْرَكُوا بِاللّٰهِ) بسبب إشراكهم أى كان السبب فى إلقاء الله الرعب فى قلوبهم إشراكهم به (مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا) آلهة لم ينزل الله بإشراكها حجة ولم يرد أن هناك حجة إلا أنها لم تنزل عليهم لأن الشرك لا يستقيم أن تقوم عليه حجة وإنما المراد نفى الحجة ونزولها جميعا كقوله * ولا ترى الضب بها ينجحر * أى ليس بها ضب فينجحر ولم يعن أن بها ضبا ولا ينجحر (وَمَأْوَىٰهُمُ) مرجعهم (النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّـٰلِمِينَ) النار فالمخصوص بالذم محذوف ولما رجع رسول الله ﷺ مع أصحابه إلى المدينة قال ناس من أصحابه من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزل (وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّٰهُ وَعْدَهُۥٓ) أى حقق (إِذْ تَحُسُّونَهُم) تقتلونهم قتلا ذريعا وعن ابن عيسى حسه أبطل حسه بالقتل (بِإِذْنِهِۦ) بأمره وعلمه (حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ) جبنتم (وَتَنَـٰزَعْتُمْ فِى الْأَمْرِ) أى اختلفتم (وَعَصَيْتُم) أمر نبيكم بترككم المركز واشتغالكم بالغنيمة (مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ) من الظفر وقهر الكفار ومتعلق إذا محذوف تقديره حتى إذا فشلتم منعكم نصره وجاز أن يكون المعنى صدقكم الله وعده إلى وقت فشلكم (مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا) أى الغنيمة وهم الذين تركوا المركز لطلب الغنيمة روى أن رسول الله ﷺ جعل أحدا خلف ظهره واستقبل المدينة وأقام الرماة عند الجبل وأمرهم أن يثبتوا فى مكانهم ولا يبرحوا كانت الدولة للمسلمين أو عليهم فلما أقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يقتلونهم حتى إذا فشلوا وتنازعوا فقال بعضهم قد انهزم المشركون

فاموقفنا ههنا فادخلوا عسكر المسلمين وخذوا الغنيمة مع إخوانكم، وقال بعضهم لاتخالفوا أمر رسول الله ﷺ فمن ثبت مكانه عبد الله بن جبير أمير الرماة فى نفر دون العشرة وهم المعنيون بقوله (وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ) فكر المشركون على الرماة وقتلوا عبد الله بن جبير وأقبلوا على المسلمين حتى هزموهم وقتلوا من قتلوا وهو قوله (ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ) أى كف معونته عنكم فغلبوكم (لِيَبْتَلِيَكُمْ) ليمتحن صبركم على المصائب وثباتكم عندها وحقيقته ليعاملكم معاملة المختبر لأنه يجازى على ما يعمله العبد لا على ما يعلمه منه (وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ) حيث ندمتم على مافرط منكم من عصيان رسول الله ﷺ (وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ) بالعفو عنهم وقبول توبتهم أو هو متفضل عليهم فى جميع الأحوال سواء أديل لهم أو أديل عليهم لأن الابتلاء رحمة كما أن النصرة رحمة وانتصب (إِذْ تُصْعِدُونَ) تبالغون فى الذهاب فى صعيد الأرض والإصعاد الذهاب فى صعيد الأرض أو الإبعاد فيه بصرفكم أو بقوله ليبتليكم أو باضمار اذكروا (وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ) ولا تلتفتون وهو عبارة عن غاية انهزامهم وخوف عدوهم (وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ) يقول «إلىّ عباد الله أنا رسول الله من يكر فله الجنة» والجملة فى موضع الحال (فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ) فى ساقتكم وجماعتكم الأخرى وهى المتأخرة يقال جئت فى آخر الناس وأخرهم كما تقول فى أولهم وأولاهم بتأويل مقدمتهم وجماعتهم الأولى (فَأَثَٰبَكُمْ) عطف على صرفكم أى فجازاكم الله (غَمًّۢا) حين صرفكم عنهم وابتلاكم (بِغَمٍّ) بسبب غم أذقتموه رسول الله ﷺ بعصيانكم أمره أو غما مضاعفا، غما بعد غم وغما متصلا بغم، من الاغتمام بما أرجف به من قتل رسول الله عليه السلام والجرح والقتل وظفر المشركين وفوت الغنيمة والنصر (لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ) لتتمرنوا على تجرع الغموم فلاتحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع (وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ) ولا على مصيب من المضار (وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ) عالم بعملكم لا يخفى عليه شىء من أعمالكم وهذا ترغيب فى الطاعة وترهيب عن المعصية (ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا) ثم أنزل الله الأمن على المؤمنين وأزال عنهم الخوف الذى كان بهم حتى نعسوا وغلبهم النوم عن أبى طلحة غشينا النعاس ونحن فى مصافنا فكان السيف يسقط من يد أحدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه والأمنة الأمن ونعاسا بدل من أمنة أوهو مفعول وأمنة حال منه مقدمة عليه نحو رأيت راكبا رجلا والأصل أنزل عليكم نعاسا

ذا أمنة إذالنعاس ليس هوالأمن ويجوز أن يكون أمنة مفعولا له أو حالا من المخاطبين بمعنى ذوى أمنة أو على أنه جمع آمن كبار وبررة (يَغْشَىٰ) يعنى النعاس تغشى بالتاء والامالة حمزة وعلى أى الأمنة (طَآئِفَةً مِّنكُمْ) هم أهل الصدق واليقين (وَطَآئِفَةٌ) هم المنافقون (قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ) مايهمهم إلاهم أنفسهم وخلاصها لاهم الدين ولاهم رسول الله ﷺ والمسلمين رضوان الله عليهم (يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ) فى حكم المصدر أى يظنون بالله غير الظن الحق الذى يجب أن يظن به وهو أن لا ينصر محمدا ﷺ (ظَنَّ الْجَـٰهِلِيَّةِ) بدل منه والمراد الظن المختص بالملة الجاهلية أو ظن أهل الجاهلية أى لا يظن مثل ذلك الظن إلا أهل الشرك الجاهلون بالله (يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ) هل لنا معاشر المسلمين من أمر الله نصيب قط يعنون النصر والغلبة على العدو (قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ) أى النصر والغلبة (كُلَّهُ لِلَّهِ) ولأوليائه المؤمنين وإن جندنا لهم الغالبون كله تأكيد للأمر ولله خبران كله بصرى وهو مبتدأ ولله خبره والجملة خبران (يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ) خوفا من السيف (يَقُولُونَ) فى أنفسهم أو بعضهم لبعض منكرين لقولك لهم إن الأمر كله لله (لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَـٰهُنَا) أى لو كان الأمر كما قال محمد إن الأمر كله لله ولأوليائه وأنهم الغالبون لما غلبنا قط ولماقتل من المسلمين من قتل فى هذه المعركة قد أهمتهم صفة لطائفة ويظنون خبر لطائفة أو صفة أخرى أو حال أى قد أهمتهم أنفسهم ظانين ويقولون بدل من يظنون ويخفون حال من يقولون وقل إن الأمر كله لله اعتراض بين الحال وذى الحال ويقولون بدل من يخفون أو استئناف (قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ) أى من علم الله منه أنه يقتل فى هذه المعركة وكتب ذلك فى اللوح لم يكن بد من وجوده فلو قعدتم فى بيوتكم (لَبَرَزَ) من بينكم (الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ) مصارعهم بأحد ليكون ما علم الله أنه يكون والمعنى أن الله كتب فى اللوح قتل من يقتل من المؤمنين وكتب مع ذلك أنهم الغالبون لعلمه أن العاقبة فى الغلبة لهم وأن دين الإسلام يظهر على الدين كله وأن ماينكبون به فى بعض الأوقات تمحيص لهم (وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ) وليمتحن ما فى صدور المؤمنين من الإخلاص ويمحص ما فى قلوبهم من وساوس الشيطان فعل ذلك. أو فعل ذلك لمصالح جمة وللابتلاء والتمحيص (وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) بخفياتها (إِنَّ الَّذِينَ

تَوَلَّوْا مِنكُمْ) انهزموا (يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ) جمع محمد عليه السلام وجمع أبى سفيان للقتال بأحد (إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ) دعاهم إلى الزلة وحملهم عليها (بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا) بتركهم المركز الذى أمرهم رسول الله ﷺ بالثبات فيه فالإضافه إلى الشيطان لطف وتقريب والتعليل بكسبهم وعظ وتأديب. وكان أصحاب محمد عليه السلام تولوا عنه يوم أحد إلا ثلاثة عشر رجلا منهم أبوبكر وعلى وطلحة وابن عوف وسعد بن أبى وقاص والباقون من الأنصار (وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ) تجاوز عنهم (إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ)للذنوب (حَلِيمٌ) لايعاجل بالعقوبة (يَٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا) كابن أبىّ وأصحابه (وَقَالُوا لِإِخْوَٰنِهِمْ) أى فى حق إخوانهم فى النسب أو فى النفاق (إِذَا ضَرَبُوا فِى ٱلْأَرْضِ) سافروا فيها للتجارة أو غيرها (أَوْ كَانُوا غُزًّى) جمع غاز كعاف وعفّى وأصابهم موت أو قتل (لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ) اللام يتعلق بلاتكونوا أى لاتكونوا كهؤلاء فى النطق بذلك القول واعتقاده ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم أو بقالوا أى قالوا ذلك واعتقدوه ليكون ذلك حسرة فى قلوبهم والحسرة الندامة على فوت المحبوب (وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ) رد لقولهم إن القتال يقطع الآجال أى الأمر بيده قد يحيي المسافر والمقاتل ويميت المقيم والقاعد (وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) فيجازيكم على أعمالكم يعملون مكى وحمزة وعلى أى الذين كفروا (وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ) متم وبابه بالكسر نافع وكوفى غير عاصم تابعهم حفص إلا فى هذه السورة كأنه أراد الوفاق بينه وبين قتلتم. غيرهم بضم الميم فى جميع القرآن فالضم من مات يموت والكسر من مات يمات كخاف يخاف فكما تقول خفت تقول مت (لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) مابمعنى الذى والعائد محذوف وبالياء حفص (وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ) لإلى الرحيم الواسع الرحمة المثيب العظيم الثواب تحشرون. ولوقوع اسم الله فى هذا الموضع مع تقديمه وإدخال اللام على الحرف المتصل به شأن غنى عن البرهان لمغفرة جواب القسم وهو ساد مسد جواب الشرط وكذلك لالى الله تحشرون كذب الكافرين أولا فى زعمهم أن من سافر من إخوانهم أوغزا لو كان بالمدينة لما مات ونهى المسلمين عن ذلك لأنه سبب التقاعد عن الجهاد ثم قال لهم ولئن تم عليكم ما تخافونه من الهلاك بالموت أو القتل فى سبيل الله فإن ماتنالونه من المغفرة والرحمة

بالموت فى سبيل الله خير مما تجمعون من الدنيا فإن الدنيا زاد المعاد فإذا وصل العبد إلى المراد لم يحتج إلى الزاد (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ) ما مزيدة للتوكيد والدلالة على أن لينه لهم ماكان إلا برحمة من الله ومعنى الرحمة ربطه على جأشه وتوفيقه للرفق والتلطف بهم (وَلَوْ كُنتَ فَظًّا) جافيا (غَلِيظَ الْقَلْبِ) قاسيه (لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) لتفرقوا عنك حتى لا يبقى حولك أحد منهم (فَاعْفُ عَنْهُمْ) ماكان منهم يوم أحد مما يختص بك (وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ) فيما يختص بحق الله إتماما للشفقة عليهم (وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ) أى فى أمر الحرب ونحوه مما لم ينزل عليك فيه وحى تطييبا لنفوسهم وترويحا لقلوبهم ورفعا لأقدارهم ولتقتدى بك أمتك فيها فى الحديث «ماتشاور قوم قط إلاهدوا لأرشد أمرهم» وعن أبى هريرة رضى الله عنه ما رأيت أحدا أكثر مشاورة من أصحاب رسول الله ﷺ ومعنى شاورت فلانا أظهرت ما عندى وما عنده من الرأى وشرت الدابة استخرجت جريها وشرت العسل أخذته من مآخذه وفيه دلالة جواز الاجتهاد وبيان أن القياس حجة (فَإِذَا عَزَمْتَ) فإذا قطعت الرأى على شىء بعد الشورى (فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ) فى إمضاء أمرك على الأرشد لا على المشورة (إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) عليه والتوكل الاعتماد على الله والتفويض فى الأمور إليه وقال ذو النون خلع الأرباب وقطع الأسباب (إِن يَنصُرْكُمُ اللهُ) كما نصركم يوم بدر (فَلَا غَالِبَ لَكُمْ) فلا أحد يغلبكم وإنما يدرك نصر الله من تبرأ من حوله وقوته واعتصم بربه وقدرته (وَإِن يَخْذُلْكُمْ) كما خذلكم يوم أحد (فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ) من بعد خذلانه وهو ترك المعونة أو هو من قولك ليس لك من يحسن إليك من بعد فلان تريد إذا جاوزته وهذا تنبيه على أن الأمر كله لله وعلى وجوب التوكل عليه(وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) وليخص المؤمنون ربهم بالتوكل والتفويض إليه لعلمهم أنه لا ناصر سواه ولأن إيمانهم يقتضى ذلك (وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ) مكى وأبو عمرو وحفص وعاصم أى يخون وبضم الياء وفتح الغين غيرهم يقال غل شيئا من المغنم غلولا وأغل إغلالا إذا أخذه فى خفية ويقال أغله إذا وجده غالا والمعنى ماصح له ذلك يعنى أن النبوة تنافى الغلول وكذا من قرأ على البناء للمفعول فهو راجع إلى هذا لأن معناه وماصح له أن يوجد غالا ولا يوجد غالا إلا إذا كان غالا روى أن قطيفة حمراء فقدت يوم بدر مما أصيب من المشركين فقال بعض المنافقين لعل رسول الله

ﷺ أخذها فنزلت الآية (وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ) أى يأت بالشئ الذى غله بعينه حاملا له على ظهره كما جاء فى الحديث أو يأت بما احتمل من وباله وإثمه (ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ) تعطى جزاءها وافياولم يقل ثم يوفى ما كسب ليتصل بقوله ومن يغلل بل جيء بعام ليدخل تحته كل كاسب من الغال وغيره فاتصل به من حيث المعنى وهو أبلغ لأنه إذا علم الغال أن كل كاسب خيرا أوشرا مجزى فوفى جزاءه علم أنه غير متخلص من بينهم مع عظم مااكتسب (وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) أى جزاء كل على قدر كسبه (أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَٰنَ اللَّهِ) أى رضا الله قيل هم المهاجرون والأنصار (كَمَن بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ) وهم المنافقون والكفار (وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) المرجع (هُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ اللَّهِ) هم متفاوتون كما تتفاوت الدرجات أوذوو درجات والمعنى تفاوت منازل المثابين منهم ومنازل المعاقبين أوالتفاوت بين الثواب والعقاب (وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ) عالم بأعمالهم ودرجاتها فيجازيهم على حسبها (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) على من آمن مع رسول الله عليه السلام من قومه وخص المؤمنين منهم لأنهم هم المنتفعون بمبعثه (إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ) من جنسهم عربيا مثلهم أومن ولد اسماعيل كما أنهم من ولده والمنة فى ذلك من حيث إنه إذا كان منهم كان اللسان واحد فيسهل أخذ مايجب عليهم أخذه عنه وكانو واقفين على أحواله فى الصدق والأمانة فكان ذلك أقرب لهم إلى تصديقه وكان لهم شرف بكونه منهم وفى قراءة رسول الله من أنفَسهم أى من أشرفهم (يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِ) أى القرآن بعدما كانوا أهل جاهلية لم يطرق أسماعهم شئ من الوحى (وَيُزَكِّيهِمْ) ويطهرهم بالإيمان من دنس الكفر والطغيان أو يأخذ منهم الزكاة (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَـٰبَ وَالْحِكْمَةَ) القرآن والسنة (وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ) من قبل بعثة الرسول ﷺ (لَفِى ضَلَـٰلٍ) عمى وجهالة (مُّبِينٍ) ظاهر لا شبهة فيه إن مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين النافية والتقدير وإن الشأن والحديث كانوا من قبل فى ضلال مبين (أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ) يريد ماأصابهم يوم أحد من قتل سبعين منهم (قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا) يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين وهو فى موضع رفع صفة لمصيبة (قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـٰذَا) من أين هذا (قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ) لاختياركم الخروج من المدينة أولتركـكم المركز. لما نصب بقلتم وأصابتكم فى محل الجر بإضافة لما إليه وتقديره أقلتم حين أصابتكم وأنى

هذا نصب لأنه مقول والهمزة للتقرير والتقريع وعطفت الواو هذه الجملة على مامضى من قصة أحد من قوله: ولقدصدقكم الله وعده. أو على محذوف كأنه قيل أفعلتم كذا وقلتم حينئذ كذا (إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) يقدر على النصر وعلى منعه (وَمَآ أَصَٰبَكُمْ) ما بمعنى الذى وهو مبتدأ (يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ) جمعكم وجمع المشركين بأحد والخبر (فَبِإِذْنِ اللَّهِ) فكائن بإذن الله أى بعلمه وقضائه (وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا) وهو كائن ليتميز المؤمنون والمنافقون وليظهر إيمان هؤلاء ونفاق هؤلاء (وَقِيلَ لَهُمْ) للمنافقين وهو كلام مبتدأ (تَعَالَوْا قَٰتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) أى جاهدوا للآخرة كما يقاتل المؤمنون (أَوِ ادْفَعُوا) أى قاتلوا دفعا عن أنفسكم وأهليكم وأموالكم إن لم تقاتلوا للآخرة وقيل أوادفعوا العدو بتكثيركم سواد المجاهدين إن لم تقاتلوا لأن كثرة السواد مماتروع العدو (قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَٰكُمْ) أى لو نعلم مايصح أن يسمى قتالا لاتبعناكم يعنون أن ماأنتم فيه لخطإ رأيكم ليس بشئ ولا يقال لمثله قتال إنما هو إلقاء النفس فى التهلكة (هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ)يعنى أنهم كانوا يتظاهرون بالإيمان قبل ذلك وما ظهرت منهم أمارة تؤذن بكفرهم فلما انخذلوا عن عسكر المؤمنين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن الإيمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر أوهم لأهل الكفر أقرب نصرة منهم لأهل الإيمان لأن تقليلهم سواد المؤمنين بالانخذال تقوية للمشركين (يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ) أى يظهرون خلاف مايضمرون من الإيمان وغيره والتقييد بالأفواه للتأكيد ونفى المجاز (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ) من النفاق (الَّذِينَ قَالُوا) أى ابن أبىّ وأصحابه وهو فى موضع رفع على هم الذين قالوا أو على الإبدال من واو يكتمون أو نصب بإضمار أعنى أو على البدل من الذين نافقوا أو جر على البدل من الضمير فى أفواههم أو قلوبهم (لِإِخْوَٰنِهِمْ) لأجل إخوانهم من جنس المنافقين المقتولين يوم أحد (وَقَعَدُوا) أى قالوا وقد قعدوا عن القتال (لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا) لو أطاعنا إخواننا فيما أمرناهم به من الانصراف عن رسول الله ﷺ والقعود ووافقونا فيه لماقتلوا كما لم نقتل (قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ) بأن الحذر ينفع من القدر فخذوا حذركم من الموت أو

معناه قل إن كنتم صادقين فى أنكم وجدتم إلى دفع القتل سبيلا وهو القعود عن القتال فجدوا إلى دفع الموت سبيلا وروى أنه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقا ونزل فى قتلى أحد (وَلَا تَحْسَبَنَّ) شامى وحمزة وعلى وعاصم وبكسر السين غيرهم والخطاب لرسول الله ﷺ أو لكل أحد (الَّذِينَ قُتِلُوا) قتّلوا شامى (فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ) بل هم أحياء (عِندَ رَبِّهِمْ) مقربون عنده ذوو زلفى (يُرْزَقُونَ) مثل ما يرزق سائر الأحياء يأكلون ويشربون وهو تأكيد لكونهم أحياء ووصف لحالهم التى هم عليها من التنعم برزق الله (فَرِحِينَ) حال من الضمير فى يرزقون (بِمَا ءَاتَهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ) وهو التوفيق فى الشهادة وما ساق إليهم من الكرامة والتفضيل على غيرهم من كونهم أحياء مقربين معجلا لهم رزق الجنة ونعيمها وقال النبى عليه السلام «لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر تدور فى أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى إلى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش» وقيل هذا الرزق فى الجنة يوم القيامة وهو ضعيف لأنه لا يبقى للتخصيص فائدة (وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ) بإخوانهم المجاهدين الذين (لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم) لم يقتلوا فيلحقوا بهم (مِّنْ خَلْفِهِمْ) يريد الذين من خلفهم قد بقوا من بعدهم وهم قد تقدموهم أو لم يلحقوا بهم لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم (أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ) بدل من الذين والمعنى ويستبشرون بما تبين لهم من حال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو أنهم يبعثون آمنين يوم القيامة بشرهم الله بذلك فهم مستبشرون به وفى ذكر حال الشهداء واستبشارهم بمن خلفهم بعث للباقين بعدهم على الجد فى الجهاد والرغبة فى نيل منازل الشهداء (وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللهِ وَفَضْلٍ) يسرون بما أنعم الله عليهم وما تفضل عليهم من زيادة الكرامة (وَأَنَّ اللهَ) عطف على النعمة والفضل. وإن الله على بالكسر على الاستئناف وعلى أن الجملة اعتراض (لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ) بل يوفر عليهم (الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ) مبتدأ خبره للذين أحسنوا أو صفة للمؤمنين أو نصب على المدح (مِن بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ) الجرح روى أن أبا سفيان وأصحابه لما انصرفوا من أحد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأراد أن يرهبهم ويريهم من نفسه وأصحابه قوة فندب النبىّ أصحابه للخروج فى طلب أبى سفيان فخرج يوم الأحد

من المدينة مع سبعين رجلا حتى بلغوا حمراء الأسد وهى من المدينة على ثمانية أميال وكان بأصحابه القرح فألقى الله الرعب فى قلوب المشركين فذهبوا فنزلت (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا) من للتبيين. مثلها فى قوله: وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة. لأن الذين استجابو الله والرسول قد أحسنوا كلهم واتقوا لا بعضهم (أَجْرٌ عَظِيمٌ) فى الآخرة (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ) بدل من الذين استجابوا (إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ) روى أن أبا سفيان نادى عند انصرافه من أحد يامحمد موعدنا موسم بدر القابل فقال عليه السلام «إن شاء الله» فلما كان القابل خرج أبوسفيان فى أهل مكة فألقى الله الرعب فى قلبه فبدا له أن يرجع فلقى نعيم بن مسعود الأشجعى وقد قدم معتمرا فقال يانعيم إنى واعدت محمدا أن نلتقى بموسم بدر وقد بدا لى أن أرجع فالحق بالمدينة فثبطهم ولك عندى عشرة من الإبل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم أتريدون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم فوالله لايفلت منكم أحد فقال عليه السلام «والله لأخرجن ولو لم يخرج معى أحد» فخرج فى سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل حتى وافوا بدرا وأقاموا بها ثمانى ليال وكانت معهم تجارة فباعوها وأصابوا خيرا ثم انصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين ولم يكن قتال ورجع أبو سفيان إلى مكة فسمى أهل مكة جيشه جيش السويق وقالوا إنما خرجتم لتأكلوا السويق فالناس الأول نعيم وهو جمع أريد به الواحد أو كان له أتباع يثبطون مثل تثبيطه والثانى أبو سفيان وأصحابه (فَاخْشَوْهُمْ) فخافوهم (فَزَادَهُمْ) أى المقول الذى هو إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم أو القول أو نعيم (إِيمَانًا) بصيرة وإيقانا (وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ) كافينا الله أى الذى يكفينا الله يقال أحسبه الشىء إذا كفاه وهو بمعنى المحسب بدليل أنك تقول هذا رجل حسبك فتصف به النكرة لأن إضافته غير حقيقية لكونه فى معنى اسم الفاعل (وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)ونعم الموكول إليه هو (فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ) وهى السلامة وحذر العدو منهم (وَفَضْلٍ) وهو الربح فى التجارة فأصابوا بالدرهم درهمين (لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ) لم يلقوا مايسوءهم من كيد عدو وهو حال من الضمير فى انقلبوا وكذا بنعمة والتقدير فرجعوا من بدر منعمين بريئين من سوء (وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ) بجراءتهم وخروجهم إلى وجه العدو على أثر تثبيطه وهو معطوف على انقلبوا (وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ) قد تفضل عليهم بالتوفيق فيما فعلوا (إِنَّمَا

ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَٰنُ) هوخبرذلكم أى إنما ذلكم المثبط هو الشيطان وهو نعيم (يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُ) أى المنافقين وهو جملة مستأنفة بيان لشيطنته أو الشيطان صفة لاسم الإشارة ويخوف الخبر (فَلَا تَخَافُوهُمْ) أى أولياءه (وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) لأن الإيمان يقتضى أن يؤثر العبد خوف الله على خوف غيره وخافونى فى الوصل والوقف سهل ويعقوب وافقهما أبو عمرو فى الوصل (وَلَا يَحْزُنكَ) يُحزنك فى كل القرآن نافع إلا فى سورة الأنبياء لا يحزنهم الفزع الأكبر (الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِى الْكُفْرِ) يعنى لايحزنوك لخوف أن يضروك ألا ترى إلى قوله (إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا) أى أولياء الله يعنى أنهم لايضرون بمسارعتهم فى الكفر غير أنفسهم وما وبال ذلك عائدا على غيرهم ثم بين كيف يعود وباله عليهم بقوله (يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى الْآخِرَةِ) أى نصيباً من الثواب (وَلَهُمْ) بدل الثواب (عَذَابٌ عَظِيمٌ)وذلك أبلغ ماضربه الإنسان نفسه والآية تدل على إرادة الكفر والمعاصى لأن إرادته أن لايكون لهم ثواب فى الآخرة لاتكون بدون إرادة كفرهم ومعاصيهم (إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَٰنِ) أى استبدلوه به (لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا) هو نصب على المصدر أى شيئا من الضرر الآية الأولى فيمن نافق من المتخلفين أو ارتد عن الإسلام والثانية فى جميع الكفار أو على العكس (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَلَا يَحْسَبَنَّ) وثلاثة بعدها مع ضم الباء فى يحسبنهم بالياء مكى وأبو عمرو وكلها بالتاء حمزة وكلها بالياء مدنى وشامى إلا فلا تحسبنهم فإنها بالتاء. الباقون الأوليان بالياء والأخريان بالتاء (الَّذِينَ كَفَرُوا) فيمن قرأ بالياء رفع أى ولا يحسبن الكافرون وأن مع اسمه وخبره فى قوله (أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ) فى موضع المفعولين ليحسبن والتقدير ولا يحسبن الذين كفروا املاءنا خيراً لأنفسهم وما مصدرية وكان حقها فى قياس علم الخط أن تكتب مفصولة ولكنها وقعت فى الإمام متصلة فلا يخالف وفيمن قرأ بالتاء نصب أى ولا تحسبن الكافرين وأنما نملى لهم خير لأنفسهم بدل من الكافرين أى ولا تحسبن أن ما نملى للكافرين خير لهم وأن مع مافى حيزه ينوب عن المفعولين والإملاء لهم إمهالهم وإطالة عمرهم (إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا) ما هذه حقها أن تكتب متصلة لأنها كافة دون الأولى وهذه جملة مستأنفة تعليل للجملة قبلها كأنه قيل مابالهم لايحسبون الإملاء خيراً لهم فقيل إنما نملى لهم ليزدادوا إثما والآية حجة لنا على المعتزلة فى مسئلتى الأصلح وإرادة المعاصى (وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ)

اللام فى (مَّا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ) من اختلاط المؤمنين الخلص والمنافقين لتأكيد النفى (حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ) حتى يعزل المنافق عن المخلص يميز حمزة وعلى والخطاب فى أنتم للمصدقين من أهل الإخلاص والنفاق كأنه قيل ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التى أنتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض حتى يميزهم منكم بالوحى إلى نبيه وإخباره بأحوالكم (وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ) وما كان الله ليؤتى أحداً منكم علم الغيوب فلا تتوهموا عند إخبار الرسل بنفاق الرجل وإخلاص الآخر أنه يطلع على مافى القلوب اطلاع الله فيخبر عن كفرها وإيمانها (وَلَكِنَّ اللهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَآءُ) أى ولكن الله يرسل الرسول فيوحى إليه ويخبره بأن فى الغيب كذا وأن فلانا فى قلبه النفاق وفلانا فى قلبه الإخلاص فيعلم ذلك من جهة اخبار الله لامن جهة نفسه. والآية حجة على الباطنية فإنهم يدعون ذلك العلم لإمامهم فإن لم يثبتوا النبوة له صاروا مخالفين للنص حيث أثبتوا علم الغيب لغير الرسول وإن أثبتوا النبوة له صاروا مخالفين لنص آخر وهو قوله وخاتم النبيين (فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ) بصفة الإخلاص (وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا) النفاق (فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ) فى الآخرة ونزل فى مانعى الزكاة (وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم) من قرأ بالتاء قدر مضافاً محذوفا أى ولا تحسبن بخل الباخلين وهو فصل وخيرا لهم مفعول ثان وكذا من قرأ بالياء وجعل فاعل يحسبن ضمير رسول الله أوضمير أحدومن جعل فاعله الذين يبخلون كان التقدير ولايحسبن الذين يبخلون بخلهم هوخيراً لهم وهو فصل وخيراً لهم مفعول ثان (بَلْ هُوَ) أى البخل (شَرٌّ لَّهُمْ) لأن أموالهم ستزول عنهم ويبقى عليهم وبال البخل (سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) تفسير لقوله بل هو شر لهم أى سيجعل مالهم الذى منعوه عن الحق طوقا فى أعناقهم كما جاء فى الحديث «من منع زكاة ماله يصير حية ذكرا أقرع له نابان فيطوق فى عنقه فينهشه ويدفعه إلى النار» (وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) وله مافيهما مما يتوارثه أهلهما من مال وغيره فما لهم يبخلون عليه بملكه ولاينفقونه فى سبيل الله والأصل فى ميراث موراث فقلبت الواو ياء لانكسار ماقبلها (وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) وبالياء مكى وأبو عمرو فالتاء على طريقة الالتفات وهو أبلغ فى الوعيد والياء على الظاهر (لَّقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ)

قال ذلك اليهود حين سمعوا قوله تعالى: من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا. وقالوا إن إله محمد يستقرض منا فنحن إذا أغنياء وهو فقير ومعنى سماع الله له أنه لم يخف عليه وأنه أعد له كفاء من العقاب (سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا) سنأمر الحفظة بكتابة ماقالوا فى الصحائف أو سنحفظه إذ الكتاب من الخلق ليحفظ ما فيه فسمى به مجازا وما مصدرية أو بمعنى الذى (وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ) معطوف على ما. جعل قتلهم الأنبياء قرينة له إيذانا بأنهما فى العظم أخوان وأن من قتل الأنبياء لم يستبعد منه الاجتراء على مثل هذا القول (وَنَقُولُ) لهم يوم القيامة (ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) أى عذاب النار كما أذقتم المسلمين الغصص قال الضحاك يقول لهم ذلك خزنة جهنم وإنما أضيف إلى الله تعالى لأنه بأمره كما فى قوله سنكتب سيكتب وقتلهم ويقول حمزة (ذَٰلِكَ) إشارة إلى ماتقدم من عقابهم (بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ) أى ذلك العذاب بما قدمتم من الكفر والمعاصى والإضافة إلى اليد لأن أكثر الأعمال يكون بالأيدى فجعل كل عمل كالواقع بالأيدى على سبيل التغليب ولأنه يقال للآمر بالشىء فاعله فذكر الأيدى للتحقيق يعنى أنه فعل نفسه لا غيره بأمره (وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ) وبأن الله لا يظلم عباده فلا يعاقبهم بغير جرم (الَّذِينَ قَالُوا) فى موضع جر على البدل من الذين قالوا أو نصب بإضمار أعنى أو رفع بإضمارهم (إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا) أمرنا فى التوراة وأوصانا (أَلَّا نُؤْمِنَ) بأن لا نؤمن (لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ) أى يقرب قربانا فتنزل نار من السماء فتأكله فإن جئتنا به صدقناك وهذه دعوى باطلة وافتراء على الله لأن أكل النار القربان سبب الإيمان للرسول الآتى به لكونه معجزة فهو إذا وسائر المعجزات سواء (قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ) بالمعجزات سوى القربان (وَبِالَّذِي قُلْتُمْ) أى بالقربان يعنى قد جاء أسلافكم الذين أنتم على ملتهم ورضوان بفعلهم (فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ) أى إن كان امتناعكم عن الإيمان لأجل هذا فلم لم تؤمنوا بالذين أتوا به ولم قتلتموهم (إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) فى قولكم إنما نؤخر الإيمان لهذا(فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ) فإن كذبك اليهود فلا يهولنك فقد فعلت الأمم بأنبيائها كذلك (جَاءُو بِالْبَيِّنَاتِ) بالمعجزات الظاهرات (وَالزُّبُرِ) الكتب جمع زبور من الزبر وهو الكتابة وبالزبر شامى (وَالْكِتَابِ) جنسه (الْمُنِيرِ) المضىء قيل هما واحد فى الأصل وإنما ذكرا لاختلاف الوصفين فالزبور كتاب فيه حكم زاجرة والكتاب المنير هو الكتاب الهادى (كُلُّ نَفْسٍ)

مبتدأ والخبر (ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ)وجاز الابتداء بالنكرة لما فيه من العموم والمعنى لا يحزنك تكذيبهم إياك فمرجع الخلق إلىّ فأجازيهم على التكذيب وأجازيك على الصبر وذلك قوله (وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ) أى تعطون ثواب أعمالكم على الكمال يوم القيامة فإن الدنيا ليست بدار الجزاء (فَمَن زُحْزِحَ) بعد والزحزحة: الإبعاد (عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ) ظفر بالخير وقيل فقد حصل له الفوز المطلق وقيل الفوز نيل المحبوب والبعد عن المكروه (وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ الْغُرُورِ) شبه الدنيا بالمتاع الذى يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه ثم يتبين له فساده ورداءته والشيطان هو المدلس الغرور وعن سعيد بن جبير إنما هذا لمن آثرها على الآخرة فأما من طلب الآخرة بها فإنها متاع بلاغ وعن الحسن كخضرة النبات ولعب البنات لا حاصل لها (لَتُبْلَوُنَّ) والله لتبلون أى لتختبرن (فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ) بالإنفاق فى سبيل الله وبما يقع فيها من الآفات(وَأَنفُسِكُمْ)بالقتل والأسر والجراح وما يرد عليها من أنواع المخاوف والمصائب وهذه الآية دليل على أن النفس هى الجسم المعاين دون ما فيه من المعنى الباطن كما قال بعض أهل الكلام والفلاسفة كذا فى شرح التأويلات (وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ) يعنى اليهود والنصارى (وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا) كالطعن فى الدين وصد من أراد الإيمان وتخطئة من آمن ونحو ذلك (وَإِن تَصْبِرُوا) على أذاهم (وَتَتَّقُوا) مخالفة أمر الله (فَإِنَّ ذَٰلِكَ) فإن الصبر والتقوى (مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) من معزومات الأمور أى مما يجب العزم عليه من الأمور خوطب المؤمنون بذلك ليوطنوا أنفسهم على احتمال ما سيلقون من الشدائد والصبر عليها حتى إذا لقوها وهم مستعدون لا يرهقهم ما يرهق من تصيبه الشدة بغتة فينكرها وتشمئز منها نفسه(وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَـٰقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَـٰبَ) واذكر وقت أخذ الله ميثاق أهل الكتاب (لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ) عن الناس بالتاء على حكاية مخاطبتهم كقوله وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن وبالياء مكى وأبو عمرو وأبو بكر لأنهم غيب والضمير للكتاب أكد عليهم إيجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه (فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ) فنبذوا الميثاق وتأكيده عليهم أى لم يراعوه ولم يلتفتوا إليه، والنبذ وراء الظهر مثل فى الطرح وترك الاعتداد وهو دليل على أنه يجب على العلماء أن يبينوا الحق للناس وما علموه وأن لا يكتموا منه شيئا لغرض فاسد من تسهيل على

الظلمة وتطييب لنفوسهم أو لجر منفعة أو دفع أذية أو لبخل بالعلم وفى الحديث «من كتم علما عن أهله ألجمه الله بلجام من نار» (وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا) عرضا يسيرا (فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ) والخطاب فى (لَا تَحْسَبَنَّ) لرسول الله وأحد المفعولين (الَّذِينَ يَفْرَحُونَ) والثانى بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تأكيد تقديره لا تحسبنهم فائزين (بِمَا أَتَوا) بما فعلوا وهى قراءة أبى وجاء وأتى يستعملان بمعنى فعل أنه كان وعده مأتيا. لقد جئت شيئا فريا. وقرأ النخعى بما آتوا أى أعطوا (وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ) بمنجاة منه (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم روى أن رسول الله ﷺ سأل اليهود عن شىء مما فى التوراة فكتموا الحق وأخبروه بخلافه وأروه أنهم قد صدقوه واستحمدوا إليه وفرحوا بما فعلوا من تدليسهم فأطلع الله رسوله على ذلك وسلاه بما أنزل من وعيدهم أى لا تحسبن اليهود الذين يفرحون بما فعلوا من تدليسهم عليك ويحبون أن تحمدهم بما لم يفعلوا من إخبارك بالصدق عما سألتهم عنه ناجين من العذاب وقيل هم المنافقون يفرحون بما أتوا من إظهار الإيمان للمسلمين وتوصلهم بذلك إلى أغراضهم ويستحمدون إليهم بالإيمان الذى لم يفعلوه على الحقيقة وفيه وعيد لمن يأتى بحسنة فيفرح بها فرح إعجاب ويحب أن يحمده الناس بما ليس فيه (وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) فهو يملك أمرهما وفيه تكذيب لمن قال إن الله فقير (وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) فهو يقدر على عقابهم (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ) لأدلة واضحة على صانع قديم عليم حكيم قادر (لِّأُولِي الْأَلْبَابِ) لمن خلص عقله عن الهوى خلوص اللب عن القشر فيرى أن العرض المحدث فى الجواهر يدل على حدوث الجواهر لأن جوهرا ما لا ينفك عن عرض حادث وما لا يخلو عن الحادث فهو حادث ثم حدوثها يدل على محدثها وذا قديم وإلا لاحتاج إلى محدث آخر إلى ما لا يتناهى وحسن صنعه يدل على علمه، وإتقانه يدل على حكمته، وبقاؤه يدل على قدرته قال عليه السلام «ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها» وحكى أنه كان فى بنى إسرائيل من إذا عبد الله ثلاثين سنة أظلته سحابة فعبدها فتى فلم تظله فقالت له أمه لعل فرطة فرطت منك فى مدتك قال ما أذكر قالت لعلك نظرت مرة إلى السماء ولم تعتبر قال لعل قالت فما أوتيت إلا من ذلك (الَّذِينَ) فى موضع جر نعت لأولى أو نصب بإضمار أعنى أو رفع بإضمارهم (يَذْكُرُونَ اللَّهَ) يصلون (قِيَامًا)

قائمين عند القدرة (وَقُعُودًا) قاعدين (وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ) أى مضطجعين عند العجز وقياما وقعودا حالان من ضمير الفاعل فى يذكرون وعلى جنوبهم حال أيضا أو المراد الذكر على كل حال لأن الإنسان لا يخلو عن هذه الأحوال وفى الحديث «من أحب أن يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله» (وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ) ومايدل عليه اختراع هذه الأجرام العظام وإبداع صنعتها ومادبر فيها مما تكل الأفهام عن إدراك بعض عجائبه من عظم شأن الصانع وكبرياء سلطانه وعن النبي عليه السلام «بينا رجل مستلق على فراشه إذ رفع رأسه فنظر إلى النجوم وإلى السماء فقال أشهد أن لك ربا وخالقا اللهم اغفر لى فنظر الله إليه فغفر له» وقال عليه السلام «لاعبادة كالتفكر» وقيل الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية وماجليت القلوب بمثل الأحزان ولا استنارت بمثل الفكر (رَبَّنَا مَاخَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا) أى يقولون ذلك وهو فى محل الحال أى يتفكرون قائلين والمعنى ما خلقته خلقا باطلا بغير حكمة بل خلقته لحكمة عظيمة وهو أن تجعلها مساكن للمكلفين وأدلة لهم على معرفتك وهذا إشارة إلى الخلق على أن المراد به المخلوق أو إلى السماوات والأرض لأنها فى معنى المخلوق كأنه قيل ما خلقت هذا المخلوق العجيب باطلا (سُبْحَٰنَكَ) تنزيها لك عن الوصف بخلق الباطل وهو اعتراض (فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) الفاء دخلت لمعنى الجزاء تقديره إذا نزهناك فقنا (رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ) أهنته أو أهلكته أو فضحته واحتج أهل الوعيد بالآية مع قوله: يوم لايخزى الله النبي والذين آمنوا معه. فى أن من يدخل النار لا يكون مؤمنا ويخلد قلنا قال جابر إخزاء المؤمن تأديبه وإن فوق ذلك لخزيا (وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ) اللام إشارة إلى من يدخل النار والمراد الكفار (مِنْ أَنصَارٍ) من أعوان وشفعاء يشفعون لهم كما للمؤمنين (رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا) تقول سمعت رجلا يقول كذا فتوقع الفعل على الرجل وتحذف المسموع لأنك وصفته بما يسمع فأغناك عن ذكره ولولا الوصف لم يكن منه بد وأن يقال سمعت كلام فلان والمنادى هو الرسول عليه السلام أو القرآن (يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ) لأجل الإيمان بالله وفيه تفخيم لشأن المنادى إذ لا منادى أعظم من مناد ينادى للإيمان (أَنْ ءَامِنُوا) بأن آمنوا أو أى آمنوا (بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا) قال الشيخ أبو منصور رحمه الله فيه دليل بطلان الاستثناء فى الإيمان (رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا) كبائرنا (وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا) صغائرنا

(وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ) مخصوصين بصحبتهم معدودين فى جملتهم، والأبرار المتمسكون بالسنة جمع بر أو بار كرب وأرباب وصاحب وأصحاب (رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ) أى على تصديق رسلك أوما وعدتنا منزلا على رسلك أو على ألسنة رسلك، وعلى متعلق بوعدتنا والموعود هو الثواب أو النصرة على الأعداء وإنما طلبوا إنجاز ماوعد الله والله لايخلف الميعاد لأن معناه طلب التوفيق فيما يحفظ عليهم أسباب إنجاز الميعاد أوالمراد اجعلنا ممن لهم الوعد إذ الوعد غير مبين لمن هو أو المراد ثبتنا على ما يوصلنا إلى عدتك يؤيده قوله (وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ) أو هو إظهار للخضوع والضراعة (إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ) هو مصـدر بمعنى الوعد (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ) أى أجاب يقال استجاب له واستجابه (أَنِّى) بأنى (لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم) منكم صفة لعامل (مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ) بيان لعامل (بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ) الذكر من الأنثى والأنثى من الذكر كلـكم بنو آدم أو بعضكم من بعض فى النصرة والدين وهذه جملة معترضة بينت بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد الله به عباده العاملين عن جعفر الصادق رضى الله عنه من حزبه أمر فقال خمس مرات : ربنا ، أنجاه الله مما يخاف وأعطاه ما أراد وقرأ الآيات (فَالَّذِينَ هَاجَرُوا) مبتدأ وهو تفصيل لعمل العامل منهم على سبيل التعظيم له كأنه قال فالذين عملوا هذه الأعمال السنية الفائقة وهى المهاجرة عن أوطانهم فارين إلى الله بدينهم إلى حيث يأمنون عليه فالهجرة كائنة فى آخر الزمان كما كانت فى أول الإسلام (وَأُخْرِجُوا مِن دِيَـٰرِهِمْ) التى ولدوا فيها ونشئوا (وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي) بالشتم والضرب ونهب المال يريد سبيل الدين (وَقَـٰتَلُوا وَقُتِلُوا) وغزوا المشركين واستشهدوا، وقتّلوا مكى وشامى، وقتلوا وقاتلوا على التقديم والتأخير حمزة وعلى وفيه دليل على أن الواو لا توجب الترتيب والخـبر (لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَـٰرُ) وهو جواب قسم محذوف (ثَوَابًا) فى موضع المصـدر المؤكد يعنى إثابة أو تثويبا (مِّنْ عِندِ اللَّهِ) لأن قوله لأكفرن عنهم ولأدخلنهم فى معنى لأثيبنهم (وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ) أى يختص به ولا يقدر عليه غيره وروى أن طائفة من المؤمنين قالوا: إن أعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلـكنا من الجوع ، فنزل (لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَـٰدِ) والخطاب لـكل أحد أو للنبى عليه السلام والمراد به غيره أو لأن مدره القوم ومقدّمهم يخاطب بشىء فيقوم خطابه

مقام خطابهم جميعا فكأنه قيل لايغرنكم أولأن رسول الله ﷺ كان غير مغرور بحالهم فأكد عليه ما كان عليه وثبت على التزامه كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولاتكونن من المشركين وهذا في النهي نظير قوله في الأمر اهدنا الصراط المستقيم ياأيها الذين آمنوا آمنوا (مَتَٰعٌ قَلِيلٌ) خبر مبتدإ محذوف أي تقلبهم في البلاد متاع قليل وأراد قلته في جنب مافاتهم من نعيم الآخرة أو في جنب ما أعد الله للمؤمنين من الثواب أو أراد أنه قليل في نفسه لانقضائه وكل زائل قليل (ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ) وساء ما مهدوا لأنفسهم (لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ) عن الشرك (لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا) النزل والنزل ما يقام للنازل وهو حال من جنات لتخصصها بالصفة والعامل اللام في لهم أو هو مصدر مؤكد كأنه قيل رزقا أو عطاء (مِّنْ عِندِ اللَّهِ) صفة له (وَمَا عِندَ اللَّهِ) من الكثير الدائم (خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ) مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل لكن بالتشديد يزيد وهو للاستدراك أي لابقاء لتمتعهم لكن ذلك للذين اتقوا ونزلت في ابن سلام وغيره من مسلمي أهل الكتاب أو في أربعين من أهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم وكانوا على دين عيسى عليه السلام فأسلموا (وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ) دخلت لام الابتداء على اسم ان لفصل الظرف بينهما (وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ) من القرآن (وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ) من الكتابين (خَٰشِعِينَ لِلَّهِ) حال من فاعل يؤمن لأن من يؤمن في معنى الجمع (لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا) كما يفعل من لم يسلم من أحبارهم وكبارهم وهو حال بعد حال أي غير مشترين (أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ) أي مايختص بهم من الأجر وهو ماوعده في قوله أولئك يؤتون أجرهم مرتين (إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) لنفوذ علمه في كل شيء (يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اصْبِرُوا) على الدين وتكاليفه قال الجنيد رضي الله عنه: الصبر حبس النفس على المكروه بنفي الجزع (وَصَابِرُوا) أعداء الله في الجهاد أي غالبوهم في الصبر على شدائد الحرب لا تكونوا أقل صبرا منهم وثباتا (وَرَابِطُوا) وأقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين مستعدين للغزو (وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) الفلاح: البقاء مع المحبوب بعد الخلاص عن المكروه، ولعل لتغييب المآل لئلا يتكلوا على الآمال عن تقديم الأعمال وقيل اصبروا في محبتي وصابروا في نعمتي ورابطوا أنفسكم في خدمتي لعلكم تفلحون تظفرون

بقربتى قال النبى ﷺ « اقرءوا الزهراوين البقرة وآل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيابتان أوفرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما » والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب .

﴿ سورة النساء نزلت بالمدينة آياتها مائة وست وسبعون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يَـٰأَيُّهَا النَّاسُ) يا بنى آدم (اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ) فرعكم من أصل واحد وهو نفس آدم أبيكم (وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا) معطوف على محذوف كأنه قيل من نفس واحدة أنشأها وخلق منها زوجها والمعنى شعبكم من نفس واحدة هذه صفتها وهى أنه أنشأها من تراب وخلق منها زوجها حواء من ضلع من أضلاعه (وَبَثَّ مِنْهُمَا) ونشر من آدم وحواء (رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً) كثيرة أى وبث منهما نوعى جنس الإنس وهما الذكور والإناث فوصفها بصفة هى بيان وتفصيل لكيفية خلقهم منها أو على خلقكم والخطاب فى ياأيها الناس للذين بعث إليهم رسول الله ﷺ والمعنى خلقكم من نفس آدم وخلق منها أمكم حواء وبث منهما رجالا كثيرا ونساء غيركم من الأمم الفائتة للحصر فإن قلت الذى تقتضيه جزالة النظم أن يجاء عقيب الأمر بالتقوى بما يدعو إليها فكيف كان خلقه إياهم من نفس واحدة على التفصيل الذى ذكره داعيا إليها قلت لأن ذلك مما يدل على القدرة العظيمة ومن قدر على نحوه كان قادرا على كل شئ ومن المقدورات عقاب الكفار والفجار فالنظر فيه يؤدى إلى أن يتقى القادر عليه ويخشى عقابه ولأنه يدل على النعمة السابغة عليهم فحقهم أن يتقوه فى كفرانها قال عليه السلام عند نزول الآية « خلقت المرأة من الرجل فهمّها فى الرجل وخلق الرجل من التراب فهمّه فى التراب » (وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ) والأصل تتساءلون فأدغمت التاء فى السين بعد إبدالها سينا لقرب التاء من السين للهمس تساءلون به بالتخفيف كوفى على حذف التاء الثانية استثقالا لاجتماع التاءين أى يسأل بعضكم بعضا بالله وبالرحم فيقول بالله وبالرحم: افعل كذا على سبيل الاستعطاف (وَالْأَرْحَامَ) بالنصب على أنه معطوف على اسم الله تعالى أى واتقوا الأرحام أن تقطعوها أو على موضع الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمراً وبالجر حمزة

على عطف الظاهر على الضمير وهو ضعيف لأن الضمير المتصل كاسمه متصل والجار والمجرور كشيء واحد فأشبه العطف على بعض الكلمة (إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) حافظا أو عالما (وَءَاتُوا ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ) يعنى الذين ماتت آباؤهم فانفردوا عنهم. واليتم: الانفراد ومنه الدرة اليتيمة، وقيل اليتم فى الأناسي من قبل الآباء وفى البهائم من قبل الأمهات وحق هذا الاسم أن يقع على الصغار والكبار لبقاء معنى الانفراد عن الآباء إلا أنه قد غلب أن يسموا به قبل أن يبلغوا مبلغ الرجال فإذا استغنوا بأنفسهم عن كافل وقائم عليهم زال هذا الاسم عنهم. وقوله عليه السلام «لا يتم بعد الحلم» تعليم شريعة لا لغة يعنى أنه إذا احتلم لم تجر عليه أحكام الصغار والمعنى وآتوا اليتامى أموالهم بعد البلوغ وسماهم يتامى لقرب عهدهم إذا بلغوا بالصغر وفيه إشارة إلى أن لا يؤخر دفع أموالهم إليهم عن حد البلوغ أن أونس منهم الرشد وأن يؤتوها قبل أن يزول عنهم اسم اليتامى والصغار (وَلَا تَتَبَدَّلُوا ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ) ولا تستبدلوا الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم أو لا تستبدلوا الأمر الخبيث وهو اختزال أموال اليتامى بالأمر الطيب وهو حفظها والتورع عنها والتفعل بمعنى الاستفعال غير عزيز ومنه التعجل بمعنى الاستعجال (وَلَا تَأْكُلُوٓا أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ) إلى متعلقة بمحذوف وهو فى موضع الحال أى مضافة إلى أموالكم والمعنى ولا تضموها إليها فى الإنفاق حتى لا تفرقوا بين أموالكم وأموالهم قلة مبالاة بما لا يحل لكم وتسوية بينه وبين الحلال (إِنَّهُۥ) إن أكلها (كَانَ حُوبًا كَبِيرًا) ذنبا عظيما (وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا) أى لا تعدلوا. أقسط أى عدل (فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ) يقال للإناث اليتامى كما يقال للذكور وهو جمع يتيمة ويتيم وأما أيتام فجمع يتيم لا غير (فَٱنكِحُوا مَا طَابَ لَكُم) ما حل لكم (مِّنَ ٱلنِّسَآءِ) لأن منهن ما حرم الله كاللاتى فى آية التحريم وقيل ما ذهابا إلى الصفة لأن ما يجىء فى صفات من يعقل فكأنه قيل الطيبات من النساء ولأن الإناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء ومنه قوله تعالى: أو ما ملكت أيمانكم. قيل كانوا لا يتحرجون من الزنا ويتحرجون من ولاية اليتامى فقيل إن خفتم الجور فى حق اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم من النساء ولا تحوموا حول المحرمات أو كانوا يتحرجون من الولاية فى أموال اليتامى ولا يتحرجون من الاستكثار من النساء مع أن الجور يقع بينهن إذا كثرن فكأنه قيل إذا تحرجتم من هذا فتحرجوا من ذلك وقيل وإن خفتم أن لا تقسطوا فى نكاح اليتامى

فانكحوا من البالغات يقال طابت الثمرة أى أدركت (مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ) نكرات وإنما منعت الصرف للعدل والوصف وعليه دل كلام سيبويه ومحلهن النصب على الحال من النساء أوبماطاب تقديره فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذاالعدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثاوأربعا أربعا . فإن قلت الذى أطلق للناكح فى الجمع أن يجمع بين اثنتين أو ثلاث أو أربع فما معنى التكرير فىمثنى وثلاث ورباع قلت الخطاب للجميع فوجب التكرير ليصيب كل ناكح يريد الجمع ماأراد من العدد الذى أطلق له كماتقول للجماعة اقتسموا هذا المال وهو ألف درهم درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة ولو أفردت لم يكن له معنى وجئ بالواو لتدل على تجويز الجمع بين الفرق ولو جئ بأو مكانها لذهب معنى التجويز (فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا) بين هذه الأعداد (فَوَٰحِدَةً) فالزموا أوفاختاروا واحدة (أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ) سوّى فى اليسر بين الحرة الواحدة وبين الإماء من غير حصر (ذَٰلِكَ) إشارة إلى اختيار الواحدة والتسرى (أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا) أقرب من أن لا تميلوا ولاتجوروا، يقال عال الميزان عولا إذا مال وعال الحاكم فى حكمه إذاجار ويحكى عن الشافعى رحمه الله أنه فسر أن لاتعولوا أن لاتكثر عيالكم واعترضوا عليه بأنه يقال أعال يعيل إذا كثر عياله وأجيب بأن يجعل من قولك عال الرجل عياله يعولهم كقولك مانهم يمونهم إذا أنفق عليهم لأن من كثر عياله لزمه أن يعولهم وفى ذلك مايصعب عليه المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال. وكلام مثله من أعلام العلم حقيق بالحمل على السداد وأن لا يظن به تحريف تعيلوا إلى تعولوا كانه سلك فى تفسير هذه الكلمة طريقة الكنايات (وَءَاتُوا النِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ) مهورهن (نِحْلَةً) من نحله كذا إذا أعطاه إياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا وانتصابها على المصدر لأن النحلة والإيتاء بمعنى الإعطاء فكأنه قال وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة أى أعطوهن مهورهن عن طيبة أنفسكم أوعلى الحال من المخاطبين أى آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبى النفوس بالإعطاء أومن الصدقات أى منحولة معطاة عن طيبة الأنفس وقيل نحلة من الله تعالى عطية من عنده وتفضلا منه عليهن وقيل النحلة الملة وفلان ينتحل كذا أى يدين به يعنى وآتوهن مهورهن ديانة على أنها مفعول لها والخطاب للأزواج وقيل للأولياء لأنهم كانوا يأخذون مهور بناتهم (فَإِن طِبْنَ لَكُمْ) للأزواج (عَن شَىْءٍ مِّنْهُ) أى من الصداق إذ هو فى معنى الصدقات (نَفْسًا) تمييز

وتوحيدها لأن الغرض بيان الجنس والواحد يدل عليه والمعنى فإن وهبن لكم شيئا من الصدقات وتجافت عنه نفوسهن طيبات غير مخبثات بما يضطرهن إلى الهبة من شكاسة أخلاقكم وسوء معاشرتكم وفى الآية دليل على ضيق المسلك فى ذلك ووجوب الاحتياط حيث بنى الشرط على طيب النفس فقيل فإن طبن لكم عن شىء منه نفسا ولم يقل فإن وهبن لكم إعلاما بأن المراعى هو تجافى نفسها عن الموهوب طيبة (فَكُلُوهُ) الهاء يعود على شىء (هَنِيئاً) لا إثم فيه (مَّرِيئاً) لاداء فيه فسرها النبى عليه السلام أو هنيئا فى الدنيا بلا مطالبة مريئا فى العقبى بلا تبعة وهما صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ إذا كان سائغا لا تنغيص فيه وهما وصف مصدر أى أكلا هنيئا مريئا أو حال من الضمير أى كلوه وهو هنىء مرىء وهذه عبارة عن المبالغة فى الإباحة وإزالة التبعة. هنيا مريا بغير همز يزيد وكذا حمزة فى الوقف وهمزها الباقون وعن على رضى الله عنه إذا اشتكى أحدكم شيئا فليسأل امرأته ثلاثة دراهم من صداقها ثم ليشتر بها عسلا فليشربه بماء السماء فيجمع الله له هنيئا ومريئا وشفاء ومباركا (وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَآءَ) المبذرين أموالهم الذين ينفقونها فيما لا ينبغى ولا قدرة لهم على إصلاحها وتثميرها والتصرف فيها والخطاب للأولياء وأضاف إلى الأولياء أموال السفهاء بقوله (أَمْوَالَكُمُ) لأنهم يلونها ويمسكونها (الَّتِى جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَماً) أى قواما لأبدانكم ومعاشا لأهلكم وأولادكم. قيما بمعنى قياما نافع وشامى كما جاء عوذا بمعنى عياذا وأصل قيام قوام فجعلت الواو ياء لانكسار ما قبلها وكان السلف يقولون: المال سلاح المؤمن ولأن أترك مالا يحاسبنى الله عليه خير من أن أحتاج إلى الناس وعن سفيان –وكان له بضاعة يقلبها– لولاها لتمندل بى بنو العباس (وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا) واجعلوها مكانا لرزقهم بأن تتجروا فيها وتربحوا حتى تكون نفقتهم من الأرباح لا من صلب المال فيأكلها الإنفاق (وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفاً) قال ابن جريج: عدة جميلة إن صلحتم ورشدتم سلمنا إليكم أموالكم وكل ما سكنت إليه النفس لحسنه عقلا أو شرعا من قول أو عمل فهو معروف وما أنكرته لقبحه فهو منكر (وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ) واختبروا عقولهم وذوقوا أحوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ فالابتلاء عندنا أن يدفع إليه ما يتصرف فيه حتى تتبين حاله فيما يجىء منه وفيه دليل على جواز إذن الصبى العاقل فى التجارة (حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ) أى الحلم لأنه يصلح للنكاح عنده ولطلب ما

هومقصود به وهو التوالد (فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ) تبينتم (رُشْدًا) هداية فى التصرفات وصلاحا فى المعاملات (فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ) من غير تأخير عن حد البلوغ، ونظم هذا الكلام أن ما بعد حتى إلى فادفعوا إليهم أموالهم جعل غاية للابتلاء وهى حتى التى تقع بعدها الجمل كالتى فى قوله *حتى ماء دجلة أشكل* والواقعة بعدها جملة شرطية لأن إذا متضمنة معنى الشرط وفعل الشرط بلغوا النكاح وقوله: فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم جملة من شرط وجزاء واقعة جوابا للشرط الأول الذى هو إذا بلغوا النكاح فكأنه قيل وابتلوا اليتامى إلى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع أموالهم إليهم بشرط إيناس الرشد منهم وتنكير الرشد يفيد أن المراد رشد مخصوص وهو الرشد فى التصرف والتجارة أو يفيد التقليل أى طرفا من الرشد حتى لا ينتظر به تمام الرشد وهو دليل لأبى حنيفة رحمه الله فى دفع المال عند بلوغ خمس وعشرين سنة (وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا) ولا تأكلوها مسرفين ومبادرين كبرهم فإسرافا وبدارا مصدران فى موضع الحال وأن يكبروا فى موضع المصدر منصوب الموضع ببدارا ويجوز أن يكونا مفعولا لهما أى لإسرافكم ومبادرتكم كبرهم تفرطون فى إنفاقها وتقولون ننفق فيما نشتهى قبل أن يكبر اليتامى فينتزعوها من أيدينا (وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ) قسم الأمر بين أن يكون الوصى غنيا وبين أن يكون فقيرا فالغنى يستعف من أكلها أى يحترز من أكل مال اليتيم واستعف أبلغ من عف كأنه طالب زيادة العفة والفقير يأكل قوتا مقدرا محتاطا فى أكله عن ابراهيم ماسد الجوعة وواری العورة (فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ) بأنهم تسلموها وقبضوها دفعا للتجاحد وتفاديا عن توجه اليمين عليكم عند التخاصم والتناكر (وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا) محاسبا فعليكم بالتصادق وإياكم والتكاذب أو هو راجع إلى قوله فليأكل بالمعروف أى ولا يسرف فإن الله يحاسبه عليه ويجازيه به وفاعل كفى لفظة الله والباء زائدة وكفى يتعدى إلى مفعولين دليله فسيكفيكهم الله (لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ) هم المتوارثون من ذوى القرابات دون غيرهم (مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ) بدل مما ترك بتكرير العامل والضمير فى منه يعود إلى ما ترك (نَصِيبًا) نصب على الاختصاص بمعنى أعنى نصيبا (مَّفْرُوضًا) مقطوعا لابد لهم من أن يحوزوه

روى أن أوس بن ثابت ترك امرأته أم كحة وثلاث بنات فزوى ابناعمه ميراثه عنهن وكان أهل الجاهلية لا يورثون النساء والأطفال ويقولون: لا يرث إلا من طاعن بالرماح وحاز الغنيمة. فجاءت أم كحة إلى رسول الله ﷺ فشكت فقال ارجعى حتى أنظر ما يحدث الله فنزلت الآية فبعث إليهما لا تفرقا من مال أوس شيئا فإن الله تعالى قدجعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله فأعطى أم كحة الثمن والبنات الثلثين والباقى ابنى العم (وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ) أى قسمة التركة (أُولُوا الْقُرْبَىٰ) ممن لا يرث (وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ) من الأجانب (فَارْزُقُوهُمْ) فأعطوهم (مِنْهُ) مما ترك الوالدان والأقربون وهو أمر ندب وهو باق لم ينسخ وقيل كان واجبا فى الابتداء ثم نسخ بآية الميراث (وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا) عذرا جميلا وعدة حسنة، وقيل القول المعروف أن يقولوا لهم خذوا بارك الله عليكم ويستقلوا ما أعطوهم ولا يمنوا عليهم (وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا) المراد بهم الأوصياء أمروا بأن يخشوا الله فيخافوا على من فى حجورهم من اليتامى فيشفقوا عليهم خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا وأن يقدروا ذلك فى أنفسهم ويصوره حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة والرحمة ولو مع مافى حيزه صلة للذين أى وليخش الذين صفتهم وحالهم أنهم لو شارفوا أن يتركوا خلفهم ذرية ضعافا وذلك عند احتضارهم خافوا عليهم الضياع بعدهم لذهاب كافلهم وجواب لو: خافوا، والقول السديد من الأوصياء أن يكلموهم كما يكلمون أولادهم بالأدب الحسن والترحيث ويدعوهم بيابنى وياولدى (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا) ظالمين فهو مصدر فى موضع الحال (إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ) ملء بطونهم (نَارًا) أى يأكلون ما يجر إلى النار فكأنه نار روى أنه يبعث آكل مال اليتامى يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وأنفه وأذنيه فيعرف الناس أنه كان يأكل مال اليتيم فى الدنيا (وَسَيَصْلَوْنَ) وسيُصلَوْن شامى وأبو بكر (سَعِيرًا) ناراً من النيران مبهمة الوصف (يُوصِيكُمُ اللَّهُ) يعهد إليكم ويأمركم (فِي أَوْلَادِكُمْ) فى شأن ميراثهم وهذا إجمال تفصيله (لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ) أى للذكر منهم أى من أولادكم فحذف الراجع إليه لأنه مفهوم كقولهم السمن منوان بدرهم وبدأ بحظ الذكر ولم يقل

للأنثيين مثل حظ الذكر أو للأنثى نصف حظ الذكر لفضله كما ضوعف حظه لذلك ولأنهم كانوا يورثون الذكور دون الإناث وهو السبب لورود الآية فقيل كفى الذكور أن ضوعف لهم نصيب الإناث فلا يتمادى فى حظهن حتى يحرمن مع إدلائهن من القرابة بمثل مايدلون به والمراد حال الاجتماع أى إذا اجتمع الذكر والأنثيان كان له سهمان كما أن لهما سهمين وأما فى حال الانفراد فالابن يأخذ المال كله والبنتان تأخذان الثلثين والدليل عليه أنه أتبعه حكم الانفراد بقوله (فَإِن كُنَّ نِسَآءً) أى فإن كانت الأولاد نساء خلصا يعنى بناتا ليس معهن ابن (فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ) خبر ثان لكان أو صفة لنساء أى نساء زائدات على اثنتين (فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ) أى الميت لأن الآية لما كانت فى الميراث علم أن التارك هو الميت (وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ) أى وإن كانت المولودة منفردةٌ. واحدة مدنى على كان التامة والنصب أوفق لقوله فإن كن نساء فإن قلت قد ذكر حكم البنتين فى حال اجتماعهما مع الإبن وحكم البنات والبنت فى حال الانفراد ولم يذكر حكم البنتين فى حال الانفراد فما حكمهما قلت حكمهما مختلف فيه فابن عباس رضى الله عنهما نزلهما منزلة الواحدة لا منزلة الجماعة وغيره من الصحابة رضى الله عنهم أعطوهما حكم الجماعة بمقتضى قوله للذكر مثل حظ الانثيين وذلك لأن من مات وخلف بنتا وابنا فالثلث للبنت والثلثان للابن فإذا كان الثلث لبنت واحدة كان الثلثان للبنتين ولأنه قال فى آخر السورة إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك . والبنتان أمس رحما بالميت من الأختين فأوجبوا لهما ما أوجب الله للأختين ولم ينقصوا حظهما عن حظ من هو أبعد منهما ولأن البنت لما وجب لها مع أخيها الثلث كان أحرى أن يجب لها الثلث إذا كانت مع أخت مثلها ويكون لأختها معها مثل ما كان يجب لها أيضا مع أخيها لو انفردت معه فوجب لهما الثلثان وفى الآية دلالة على أن المال كله للذكر إذا لم يكن معه أنثى لأنه جعل للذكر مثل حظ الأنثيين وقد جعل للأنثى النصف إذا كانت منفردة فعلم أن للذكر فى حال الانفراد ضعف النصف وهو الكل والضمير فى (وَلِأَبَوَيْهِ) للميت والمراد الأب والأم إلا أنه غلب الذكر (لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ) بدل من لأبويه بتكرير العامل وفائدة هذا البدل أنه لو قيل ولأبويه السدس لكان ظاهره اشتراكهما فيه، ولو قيل ولأبويه السدسان لأوهم قسمة السدسين

عليهما على التسوية وعلى خلافها، ولو قيل ولكل واحد من أبويه السدس لذهبت فائدة التأكيد وهو التفصيل بعد الإجمال. والسدس مبتدأ خبره لأبويه والبدل متوسط بينهما للبيان وقرأ الحسن السدس والربع والثمن والثلث بالتخفيف (مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ) هو يقع على الذكر والأنثى (فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ) أى مما ترك والمعنى وورثه أبواه فحسب لأنه إذا ورثه أبواه مع أحد الزوجين كان للأم ثلث ما يبقى بعد إخراج نصيب الزوج لا ثلث ما ترك لأن الأب أقوى من الأم فى الإرث بدليل أن له ضعف حظها إذا خلصا فلو ضرب لها الثلث كملا لأدى إلى حظ نصيبه عن نصيبها فإن امرأة لو تركت زوجا وأبوين فصار للزوج النصف وللأم الثلث والباقى للأب حازت الأم سهمين والأب سهما واحدا فينقلب الحكم إلى أن يكون للأنثى مثل حظ الذكرين. فلإمه بكسر الهمزة حمزة وعلى لمجاورة كسر اللام (فَإِن كَانَ لَهُ) أى للميت (إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ) إذا كان للميت اثنان من الإخوة والأخوات فصاعدا فلأمه السدس والأخ الواحد لايحجب والأعيان والعلات والأخياف فى حجب الأم سواء (مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ) متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها لا بما يليه وحده كأنه قيل قسمة هذه الأنصباء من بعد وصية (يُوصِى بِهَآ) هو وما بعده بفتح الصاد مكى وشامى وحماد ويحيى وافق الأعشى فى الأولى وحفص فى الثانية لمجاورة يورث وكسر الأولى لمجاورة يوصيكم الله . الباقون بكسر الصادين أى يوصى بها الميت (أَوْ دَيْنٍ) والإشكال أن الدَّيْن مقدم على الوصية فى الشرع وقدمت الوصية على الدين فى التلاوة والجواب إن أو لاتدل على الترتيب ألا ترى أنك إذا قلت جاءنى زيد أو عمرو كان المعنى جاءنى أحد الرجلين فكان التقدير فى قوله من بعد وصية يوصى بها أو دين من بعد أحد هذين الشيئين الوصية أو الدين ولو قيل بهذا اللفظ لم يدر فيه الترتيب بل يجوز تقديم المؤخر وتأخير المقدم كذا هنا وإنما قدمنا الدين على الوصية بقوله عليه السلام «ألا إن الدَّيْن قبل الوصية» ولأنها تشبه الميراث من حيث إنها صلة بلاعوض فكان إخراجها مما يشق على الورثة وكان أداؤها مظنة للتفريط بخلاف الدين فقدمت على الدين ليسارعوا إلى إخراجها مع الدين (ءَابَآؤُكُمْ) مبتدأ (وَأَبْنَآؤُكُمْ) عطف عليه والخبر (لَا تَدْرُونَ) وقوله (أَيُّهُمْ) مبتدأ خبره (أَقْرَبُ

لَكُمْ) والجملة فى موضع نصب بتدرون (نَفْعًا) تمييز والمعنى فرض الله الفرائض على ما هو عنده حكمة ولو وكل ذلك إليكم لم تعلموا أيهم أنفع لكم فوضعتم أنتم الأموال على غير حكمة والتفاوت فى السهام بتفاوت المنافع وأنتم لا تدرون تفاوتها فتولى الله ذلك فضلا منه ولم يكلها إلى اجتهادكم لعجزكم عن معرفة المقادير وهذه الجملة اعتراضية مؤكدة لا موضع لها من الإعراب (فَرِيضَةً) نصبت نصب المصدر المؤكد أى فرض ذلك فرضاً (مِّنَ اللهِ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا) بالأشياء قبل خلقها (حَكِيمًا) فى كل ما فرض وقسم من المواريث وغيرها (وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ) أى زوجاتكم (إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ) أى ابن أو بنت (فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ) منكم أو من غيركم (فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ) والواحد والجماعة سواء فى الربع والثمن جعل ميراث الزوج ضعف ميراث الزوجة لدلالة قوله: للذكر مثل حظ الأنثيين. (وَإِن كَانَ رَجُلٌ) يعنى للميت وهو اسم كان (يُورَثُ) من ورث أى يورث منه وهو صفة لرجل (كَلَٰلَةً) خبر كان أى وإن كان رجل موروث منه كلالة أو يورث خبر كان وكلالة حال من الضمير فى يورث والكلالة تطلق على من لم يخلف ولدا ولا والدا وعلى من ليس بولد ولا والد من المخلفين وهو فى الأصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الإعياء (أَوِ امْرَأَةٌ) عطف على رجل (وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ) أى لأم فإن قلت قد تقدم ذكر الرجل والمرأة فلم أفرد الضمير وذكره قلت أما إفراده فلأن أو لأحد الشيئين وأما تذكيره فلأنه يرجع إلى رجل لأنه مذكر مبدوء به أو يرجع إلى أحدهما وهو مذكر (فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوٓا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ) من واحد (فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى الثُّلُثِ) لأنهم يستحقون بقرابة الأم وهى لا ترث أكثر من الثلث ولهذا لا يفضل الذكر منهم على الأنثى (مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ) إنما كررت الوصية لاختلاف الموصين فالأول الوالدان والأولاد والثانى الزوجة والثالث الزوج والرابع الكلالة (غَيْرَ مُضَآرٍّ) حال أى يوصى بها وهو غير مضار لورثته وذلك بأن يوصى بزيادة على الثلث أو لوارث (وَصِيَّةً مِّنَ اللهِ) مصدر مؤكد أى يوصيكم بذلك وصية (وَاللهُ عَلِيمٌ) بمن جار أو عدل فى وصيته (حَلِيمٌ) على الجائر لا يعاجله بالعقوبة وهذا وعيد

فإن قلت فأين ذو الحال فيمن قرأ يوصى بها قلت يضمر يوصى فينتصب عن فاعله لأنه لما قيل يوصى بها علم أن ثم موصيا كما كان رجال فاعل مايدل عليه يسبح لأنه لما قيل يسبح له علم أن ثم مسبحا فأضمر يسبح. واعلم أن الورثة أصناف أصحاب الفرائض وهم الذين لهم سهام مقدرة كالبنت ولها النصف وللأكثر الثلثان وبنت الابن وإن سفلت وهى عند عدم الولد كالبنت ولها مع البنت الصلبية السدس وتسقط بالابن وبنتى الصلب إلا أن يكون معها أو أسفل منها غلام فيعصبها والأخوات لأب وأم وهن عند عدم الولد وولد الابن كالبنات والأخوات لأب وهن كالأخوات لأب وأم عند عدمهن ويصير الفريقان عصبة مع البنت أو بنت الابن ويسقطن بالابن وابنه وإن سفل والأب وبالجد عند أبى حنيفة رحمه الله وولد الأم فللواحد السدس وللأكثر الثلث وذكرهم كأنثاهم ويسقطون بالولد وولد الابن وإن سفل والأب والجد. والأب وله السدس مع الابن أو ابن الابن وإن سفل ومع البنت أو بنت الابن وإن سفلت السدس والباقى والجد وهو أبو الأب وهو كالأب عند عدمه إلا فى رد الأم إلى ثلث مايبقى والأم ولها السدس مع الولد أو ولد الابن وإن سفل أو الاثنين من الإخوة والأخوات فصاعدا من أى جهة كانا وثلث الكل عند عدمهم وثلث ما يبقى بعد فرض أحد الزوجين فى زوج وأبوين أو زوجة وأبوين والجدة ولها السدس وإن كثرت لأم كانت أو لأب والبعدى تحجب بالقربى والكل بالأم والأبويات بالأب والزوج وله الربع مع الولد أو ولد الابن وإن سفل وعند عدمه النصف والزوجة ولها الثمن مع الولد أو ولد الإبن وإن سفل وعند عدمه الربع * والعصبات وهم الذين يرثون مابقى من الفرض وأولاهم الابن ثم ابنه وإن سفل ثم الأب ثم أبوه وإن علا ثم الأخ لأب وأم ثم الأخ لأب ثم ابن الأخ لأب وأم ثم ابن الأخ لأب ثم الأعمام ثم أعمام الأب ثم أعمام الجد ثم المعتق ثم عصبته على الترتيب. واللاتى فرضهن النصف والثلثان يصرن عصبة بأخواتهن لاغيرهن * وذوو الأرحام وهم الأقارب الذين ليسوا من العصبات ولا من أصحاب الفرائض وترتيبهم كترتيب العصبات (تِلْكَ) إشارة إلى الأحكام التى ذكرت فى باب اليتامى والوصايا والمواريث (حُدُودُ اللهِ) سماها حدوداً لأن الشرائع كالحدود المضروبة للمكلفين لايجوز لهم أن يتجاوزها (وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ

نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا) انتصب خالدين وخالدًا على الحال وجمع مرة وأفرد أخرى نظرا إلى معنى من ولفظها. ندخله فيهما مدنى وشامى (وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ) لهوانه عند الله ولاتعلق للمعتزلة بالآية فإنها فى حق الكفار إذ الكافر هو الذى تعدى الحدود كلها وأما المؤمن العاصى فهو مطيع بالإيمان غير متعد حد التوحيد ولهذا فسر الضحاك المعصية هنا بالشرك وقال الكلبى ومن يعص الله ورسوله بكفره بقسمة المواريث ويتعد حدوده استحلالا ثم خاطب الحكام فقال (وَٱلَّـٰتِى) هى جمع التى وموضعها رفع بالابتداء (يَأْتِينَ ٱلْفَـٰحِشَةَ) أى الزنا لزيادتها فى القبح على كثير من القبائح يقال أتى الفاحشة وجاءها ورهقها وغشيها بمعنى (مِن نِّسَآئِكُمْ) من للتبعيض والخبر (فَٱسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ) فاطلبوا الشهادة (أَرْبَعَةً مِّنكُمْ) من المؤمنين (فَإِن شَهِدُوا)بالزنا (فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ) فاحبسوهن (حَتَّىٰ يَتَوَفَّـٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ) أى ملائكة الموت كقوله الذين تتوفاهم الملائكة أو حتى يأخذهن الموت ويستوفى أرواحهن (أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ) قيل أو بمعنى إلا أن (سَبِيلًا) غير هذه عن ابن عباس رضى الله عنهما السبيل للبكر جلد مائة وتغريب عام وللثيب الرجم لقوله عليه السلام «خذوا عنى، خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائه وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة» (وَٱلَّذَانِ) يريد الزانى والزانية. وبتشديد النون مكى (يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ) أى الفاحشة (فَـَٔاذُوهُمَا) بالتوبيخ والتعيير وقولوا لهما أما استحييتما أما خفتما الله (فَإِن تَابَا) عن الفاحشة (وَأَصْلَحَا) وغيرا الحال (فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَآ) فاقطعوا التوبيخ والمذمة (إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا) يقبل توبة التائب ويرحمه. قال الحسن أول ما نزل من حد الزنا الأذى ثم الحبس ثم الجلد أو الرجم فكان ترتيب النزول على خلاف ترتيب التلاوة والحاصل أنهما إذا كانا محصنين فحدهما الرجم لاغير وإذا كانا غير محصنين فحدهما الجلد ، لاغير وإن كان أحدهما محصنا والآخر غير محصن فعلى المحصن منهما الرجم وعلى الآخر الجلد ، وقال ابن بحر: الآية الأولى فى السحاقات والثانية فى اللواطين والتى فى سورة النور فى الزانى والزانية وهو دليل ظاهر لأبى حنيفة رحمه الله فى أنه يعزر فى اللواطة ولايحد وقال مجاهد: آية الأذى فى اللواطة (إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ) هى من تاب الله عليه إذا قبل توبته أى إنما قبولها (عَلَى ٱللَّهِ) وليس المراد به الوجوب إذ لايجب على الله شىء ولكنه تأكيد للوعد يعنى أنه يكون لامحالة كالواجب الذى لايترك(لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ) الذنب

لسوء عقابه (بِجَهَٰلَةٍ) فى موضع الحال أى يعملون السوء جاهلين سفهاء لأن ارتكاب القبيح مما يدعو إليه السفه وعن مجاهد من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته وقيل جهالته اختياره اللذة الفانية على الباقية وقيل لم يجهل أنه ذنب ولكنه جهل كنه عقوبته (ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ) من زمان قريب وهو ما قبل حضرة الموت ألا ترى إلى قوله: حتى إذا حضر أحدهم الموت . فبين أن وقت الاحتضار هو الوقت الذى لا تقبل فيه التوبة وعن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو قريب وعن ابن عباس رضى الله عنهما قبل أن ينظر إلى ملك الموت وعنه ﷺ «إن الله تعالى يقبل توبة العبد مالم يغرغر» ومن للتبعيض أى يتوبون بعض زمان قريب كأنه سمى ما بين وجود المعصية وبين حضرة الموت زمانا قريبا (فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ) عدة بأنه يفى بذلك وإعلام بأن الغفران كائن لا محالة (وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا) بعزمهم على التوبة (حَكِيمًا) حكم بكون الندم توبة (وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ) أى ولا توبة للذين يذنبون ويسوفون توبتهم إلى أن يزول حال التكليف بحضور أسباب الموت ومعاينة ملك الموت فإن توبة هؤلاء غير مقبولة لأنها حالة اضطرار لا حالة اختيار ، وقبول التوبة ثواب ولا وعد به إلا المختار (وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ) فى موضع جر بالعطف على للذين يعملون السيئات أى ليست التوبة للذين يعملون السيئات ولا للذين يموتون (وَهُمْ كُفَّارٌ) قال سعيد بن جبير: الآية الأولى فى المؤمنين والوسطى فى المنافقين والأخرى فى الكافرين ، وفى بعض المصاحف بلامين وهو مبتدأ خبره (أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) أى هيأنا من العتيد وهو الحاضر أو الأصل أعددنا فقلبت الدال تاء . كان الرجل يرث امرأة مورثه بأن يلقى عليها ثوبه فيتزوجها بلامهر فنزلت (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا) أى أن تأخذوهن على سبيل الإرث كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك أو مكرهات كرها بالفتح من الكراهة وبالضم حمزة وعلى من الإكراه مصدر فى موضع الحال من المفعول. والتقييد بالكره لا يدل على الجواز عند عدمه لأن تخصيص الشئ بالذكر لا يدل على نفى ماعداه كما فى قوله : ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق. وكان الرجل إذا تزوج امرأة ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة لتفتدى منه بمالها وتختلع فقيل (وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ) وهو منصوب عطفا على أن ترثوا ولا لتأكيد النفى أى لا يحل

لكم أن ترثوا النساء ولا أن تعضلوهن أو مجزوم بالنهى على الاستئناف فيجوز الوقف حينئذعلى كرها. والعضل:الحبس والتضييق (لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ) من المهر واللام متعلقة بتعضلوا (إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ) هى النشوز وإيذاء الزوج وأهله بالبذاء أى إلا أن يكون سوء العشرة من جهتهن فقد عذرتم فى طلب الخلع وعن الحسن الفاحشة الزنا فإن فعلت حل لزوجها أن يسألها الخلع (مُّبَيِّنَةٍ) وبفتح الياء مكى وأبو بكر والاستثناء من أعم عام الظرف أو المفعول له كأنه قيل ولاتعضلوهن فى جميع الأوقات إلاوقت أن يأتين بفاحشة أو ولا تعضلوهن لعلة من العلل إلا لأن يأتين بفاحشة وكانوا يسيئون معاشرة النساء فقيل لهم (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) وهو النصفة فى المبيت والنفقة والإجمال فى القول (فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ) لقبحهن أو سوء خلقهن (فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ) فى ذلك الشئ أو فى الكره (خَيْرًا كَثِيرًا) ثوابا جزيلا أوولدا صالحا والمعنى فإن كرهتموهن فلا تفارقوهن لكراهة الأنفس وحدها فربما كرهت النفس ما هو أصلح فى الدين وأدنى إلى الخير وأحبت ما هو بضد ذلك ولكن للنظر فى أسباب الصلاح وإنما صح قوله فعسى أن تكرهوا جزاء للشرط لأن المعنى فإن كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه وكان الرجل إذا رأى امرأة فأعجبته بهت التى تحته ورماها بفاحشة حتى يلجئها إلى الافتداء منه بما أعطاها فقيل (وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ) أى تطليق امرأة وتزوج أخرى (وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ) وأعطيتم إحدى الزوجات فالمرادبالزوج الجمع لأن الخطاب لجماعة الرجال (قِنطَارًا) مالاعظيما كما مر فى آل عمران وقال عمر رضى الله عنه على المنبر لاتغالوا بصدقات النساء فقالت امرأة أنتبع قولك أم قول الله : وآتيتم إحداهن قنطارا. فقال عمر كل أحد أعلم من عمر تزوجوا على ماشئتم (فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ) من القنطار (شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا) أى بينا، والبهتان أن تستقبل الرجل بأمر قبيح تقذفه به وهو برئ منه لأنه يبهت عند ذلك أى يتحير وانتصب بهتانا على الحال أى باهتين وآثمين ثم أنكر أخذ المهر بعد الإفضاء فقال (وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ) أى خلا بلاحائل ومنه الفضاء والآية حجة لنا فى الخلوة الصحيحة أنها تؤكد المهر حيث أنكر الأخذ وعلل بذلك (وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا) عهدا وثيقا وهو

قوله الله تعالى : فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان . والله تعالى أخذ هذا الميثاق على عباده لأجلهن فهو كأخذهن أوقول النبي عليه السلام «استوصوا بالنساء خيرا فإنهن عوان فى أيديكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله» ولما نزل لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها قالوا تركنا هذا لا نرثهن كرها ولكن نخطبهن فننكحهن برضاهن فقيل لهم (وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِنَ النِّسَآءِ) وقيل المراد بالنكاح الوطء أى لا تطئوا ما وطىء آباؤكم وفيه تحريم وطء موطوءة الأب بنكاح أو بملك يمين أو بزنا كما هو مذهبنا وعليه كثير من المفسرين ولما قالوا كنا نفعل ذلك فكيف حال ما كان منا قال (إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ) أى لكن ما قد سلف فإنكم لا تؤاخذون به والاستثناء منقطع عن سيبويه ثم بين صفة هذا العقد فى الحال فقال (إِنَّهُ كَانَ فَٰحِشَةً) بالغة فى القبح (وَمَقْتًا) وبغضا عندالله وعند المؤمنين وناس منهم يمقتونه من ذوى مروآتهم ويسمونه نكاح المقت وكان المولود عليه يقال له المقتى (وَسَآءَ سَبِيلًا) وبئس الطريق طريقا ذلك ولما ذكر فى أول السورة نكاح ماطاب أى حل من النساء وذكر بعض ما حرم قبل هذا وهو نساء الآباء ذكر المحرمات الباقيات وهن سبع من النسب وسبع من السبب وبدأ بالنسب فقال (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ) والمراد تحريم نكاحهن عندالبعض وقدذكرنا المختار فى شرح المنار . والجدة من قبل الأم أو الأب ملحقة بهن (وَبَنَاتُكُمْ) وبنات الابن وبنات البنت ملحقات بهن والأصل أن الجمع إذا قوبل بالجمع ينقسم الآحاد على الآحاد فتحرم على كل واحد أمه وبنته (وَأَخَوَٰتُكُمْ) لأب وأم أو لأب أو لأم (وَعَمَّٰتُكُمْ) من الأوجه الثلاثة (وَخَٰلَٰتُكُمْ) كذلك (وَبَنَاتُ الْأَخِ) كذلك (وَبَنَاتُ الْأُخْتِ) كذلك ثم شرع فى السبب فقال (وَأُمَّهَٰتُكُمُ الَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ الرَّضَٰعَةِ) الله تعالى نزل الرضاعة منزلة النسب فسمى المرضعة أما للرضيع والمراضعة أختا وكذلك زوج المرضعة أبوه وأبواه جداه وأخته عمته وكل ولد ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم أخوته وأخواته لأبيه وأم المرضعة جدته وأختها خالته وكل من ولد لها من هذا الزوج فهم اخوته وأخواته لأبيه وأمه ومن ولد لها من غيره فهم اخوته وأخواته لأم وأصله قوله عليه السلام «يحرم من الرضاع مايحرم من النسب» (وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ) وهن محرمات بمجرد العقد (وَرَبَٰٓئِبُكُمُ) سمى ولد المرأة من غير زوجها ربيبا وربيبة لأنه يربهما كما يرب ولده

فى غالب الأمر ثم اتسع فيه فسميا بذلك وإن لم يربهما (ٱلَّـٰتِى فِى حُجُورِكُم) قال داود: إذا لم تكن فى حجره لا تحرم قلنا ذكر الحجر على غلبة الحال دون الشرط وفائدته التعليل للتحريم وأنهن لاحتضانكم لهن أو لكونهن بصدد احتضانكم كأنكم فى العقد على بناتهن عاقدون على بناتكم (مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّـٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ) متعلق بربائبكم أى الربيبة من المرأة المدخول بها حرام على الرجل حلال له إذالم يدخل بها والدخول بهن كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب أى أدخلتموهن الستر والباء للتعدية. واللمس ونحوه يقوم مقام الدخول وقد جعل بعض العلماء اللاتى دخلتم بهن وصفا للنساء المتقدمة والمتأخرة وليس كذلك لأن الوصف الواحد لايقع على موصوفين مختلفى العامل وهذا لأن النساء الأولى مجرورة بالإضافة والثانية بمن ولايجوز أن تقول مررت بنسائك وهربت من نساء زيد الظريفات على أن تكون الظريفات نعتا لهؤلاء النساء وهؤلاء النساء كذا قال الزجاج وغيره وهذا أولى مماقاله صاحب الكشاف فيه (فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ)فلا حرج عليكم فى أن تتزوجوا بناتهن إذا فارقتموهن أو متن (وَحَلَـٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ) جمع حليلة وهى الزوجة لأن كل واحد منهما يحل للآخر أو يحل فراش الآخر من الحل أومن الحلول (ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَـٰبِكُمْ) دون من تبنيتم فقد تزوج رسول الله ﷺ زينب حين فارقها زيد وقال الله تعالى : لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم. وليس هذا لنفى الحرمة عن حليلة الابن من الرضاع (وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ) أى فى النكاح وهو فى موضع الرفع عطف على المحرمات أى وحرم عليكم الجمع بين الأختين (إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ) ولكن ما مضى مغفور بدليل قوله (إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا) وعن محمد بن الحسن رحمه الله أن أهل الجاهلية كانوا يعرفون هذه المحرمات إلا نكاح امرأة الأب ونكاح الأختين فلذا قال فيهما : إلا ماقد سلف. (وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ) أى ذوات الأزواج لأنهن أحصن فروجهن بالتزوج قرأ الكسائى بفتح الصاد هنا وفى سائر القرآن بكسرها وغيره بفتحها فى جميع القرآن (إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ) بالسبى وزوجها فى دار الحرب والمعنى وحرم عليكم نكاح المنكوحات أى اللاتى لهن أزواج إلا ماملكتموهن بسبيهن وإخراجهن بدون أزواجهن لوقوع الفرقة بتباين الدارين لا بالسبى فتحل الغنائم بملك اليمين بعد الاستبراء (كِتَـٰبَ ٱللَّهِ

عَلَيْكُمْ) مصدر مؤكد أى كتب الله ذلك عليكم كتابا وفرضه فريضة وهو تحريم ماحرم وعطف (وَأُحِلَّ لَكُم) على الفعل المضمر الذى نصب كتاب الله أى كتب الله عليكم تحريم ذلك وأحل لكم (مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ) ما سوى المحرمات المذكورة وأحل كوفى غير أبى بكر عطف على حرمت (أَن تَبْتَغُوا) مفعول له أى بين لكم ما يحل مما يحرم لأن تبتغوا أوبدل مما وراء ذلكم ومفعول تبتغوا مقدر وهو النساء والأجود أن لا يقدر (بِأَمْوَٰلِكُم) يعنى المهور وفيه دليل على أن النكاح لايكون إلا بمهر وأنه يجب وإن لم يسم وأن غير المال لايصلح مهرا وأن القليل لايصلح مهرا إذ الحبة لاتعد مالا عادة (مُّحْصِنِينَ) فى حال كونكم محصنين (غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ) لئلا تضيعوا أموالكم وتفقروا أنفسكم فيما لا يحل لكم فتخسروا دينكم ودنيا كم ولافساد أعظم من الجمع بين الخسرانين. والإحصان العفة وتحصين النفس من الوقوع فى الحرام والمسافح الزانى من السفح وهو صب المنى (فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ) فما نكحتموه منهن (فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ) مهورهن لأن المهر ثواب على البضع فما فى معنى النساء ومن للتبعيض أوللبيان ويرجع الضمير إليه على اللفظ فى به وعلى المعنى فى فآتوهن (فَرِيضَةً) حال من الأجور أى مفروضة أووضعت موضع إيتاء لأن الإيتاء مفروض أومصدر مؤكد أى فرض ذلك فريضة (وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ) فيما تحط عنه من المهر أو تهب له من كله أو يزيد لها على مقداره أوفيما تراضيا به من مقام أوفراق (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا) بالأشياء قبل خلقها (حَكِيمًا) فيما فرض لهم من عقد النكاح الذى به حفظت الأنساب وقيل إن قوله فما استمتعتم نزلت فى المتعة التى كانت ثلاثة أيام حين فتح الله مكة على رسوله ثم نسخت (وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا) فضلا يقال لفلان علىَّ طول أى فضل وزيادة وهو مفعول يستطع (أَن يَنكِحَ) مفعول الطول فإنه مصدر فيعمل عمل فعله أو بدل من طولا (الْمُحْصَنَٰتِ الْمُؤْمِنَٰتِ) الحرائر المسلمات (فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ) أى فلينكحن مملوكة من الإماء المسلمات وقوله: من فتياتكم. أى من فتيات المسلمين والمعنى ومن لم يستطع زيادة فى المال وسعة يبلغ بها نكاح الحرة فلينكح أمة ونكاح الأمة الكتابية يجوز عندنا والتقييد فى النص للاستحباب بدليل أن الإيمان ليس بشرط فى الحرائر اتفاقا مع التقييد به وقال ابن عباس ومما وسّع الله على هذه الأمة نكاح الأمة واليهودية والنصرانية وإن كان

موسرا وفيه دليل لنا فى مسئلة الطول (وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم) فيه تنبيه على قبول ظاهر إيمانهن ودليل على أن الإيمان هو التصديق دون عمل اللسان لأن العلم بالإيمان المسموع لا يختلف (بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ) أى لا تستنكفوا من نكاح الإماء فكلكم بنو آدم وهو تحذير عن التعيير بالأنساب والتفاخر بالأحساب (فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ) سادتهن وهو حجة لنا فى أن لهن أن يباشرن العقد بأنفسهن لأنه اعتبر إذن الموالى لا عقدهم وأنه ليس للعبد أو للأمة أن يتزوج إلا بإذن المولى (وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ) وأدوا إليهن مهورهن بغير مطل وإضرار وملاك مهورهن مواليهن فكان أداؤها إليهن أداء إلى الموالى لأنهن وما فى أيديهن مال الموالى أو التقدير وآتوا مواليهن فحذف المضاف (مُحْصَنَٰتٍ) عفائف حال من المفعول فى وآتوهن (غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ) زوان علانية (وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ) زوان سرا والأخدان: الأخلاء فى السر (فَإِذَآ أُحْصِنَّ) بالتزويج أحصن كوفى غير حفص (فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ) زنا (فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ) أى الحرائر (مِنَ ٱلْعَذَابِ) من الحد يعنى خمسين جلدة، وقوله: نصف ما على المحصنات. يدل على أنه الجلد لا الرجم لأن الرجم لا يتنصف وأن المحصنات هنا الحرائر اللاتى لم يزوجن (ذَٰلِكَ) أى نكاح الإماء (لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ) لمن خاف الإثم الذى تؤدى إليه غلبة الشهوة وأصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر ولا ضرر أعظم من مواقعة المآثم وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو الزنا لأنه سبب الهلاك (وَأَن تَصْبِرُوا) فى محل الرفع على الابتداء أى وصبركم عن نكاح الإماء متعففين (خَيْرٌ لَّكُمْ) لأن فيه إرقاق الولد ولأنها خراجة ولاجة ممتهنة مبتذلة وذلك كله نقصان يرجع إلى الناكح ومهانة والعزة من صفات المؤمنين وفى الحديث «الحرائر صلاح البيت والإماء هلاك البيت» (وَٱللَّهُ غَفُورٌ) يستر المحظور (رَّحِيمٌ) يكشف المحظور (يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ) أصله يريد الله أن يبين لكم فزيدت اللام مؤكدة لإرادة التبيين كما زيدت فى لا أبالك لتأكيد إضافة الأب. والمعنى يريد الله أن يبين لكم ما هو خفى عليكم من مصالحكم وأفاضل أعمالكم (وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ) وأن يهديكم مناهج من كان قبلكم من الأنبياء والصالحين والطرق التى سلكوها فى دينهم لتقتدوا بهم (وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ) ويوفقكم للتوبة عما كنتم عليه من الخلاف (وَٱللَّهُ عَلِيمٌ) بمصالح عباده (حَكِيمٌ) فيما شرع

لهم (وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ) التكرير للتأكيد والتقرير والتقابل (وَيُرِيدُ) الفجرة (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا) وهو الميل عن القصد والحق ولا ميل أعظم منه بمساعدتهم وموافقتهم على اتباع الشهوات وقيل هم اليهود لاستحلالهم الأخوات لأب وبنات الأخ وبنات الأخت فلما حرمهن الله قالوا فإنكم تحلون بنت الخالة والعمة والخالة والعمة عليكم حرام فانكحوا بنات الأخت والأخ فنزلت يقول يريدون أن تكونوا زناة مثلهم (يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ) بإحلال نكاح الأمة وغيره من الرخص (وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا) لا يصبر عن الشهوات وعلى مشاق الطاعات (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ) بما لم تبحه الشريعة من نحو السرقة والخيانة والغصب والقمار وعقود الربا (إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً) إلا أن تقع تجارة. تجارة كوفي أي إلا أن تكون التجارة تجارة (عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ) صفة لتجارة أي تجارة صادرة عن تراض بالعقد أو بالتعاطي والاستثناء منقطع معناه ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراض أو ولكن كون تجارة عن تراض غير منهي عنه وخص التجارة بالذكر لأن أسباب الرزق أكثرها متعلق بها والآية تدل على جواز البيع بالتعاطي وعلى جواز البيع الموقوف إذا وجدت الإجازة لوجود الرضا وعلى نفي خيار المجلس لأن فيها إباحة الأكل بالتجارة عن تراض من غير تقييد بالتفرق عن مكان العقد والتقييد به زيادة على النص (وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ) من كان من جنسكم من المؤمنين لأن المؤمنين كنفس واحدة أو ولا يقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض الجهلة أو معنى القتل أكل الأموال بالباطل فظالم غيره كمهلك نفسه أو لا تتبعوا أهواءها فتقتلوها أو تركبوا ما يوجب القتل (إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا) ولرحمته بكم نهاكم على ما فيه صيانة أموالكم وبقاء أبدانكم وقيل معناه أنه أمر بني إسرائيل بقتلهم أنفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصاً لخطاياهم وكان بكم يا أمة محمد رحيماً حيث لم يكلفكم تلك التكاليف الصعبة (وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ) أي القتل أي ومن يقدم على القتل الأنفس (عُدْوَانًا وَظُلْمًا) لا خطأ ولا قصاصاً وهما مصدران في موضع الحال أو مفعول لهما (فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا) ندخله نارا مخصوصة شديدة العذاب (وَكَانَ ذَٰلِكَ) أي إصلاؤه النار (عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا) سهلا وهذا الوعيد في حق المستحل للتخليد وفي حق غيره لبيان استحقاقه دخول النار مع وعد الله بمغفرته (إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ

نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ) عن ابن مسعود رضى الله عنهما الكبائر كل مانهى الله عنه من أول سورة النساء إلى قوله: إن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه. وعنه أيضا الكبائر ثلاث، الإشراك بالله واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله، وقيل المراد بها أنواع الكفر بدليل قراءة عبدالله كبير ماتنهون عنه وهو الكفر (وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا) مَدخلا مدنى وكلاهما بمعنى المكان والمصدر (كَرِيمًا) حسنا وعن ابن عباس رضى الله عنهما ثمان آيات فى سورة النساء هى خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وغربت. يريد الله ليبين لكم. والله يريد أن يتوب عليكم. يريد الله أن يخفف عنكم. إن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم. إن الله لايغفر أن يشرك به. إن الله لايظلم مثقال ذرة. ومن يعمل سوء أويظلم نفسه. مايفعل الله بعذابكم. وتشبث المعتزلة بالآية على أن الصغائر واجبة المغفرة باجتناب الكبائر وعلى أن الكبائر غير مغفورة باطل لأن الكبائر والصغائر فى مشيئته تعالى سواء إن شاء عذب عليهما وإن شاء عفا عنهما لقوله تعالى: إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء. فقد وعد المغفرة لما دون الشرك وقرنها بمشيئته تعالى وقوله: إن الحسنات يذهبن السيئات. فهذه الآية تدل على أن الصغائر والكبائر يجوز أن يذهبا بالحسنات لأن لفظ السيئات ينطلق عليهما ولما كان أخذ مال الغير بالباطل وقتل النفس بغير حق بتمنى مال الغير وجاهه نهاهم عن تمنى مافضل الله به بعض الناس على بعض من الجاه والمال بقوله (وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ) لأن ذلك التفضيل قسمة من الله صادرة عن حكمة وتدبير وعلم بأحوال العباد وبما ينبغى لكل من بسط فى الرزق أوقبض فعلى كل واحد أن يرضى بما قسم له ولا يحسد أخاه على حظه، فالحسد أن يتمنى أن يكون ذلك الشىء له ويزول عن صاحبه، والغبطة أن يتمنى مثل مالغيره وهو مرخص فيه والأول منهى عنه ولما قال الرجال: نرجو أن يكون أجرنا على الضعف من أجر النساء كالميراث وقالت النساء: يكون وزرنا على نصف وزر الرجال كالميراث نزل (لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ) أى ليس ذلك على حسب الميراث (وَسْئَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ) فإن خزائنه لاتنفد ولاتتمنوا ماللناس من الفضل (إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا) فالتفضيل منه عن علم بمواضع الاستحقاق. قال ابن عيينة لم يأمر بالمسئلة إلا ليعطى وفى الحديث «من لم يسأل الله من فضله غضب عليه» وفيه «ان الله تعالى ليمسك الخير الكثير عن عبده ويقول

لأعطى عبدى حتى يسألنى» وسلوا مكى وعلى (وَلِكُلٍّ) المضاف إليه محذوف تقديره ولكل أحد أو ولكل مال (جَعَلْنَا مَوَالِيَ) ورّاثا يلونه ويحرزونه (مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ) هو صفة مال محذوف أى لكل مال مما تركه الوالدان أو هو متعلق بفعل محذوف دل عليه الموالى تقديره يرثون مما ترك (وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ) عاقدتهم أيديكم وهو مبتدأ ضمن معنى الشرط فوقع خبره وهو (فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ) مع الفاء. عقدت كوفى أى عقدت عهودهم أيمانكم والمراد به عقد الموالاة وهى مشروعة والوراثة بها ثابتة عند عامة الصحابة رضى الله عنهم وهو قولنا وتفسيره إذا أسلم رجل أو امرأة لا وارث له وليس بعربى ولا معتق فيقول لآخر: واليتك على أن تعقلنى إذا جنيت وترث منى إذا مت ويقول الآخر: قبلت انعقد ذلك ويرث الأعلى من الأسفل (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا) أى هو عالم الغيب والشهادة وهو أبلغ وعد ووعيد (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ) يقومون عليهن آمرين ناهين كما يقوم الولاة على الرعايا وسموا قواما لذلك (بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ) الضمير فى بعضهم للرجال والنساء يعنى إنما كانوا مسيطرين عليهن لسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال على بعض وهم النساء بالعقل والعزم والحزم والرأى والقوة والغزو وكمال الصوم والصلاة والنبوة والخلافة والإمامة والأذان والخطبة والجماعة والجمعة وتكبير التشريق عند أبى حنيفة رحمه والشهادة فى الحدود والقصاص وتضعيف الميراث والتعصيب فيه وملك النكاح والطلاق وإليهم الانتساب وهم أصحاب اللحى والعمائم (وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ) وبأن نفقتهن عليهم وفيه دليل وجوب نفقتهن عليهم. ثم قسمهن على نوعين. النوع الأول (فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ) مطيعات قائمات بما عليهن للأزواج (حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ) لمواجب الغيب وهو خلاف الشهادة أى إذ كان الأزواج غير شاهدين لهن حفظن ما يجب عليهن حفظه فى حال الغيبة من الفروج والبيوت والأموال وقيل للغيب لأسرارهم (بِمَا حَفِظَ اللَّهُ) بما حفظهن الله حين أوصى بهن الأزواج بقوله: وعاشروهن بالمعروف. أو بما حفظهن الله وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب أو بحفظ الله إياهن حيث صيرهن كذلك. والثانى (وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ) عصيانهن وترفعهن عن طاعة الأزواج. والنشز: المكان المرتفع والنبوة. عن ابن عباس رضى الله عنهما هو أن تستخف بحقوق زوجها ولا تطيع أمره (فَعِظُوهُنَّ) خوفوهن عقوبة الله تعالى والضرب والعظة

كلام يلين القلوب القاسية ويرغب الطبائع النافرة (وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ) فى المراقد أي لاتداخلوهن تحت اللحف وهو كناية عن الجماع أو هو أن يوليها ظهره فى المضجع لأنه لم يقل عن المضاجع (وَاضْرِبُوهُنَّ) ضربا غير مبرح. أمر بوعظهن أولا ثم بهجرانهن فى المضاجع ثم بالضرب إن لم ينجع فيهن الوعظ والهجران (فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ) بترك النشوز (فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا) فأزيلوا عنهن التعرض بالأذى وسبيلا مفعول تبغوا وهو من بغيت الأمر أى طلبته (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا) أى إن علت أيديكم عليهن فاعلموا أن قدرته عليكم أعظم من قدرتكم عليهن فاجتنبوا ظلمهن أو إن الله كان عليا كبيرا وإنكم تعصونه على علو شأنه وكبرياء سلطانه ثم تتوبون فيتوب عليكم فأنتم أحق بالعفو عمن يجنى عليكم إذا رجع ثم خاطب الولاة بقوله (وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا) أصله شقاقا بينهما فأضيف الشقاق إلى الظرف على سبيل الاتساع كقوله: بل مكر الليل والنهار. وأصله بل مكر فى الليل والنهار. والشقاق: العداوة والخلاف، لأن كلا منهما يفعل مايشق على صاحبه أو يميل إلى شق أى ناحية غير شق صاحبه والضمير للزوجين ولم يجر ذكرهما لجرى ذكر مايدل عليهما وهو الرجال والنساء (فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ) رجلا يصلح للحكومة والإصلاح بينهما (وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا) وإنما كان بعث الحكمين من أهلهما لأن الأقارب أعرف ببواطن الأحوال وأطلب للصلاح ونفوس الزوجين أسكن إليهم فيبرزان مافى ضمائرهما من الحب والبغض وإرادة الصحبة والفرقة. والضمير فى (إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا) للحكمين وفى (يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا) للزوجين أى إن قصدا إصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة بورك فى وساطتهما وأوقع الله بحسن سعيهما بين الزوجين الألفة والوفاق وألقى فى نفوسهما المودة والاتفاق أو الضميران للحكمين أى إن قصدا إصلاح ذات البين والنصيحة للزوجين يوفق الله بينهما فيتفقان على الكلمة الواحدة ويتساندان فى طلب الوفاق حتى يتم المراد أو الضميران للزوجين أى إن يريدا إصلاح ما بينهما وطلب الخير وأن يزول عنهما الشقاق يلق الله بينهما الألفة وأبدلهما بالشقاق الوفاق وبالبغضاء المودة (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا) بإرادة الحكمين (خَبِيرًا) بالظالم من الزوجين وليس لهما ولاية التفريق عندنا خلافا لمالك رحمه الله (وَاعْبُدُوا اللَّهَ) قيل العبودية أربعة: الوفاء بالعهود، والرضا بالموجود، والحفظ للحدود، والصبر على المفقود (وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا) صنما وغيره ويحتمل المصدر أى

إشراكا (وَبِالْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا) وأحسنوا بهما إحسانا بالقول والفعل والإنفاق عليهما عند الاحتياج (وَبِذِى الْقُرْبَىٰ) وبكل من بينكم وبينه قربى من أخ أو عم أو غيرهما (وَالْيَتَٰمَىٰ وَالْمَسَٰكِينِ وَالْجَارِ ذِى الْقُرْبَىٰ) الذى قرب جواره (وَالْجَارِ الْجُنُبِ) أى الذى جواره بعيد أوالجار القريب النسيب، والجار الجنب الأجنبي (وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ) أى الزوجة عن علىّ رضى الله عنه. أو الذى صحبك بأن حصل بجنبك إما رفيقا فى سفر أو شريكا فى تعلم علم أو غيره أوقاعدا إلى جنبك فى مجلس أومسجد (وَابْنِ السَّبِيلِ) الغريب أوالضيف (وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ) العبيد والإماء (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا) متكبرا يأنف عن قرابته وجيرانه فلا يلتفت إليهم (فَخُورًا) يعدد مناقبه كبرا فإن عدها اعترافا كان شكورا (الَّذِينَ يَبْخَلُونَ) نصب على البدل من من كان مختالا فخورا وجمع على معنى من أو على الذم أو رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره هم الذين يبخلون (وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ) بالبَخَل حمزة وعلى وهمالغتان كالرشد والرشد أى يبخلون بذات أيديهم وبما فى أيدى غيرهم فيأمرونهم بأن يبخلوا به مقتا للسخاء. قيل البخل أن يأكل بنفسه ولا يؤكل غيره والشح أن لا يأكل ولا يؤكل والسخاء أن يأكل ويؤكل والجود أن يؤكل ولا يأكل (وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ) ويخفون ما أنعم الله عليهم به من المال وسعة الحال وفى الحديث «إذا أنعم الله على عبده نعمة أحب أن يرى نعمته على عبده» وبنى عامل للرشيد قصرا حذاء قصره فنم به فقال الرجل ياأمير المؤمنين إن الكريم يسره أن يرى أثر نعمته فأحببت أن أسرك بالنظر إلى آثار نعمتك فأعجبه كلامه، وقيل نزلت فى شأن اليهود الذين كتموا صفة محمد عليه السلام (وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا) أى يهانون فيه الآخرة (وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ) معطوف على الذين يبخلون أو على الكافرين (رِئَآءَ النَّاسِ) مفعول له أى للفخار وليقال ماأجودهم لالابتغاء وجه الله وهم المنافقون أومشركو مكة (وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَٰنُ لَهُ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا) حيث حملهم على البخل والرياء وكل شر ويجوز أن يكون وعيدا لهم بأن الشيطان يقرن بهم فى النار (وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ) وأى تبعة ووبال عليهم فى الإيمان والإنفاق

فى سبيل الله والمراد الذم والتوبيخ وإلا فكل منفعة ومصلحة فى ذلك وهذا كما يقال للعاق ماضرك لو كنت بارا وقد علم أنه لامضرة فى البر ولكنه ذم وتوبيخ (وَكَانَ اللهُ بِهِمْ عَلِيمًا) وعيد (إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ) هى النملة الصغيرة. وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه أدخل يده فى التراب فرفعه ثم نفخ فيه فقال كل واحدة من هؤلاء ذرة وقيل كل جزء من أجزاء الهباء فى الكوة ذرة (وَإِن تَكُ حَسَنَةً) وإن يك مثقال الذرة حسنة وإنما أنث ضمير المثقال لكونه مضافا إلى مؤنث. حسنةٌ حجازى على كان التامة وحذفت النون من تكن تخفيفا لكثرة الاستعمال (يُضَاعِفْهَا) يضاعف ثوابها. يضعِّفها مكى وشامى (وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا) ويعط صاحبها من عنده ثوابا عظيما وما وصفه الله بالعظم فمن يعرف مقداره مع أنه سمى متاع الدنيا قليلا. وفيه إبطال قول المعتزلة فى تخليد مرتكب الكبيرة مع أن له حسنات كثيرة (فَكَيْفَ) يصنع هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم (إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ) يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم (وَجِئْنَا بِكَ) يامحمد (عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ) أى أمتك (شَهِيدًا) حال أى شاهدا على من آمن بالإيمان وعلى من كفر بالكفر وعلى من نافق بالنفاق. وعن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قرأ سورة النساء على رسول الله ﷺ حتى بلغ قوله: وجئنا بك على هؤلاء شهيدا. فبكى رسول الله ﷺ وقال: حسبنا (يَوْمَئِذٍ) ظرف لقوله (يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالله (وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ) لو يدفنون فتسوى بهم الأرض كما تسوى بالموتى أو يودون أنهم لم يبعثوا وأنهم كانوا والأرض سواء أوتصير البهائم ترابا فيودون حالها. تسوى بفتح التاء وتخفيف السين والامالة وحذف إحدى التاءين من تتسوى حمزة وعلى. تسوى بإدغام التاء فى السين مدنى وشامى (وَلَا يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثًا) مستأنف أى ولا يقدرون على كتمانه لأن جوارحهم تشهد عليهم ولما صنع عبد الرحمن بن عوف طعاما وشرابا ودعا نفرا من الصحابة رضى الله عنهم حين كانت الخمر مباحة فأكلوا وشربوا فقدموا أحدهم ليصلى بهم المغرب فقرأ قل ياأيها الكافرون أعبد ما تعبدون وأنتم عابدون ماأعبد، نزل (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ) أى لا تقربوها فى هذه الحالة (حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ) أى تقرءون وفيه دليل على أن ردة السكران ليست بردة لأن قراءة سورة الكافرين بطرح اللامات كفر ولم يحكم بكفره حتى خاطبهم باسم الإيمان وما أمر النبى عليه

السلام بالتفريق بينه وبين امرأته ولا بتجديد الإيمان ولأن الأمة اجتمعت على أن من أجرى كلمة الكفر على لسانه مخطئا لا يحكم بكفره (وَلَا جُنُبًا) عطف على وأنتم سكارى لأن محل الجملة مع الواو النصب على الحال كأنه قيل لا تقربوا الصلاة سكارى ولا جنبا أى ولا تصلوا جنبا، والجنب يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لأنه اسم جرى مجرى المصدر الذى هو الإجناب (إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ) صفة لقوله جنبا أى لا تقربوا الصلاة جنبا غير عابرى سبيل أى جنبا مقيمين غير مسافرين، والمراد بالجنب الذين لم يغتسلوا كأنه قيل لا تقربوا الصلاة غير مغتسلين (حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا) إلا أن تكونوا مسافرين عادمين الماء متيممين عبر عن التيمم بالمسافر لأن غالب حاله عدم الماء وهذا مذهب أبى حنيفة رحمه الله وهو مروى عن على رضى الله عنه وقال الشافعى رحمه الله: لا تقربوا الصلاة أى مواضع الصلاة وهى المساجد ولا جنبا أى ولا تقربوا المسجد جنبا إلا عابرى سبيل إلا مجتازين فيه فيجوز للجنب العبور فى المسجد عند الحاجة (وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ) أى المطمئن من الأرض وكانوا يأتونه لقضاء الحاجة فكنى به عن الحدث (أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ) جامعتموهن كذا عن على رضى الله عنه وابن عباس (فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً) فلم تقدروا على استعماله لعدمه أو بعده أو فقد آلة الوصول إليه أو لمانع من حية أو سبع أو عدو (فَتَيَمَّمُوا) أدخل فى حكم الشرط أربعة وهم المرضى والمسافرون والمحدثون وأهل الجنابة والجزاء الذى هو الأمر بالتيمم متعلق بهم جميعا فالمرضى إذا عدموا الماء لضعف حركتهم وعجزهم عن الوصول إليه والمسافرون إذا عدموه لبعده والمحدثون وأهل الجنابة إذا لم يجدوه لبعض الأسباب فلهم أن يتيمموا. لمستم حمزة وعلى (صَعِيدًا) قال الزجاج هو وجه الأرض ترابا كان أو غيره وإن كان صخرا لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده ومسح لكان ذلك طهوره. ومن فى سورة المائدة لابتداء الغاية لا للتبعيض (طَيِّبًا) طاهرا (فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ) قيل الباء زائدة (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا) بالترخيص والتيسير (غَفُورًا) عن الخطأ والتقصير (أَلَمْ تَرَ) من رؤية القلب وعدى بإلى على معنى ألم ينته علمك إليهم أو بمعنى ألم تنظر إليهم (إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ) حظا من علم التوراة وهم أحبار اليهود (يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ) يستبدلونها بالهدى وهو البقاء على اليهودية بعد وضوح الآيات لهم على صحة نبوة رسول الله ﷺ وأنه

هو النبي العربى المبشر به فى التوراة والإنجيل (وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا) أنتم أيها المؤمنون (السَّبِيلَ) أى سبيل الحق كما ضلوه (وَاللهُ أَعْلَمُ) منكم (بِأَعْدَآئِكُمْ) وقد أخبركم بعداوة هؤلاء فاحذروهم ولا تستنصحوهم فى أموركم (وَكَفَىٰ بِاللهِ وَلِيًّا) فى النفع (وَكَفَىٰ بِاللهِ نَصِيرًا) فى الدفع فثقوا بولايته ونصرته دونهم أو لاتبالوا بهم فإن الله ينصركم عليهم ويكفيكم مكرهم ووليا ونصيرا منصوبان على التمييز أو على الحال (مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا) بيان للذين أوتوا نصيبا من الكتاب أو بيان لأعدائكم وما بينهما اعتراض أو يتعلق بقوله نصيرا أى ينصركم من الذين هادوا كقوله ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا أو يتعلق بمحذوف تقديره من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم فقوم مبتدأ ويحرفون صفة له والخبر من الذين هادوا مقدم عليه وحذف الموصوف وهو قوم وأقيم صفته، وهو (يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ) يميلونه عنها ويزيلونه لأنهم إذا بدلوه ووضعوا مكانه كلماً غيره فقد أمالوه عن مواضعه فى التوراة التى وضعه الله تعالى فيها وأزالوه عنها مقامه وذلك نحو تحريفهم أسمر ربعة عن موضعه فى التوراة بوضعهم آدم طوال مكانه. ثم ذكر هنا عن مواضعه وفى المائدة من بعد مواضعه فمعنى عن مواضعه على ما بينا من إزالته عن مواضعه التى أوجبت حكمة الله وضعه فيها بما اقتضت شهواتهم من إبدال غيره مكانه. ومعنى من بعد مواضعه أنه كانت له مواضع هو جدير بأن يكون فيها فحين حرفوه تركوه كالغريب الذى لا موضع له بعد مواضعه ومقاره والمعنيان متقاربان (وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا) قولك (وَعَصَيْنَا) أمرك قيل أسرّوا به (وَاسْمَعْ) قولنا (غَيْرَ مُسْمَعٍ) حال من المخاطب أى اسمع وأنت غير مسمع وهو قول ذو وجهين يحتمل الذم أى اسمع منا مدعوا عليك بلا سمعت لأنه لو أجيبت دعوتهم عليه لم يسمع شيئا فكان أصم غير مسمع قالوا ذلك اتكالا على أن قولهم لاسمعت دعوة مستجابة أو اسمع غير مجاب إلى ما تدعو إليه ومعناه غير مسمع جوابا يوافقك فكأنك لم تسمع شيئا أو اسمع غير مسمع كلاما ترضاه فسمعك عنه ناب. ويحتمل المدح أى اسمع غير مسمع مكروها من قولك أسمع فلان فلانا إذا سبه وكذلك قوله (وَرَٰعِنَا) يحتمل راعنا نكلمك أى ارقبنا وانتظرنا ويحتمل شبه كلمة عبرانية أو سريانية كانوا يتسابون بها وهى راعينا فكانوا سخرية بالدين وهزؤا برسول الله ﷺ يكلمونه بكلام محتمل ينوون

به الشتيمة والإهانة ويظهرون به التوقير والإكرام (لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ) فتلا بها وتحريفا أى يفتلون بألسنتهم الحق إلى الباطل حيث يضعون راعنا موضع انظرنا وغير مسمع موضع لاأسمعت مكروها أو يفتلون بألسنتهم ما يضمرونه من الشتم إلى ما يظهرونه من التوقير نفاقا (وَطَعْنًا فِى الدِّينِ) هو قولهم: لو كان نبيا حقا لأخبر بما نعتقد فيه (وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا) ولم يقولوا وعصينا (وَاسْمَعْ) ولم يلحقوا به غير مسمع (وَانظُرْنَا) مكان راعنا (لَكَانَ) قولهم ذاك (خَيْرًا لَّهُمْ) عند الله (وَأَقْوَمَ) وأعدل وأسد (وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ) طردهم وأبعدهم عن رحمته بسبب اختيارهم الكفر (فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا)منهم قد آمنوا كعبد الله بن سلام وأصحابه أو إلا إيمانا قليلا ضعيفا لا يعبأ به وهو إيمانهم بمن خلقهم مع كفرهم بغيره ولما لم يؤمنوا نزل (يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا) يعنى القرآن (مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم) يعنى التوراة (مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا) أى نمحو تخطيط صورها من عين وحاجب وأنف وفم (فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ) فنجعلها على هيئة أدبارها وهى الأقفاء مطموسة مثلها والفاء للتسبيب وإن جعلتها للتعقيب على أنهم تُوُعِدوا بعقابين أحدهما عقيب الآخر ردها على أدبارها بعد طمسها فالمعنى أن نطمس وجوها فننكس الوجوه إلى خلف والأقفاء إلى قدام وقيل المراد بالطمس القلب والتغيير كما طمس أموال القبط فقلبها حجارة وبالوجوه رءوسهم ووجهاؤهم أى من قبل أن نغير أحوال وجهائهم فنسلبهم إقبالهم ووجاهتهم وننكسوهم صغارهم وإدبارهم (أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ السَّبْتِ) أى نخزيهم بالمسخ كما مسخنا أصحاب السبت والضمير يرجع إلى الوجوه إن أريد الوجهاء أو إلى الذين أوتوا الكتاب على طريقة الالتفات. والوعيد كان معلقا بأن لا يؤمن كلهم وقد آمن بعضهم فإن ابن سلام قد سمع الآية قافلا من الشام فأتى النبي ﷺ مسلما قبل أن يأتى أهله وقال ما كنت أرى أن أصل إلى أهلى قبل أن يطمس الله وجهى. أو أن الله تعالى أوعدهم بأحد الأمرين بطمس الوجوه أو بلعنهم فإن كان الطمس تبدل أحوال رؤسائهم فقد كان أحد الأمرين وإن كان غيره فقد حصل اللعن فإنهم ملعونون بكل لسان وقيل هو منتظر فى اليهود (وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ) أى المأمور به وهو العذاب الذى أوعدوا به (مَفْعُولًا) كائنا لا محالة فلا بد أن يقع أحد الأمرين إن لم يؤمنوا (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ) إن مات عليه (وَيَغْفِرُ

مَادُونَ ذَٰلِكَ) أى مادون الشرك وإن كان كبيرة مع عدم التوبة، والحاصل أن الشرك مغفور عنه بالتوبة وأن وعد غفران ما دونه لمن لم يتب أى لايغفر لمن يشرك وهو مشرك ويغفر لمن يذنب وهو مذنب قال النبي عليه السلام «من لقى الله تعالى لايشرك به شيئا دخل الجنة ولم تضره خطيئته» وتقييده بقوله (لِمَن يَشَآءُ) لا يخرجه عن عمومه كقوله: الله لطيف بعباده يرزق من يشاء. قال على رضى الله عنه: مافى القرآن آية أحب إلى من هذه الآية. وحمل المعتزلة على التائب باطل لأن الكفر مغفور عنه بالتوبة لقوله تعالى: قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ماقدسلف. فمادونه أولى أن يغفر بالتوبة والآية سيقت لبيان التفرقة بينهما وذا فيما ذكرنا (وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا) كذب كذبا عظيما استحق به عذابا أليما ونزل فيمن زكى نفسه من اليهود والنصارى حيث قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه. وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم) ويدخل فيها كل من زكى نفسه ووصفها بزكاء العمل وزيادة الطاعة والتقوى (بَلِ اللهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ) إعلام بأن تزكية الله هى التى يعتد بها لاتزكية غيره لأنه هو العالم بمن هو أهل للتزكية ونحوه: فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى. (وَلَا يُظْلَمُونَ) أى الذين يزكون أنفسهم يعاقبون على تزكية أنفسهم حق جزائهم أو من يشاء يثابون على زكائهم ولا ينقص من ثوابهم (فَتِيلًا) قدر فتيل وهو ما يحدث بفتل الأصابع من الوسخ (انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ) فى زعمهم أنهم عند الله أزكياء (وَكَفَىٰ بِهِ) بزعمهم هذا (إِثْمًا مُّبِينًا) من بين سائر آثامهم (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ) يعنى اليهود (يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ) أى الأصنام وكل ماعبدوه من دون الله (وَالطَّاغُوتِ) الشيطان (وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا) وذلك أن حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف اليهوديين خرجا إلى مكة مع جماعة من اليهود يحالفون قريشا على محاربة رسول الله ﷺ فقالوا: أنتم أهل الكتاب وأنتم إلى محمد أقرب منا وهو أقرب منكم إلينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن إليكم ففعلوا فهذا إيمانهم بالجبت والطاغوت لأنهم سجدوا للأصنام وأطاعوا إبليس عليه اللعنة فيما فعلوا فقال أبو سفيان أنحن أهدى سبيلا أم محمد فقال كعب أنتم أهدى سبيلا (أُوْلَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ) أبعدهم من رحمته (وَمَن يَلْعَنِ اللهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا)

يمتد بنصره ثم وصف اليهود بالبخل والحسد وهما من شر الخصال يمنعون مالهم ويتمنون مالغيرهم فقال (أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ) فأم منقطعة ومعنى الهمزة الإنكار أن يكون لهم نصيب من الملك (فَإِذاً لاَّ يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا) أى لو كان لهم نصيب من الملك أى ملك أهل الدنيا أوملك الله فإذا لا يؤتون أحدا مقدار نقير لفرط بخلهم، والنقير: النقرة فى ظهر النواة وهو مثل فى القلة كالفتيل (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَآءَاتَٰهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ) بل أيحسدون رسول الله ﷺ والمؤمنين على إنكار الحسد واستقباحه وكانوا يحسدونهم على ما آتاهم الله من النصرة والغلبة وازدياد العز والتقدم كل يوم (فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ الْكِتَٰبَ) أى التوراة (وَالْحِكْمَةَ) الموعظة والفقه (وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا) يعنى ملك يوسف وداود وسليمان عليهم السلام وهذا إلزام لهم بما عرفوه من إيتاء الله الكتاب والحكمة آل ابراهيم الذين هم أسلاف محمد عليه السلام وأنه ليس ببدع أن يؤتيه الله مثل ماأوتى أسلافه (فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِ) فمن اليهود من آمن بما ذكر من حديث آل إبراهيم (وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ) وأنكره مع علمه بصحته أومن اليهود من آمن برسول الله ﷺ ومنهم من أنكر نبوته وأعرض عنه (وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا) للصادين (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ)ندخلهم (نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ) أحرقت (بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا) أعدنا تلك الجلود غير محترقة فالتبديل والتغيير لتغاير الهيئتين لا لتغاير الأصلين عند أهل الحق خلافا للكرامية وعن فضيل يجعل النضيج غير نضيج (لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ) ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز : أعزك الله أى أدامك على عزك (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزاً) غالبا بالانتقام لا يمتنع عليه شىء مما يريده بالمجرمين (حَكِيماً) فيما يفعل بالكافرين (وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ) من الأنجاس والحيض والنفاس (وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً) هو صفة مشتقة من لفظ الظل لتأكيد معناه كما يقال : ليل أليل وهو ما كان طويلا فينانا لاجوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس وسجسجا لاحر فيه ولا برد وليس ذلك إلا ظل الجنة ثم خاطب الولاة بأداء الأمانات والحكم بالعدل بقوله (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا) وقيل قد دخل فى هذا الأمر أداء الفرائض التى هى أمانة الله تعالى التى حملها الإنسان وحفظ الحواس

التى هى ودائع الله تعالى (وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ) قضيتم (أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ) بالسوية والإنصاف وقيل إن عثمان بن طلحة بن عبدالدار كان سادن الكعبة وقد أخذ رسول الله ﷺ منه مفتاح الكعبة فلما نزلت الآية أمر عليا رضى الله عنه بأن يرده إليه وقال رسول الله ﷺ «لقد أنزل الله فى شأنك قرآنا» وقرأ عليه الآية فأسلم عثمان فهبط جبريل عليه السلام وأخبر رسول الله ﷺ أن السدانة فى أولاد عثمان أبدا (إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ) ما نكرة منصوبة موصوفة بيعظكم به كأنه قيل نعم شيئا يعظكم به أو موصولة مرفوعة المحل صلتها ما بعدها أى نعم الشىء الذى يعظكم به والمخصوص بالمدح محذوف أى نعمّا يعظكم به ذلك وهو المأمور به من أداء الأمانات والعدل فى الحكم. وبكسر النون وسكون العين مدنى وأبو عمرو، وبفتح النون وكسر العين شامى وحمزة وعلى (إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً) لأقوالكم (بَصِيرًا) بأعمالكم ولما أمر الولاة بأداء الأمانات والحكم بالعدل أمر الناس بأن يطيعوهم بقوله (يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ) أى الولاة أو العلماء لأن أمرهم ينفذ على الأمراء (فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ) فإن اختلفتم أنتم وأولو الأمر فى شىء من أمور الدين (فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ) أى ارجعوا فيه إلى الكتاب والسنة (إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) أى إن الإيمان يوجب الطاعة دون العصيان، ودلت الآية على أن طاعة الأمراء واجبة إذا وافقوا الحق فإذا خالفوه فلا طاعة لهم لقوله عليه السلام «لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق» وحكى أن مسلمة بن عبد الملك بن مروان قال لأبى حازم ألستم أمرتم بطاعتنا بقوله: وأولى الأمر منكم. فقال أبو حازم أليس قد نزعت الطاعة عنكم إذا خالفتم الحق بقوله فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله أى القرآن والرسول فى حياته وإلى أحاديثه بعد وفاته (ذَٰلِكَ) إشارة إلى الرد أى الرد إلى الكتاب والسنة (خَيْرٌ) عاجلا (وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) عاقبة كان بين بشر المنافق ويهودى خصومة فدعاه اليهودى إلى النبى ﷺ لعلمه أنه لا يرتشى ودعاه المنافق إلى كعب بن الأشرف ليرشوه فاحتكما إلى النبى عليه السلام فقضى لليهودى فلم يرض المنافق وقال: تعال نتحاكم إلى عمر فقال اليهودى لعمر رضى الله عنه: قضى لى رسول الله ﷺ فلم يرض بقضائه فقال عمر للمنافق أكذلك قال نعم فقال عمر مكانكما حتى أخرج إليكما فدخل عمر فأخذ سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق فقال هكذا أقضى لمن لم يرض

بقضاء الله ورسوله فنزل (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ) وقال جبريل عليه السلام : إن عمر فرق بين الحق والباطل، فقال له رسول الله ﷺ «أنت الفاروق» (يُرِيدُونَ) حال من الضمير فى يزعمون (أَن يَتَحَاكَمُوٓا إِلَى الطَّٰغُوتِ) أى كعب بن الأشرف سماه الله طاغوتا لإفراطه فى الطغيان وعداوة رسول الله عليه السلام أو على التشبيه بالشيطان أو جعل اختيار التحاكم إلى غير رسول الله ﷺ على التحاكم إليه تحاكما إلى الشيطان بدليل قوله (وَقَدْ أُمِرُوٓا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ) عن الحق (ضَلَٰلًا بَعِيدًا) مستمرا إلى الموت (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ) للمنافقين (تَعَالَوْا إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ) للتحاكم (رَأَيْتَ الْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا) يعرضون عنك إلى غيرك ليغروه بالرشوة فيقضى لهم (فَكَيْفَ) تكون حالهم وكيف يصنعون (إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ) من قتل عمر بشرا (بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ) من التحاكم إلى غيرك واتهامهم لك فى الحكم (ثُمَّ جَآءُوكَ) أى أصحاب القتيل من المنافقين (يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ) حال (إِنْ أَرَدْنَآ) ما أردنا بتحاكمنا إلى غيرك (إِلَّآ إِحْسَٰنًا) لا إساءة (وَتَوْفِيقًا) بين الخصمين ولم نرد مخالفة لك ولا تسخطا لحكمك وهذا وعيد لهم على فعلهم وأنهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغنى عنهم الاعتذار وقيل جاء أولياء المنافق يطلبون بدمه وقد أهدره الله فقالوا ما أردنا بالتحاكم إلى عمر إلا أن يحسن إلى صاحبنا بحكومة العدل والتوفيق بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا أنه يحكم له بما حكم به (أُو۟لَٰٓئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ) من النفاق (فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا) فأعرض عن قبول الأعذار وعظ بالزجر والإنكار وبالغ فى وعظهم بالتخويف والإنذار أو أعرض عن عقابهم وعظهم فى عتابهم وبلغ كنه ما فى ضميرك من الوعظ بارتكابهم والبلاغة أن يبلغ بلسانه كنه ما فى جنانه وفى أنفسهم يتعلق بقل لهم أى قل لهم فى معنى أنفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم (وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ) أى رسولا قط (إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ) بتوفيقه فى طاعته وتيسيره أو بسبب إذن الله فى طاعته وبأنه أمر المبعوث إليهم بأن يطيعوه لأنه مؤد عن الله فطاعته طاعة الله ومن يطع الرسول فقد أطاع الله (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا أَنفُسَهُمْ) بالتحاكم إلى الطاغوت (جَآءُوكَ) تائبين من النفاق معتذرين عما ارتكبوا

من الشقاق (فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ) من النفاق والشقاق (وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ) بالشفاعة لهم والعامل فى إذظلموا خبرأنّ وهوجاؤك والمعنى ولووقع مجيئهم فىوقت ظلمهم مع استغفارهم واستغفار الرسول (لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً) لعلموه توابا أى لتاب عليهم ولم يقل واستغفرت لهم وعدل عنه إلى طريقة الالتفات تفخيما لشأنه ﷺ وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على أن شفاعة من اسمه الرسول من الله بمكان (رَّحِيماً) بهم قيل جاء أعرابى بعد دفنه عليه السلام فرمى بنفسه على قبره وحثا من ترابه على رأسه وقال يارسول الله قلت فسمعنا وكان فيما أنزل عليك: ولوأنهم إذظلموا أنفسهم الآية وقدظلمت نفسى وجئتك أستغفر الله من ذنبى فاستغفرلى من ربى فنودى من قبره قدغفر لك (فَلَا وَرَبِّكَ) أى فوربك كقوله فوربك لنسألنهم ولا مزيدة لتأكيد معنى القسم وجواب القسم (لَا يُؤْمِنُونَ) أو التقدير فلا أى ليس الأمر كما يقولون ثم قال وربك لا يؤمنون (حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ) فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل أغصانه (ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا) ضيقا (مِّمَّا قَضَيْتَ) أى لا تضيق صدورهم من حكمك أوشكًّا لأن الشاك فى ضيق من أمره حتى يلوح له اليقين (وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً) وينقادوا لقضائك انقيادا وحقيقته سلم نفسه له وأسلمها أى جعلها سالمة له أى خالصة. وتسليما مصدر مؤكد للفعل بمنزلة تكريره كأنه قيل وينقادوا لحكمك انقيادا لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم، والمعنى لا يكونون مؤمنين حتى يرضوا بحكمك وقضائك (وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ) على المنافقين أى ولو وقع كتبنا عليهم (أَنِ اقْتُلُوا) أن هى المفسرة (أَنفُسَكُمْ) أى تعرضوا للقتل بالجهاد. أوولو أوجبنا عليهم مثل ماأوجبنا على بنى إسرائيل من قتلهم أنفسهم (أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَٰرِكُم) بالهجرة (مَّا فَعَلُوهُ) لنفاقهم والهاء ضمير أحد مصدرى الفعلين وهو القتل أو الخروج أو ضمير المكتوب لدلالة كتبنا عليه (إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ) قليلا شامى على الاستثناء والرفع على البدل من واو فعلوه (وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ) من اتباع رسول الله عليه السلام والانقياد لحكمه (لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ) فى الدارين (وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً) لإيمانهم وأبعد عن الاضطراب فيه (وَإِذًا) جواب لسؤال مقدر كأنه قيل وماذا يكون لهم بعد التثبيت فقيل وإذا لو ثبتوا (لَّآتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيماً) أى ثوابا كثيرا لا ينقطع (وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطاً) مفعول ثان (مُّسْتَقِيماً) أى لثبتناهم على الدين الحق (وَمَن يُطِعِ

الله وَالرَّسُولَ فَأُوْلَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ) كأفاضل صحابة الأنبياء. والصديق: المبالغ فى صدق ظاهره بالمعاملة وباطنه بالمراقبة أو الذى يصدق قوله بفعله (وَالشُّهَدَآءِ) والذين استشهدوا فى سبيل الله (وَالصَّٰلِحِينَ) ومن صلحت أحوالهم وحسنت أعمالهم (وَحَسُنَ أُوْلَٰئِكَ رَفِيقاً) أى وما أحسن أولئك رفيقا وهو كالصديق والخليط فى استواء الواحد والجمع فيه (ذَٰلِكَ) مبتدأ خبره (الْفَضْلُ مِنَ اللهِ) أو الفضل صفته ومن الله خبره والمعنى أن ما أعطى المطيعون من الأجر العظيم ومرافقة المنعم عليهم من الله لأنه تفضل به عليهم أو أراد أن فضل المنعم عليهم ومزيتهم من الله (وَكَفَىٰ بِاللهِ عَلِيماً) بعباده وبمن هو أهل الفضل. ودلت الآية على أن ما يفعل الله بعباده فهو فضل منه بخلاف ما يقوله المعتزلة (يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ) الحِذر والحَذر بمعنى وهو التحرز وهما كالإثر والأثر يقال أخذ حذره إذا تيقظ واحترز من المخوف كأنه جعل الحذر آلته التى يقى بها نفسه ويعصم بها روحه والمعنى احذروا واحترزوا من العدو (فَانفِرُوا ثُبَاتٍ) فاخرجوا إلى العدو جماعات متفرقة سرية بعد سرية فالثبات الجماعات واحدها ثبة (أَوِ انفِرُوا جَمِيعاً) أى مجتمعين أو مع النبى عليه السلام لأن الجمع بدون السمع لا يتم، والعقد بدون الواسطة لا ينتظم. أو انفروا ثبات إذا لم يعم النفير أو انفروا جميعا إذا عم النفير. وثبات حال وكذا جميعا واللام فى (وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن) للابتداء بمنزلتها فى إن الله لغفور ومن موصولة وفى (لَّيُبَطِّئَنَّ) جواب قسم محذوف تقديره وإن منكم لمن أقسم بالله ليبطئن والقسم وجوابه صلة من، والضمير الراجع منها إليه ما استكن فى ليبطئن أى ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد، وبطؤ بمعنى أبطأ أى تأخر ويقال ما بطؤ بك فيتعدى بالباء والخطاب لعسكر رسول الله ﷺ وقوله منكم أى فى الظاهر دون الباطن يعنى المنافقين يقولون لم تقتلون أنفسكم تأنوا حتى يظهر الأمر (فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ) قتل أو هزيمة (قَالَ) المبطئ (قَدْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيداً) حاضرا فيصيبنى مثل ما أصابهم (وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللهِ) فتح أو غنيمة (لَيَقُولَنَّ) هذا المبطئ متلهفا على ما فاته من الغنيمة لا طلبا للمثوبة (كَأَن) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أى كأنه (لَّمْ تَكُنْ)[1] وبالتاء مكى وحفص (بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ) وهى اعتراض بين الفعل وهو

(١) فى النسخ المطبوعة كأن لم يكن وهذه القراءة للباقين وهى المناسبة لقول المفسر وبالتاء ، ولم نتبع النسخ لأننا اتبعنا ما فى المصحف من قراءة حفص.

ليقولن وبين مفعوله وهو (يَـٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ) والمعنى كأن لم يتقدم له معكم موادة لأن المنافقين كانوا يوادون المؤمنين فى الظاهر وإن كانوا يبغون لهم الغوائل فى الباطن (فَأَفُوزَ) بالنصب لأنه جواب التمنى (فَوْزًا عَظِيمًا) فآخذ من الغنيمة حظا وافرا (فَلْيُقَتِلْ فِى سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ) يبيعون (الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ) والمراد المؤمنون الذين يستحبون الحياة الآجلة على العاجلة ويستبدلونها بها أى إن صد الذين مرضت قلوبهم وضعفت نياتهم عن القتال فليقاتل الثابتون المخلصون أو يشترون، والمراد المنافقون الذين يشترون الحياة الدنيا بالآخرة وعظوا بأن يغيروا مابهم من النفاق ويخلصوا الإيمان بالله ورسوله ويجاهدوا فى سبيل الله حق جهاده (وَمَن يُقَتِلْ فِى سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) وعد الله المقاتل فى سبيل الله ظافرا أو مظفورا به إيتاء الأجر العظيم على اجتهاده فى إعزاز دين الله (وَمَا لَكُمْ) مبتدأ وخبر وهـذا الاستفهام فى النفى للتنبيه على الاستبطاء وفى الإثبات للإنكار (لَا تُقَتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللهِ) حال والعامل فيها الاستقرار كما تقول مالك قائما والمعنى وأى شىء لكم تاركين القتال وقد ظهرت دواعيه (وَالْمُسْتَضْعَفِينَ) مجرور بالعطف على سبيل الله أى فى سبيل الله وفى خلاص المستضعفين أو منصوب على الاختصاص منه أى واختص من سبيل الله خلاص المستضعَفين من المستضعِفين لأن سبيل الله عام فى كل خير وخلاص المسلمين من أيدى الكفار من أعظم الخير وأخصه والمستضعفون هم الذين أسلموا بمكة وصدهم المشركون عن الهجرة فبقوا بين أظهرهم مستذلين مستضعفين يلقون منهم الأذى الشديد (مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَآءِ وَالْوِلْدَٰنِ) ذكر الولدان تسجيلا بإفراط ظلمهم حيث بلغ أذاهم الولدان غير المكلفين إرغاما لآبائهم وأمهاتهم ولأن المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم فى دعائهم استنزالا لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا كما فعل قوم يونس عليه السلام. وعن ابن عباس رضى الله عنهما كنت أنا وأمى من المستضعفين من النساء والولدان (الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَـٰذِهِ الْقَرْيَةِ) يعنى مكة (الظَّالِمِ أَهْلُهَا) الظالم وصف للقرية إلا أنه مسند إلى أهلها فأعطى إعراب القرية لأنه صفتها وذكر لإسناده إلى الأهل كما تقول من هذه القرية التى ظلم أهلها (وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا) يتولى أمرنا ويستنقذنا من أعدائنا (وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا) ينصرنا عليهم كانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه فيسر الله لبعضهم الخروج إلى المدينة وبقى بعضهم إلى الفتح حتى جعل الله لهم من لدنه خير ولى وناصر وهو

محمد عليه السلام فتولاهم أحسن التولى ونصرهم أقوى النصر ولما خرج محمد ﷺ استعمل عتاب بن أسيد فرأوا منه الولاية والنصرة كما أرادوا. قال ابن عباس رضى الله عنهما كان ينصر الضعيف من القوى حتى كانوا أعز بها من الظلمة ثم رغب الله المؤمنين بأنهم يقاتلون فى سبيل الله فهو وليهم وناصرهم وأعداؤهم يقاتلون فى سبيل الشيطان فلا ولى لهم إلا الشيطان بقوله (الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّٰغُوتِ) أى الشيطان (فَقَٰتِلُوا أَوْلِيَآءَ الشَّيْطَٰنِ) أى الكفار (إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَٰنِ) أى وساوسه وقيل الكيد السعى فى فساد الحال على جهة الاحتيال (كَانَ ضَعِيفاً) لأنه غرور لا يؤول إلى محصول أو كيده فى مقابلة نصر الله ضعيف كان المسلمون مكفوفين عن القتال مع الكفار ما داموا بمكة وكانوا يتمنون أن يؤذن لهم فيه فنزل (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوآ أَيْدِيَكُمْ) أى عن القتال (وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ) أى فرض بالمدينة (إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللهِ) يخافون أن يقاتلهم الكفار كما يخافون أن ينزل الله عليهم بأسه لاشكا فى الدين ولارغبة عنه ولكن نفورا عن الإخطار بالأرواح وخوفا من الموت قال الشيخ أبو منصور رحمه الله هذه خشية طبع لا أن ذلك منهم كراهة لحكم الله وأمره اعتقادا فالمرء مجبول على كراهة مافيه خوف هلاكه غالبا، وخشية الله من إضافة المصدر إلى المفعول ومحله النصب على الحال من الضمير فى يخشون أى يخشون الناس مثل خشية أهل الله أى مشبهين لأهل خشية الله (أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً) هو معطوف على الحال أى أو أشد خشية من أهل خشية الله وأو للتخيير أى إن قلت خشيتهم الناس كخشية الله فأنت مصيب وإن قلت إنها أشد فأنت مصيب لأنه حصل لهم مثلها وزيادة (وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ) هلا أمهلتنا إلى الموت فنموت على الفرش وهو سؤال عن وجه الحكمة فى فرض القتال عليهم لااعتراض لحكمه بدليل أنهم لم يوبخوا على هذا السؤال بل أجيبوا بقوله (قُلْ مَتَٰعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ) متاع الدنيا قليل زائل ومتاع الآخرة كثير دائم والكثير إذا كان على شرف الزوال فهو قليل فكيف القليل الزائل (وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا) ولاتنقصون أدنى شئ من أجوركم على مشاق القتل فلاترغبوا عنه. وبالياء مكى وحمزة وعلى، ثم أخبر أن الحذر لاينجى من القدر بقوله (أَيْنَمَا

تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ) مازائدة لتوكيد معنى الشرط فى أين (وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ) حصون أو قصور (مُّشَيَّدَةٍ) مرفعة (وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ) نعمة من خصب ورخاء (يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللهِ) نسبوها إلى الله (وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ) بلية من قحط وشدة (يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ) أضافوها إليك وقالوا هـذه من عندك وما كانت إلا بشؤمك وذلك أن المنافقين واليهود كانوا إذا أصابهم خير حمدوا الله تعالى وإذا أصابهم مكروه نسبوه إلى محمد ﷺ فكذبهم الله تعالى بقوله (قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللهِ) والمضاف إليه محذوف أى كل ذلك فهو يبسط الأرزاق ويقبضها (فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ) يفهمون (حَدِيثًا) فيعلمون أن الله هو الباسط القابض وكل ذلك صادر عن حكمة ثم قال (مَّآ أَصَابَكَ) ياإنسان خطابا عاما وقال الزجاج المخاطب به النبى عليه السلام والمراد غيره (مِنْ حَسَنَةٍ) من نعمة وإحسان (فَمِنَ اللهِ) تفضلا منه وامتنانا (وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ) من بلية ومصيبة (فَمِن نَّفْسِكَ) فمن عندك أى فبما كسبت يداك. وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم (وَأَرْسَلْنَـٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا) لا مقدرا حتى نسبوا إليك الشدة أو أرسلناك للناس رسولا فإليك تبليغ الرسالة وليس إليك الحسنة والسيئة (وَكَفَىٰ بِاللهِ شَهِيدًا) بأنك رسوله، وقيل هذا متصل بالأول أى لا يكادون يفقهون حديثا يقولون ماأصابك. وحمل المعتزلة الحسنة والسيئة فى الآية الثانية على الطاعة والمعصية تعسف بين وقد نادى عليه ماأصابك إذ يقال فى الأفعال ماأصبت ولأنهم لا يقولون الحسنات من الله خلقا وإيجادا فأنى يكون لهم حجة فى ذلك. وشهيدا تميز (مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ) لأنه لا يأمر ولا ينهى إلا بما أمر الله به ونهى عنه فكانت طاعته فى أوامره ونواهيه طاعة لله (وَمَن تَوَلَّىٰ) عن الطاعة فأعرض عنه (فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا) تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم عليهـا وتعاقبهم (وَيَقُولُونَ) ويقول المنافقون إذا أمرتهم بشىء (طَاعَةٌ) خبر مبتدأ محذوف أى أمرنا وشأننا طاعة (فَإِذَا بَرَزُوا) خرجوا (مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ) زوّر وسوّى فهو من البيتوتة لأنه قضاء الأمر وتدبيره بالليل أو من أبيات الشعر لأن الشاعر يدبرها ويسويها. وبالإدغام حمزة وأبو عمرو (غَيْرَ الَّذِى تَقُولُ) خلاف ما قلت وما أمرت به أو خلاف ما قالت وما ضمنت من الطاعة لأنهم أبطنوا الرد لا القبول والعصيان لا الطاعة وإنما ينافقون بما يقولون ويظهرون (وَاللهُ

يَكْتُبُ مَايُبَيِّتُونَ) يثبته فى صحائف أعمالهم ويجازيهم عليه (فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ) ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم (وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ) فى شأنهم فإن الله يكفيك مضرتهم وينتقم لك منهم إذا قوى أمر الإسلام (وَكَفَىٰ بِاللهِ وَكِيلًا) كافيا لمن توكل عليه (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ) أفلا يتأملون معانيه ومبانيه. والتدبر: التأمل والنظر فى أدبار الأمر وما يؤول إليه فى عاقبته ثم استعمل فى كل تأمل . والتفكر : تصرف القلب بالنظر فى الدلائل وهذا يرد قول من زعم من الروافض أن القرآن لايفهم معناه إلا بتفسير الرسول ﷺ والإمام المعصوم ويدل على صحة القياس وعلى بطلان التقليد (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ) كما زعم الكفار (لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) أى تناقضا من حيث التوحيد والتشريك والتحليل والتحريم أوتفاوتا من حيث البلاغة فكان بعضه بالغا حد الإعجاز وبعضه قاصرا عنه يمكن معارضته أو من حيث المعانى فكان بعضه اخبارا بغيب قد وافق المخبر عنه وبعضه إخبارا مخالفا للمخبر عنه وبعضه دالا على معنى صحيح عند علماء المعانى وبعضه دالا على معنى فاسد غير ملتئم وأما تعلق الملحدة بآيات يدعون فيها اختلافا كثيرا من نحو قوله: فإذا هى ثعبان مبين. كأنها جان. فوربك لنسألنهم أجمعين. فيومئذ لايسئل عن ذنبه إنس ولاجان. فقدتفصى عنها أهل الحق وستجدها مشروحة فى كتابنا هـذا فى مظانها إن شاء الله تعالى (وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ) هم ناس من ضعفة المسلمين الذين لم يكن فيهم خبرة بالأحوال أو المنافقون كانوا إذا بلغهم خبر من سرايا رسول الله ﷺ من أمن وسلامة أو خوف وخلل (أَذَاعُوا بِهِ) أفشوه وكانت إذاعتهم مفسدة يقال أذاع السر وأذاع به والضمير يعود إلى الأمر أو إلى الأمن أوالخوف لأن أو تقتضى أحدهما (وَلَوْ رَدُّوهُ) أى ذلك الخبر (إِلَى الرَّسُولِ) أى رسول الله ﷺ (وَإِلَىٰ أُوْلِى الْأَمْرِ مِنْهُمْ) يعنى كبراء الصحابة البصراء بالأمور أو الذين كانوا يؤمّرون منهم (لَعَلِمَهُ) لعلم تدبير ما أخبروا به (الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ) يستخرجون تدبيره بفطنهم وتجاربهم ومعرفتهم بأمور الحرب ومكايدها، وقيل كانوا يقفون من رسول الله ﷺ وأولى الأمر على أمن ووثوق بالظهور على بعض الأعداء أو على خوف واستشمار فيذيعونه فينتشر فيبلغ الأعداء فتعود إذاعتهم مفسدة ولوردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر وفوضوه إليهم وكانوا كأن لم يسمعوا لعلم الذين يستنبطون تدبيره كيف يدبرونه وما يأتون ويذرون فيه. والنبط:

الماء الذى يخرج من البئر أول ما تحفر واستنباطه استخراجه فاستعير لما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه من المعانى والتدابير فيما يعضل (وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ) بإرسال الرسول (وَرَحْمَتُهُ) بإنزال الكتاب (لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَٰنَ) لبقيتم على الكفر (إِلَّا قَلِيلًا) لم يتبعوه ولكن آمنوا بالعقل كزيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة وغيرهما. لما ذكر فى الآى قبلها تثبطهم عن القتال وإظهارهم الطاعة وإضمارهم خلافها قال (فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ اللهِ) إن أفردوك وتركوك وحدك (لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ) غير نفسك وحدها أن تقدمها إلى الجهاد فإن الله تعالى ناصرك لا الجنود، وقيل دعا الناس فى بدر الصغرى إلى الخروج وكان أبو سفيان واعد رسول الله ﷺ اللقاء فيها فكره بعض الناس أن يخرجوا فنزلت فخرج وما معه إلا سبعون ولو لم يتبعه أحد لخرج وحده (وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ) وما عليك فى شأنهم إلا التحريض على القتال فحسب لا التعنيف بهم (عَسَى اللهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا) أى بطشهم وشدتهم وهم قريش وقد كف بأسهم بالرعب فلم يخرجوا وعسى كلمة مطمعة غير إن أطماع الكريم أعود من انجاز اللئيم (وَاللهُ أَشَدُّ بَأْسًا) من قريش (وَأَشَدُّ تَنكِيلًا) تعذيبا وهو تمييز كبأسا (مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً) هى الشفاعة فى دفع شر أو جلب نفع مع جوازها شرعا (يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا) من ثواب الشفاعة (وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً) هى خلاف الشفاعة الحسنة. قال ابن عباس رضى الله عنهما: مالها مفسر غيرى معناه من أمر بالتوحيد وقاتل أهل الكفر وضده السيئة وقال الحسن: هو المشى بالصلح وضده النميمة (يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا) نصيب (وَكَانَ اللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا) مقتدراً من أقات على الشىء اقتدر عليه أو حفيظا من القوت لأنه يمسك النفس ويحفظها (وَإِذَا حُيِّيتُم) أى سلم عليكم فإن التحية فى ديننا بالسلام فى الدارين فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله. تحيتهم يوم يلقونه سلام. وكانت العرب تقول عند اللقاء: حياك الله أى أطال الله حياتك فأبدل ذلك بعد الإسلام بالسلام (بِتَحِيَّةٍ) هى تفعلة من حيا يحيى تحية (فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَآ) أى قولوا وعليكم السلام ورحمة الله إذا قال السلام عليكم وزيدوا وبركاته إذا قال ورحمة الله ويقال لكل شىء منتهى ومنتهى السلام وبركاته (أَوْ رُدُّوهَآ) أى أجيبوها بمثلها، ورد السلام جوابه بمثله لأن المجيب يرد قول المسلِّم وفيه حذف مضاف أى ردوا مثلها. والتسليم سنة والرد فريضة والأحسن فضل. ومامن رجل يمر على قوم مسلمين فيسلم

عليهم ولا يردون عليه إلا نزع عنهم روح القدس وردت عليه الملائكة. ولا يرد السلام فى الخطبة وقراءة القرآن جهراً ورواية الحديث وعند مذاكرة العلم والأذان والإقامة. وعند أبى يوسف رحمه الله لا يسلم على لاعب الشطرنج والنرد والمغنى والقاعد لحاجته ومطير الحمام والعارى من غير عذر فى حمام أو غيره ويسلم الرجل إذا دخل على امرأته والماشى على القاعد والراكب على الماشى وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والأقل على الأكثر وإذا التقيا ابتدرا وقيل بأحسن منها لأهل الملة أو ردوها لأهل الذمة وعن النبى ﷺ «إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم» أى وعليكم ما قلتم لأنهم كانوا يقولون السام عليكم وقوله عليه السلام «لا غرار فى تسليم» أى لا يقال عليك بل عليكم لأن كاتبيه معه (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً) أى يحاسبكم على كل شىء من التحية وغيرها (اللَّهُ) مبتدأ (لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ) خبره أو اعتراض والخبر (لَيَجْمَعَنَّكُمْ) ومعناه الله والله ليجمعنكم (إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ) أى ليحشرنكم إليه والقيامة القيام كالطلابة والطلاب وهى قيامهم من القبور أو قيامهم للحساب يوم يقوم الناس لرب العالمين (لَا رَيْبَ فِيهِ) هو حال من يوم القيامة والهاء يعود إلى اليوم أو صفة لمصدر محذوف أى جمعا لا ريب فيه والهاء يعود إلى الجمع (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً) تميز وهو استفهام بمعنى النفى أى لا أحد أصدق منه فى إخباره ووعده ووعيده لاستحالة الكذب عليه لقبحه لكونه إخباراً عن الشىء بخلاف ما هو عليه (فَمَا لَكُمْ) مبتدأ وخبر (فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ) أى ما لكم اختلفتم فى شأن قوم قد نافقوا نفاقاً ظاهراً وتفرقتم فيهم فرقتين وما لكم لم تقطعوا القول بكفرهم وذلك أن قوماً من المنافقين استأذنوا رسول الله ﷺ فى الخروج إلى البدو معتلين باجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون فيهم فقال بعضهم: هم كفار، وقال بعضهم: هم مسلمون. وفئتين حال كقولك مالك قائما، قال سيبويه إذا قلت مالك قائما فمعناه لم قمت ونصبه على تأويل أى شىء يستقر لك فى هذه الحال (وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ) ردهم إلى حكم الكفار (بِمَا كَسَبُوا) من ارتدادهم ولحوقهم بالمشركين فردوهم أيضا ولا تختلفوا فى كفرهم (أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا) أن تجعلوا من جملة المهتدين (مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ) من جعله الله ضالا أو أتريدون أن تسموهم مهتدين وقد أظهر الله ضلالهم

فيكون تمييزاً لمن سماهم مهتدين والآية تدل على مذهبنا فى إثبات الكسب للعبد والخلق للرب جلت قدرته (وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا) طريقا إلى الهداية (وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا) الكاف نعت لمصدر محذوف وما مصدرية أى ودوا لو تكفرون كفراً مثل كفرهم (فَتَكُونُونَ) عطف على تكفرون (سَوَآءً) أى مستوين أنتم وهم فى الكفر (فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) فلا توالوهم حتى يؤمنوا لأن الهجرة فى سبيل الله بالإسلام (فَإِن تَوَلَّوْا) عن الإيمان (فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ) كما كان حكم سائر المشركين (وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا) وإن بذلوا لكم الولاية والنصرة فلا تقبلوا منهم (إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ) أى ينتهون إليهم ويتصلون بهم والاستثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم دون الموالاة (بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ) القوم هم الأسلميون كان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد وذلك انه وادع قبل خروجه إلى مكة هلال بن عويمر الأسلمى على أن لا يعينه ولا يعين عليه وعلى أن من وصل إلى هلال والتجأ إليه فله من الجوار مثل الذى لهلال أى فاقتلوهم إلا من اتصل بقوم بينكم وبينهم ميثاق (أَوْ جَآءُوكُمْ) عطف على صفة قوم أى إلا الذين يصلون إلى قوم معاهدين أو قوم ممسكين عن القتال لا لكم ولا عليكم أو على صلة الذين أى إلا الذين يتصلون بالمعاهدين أو الذين لا يقاتلونكم (حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ) حال بإضمار قد. والحصر: الضيق والانقباض (أَن يُقَاتِلُوكُمْ) عن أن يقاتلوكم أى عن قتالكم (أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ) معكم (وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ) بتقوية قلوبهم وإزالة الحصر عنها (فَلَقَاتَلُوكُمْ) عطف على لسلطهم ودخول اللام للتأكيد (فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ) فإن لم يتعرضوا لكم (فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ) أى الانقياد والاستسلام (فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا) طريقاً إلى القتال (سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ) بالنفاق (وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ) بالوفاق هم قوم من أسد وغطفان كانوا إذا أتوا المدينة أسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين فإذا رجعوا إلى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم (كُلَّ مَا رُدُّوٓا إِلَى الْفِتْنَةِ) كلما دعاهم قومهم إلى قتال المسلمين (أُرْكِسُوا فِيهَا) قلبوا فيها أقبح قلب وأشنعه وكانوا شرا فيها من كل عدو (فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ) فإن لم يعتزلوا قتالكم (وَيُلْقُوٓا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ) عطف على لم يعتزلوكم أى ولم ينقادوا لكم بطلب

الصلح (وَيَكُفُّوٓا أَيْدِيَهُمْ) عطف عليه أيضا أى ولم يمسكوا عن قتالكم (فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ) حيث تمكنتم منهم وظفرتم بهم (وَأُوْلَٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا) حجة واضحة لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم فى الكفر والغدر وإضرارهم بالمسلمين أو تسلطا ظاهرا حيث أذنا لكم فى قتلهم (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ) وماصح له ولا استقام ولا لاق بحاله (أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا) ابتداء من غير قصاص أى ليس المؤمن كالكافر الذى تقدم إباحة دمه (إِلَّا خَطَئًا) إلا على وجه الخطأ وهو استثناء منقطع بمعنى لكن أى لكن إن وقع خطأ ويحتمل أن يكون صفة لمصدر أى إلا قتلا خطأ والمعنى من شأن المؤمن أن ينتفى عنه وجود قتل المؤمن ابتداء البتة إلا إذا وجد منه خطأ من غير قصد بأن يرمى كافراً فيصيب مسلما أو يرمى شخصا على أنه كافر فإذا هو مسلم (وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا) صفة مصدر محذوف أى قتلا خطأ (فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ) مبتدأ والخبر محذوف أى فعليه تحرير رقبة والتحرير: الإعتاق، والحر والعتيق الكريم لأن الكرم فى الأحرار كما أن اللؤم فى العبيد ومنه عتاق الطير وعتاق الخيل لكرامها. والرقبة: النسمة ويعبر عنها بالرأس فى قولهم: فلان يملك كذا رأسا من الرقيق (مُّؤْمِنَةٍ) قيل لما أخرج نفسا مؤمنة من جملة الأحياء لزمه أن يدخل نفسا مثلها فى جملة الأحرار لأن إطلاقها من قيد الرق كإحيائها من قبل أن الرقيق ملحق بالأموات إذ الرق أثر من آثار الكفر والكفر موت حكما. أو من كان ميتا فأحييناه. ولهذا منع من تصرف الأحرار وهذا مشكل إذ لو كان كذلك لوجب فى العمد أيضا لكن يحتمل أن يقال إنما وجب عليه ذلك لأن الله تعالى أبقى للقاتل نفسا مؤمنة حيث لم يوجب القصاص فأوجب عليه مثلها رقبة مؤمنة (وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِ) مؤداة إلى ورثته يقتسمونها كما يقتسمون الميراث لا فرق بينها وبين سائر التركة فى كل شىء فيقضى منها الدين وتنفذ الوصية وإذا لم يبق وارث فهى لبيت المال وقد ورّث رسول الله ﷺ امرأة أشيم الضبابى من عقل زوجها أشيم لكن الدية على العاقلة والكفارة على القاتل (إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا) إلا أن يتصدقوا عليه بالدية أى يعفوا عنه، والتقدير فعليه دية فى كل حال إلا فى حال التصدق عليه بها (فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ) فإن كان المقتول خطأ من قوم أعداء لكم أى كفرة فالعدو يطلق على الجمع (وَهُوَ مُؤْمِنٌ) أى المقتول مؤمن (فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ) يعنى إذا أسلم الحربى فى دار الحرب

ولم يهاجر إلينا فقتله مسلم خطأً تجب الكفارة بقتله للعصمة المؤثمة وهي الإسلام ولا تجب الدية لأن العصمة المقومة بالدار ولم توجد (وَإِن كَانَ) أي المقتول (مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ) بين المسلمين (وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ) عهد (فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ) أي وإن كان المقتول ذميا فحكمه حكم المسلم وفيه دليل على أن دية الذمي كدية المسلم وهو قولنا (فَمَن لَّمْ يَجِدْ) رقبة أي لم يملكها ولا ما يتوصل به إليها (فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ) فعليه صيام شهرين (مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ) قبولا من الله ورحمة منه، من تاب الله عليه إذا قبل توبته يعني شرع ذلك توبة منه أو فليتب توبة فهي نصب على المصدر (وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا) بما أمر (حَكِيمًا) فيما قدر (وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا) حال من ضمير القاتل أي قاصداً قتله لإيمانه وهو كفر أو قتله مستحلا لقتله وهو كفر أيضاً (فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا) أي ان جازاه. قال عليه السلام «هي جزاؤه ان جازاه» والخلود قد يراد به طول المقام. وقول المعتزلة بالخروج من الإيمان يخالف قوله تعالى: ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى: (وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ) أي انتقم منه وطرده من رحمته (وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا) لارتكابه أمرا عظيما وخطبا جسيما. في الحديث «لزوال الدنيا أهون على الله من قتل امرئ مسلم» (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) سرتم في طريق الغزو (فَتَبَيَّنُوا) فتثبتوا حمزة وعلي وهما من التفعل بمعنى الاستفعال أي اطلبوا بيان الأمر وثباته ولا تتهوكوا فيه (وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ) السلم مدني وشامي وحمزة وهما الاستسلام وقيل الإسلام وقيل التسليم الذي هو تحية أهل الإسلام (لَسْتَ مُؤْمِنًا) في موضع النصب بالقول. وروى أن مرداس بن نهيك أسلم ولم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول الله ﷺ فهربوا وبقي مرداس لثقته بإسلامه فلما رأى الخيل ألجأ غنمه إلى منعرج من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال: لا إله إلا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله أسامة بن زيد واستاق غنمه فأخبروا رسول الله ﷺ فوجد وجداً شديداً وقال «قتلتموه إرادة ما معه» ثم قرأ الآية على أسامة (تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) تطلبون الغنيمة التي هي حطام سريع النفاد فهو الذي يدعوكم إلى ترك التثبت وقلة البحث عن حال من تقتلونه. والعرض: المال، سمي به لسرعة فنائه وتبتغون حال من ضمير الفاعل في تقولوا (فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ) يغنمكموها تغنيكم عن قتل رجل يظهر

الإسلام ويتعوذ به من التعرض له لتأخذوا ماله (كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ) أول مادخلتم فى الإسلام سمعت من أفواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماءكم وأموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطأة قلوبكم لألسنتكم، والكاف فى كذلك خبر كان وقد تقدم عليها وعلى اسمها (فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ) بالاستقامة والاشتهار بالإيمان فافعلوا بالداخلين فى الإسلام كما فعل بكم (فَتَبَيَّنُوا) كرر الأمر بالتبين ليؤكد عليهم (إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) فلا تتهافتوا فى القتل وكونوا محترزين محتاطين فى ذلك (لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ) عن الجهاد (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ) بالنصب مدنى وشامى وعلى لأنه استثناء من القاعدين أو حال منهم وبالجر عن حمزة صفة للمؤمنين وبالرفع غيرهم صفة للقاعدين، والضرر المرض أو العاهة من عمى أو عرج أو زمانة أو نحوها (وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ) عطف على القاعدون ونفى التساوى بين المجاهد والقاعد بغير عذر وإن كان معلوما توبيخا للقاعد عن الجهاد وتحريكا له عليه ونحوه هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون فهو تحريك لطلب العلم وتوبيخ على الرضا بالجهل (فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ) ذكر هذه الجملة بيانا للجملة الأولى موضحة لما نفى من استواء القاعدين والمجاهدين كأنه قيل مالهم لايستوون فأجيب بذلك (دَرَجَةً) نصب على المصدر لوقوعها موقع المرة من التفضيل كأنه قيل فضلهم تفضلة كقولك ضربه سوطا ونصب (وَكُلًّا) أى وكل فريق من القاعدين والمجاهدين لأنه مفعول أول لقوله (وَعَدَ اللَّهُ) والثانى (الْحُسْنَىٰ) أى المثوبة الحسنى وهى الجنة وإن كان المجاهدون مفضلين على القاعدين درجة (وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ) بغير عذر (أَجْرًا عَظِيمًا دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً) قيل انتصب أجرا بفضّل لأنه فى معنى أجرهم أجرا ودرجات ومغفرة ورحمة بدل من أجرا أو انتصب درجات نصب درجة كأنه قيل فضلهم تفضيلات كقولك ضربه أسواطا أى ضربات، وأجرا عظيما. على أنه حال من النكرة التى هى درجات مقدمة عليها. ومغفرة ورحمة. بإضمار فعلهما أى وغفر لهم ورحمهم مغفرة ورحمة وحاصله أن الله تعالى فضل المجاهدين على القاعدين بعذر درجة وعلى القاعدين بغير عذر بأمر النبى عليه السلام اكتفاء بغيرهم درجات لأن الجهاد فرض كفاية (وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا) بتكفير العذر (رَّحِيمًا) بتوفير الأجر ونزل فيمن أسلم ولم يهاجر حين كانت الهجرة فريضة وخرج مع المشركين

إلى بدر مرتدا فقتل كافرا (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّـهُمُ الْمَلَـٰئِكَةُ) يجوز أن يكون ماضيا لقراءة من قرأ توفتهم ومضارعا بمعنى تتوفاهم وحذفت التاء الثانية لاجتماع التاءين، والتوفى: قبض الروح، والملائكة: ملك الموت وأعوانه (ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ) حال من ضمير المفعول فى توفاهم أى فى حال ظلمهم أنفسهم بالكفر وترك الهجرة (قَالُوا) أى الملائكة للمتوفَّيْن (فِيمَ كُنتُمْ) أى فى أى شىء كنتم فى أمر دينكم ومعناه التوبيخ بأنهم لم يكونوا فى شىء من الدين (قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ) عاجزين عن الهجرة (فِى الْأَرْضِ) أرض مكة فأخرجونا كارهين (قَالُوٓا) أى الملائكة موبخين لهم (أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا) أرادوا أنكم كنتم قادرين على الخروج من مكة إلى بعض البلاد التى لا تمنعون فيها من إظهار دينكم ومن الهجرة إلى رسول الله ﷺ ونصب فتهاجروا على جواب الاستفهام (فَأُولَـٰئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا) خبر إن فأولئك ودخول الفاء لما فى الذين من الإبهام المشابه بالشرط أو قالوا فيم كنتم والعائد محذوف أى قالوا لهم، والآية تدل على أن من لم يتمكن من إقامة دينه فى بلد كما يجب وعلم أنه يتمكن من إقامته فى غيره حقت عليه المهاجرة وفى الحديث «من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبرا من الأرض استوجبت له الجنة» وكان رفيق أبيه ابراهيم ونبيه محمد ﷺ (إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَآءِ وَالْوِلْدَٰنِ) استثنى من أهل الوعيد المستضعفين الذين (لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً) فى الخروج منها لفقرهم وعجزهم (وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا) ولا معرفة لهم بالمسالك ولا يستطيعون صفة للمستضعفين أو للرجال والنساء والولدان وإنما جاز ذلك، والجمل نكرات لأن الموصوف وإن كان فيه حرف التعريف فليس بشىء بعينه كقوله * ولقد أمر على اللئيم يسبنى * (فَأُولَـٰئِكَ عَسَى اللهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ) وعسى وإن كان للإطماع فهو من الله واجب لأن الكريم إذا أطمع أنجز (وَكَانَ اللهُ عَفُوًّا غَفُورًا) لعباده قبل أن يخلقهم (وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِى الْأَرْضِ مُرَٰغَمًا) مهاجرا وطريقا يراغم بسلوكه قومه أى يفارقهم على رغم أنوفهم، والرغم: الذل والهوان، وأصله لصوق الأنف بالرغام وهو التراب يقال راغمت الرجل إذا فارقته وهو يكره مفارقتك لمذلة تلحقه بذلك (كَثِيرًا وَسَعَةً) فى الرزق أو فى إظهار الدين أو فى الصدر لتبدل الخوف بالأمن (وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا) حال من الضمير فى يخرج (إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ) إلى حيث أمر الله ورسوله

(ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ) قبل بلوغه مهاجره وهو عطف على يخرج (فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللّٰهِ) أى حصل له الأجر بوعد الله وهو تأكيد للوعد فلا شىء يجب على الله لأحد من خلقه (وَكَانَ اللّٰهُ غَفُورًا رَّحِيمًا) قالوا كل هجرة لطلب علم أوحج أوجهاد أو فرار إلى بلد يزداد فيه طاعة أو قناعة أوزهدا أو ابتغاء رزق طيب فهى هجرة إلى الله ورسوله وإن أدركه الموت فى طريقه فقد وقع أجره على الله (وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى الْأَرْضِ) سافرتم فيها فالضرب فى الأرض هو السفر (فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ) حرج (أَن تَقْصُرُوا) فى أن تقصروا (مِنَ الصَّلَوٰةِ) من أعداد ركعات الصلاة فتصلوا الرباعية ركعتين، وظاهر الآية يقتضى أن القصر رخصة فى السفر والإكمال عزيمة كما قال الشافعى رحمه الله لأن لاجناح يستعمل فى موضع التخفيف والرخصة لا فى موضع العزيمة وقلنا: القصر عزيمة غير رخصة ولايجوز الإكمال لقول عمر رضى الله عنه: صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم ﷺ. وأما الآية فكأنهم ألفوا الإتمام فكانوا مظنة لأن يخطر ببالهم أن عليهم نقصانا فى القصر فنفى عنهم الجناح لتطيب أنفسهم بالقصر ويطمئنوا إليه (إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوٓا) إن خشيتم أن يقصدكم الكفار بقتل أو جرح أو أخذ، والخوف شرط جواز القصر عند الخوارج بظاهر النص وعند الجمهور ليس بشرط لما روى عن يعلى بن أمية أنه قال لعمر: مابالنا نقصر وقد أمنّا فقال عجبت مما تعجبت منه فسألت رسول الله ﷺ عن ذلك فقال «صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته» وفيه دليل على أنه لا يجوز الإكمال فى السفر لأن التصدق بما لايحتمل التمليك إسقاط محض لا يحتمل الرد وإن كان المتصدق ممن لا تلزم طاعته كولى القصاص إذا عفا فمن تلزم طاعته أولى ولأن حالهم حين نزول الآية كذلك فنزلت على وفق الحال وهو كقوله : إن أردن تحصنا. دليله قراءة عبد الله من الصلاة أن يفتنكم أى لئلا يفتنكم على أن المراد بالآية قصر الأحوال وهو أن يومى على الدابة عند الخوف أو يخفف القراءة والركوع والسجود والتسبيح كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما (إِنَّ الْكَٰفِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا) فتحرزوا عنهم (وَإِذَا كُنتَ) يا محمد (فِيهِمْ) فى أصحابك (فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ) فأردت أن تقيم الصلاة بهم وبظاهره تعلق أبو يوسف رحمه الله فلايرى صلاة الخوف بعده عليه السلام وقالا: الأئمة نواب عن رسول الله ﷺ فى كل عصر فكان الخطاب له متناولا لكل إمام كقوله تعالى: خذ من

أموالهم صدقة تطهرهم. دليله فعل الصحابة رضى الله عنهم بعده عليه السلام (فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ) فاجعلهم طائفتين فلتقم إحداها معك فصل بهم وتقوم طائفة تجاه العدو (وَلْيَأْخُذُوٓا أَسْلِحَتَهُمْ) أى الذين تجاه العدو. عن ابن عباس رضى الله عنهما وإن كان المراد به المصلين فقالوا يأخذون من السلاح مالايشغلهم عن الصلاة كالسيف والخنجر ونحوهما (فَإِذَا سَجَدُوا) أى قيدوا ركعتهم بسجدتين فالسجود على ظاهره عندنا وعند مالك بمعنى الصلاة (فَلْيَكُونُوا مِن وَرَآئِكُمْ) أى إذا صلت هذه الطائفة التى معك ركعة فليرجعوا ليقفوا بإزاء العدو (وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا) فى موضع رفع صفة لطائفة (فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ) أى ولتحضر الطائفة الواقفة بإزاء العدو فليصلوا معك الركعة الثانية (وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ) ما يتحرزون به من العدو كالدرع ونحوه (وَأَسْلِحَتَهُمْ) جمع سلاح وهو مايقاتل به وأخذ السلاح شرط عند الشافعى رحمه الله وعندنا مستحب وكيفية صلاة الخوف معروفة (وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ) أى تمنوا أن ينالوا منكم غرة فى صلاتكم (فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً) فيشدون عليكم شدة واحدة (وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا) فى أن تضعوا (أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ) رخص لهم فى وضع الأسلحة إن ثقل عليهم حملها بسبب مايبلهم من مطر أويضعفهم من مرض وأمرهم مع ذلك بأخذ الحذر لئلا يغفلوا فيهجم عليهم العدو (إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا) أخبر أنه يهين عدوهم لتقوى قلوبهم وليعلموا أن الأمر بالحذر ليس لتوقع غلبتهم عليهم وإنما هو تعبد من الله تعالى (فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَوٰةَ) فرغتم منها (فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ) أى دوموا على ذكر الله فى جميع الأحوال أوفإذا أردتم أداء الصلاة فصلوا قياما إن قدرتم عليه وقعودا إن عجزتم عن القيام ومضطجعين إن عجزتم عن القعود (فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ) سكنتم بزوال الخوف (فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ) فأتموها بطائفة واحدة أوإذا أقمتم فأتموا ولاتقصروا أوإذا اطمأننتم بالصحة فأتموا القيام والركوع والسجود (إِنَّ الصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا) مكتوبا محدودا بأوقات معلومة (وَلَا تَهِنُوا) ولا تضعفوا ولا تتوانوا (فِى ابْتِغَآءِ الْقَوْمِ) فى طلب الكفار بالقتال والتعرض به لهم ثم ألزمهم الحجة بقوله (إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ) أى

ليس ما تجـدون من الألم بالجرح والقتل مختصا بكم بل هو مشترك بينكم وبينهم يصيبهم كما يصيبكم ثم إنهم يصبرون عليه فما لـكم لا تصبرون مثل صبرهم مع أنكم أجدر منهم بالصبر لأنكم ترجون من الله مالا يرجون من إظهار دينكم على سائر الأديان ومن الثواب العظيم فى الآخرة (وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا) بما يجد المؤمنون من الألم (حَكِيمًا) فى تدبير أمورهم. روى أن طعمة بن أبيرق أحدبنى ظفر سرق درعا من جار له اسمه قتادة بن النعمان فى جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين رجل من اليهود فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ماأخذها وماله بها علم فتركوه واتبعوا أثرالدقيق حتى انتهى إلى منزل اليهودى فأخذوها فقال دفعها إلى طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا إلى رسول الله ﷺ فسألوه أن يجادل عن صاحبهم وقالوا إن لم تفعل هلك صاحبنا وافتضح وبرىء اليهودى فهم رسول الله ﷺ أن يفعل فنزل (إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ) أى محقا (لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَآ أَرَٰكَ اللهُ) بماعرفك وأوحى به إليك، وقال الشيخ أبو منصور رحمه الله بماألهمك بالنظر فى أصوله المنزلة وفيه دلالة جواز الاجتهاد فى حقه (وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ) لأجل الخائنين (خَصِيمًا) مخاصما أى ولا تخاصم اليهود لأجل بنى ظفر (وَاسْتَغْفِرِ اللهَ) مماهممت به (إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ) يخونونها بالمعصية جعلت معصية العصاة خيانة منهم لأنفسهم لأن الضرر راجع إليهم والمراد به طعمة ومن عاونه من قومه وهم يعلمون أنه سارق أو ذكر بلفظ الجمع ليتناول طعمة وكل من خان خيانته (إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا) وإنما قيـل بلفظ المبالغة لأنه تعالى عالم من طعمة أنه مُفرِط فى الخيانة وركوب المـآثم وروى أن طعمة هرب إلى مكة وارتد ونقب حائطا بمكة ليسرق أهله فسقط الحائط عليه فقتله وقيل إذاعثرت من رجل على سيئة فاعلم أن لها أخوات. وعن عمر رضى الله عنه أنه أمر بقطع يد سارق فجاءت أمه تبكى وتقول: هذه أول سرقة سرقها فاعف عنه، فقال: كذبت إن الله لا يؤاخذ عبده فى أول مرة (يَسْتَخْفُونَ) يستترون (مِنَ النَّاسِ) حياء منهم وخوفا من ضررهم (وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ) ولايستحيون منه (وَهُوَ مَعَهُمْ) وهو عالم بهم مطلع عليهم لايخفى عليه خاف من سرهم وكفى بهذه الآية ناعية على الناس ماهم فيه من قلة الحياء والخشية من ربهم مع علمهم

أنهم فى حضرته لا سترة ولا غيبة (إِذْ يُبَيِّتُونَ) يدبرون وأصله أن يكون ليلا (مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ) وهو تدبير طعمة أن يرمى بالدرع فى دار زيد ليسرَّق دونه ويحلف أنه لم يسرقها وهو دليل على أن الكلام هو المعنى القائم بالنفس حيث سمى التدبير قولا (وَكَانَ اللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا) عالما علم إحاطة (هَٰأَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ) ها للتنبيه فى أنتم وأولاء وهما مبتدأ وخبر (جَٰدَلْتُمْ) خاصمتم وهى جملة مبينة لوقوع أولاء خبرا كقولك لبعض الأسخياء أنت حاتم تجود بمالك أو أولاء اسم موصول بمعنى الذين وجادلتم صلته والمعنى هبوا أنكم خاصمتم (عَنْهُمْ) عن طعمة وقومه (فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ اللهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ) فمن يخاصم عنهم فى الآخرة إذا أخذهم الله بعذابه. وقرئ عنه أى عن طعمة (أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا) حافظا ومحاميا من بأس الله وعذابه (وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا) ذنبا دون الشرك (أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ) بالشرك أو سوءا قبيحا يتعدى ضرره إلى الغير كما فعل طعمة بقتادة واليهودى أو يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب (ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ) يسأل مغفرته (يَجِدِ اللهَ غَفُورًا رَّحِيمًا) له وهذا بعث لطعمة على الاستغفار والتوبة (وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ) لأن وباله عليها (وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) فلا يعاقب بالذنب غير فاعله (وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓئَةً) صغيرة (أَوْ إِثْمًا) أو كبيرة أو الأول ذنب بينه وبين ربه والثانى ذنب فى مظالم العباد (ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيٓئًا) كما رمى طعمة زيدا (فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَٰنًا) كذبا عظيما (وَإِثْمًا مُّبِينًا) ذنبا ظاهرا وهذا لأنه بكسب الإثم آثم وبرمى البرئ باهت فهو جامع بين الأمرين، والبهتان كذب يبهت من قيل عليه ما لا علم له به (وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ) أى عصمته ولطفه من الإطلاع على سرهم (لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ) من بنى ظفر أو المراد بالطائفة بنو ظفر الضمير فى منهم يعود إلى الناس (أَن يُضِلُّوكَ) عن القضاء بالحق وتوخى طريق العدل مع علمهم بأن الجانى صاحبهم (وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ) لأن وباله عليهم (وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ) لأنك إنما عملت بظاهر الحال وما كان يخطر ببالك أن الحقيقة على خلاف ذلك (وَأَنزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ) القرآن (وَالْحِكْمَةَ) والسنة (وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ) من أمور الدين والشرائع أو من خفيات الأمور وضمائر القلوب (وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا) فيما علمك وأنعم عليك (لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ) من تناجى الناس (إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ)

إلا نجوى من أمر وهو مجرور بدل من كثير أو من نجواهم أو منصوب على الانقطاع بمعنى ولكن من أمر بصدقة ففى نجواه الخير (أَوْ مَعْرُوفٍ) أى قرض أو إغاثة ملهوف أو كل جميل أو المراد بالصدقة الزكاة وبالمعروف التطوع (أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ النَّاسِ) أى إصلاح ذات البين (وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ) المذكور (ابْتِغَآءَ مَرْضَاتِ اللهِ) طلب رضا الله وخرج عنه من فعل ذلك رياء أو ترؤسا وهو مفعول له والإشكال أنه قال إلا من أمر ثم قال ومن يفعل ذلك والجواب أنه ذكر الأمر بالخير ليدل به على فاعله لأنه إذا دخل الآمر به فى زمرة الخيرين كان الفاعل فيهم أدخل ثم قال ومن يفعل ذلك فذكر الفاعل وقرن به الوعد بالأجر العظيم أو المراد ومن يأمر بذلك فعبر عن الأمر بالفعل (فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) يؤتيه أبو عمرو وحمزة (وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ) ومن يخالف الرسول من بعد وضوح الدليل وظهور الرشد (وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ) أى السبيل الذى هم عليه من الدين الحنيفى وهو دليل على أن الإجماع حجة لا تجوز مخالفتها كما لا تجوز مخالفة الكتاب والسنة لأن الله تعالى جمع بين اتباع غير سبيل المؤمنين وبين مشاقة الرسول فى الشرط وجعل جزاءه الوعيد الشديد فكان اتباعهم واجبا كموالاة الرسول (نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ) نجعله واليا لما تولى من الضلال وندعه وما اختاره فى الدنيا (وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ) فى العقبى (وَسَآءَتْ مَصِيرًا) قيل هى فى طعمة وارتداده (إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ) مر تفسيره فى هذه السوره (وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا بَعِيدًا) عن الصواب (إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ) مايعبدون من دون الله (إِلَّآ إِنَٰثًا) جمع أنثى وهى اللات والعزى ومناة ولم يكن حى من العرب إلا ولهم صنم يعبدونه يسمونه أنثى بنى فلان وقيل كانوا يقولون فى أصنامهم هن بنات الله (وَإِن يَدْعُونَ) يعبدون (إِلَّا شَيْطَٰنًا) لأنه هو الذى أغراهم على عبادة الأصنام فأطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة (مَّرِيدًا) خارجا عن الطاعة عاريا عن الخير ومنه الأمرد (لَّعَنَهُ اللهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ) صفتان يعنى شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الشنيع (مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا) مقطوعا واجبا لى من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون وواحد لله (وَلَأُضِلَّنَّهُمْ) بالدعاء إلى الضلالة والتزيين والوسوسة ولو كان إنفاذ الضلالة إليه لأضل الكل (وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ) ولألقين فى قلوبهم الأمانى الباطلة من طول الأعمار

وبلوغ الآمال (وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ الْأَنْعَـٰمِ) البتك: القطع. والتبتيك للتكثير والتكرير أى لأحملنهم على أن يقطعوا آذان الأنعام وكانوا يشقون آذان الناقة إذا ولدت خمسة أبطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا على أنفسهم الانتفاع بها (وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ) بفقء عين الحامى وإعفائه عن الركوب أو بالخصاء وهو مباح فى البهائم محظور فى بنى آدم أو بالوشم أو بنفى الأنساب واستلحاقها أو بتغيير الشيب بالسواد أو بالتحريم والتحليل أو بالتخنث أو بتبديل فطرة الله التى هى دين الإسلام لقوله لا تبديل لخلق الله. (وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَـٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ) وأجاب إلى مادعاه إليه (فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا) فى الدارين (يَعِدُهُمْ) يوسوس إليهم أن لا جنة ولا نار ولا بعث ولا حساب (وَيُمَنِّيهِمْ) ما لا ينالون (وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُورًا) هو أن يرى شيئا يظهر خلافه (أُوْلَـٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا) معدلا ومفرا (وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ) ولم يتبعوا الشيطان فى الأمر بالكفر (سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا) وقرأ النخعى سيدخلهم (وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا) مصدران الأول مؤكد لنفسه والثانى مؤكد لغيره (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا) قولا وهو استفهام بمعنى النفى أى لا أحد أصدق منه وهو تأكيد ثالث وفائدة هذه التوكيدات مقابلة مواعيد الشيطان الكاذبة لقرنائه بوعد الله الصادق لأوليائه (لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ) ليس الأمر على شهواتكم وأمانيكم أيها المشركون أن تنفعكم الأصنام (وَلَا أَمَانِىِّ أَهْلِ الْكِتَـٰبِ) ولا على شهوات اليهود والنصارى حيث قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه. لن تمسنا النار إلا أياما معدودة. (مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ) أى من المشركين وأهل الكتاب بدليل قوله (وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا) وهذا وعيد للكفار لأنه قال بعده (وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّـٰلِحَـٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ) فقوله وهو مؤمن حال ومن الأولى للتبعيض والثانية لبيان الإبهام فى من يعمل وفيه إشارة إلى أن الأعمال ليست من الإيمان (فَأُوْلَـٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ) يُدخَلون مكى وأبو عمرو وأبو بكر (وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا) قدر النقير وهو النقرة فى ظهر النواة والراجع فى ولا يظلمون لعمال السوء وعمال الصالحات جميعا وجاز أن يكون ذكره عند أحد الفريقين دليلا على ذكره عند الآخر وقوله: من يعمل سوءا يجز به. وقوله: ومن يعمل من الصالحات. بعد ذكر تمنى أهل الكتاب كقوله: بلى من كسب

سيئة وأحاطت به خطيئته.وقوله: والذين آمنوا وعملوا الصالحات. عقيب قوله: وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة . (وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ) أخلص نفسه لله وجعلها سالمة له لا يعرف لها ربا ولا معبودا سواه (وَهُوَ مُحْسِنٌ) عامل للحسنات (وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا) مائلا عن الأديان الباطلة وهو حال من المتبع أو من ابراهيم (وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا) هو فى الأصل المخال وهو الذى يخالك أى يوافقك فى خلالك أو يداخلك خلال منزلك أويسد خللك كما يسد خلله فالخلة صفاء مودة توجب الاختصاص بتخلل الأسرار والمحبة أصفى لأنها من حبة القلب وهى جملة اعتراضية لا محل لها من الإعراب كقوله والحوادث جمة. وفائدتها تأكيد وجوب اتباع ملته وطريقته لأن من بلغ من الزلفى عند الله أن اتخذه خليلا كان جديرا بأن تتبع ملته وطريقته ولو جعلتها معطوفة على الجمل قبلها لم يكن لها معنى وفى الحديث «اتخذ الله إبراهيم خليلا لإطعامه الطعام وإفشائه السلام وصلاته بالليل والناس نيام» وقيل أوحى إليه إنما اتخذتك خليلا لأنك تحب أن تعطى ولا تعطى وفى رواية لأنك تعطى الناس ولا تسألهم وفى قوله (وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) دليل على أن اتخاذه خليلا لاحتياج الخليل إليه لا لاحتياجه تعالى إليه لأنه منزه عن ذلك (وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا) عالما (وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَآءِ) ويسألونك الإفتاء فى النساء والإفتاء تبيين المبهم (قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى النِّسَآءِ) أى الله يفتيكم والمتلو فى الكتاب أى القرآن فى معنى اليتامى يعنى قوله: وإن خفتم أن لا تقسطوا فى اليتامى. وهو من قولك أعجبنى زيد وكرمه وما يتلى فى محل الرفع بالعطف على الضمير فى يفتيكم أو على لفظ الله وفى يتامى النساء صلة يتلى أى يتلى عليكم فى معناهن ويجوز أن يكون فى يتامى النساء بدلا من فيهن والإضافة بمعنى من (الَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ) ما فرض لهن من الميراث وكان الرجل منهم يضم اليتيمة إلى نفسه ومالها فإن كانت جميلة تزوجها وأكل المال وإن كانت دميمة عضلها عن التزوج حتى تموت فيرثها (وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ) أى فى أن تنكحوهن لجمالهن أو عن أن تنكحوهن لدمامتهن (وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَٰنِ) أى اليتامى وهو مجرور معطوف على يتامى النساء وكانوا فى الجاهلية إنما يورثون الرجال القوام بالأمور دون الأطفال والنساء (وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَٰمَىٰ) مجرور كالمستضعفين بمعنى يفتيكم

في يتامى النساء وفي المستضعفين وفي أن تقوموا أو منصوب بمعنى ويأمركم أن تقوموا وهو خطاب للأئمة في أن ينظروا لهم ويستوفوا لهم حقوقهم (بِالْقِسْطِ) بالعدل في ميراثهم ومالهم (وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ) شرط وجوابه (فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيماً) أي فيجازيكم عليه (وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا) توقعت منه ذلك لما لاح لها من مخايله وأمارته. والنشوز أن يتجافى عنها بأن يمنعها نفسه ونفقته وأن يؤذيها بسبب أو ضرب (أَوْ إِعْرَاضاً) عنها بأن يقل محادثتها ومؤانستها بسبب كبر سن أو دمامة أو سوء في خلق أو خلق أو ملال أو طموح عين إلى أخرى أو غير ذلك (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا) كوفي. يصّالحا غيرهم أي يتصالحا وهو أصله فأبدلت التاء صادا وأدغمت (صُلْحًا) في معنى مصدر كل واحد من الفعلين. ومعنى الصلح أن يتصالحا على أن تطيب له نفسا عن القسمة أو عن بعضها أو تهب له بعض المهر أو كله أو النفقة (وَالصُّلْحُ خَيْرٌ) من الفرقة أو من النشوز أو من الخصومة في كل شيء أو والصلح خير من الخيور كما أن الخصومة شر من الشرور وهذه الجملة اعتراض كقوله (وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ) أي جعل الشح حاضرا لها لايغيب عنها أبدا ولا تنفك عنه يعني أنها مطبوعة عليه. والمراد أن المرأة لا تكاد تسمح بقسمها والرجل لا يكاد يسمح بأن يقسم لها إذا رغب عنها فكل واحد منهما يطلب مافيه راحته. وأحضرت يتعدى إلى مفعولين والأول الأنفس ثم حث على مخالفة الطبع ومتابعة الشرط بقوله (وَإِن تُحْسِنُوا) بالإقامة على نسائكم وإن كرهتموهن وأحببتم غيرهن وتصبروا على ذلك مراعاة لحق الصحبة (وَتَتَّقُوا) النشوز والإعراض ومايؤدي إلى الأذى والخصومة (فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ) من الإحسان والتقوى (خَبِيرًا) فيثيبكم عليه وكان عمران الخارجي من أدمّ بني آدم وامرأته من أجملهم فنظرت إليه وقالت الحمد لله على أني وإياك من أهل الجنة قال كيف؟ فقالت لأنك رزقت مثلي فشكرت ورزقت مثلك فصبرت والجنة موعودة للشاكرين والصابرين (وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَآءِ) ولن تستطيعوا العدل بين النساء والتسوية حتى لايقع ميل البتة فتمام العدل أن يسوي بينهن بالقسمة والنفقة والتعهد والنظر والإقبال والمحالمة والمفاكهة وغيرها وقيل معناه أن تعدلوا في المحبة وكان عليه السلام يقسم بين نسائه فيعدل ويقول: « هذه قسمتي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك» يعني المحبة لأن عائشة رضي الله عنها كانت أحب إليه (وَلَوْ حَرَصْتُمْ) بالغتم

فى تجرى ذلك (فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ) فلاتجوروا على المرغوب عنها كل الجور فتمنعوها قسمها من غير رضا منها يعنى أن اجتناب كل الميل فى حد اليسر فلا تُفْرطوا فيه إن وقع منكم التفريط فى العدل كله وفيه ضرب من التوبيخ وكل نصب على المصدر لأن له حكم مايضاف إليه (فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ) وهى التى ليست بذات بعل ولا مطلقة (وَإِن تُصْلِحُوا) بينهن (وَتَتَّقُوا) الجور (فَإِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا) يغفر لكم ميل قلوبكم ويرحمكم فلايعاقبكم (وَإِن يَتَفَرَّقَا) أى إن لم يصطلح الزوجان على شئ وتفرقا بالخلع أوبتطليقه إياها وإيفائه مهرها ونفقة عدتها (يُغْنِ اللهُ كُلًّا) كل واحد منهما (مِّن سَعَتِهِ) من غناه أى يرزقه زوجا خيرا من زوجه وعيشا أهنأ من عيشه (وَكَانَ اللهُ وَاسِعًا) بتحليل النكاح (حَكِيمًا) بالإذن فى السراح فالسعة الغنى والقدرة والواسع الغنى المقتدر ثم بين غناه وقدرته بقوله (وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) خلقا والمتملكون عبيده رقا (وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) هو اسم للجنس فيتناول الكتب السماوية (مِن قَبْلِكُمْ) من الأمم السالفة وهو متعلق بوصينا أو بأوتوا (وَإِيَّاكُمْ) عطف على الذين أوتوا (أَنِ اتَّقُوا اللهَ) بأن اتقوا أو تكون أن المفسرة لأن التوصية فى معنى القول ، والمعنى أن هذه وصية قديمة ما زال يوصى الله بها عباده ـ ولستم بها مخصوصين ـ لأنهم بالتقوى يسعدون عنده (وَإِن تَكْفُرُوا) عطف على اتقوا لأن المعنى أمرناهم وأمرناكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم إن تكفروا (فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللهُ غَنِيًّا) عن خلقه وعن عبادتهم (حَمِيدًا) مستحقا لأن يحمد لكثرة نعمه وإن لم يحمده أحد . وتكرير قوله : لله مافى السماوات ومافى الأرض. تقرير لما هو موجب تقواه لأن الخلق لما كان كله له وهو خالقهم ومالكهم فحقه أن يكون مطاعا فى خلقه غير معصى وفيه دليل على أن التقوى أصل الخير كله، وقوله: وإن تكفروا. عقيب التقوى دليل على أن المراد الاتقاء عن الشرك (وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللهِ وَكِيلًا) فاتخذوه وكيلا ولاتتكلوا على غيره ثم خوفهم وبين قدرته بقوله (إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ) يعدمكم (أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ) ويوجد إنسا آخرين مكانكم أوخلقا آخرين غير الإنس (وَكَانَ اللهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا) بليغ القدرة (مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا) كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة (فَعِندَ اللهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) فما له يطلب أحدهما دون الآخر والذى يطلبه

أخصهما (وَكَانَ اللهُ سَمِيعًا) للأقوال (بَصِيرًا) بالأفعال وهو وعد ووعيد (يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّٰمِينَ بِالْقِسْطِ) مجتهدين فى إقامة العدل حتى لا تجوروا (شُهَدَآءَ) خبر بعد خبر (لِلَّهِ) أى تقيمون شهاداتكم لوجه الله (وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ) ولو كانت الشهادة على أنفسكم والشهادة على نفسه هى الإقرار على نفسه لأنه فى معنى الشهادة عليها بإلزام الحق وهذا لأن الدعوى والشهادة والإقرار يشترك جميعها فى الإخبار عن حق لأحد على أحد غير أن الدعوى إخبار عن حق لنفسه على الغير، والإقرار للغير على نفسه، والشهادة للغير على الغير (أَوِ الْوَٰلِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ) أى ولو كانت الشهادة على آبائكم وأمهاتكم وأقاربكم (إِن يَكُنْ) المشهود عليه (غَنِيًّا) فلايمنع الشهادة عليه لغناه طلبا لرضاه (أَوْ فَقِيرًا) فلايمنعها ترحما عليه (فَاللهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا) بالغنى والفقير أى بالنظر لهما والرحمة وإنما ثنى الضمير فى بهما وكان حقه أن يوحد لأن المعنى إن يكن أحدهذين لأنه يرجع إلى مادل عليه قوله: غنيا أو فقيرا. وهو جنس الغنى والفقير كأنه قيل فالله أولى بجنسى الغنى والفقير أى بالأغنياء والفقراء (فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰٓ) إرادة (أَن تَعْدِلُوا) عن الحق من العدول أو كراهة أن تعدلوا بين الناس من العدل (وَإِن تَلُوُا) بواو واحدة وضم اللام شامى وحمزة من الولاية (أَوْ تُعْرِضُوا) أى وإن وليتم إقامة الشهادة أو أعرضتم عن إقامتها . غيرهما تلووا بواوين وسكون اللام من اللى أى وإن تلووا ألسنتكم عن شهادة الحق أو حكومة العدل أو تعرضوا عن الشهادة بماعندكم وتمنعوها (فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) فيجازيكم عليه (يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا) خطاب للسلمين (ءَامِنُوا) اثبتوا على الإيمان ودوموا عليه أو لأهل الكتاب لأنهم آمنوا ببعض الكتب والرسل وكفروا ببعض أو للمنافقين أى ياأيها الذين آمنوا نفاقا آمنوا إخلاصا (بِاللهِ وَرَسُولِهِ) أى محمد ﷺ (وَالْكِتَـٰبِ الَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ) أى الفرقان (وَالْكِتَـٰبِ الَّذِى أَنزَلَ مِن قَبْلُ) أى جنس ما أنزل على الأنبياء قبله من الكتب ويدل عليه قوله وكتبه. نزل وأنزل بالبناء للمفعول مكى وشامى وأبوعمرو، وعلى البناء للفاعل فيهما غيرهم وإنما قيل نزل على رسوله وأنزل من قبل لأن الفرقان نزل مفرقا منجما فى عشرين سنة بخلاف الكتب قبله (وَمَن يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) أى ومن يكفر بشىء من ذلك (فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا بَعِيدًا) لأن الكفر ببعضه كفر بكله (إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا) بموسى عليه السلام (ثُمَّ

كَفَرُوا) حين عبدوا العجل (ثُمَّ ءَامَنُوا) بموسى بعد عوده (ثُمَّ كَفَرُوا) بعيسى عليه السلام (ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا) بكفرهم بمحمد ﷺ (لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا) إلى النجاة أو إلى الجنة أو هم المنافقون آمنوا فى الظاهر وكفروا فى السر مرة بعد أخرى وازدياد الكفر منهم ثباتهم عليه إلى الموت يؤيده قوله (بَشِّرِ الْمُنَـٰفِقِينَ) أى أخبرهم ووضع بشر مكانه تهكما بهم (بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) مؤلما (الَّذِينَ) نصب على الذم أورفع بمعنى أريد الذين أو هم الذين (يَتَّخِذُونَ الْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ)كان المنافقون يوالون الكفرة يطلبون منهم المنعة والنصرة ويقولون: لايتم أمر محمد عليه السلام (فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا) ولمن أعزه كالنبي عليه السلام والمؤمنين كما قال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين (وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ) بفتح النون عاصم وبضمها غيره (فِى الْكِتَـٰبِ) القرآن (أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَـٰتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِ) حتى يشرعوا فى كلام غير الكفر والاستهزاء بالقرآن و.الخوض: الشروع وأن مخففة من الثقيلة أى أنه إذا سمعتم أى نزل عليكم أن الشأن كذا. والشأن ما أفادته الجملة بشرطها وجزائها وأن مع ما فى حيزها فى موضع الرفع بنُزِّل أو فى موضع النصب بنَزَّل والمنزل عليهم فى الكتاب هو ما نزل عليهم بمكة من قوله: وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره. وذلك أن المشركين كانوا يخوضون فى ذكر القرآن فى مجالسهم فيستهزئون به فنهى المسلمين عن القعود معهم ماداموا خائضين فيه وكان المناقفون بالمدينة يفعلون نحو فعل المشركين بمكة فنهوا أن يقعدوا معهم كما نهوا عن مجالسة المشركين بمكة (إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ) أى فى الوزر إذا مكثتم معهم ولم يرد به التمثيل من كل وجه فإن خوض المنافقين فيه كفر ومكث هؤلاء معهم معصية (إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَـٰفِقِينَ وَالْكَـٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا) لاجتماعهم فى الكفر والاستهزاء (الَّذِينَ) بدل من الذين يتخذون أوصفة للمنافقين أونصب على الذم منهم (يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ) ينتظرون بكم مايتجدد لكم من ظفر أو إخفاق (فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ) نصرة وغنيمة (قَالُوٓا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ) مظاهرين فأشركونا فى الغنيمة (وَإِن كَانَ لِلْكَـٰفِرِينَ نَصِيبٌ) سمى ظفر المسلمين

فتحا تعظيما لشأنهم لأنه أمرعظيم تفتح له أبواب السماء وظفر الكافرين نصيبا تخسيسا لحظهم لأنه لُظة من الدنيا يصيبونها (قَالُوٓا) للكافرين (أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ) ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فأبقينا عليكم ، والاستحواذ الاستيلاء والغلبة (وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ) بأن ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ماضعفت قلوبهم به ومرضوا عن قتالكم وتوانينا فى مظاهرتهم عليكم فهاتوا نصيبا لنا مما أصبتم (فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ) أيها المؤمنون والمنافقون (يَوْمَ الْقِيَامَةِ) فيدخل المنافقين النار والمؤمنين الجنة (وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا) أى فى القيامة بدليل أول الآية كذا عن على رضى الله عنه أوحجة كذا عن ابن عباس رضى الله عنهما (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ) أى يفعلون مايفعل المخادع من إظهار الإيمان وإبطان الكفر. والمنافق من أظهر الإيمان وأبطن الكفر أو أولياء الله وهم المؤمنون فأضاف خداعهم إلى نفسه تشريفا لهم (وَهُوَ خَادِعُهُمْ) وهو فاعل بهم ما يفعل الغالب فى الخداع حيث تركهم معصومى الدماء والأموال فى الدنيا وأعد لهم الدرك الأسفل من النار فى العقبى والخادع اسم فاعل من خادعته فخدعته إذا غلبته وكنت أخدع منه وقيل يجزيهم جزاء خداعهم (وَإِذَا قَامُوٓا إِلَى الصَّلَوٰةِ قَامُوا كُسَالَىٰ) متثاقلين كراهة أما الغفلة فقد يبتلى بها المؤمن وهو جمع كسلان كسكارى فى سكران (يُرَآءُونَ النَّاسَ) حال أى يقصدون بصلاتهم الرياء والسمعة والمراءاة مفاعلة من الرؤية لأن المرائى يريهم عمله وهم يرونه استحسانا (وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا) ولا يصلون إلا قليلا لأنهم لا يصلون قط غائبين عن عيون الناس أولا يذكرون الله بالتسبيح والتهليل إلا ذكرا قليلا نادرا. قال الحسن لوكان ذلك القليل لله تعالى لكان كثيرا (مُّذَبْذَبِينَ) نصب على الذم أى مرددين يعنى ذبذبهم الشيطان والهوى بين الإيمان والكفر فهم مترددون بينهما متحيرون وحقيقة المذبذب الذى يذب عن كلا الجانبين أى يدفع فلايقر فى جانب واحد إلا أن الذبذبة فيها تكرير ليس فى الذب (بَيْنَ ذَٰلِكَ) بين الكفر والإيمان (لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ) لا منسوبين إلى هؤلاء فيكونوا مؤمنين (وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ) ولا منسوبين إلى هؤلاء فيسموا مشركين (وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا) طريقا إلى الهدى (يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا) حجة بينة فى تعذيبكم (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِى الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ) أى فى الطبق

الذي في قعر جهنم، والنار سبع دركات سميت بذلك لأنها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض وإنما كان المنافق أشد عذابا من الكافر لأنه أمن السيف في الدنيا فاستحق الدرك الأسفل في العقبى تعديلا ولأنه مثله في الكفر وضم إلى كفره الاستهزاء بالإسلام وأهله والدرك بسكون الراء كوفي غير الأعشى وبفتح الراء غيرهم وهما لغتان وذكر الزجاج أن الاختيار فتح الراء (وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا) يمنعهم من العذاب (إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا) من النفاق وهو استثناء من الضمير المجرور في ولن تجد لهم نصيرا (وَأَصْلَحُوا) ما أفسدوا من أسرارهم وأحوالهم في حال النفاق (وَاعْتَصَمُوا بِاللهِ) ووثقوا به كما يثق المؤمنون الخلص (وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلهِ) لا يبتغون بطاعتهم إلا وجهه (فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ) فهم أصحاب المؤمنين ورفاقهم في الدارين (وَسَوْفَ يُؤْتِ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً) فيشاركونهم فيه وحذفت الياء في الخط هنا إتباعا للفظ ثم استفهم مقررا أنه لا يعذب المؤمن الشاكر فقال (مَّا يَفْعَلُ اللهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ) لله (وَءَامَنتُمْ) به فما منصوبة بيفعل أي أي شيء يفعل بعذابكم فالإيمان معرفة المنعم والشكر الاعتراف بالنعمة والكفر بالمنعم والنعمة عناد فلذا استحق الكافر العذاب وقدم الشكر على الإيمان لأن العاقل ينظر إلى ما عليه من النعمة العظيمة في خلقه وتعريضه للمنافع فيشكر شكرا مبهما فإذا انتهى به النظر إلى معرفة المنعم آمن به ثم شكر شكرا مفصلا فكان الشكر متقدما على الإيمان (وَكَانَ اللهُ شَاكِراً) يجزيكم على شكركم أو يقبل اليسير من العمل ويعطي الجزيل من الثواب (عَلِيماً) عالما بما تصنعون (لَا يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ) ولا غير الجهر ولكن الجهر أفحش (إِلاَّ مَن ظُلِمَ) إلا جهر من ظلم استثنى من الجهر الذي لا يحبه الله جهر المظلوم وهو أن يدعو على الظالم ويذكره بما فيه من السوء . وقيل الجهر بالسوء من القول هو الشتم إلا من ظلم فإنه إن رد عليه مثله فلا حرج عليه ولمن انتصر بعد ظلمه (وَكَانَ اللهُ سَمِيعاً) لشكوى المظلوم (عَلِيماً) بظلم الظالم ثم حث على العفو وأن لا يجهر أحد لأحد بسوء وإن كان على وجه الانتصار بعد ما أطلق الجهر به حثا على الأفضل وذكر إبداء الخير وإخفاءه تشبيبا للعفو فقال (إِن تُبْدُوا خَيْرًا) مكان جهر السوء (أَوْ تُخْفُوهُ) فتعملوه سرا ثم عطف العفو عليهما فقال (أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ) أي تمحوه عن قلوبكم والدليل على أن العفو هو المقصود بذكر إبداء الخير وإخفائه قوله (فَإِنَّ اللهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا)

أى إنه لم يزل عفوا عن الآثام مع قدرته على الانتقام فعليكم أن تقتدوا بسنته (إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ) كاليهود كفروا بعيسى ومحمد عليهما السلام والإنجيل والقرآن وكالنصارى كفروا بمحمد ﷺ والقرآن (وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا) أى دينا وسطا بين الإيمان والكفر ولا واسطة بينهما (أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ) هم الكاملون فى الكفر لأن الكفر بواحد كفر بالكل (حَقًّا) تأكيد لمضمون الجملة كقولك هذا عبد الله حقا أى حق ذلك حقا وهو كونهم كاملين فى الكفر أو هو صفة لمصدر الكافرين أى هم الذين كفروا كفرا حقا ثابتا يقينا لاشك فيه (وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا) فى الآخرة (وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ) وإنما جاز دخول بين على أحد لأنه عام فى الواحد المذكر والمؤنث وتثنيتهما وجمعهما (أُوْلَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ) وبالياء حفص (أُجُورَهُمْ) أى الثواب الموعود لهم (وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا) يستر السيئات (رَّحِيمًا) يقبل الحسنات، والآية تدل على بطلان قول المعتزلة فى تخليد المرتكب الكبيرة لأنه أخبر أن من آمن بالله ورسله ولم يفرق بين أحد منهم يؤتيه أجره ومرتكب الكبيرة ممن آمن بالله ورسله ولم يفرق بين أحد فيدخل تحت الوعد وعلى بطلان قول من لا يقول بقدم صفات الفعل من المغفرة والرحمة لأنه قال: وكان الله غفورا رحيما. وهم يقولون ما كان الله غفورا رحيما فى الأزل ثم صار غفورا رحيما ولما قال فنحاص وأصحابه للنبى ﷺ إن كنت نبيا صادقا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى به موسى عليه السلام نزل (يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ) وبالتخفيف مكى وأبو عمرو (كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ) أى جملة كما نزلت التوراة جملة وإنما اقترحوا ذلك على سبيل التعنت وقال الحسن ولو سألوه مسترشدين لأعطاهم لأن إنزال القرآن جملة ممكن (فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ) هذا جواب شرط مقدر معناه إن استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى أكبر من ذلك وإنما أسند السؤال إليهم وقد وجد من آبائهم فى أيام موسى عليه السلام وهم النقباء السبعون لأنهم كانوا على مذهبهم وراضين بسؤالهم (فَقَالُوٓا أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً) عيانا أى أرنا نره جهرة (فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ) العذاب الهائل أو النار المحرقة (بِظُلْمِهِمْ) على أنفسهم بسؤال شىء فى غير موضعه أو بالتحكم على نبيهم فى الآيات وتعنتهم فى سؤال الرؤية

لا بسؤال الرؤية لأنها ممكنة كإنزال القرآن جملة ولو كان ذلك بسبب سؤال الرؤية لكان موسى بذلك أحق فإنه قال رب أرنى أنظر إليك وما أخذته الصاعقة بل أطمعه وقيده بالممكن ولا يعلق بالممكن إلا ما هو ممكن الثبوت ثم أحياهم (ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ) إلها (مِن بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ الْبَيِّنَـٰتُ) التوراة والمعجزات التسع (فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ) تفضلا ولم نستأصلهم (وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا) حجة ظاهرة على من خالفه (وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَـٰقِهِمْ) بسبب ميثاقهم ليخافوا فلا ينقضوه (وَقُلْنَا لَهُمُ) والطور مطل عليهم (ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا) أى ادخلوا باب إيلياء مطأطئين عند الدخول رؤوسكم (وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا) لا تجاوزوا الحد تعدُّوا ورش تعدوا بإسكان العين وتشديد الدال مدنى غير ورش وهما مدغما تعتدوا وهى قراءة أبى إلا أنه أدغم التاء فى الدال وأبقى العين ساكنة فى رواية وفى رواية نقل فتح التاء إلى العين (فِى السَّبْتِ) بأخذ السمك (وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا) عهداً مؤكداً (فَبِمَا نَقْضِهِم) أى فبنقضهم وما مزيدة للتوكيد والباء يتعلق بقوله حرمنا عليهم طيبات تقديره حرمنا عليهم طيبات بنقضهم ميثاقهم وقوله فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله فبما نقضهم (مِّيثَـٰقَهُمْ) ومعنى التوكيد تحقيق أن تحريم الطيبات لم يكن إلا بنقض العهد وما عطف عليه من الكفر وقتل الأنبياء وغير ذلك (وَكُفْرِهِم بِـَٔايَـٰتِ اللَّهِ) أى معجزات موسى عليه السلام (وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَآءَ) كزكريا ويحيى وغيرهما (بِغَيْرِ حَقٍّ) بغير سبب يستحقون به القتل (وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ) جمع أغلف أى محجوبة لا يتوصل إليها شىء من الذكر والوعظ (بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ) هو رد وإنكار لقولهم قلوبنا غلف (فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا) كعبدالله بن سلام وأصحابه (وَبِكُفْرِهِمْ) معطوف على فبما نقضهم أو على ما يليه من قوله بكفرهم ولما تكرر منهم الكفر لأنهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد ﷺ عطف بعض كفرهم على بعض (وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَـٰنًا عَظِيمًا) هو النسبة إلى الزنا (وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ) سمى مسيحا لأن جبريل عليه السلام مسحه بالبركة فهو ممسوح أو لأنه كان يمسح المريض والأكمه والأبرص فيبرأ فسمى مسيحاً بمعنى الماسح (عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ) هم لم يعتقدوه رسول الله لكنهم قالوا استهزاء كقول الكفار لرسولنا يا أيها الذى نزل عليه الذكر إنك

لمجنون ويحتمل أن الله وصفه بالرسول وإن لم يقولوا ذلك (وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ) روى أن رهطاً من اليهود سبوه وسبوا أمه فدعا عليهم اللهم أنت ربى وبكلمتك خلقتنى اللهم العن من سبنى وسب والدتى فمسخ الله من سبهما قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فأخبره الله بأنه يرفعه إلى السماء ويطهره من صحبة اليهود فقال لأصحابه أيكم يرضى أن يلقى عليه شبهى فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل منهم: أنا، فألقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجل ينافق عيسى فلما أرادوا قتله قال أنا أدلكم عليه فدخل بيت عيسى ورفع عيسى وألقى الله شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون أنه عيسى وجاز هذا على قوم متعنتين حكم الله بأنهم لايؤمنون ، وشبه مسند إلى الجار والمجرور وهو لهم كقولك خيل إليه كأنه قيل ولكن وقع لهم التشبيه أو مسند إلى ضمير المقتول لدلالة إنا قتلنا عليه كأنه قيل ولكن شبه لهم من قتلوه (وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ) فى عيسى يعنى اليهود قالوا إن الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا أو اختلف النصارى قالوا إله وابن إله وثالث ثلاثة (لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ) استثناء منقطع لأن اتباع الظن ليس من جنس العلم يعنى ولكنهم يتبعون الظن وإنما وصفوا بالشك وهو أن لايترجح أحد الجانبين ثم وصفوا بالظن وهو أن يترجح أحدهما لأن المراد أنهم شاكون مالهم به من علم ولكن إن لاحت لهم أمارة فظنوا فذاك وقيل وإن الذين اختلفوا فيه أى فى قتله لفى شك منه أى من قتله لأنهم كانوا يقولون إن كان هذا عيسى فأين صاحبنا وإن كان هذا صاحبنا فأين عيسى (وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا) أى قتلا يقينا أو ما قتلوه متيقنين أو ما قتلوه حقا فيجعل يقينا تأكيدا لقوله وما قتلوه أى حق انتفاء قتله حقا (بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ) إلى حيث لا حكم فيه لغير الله أو إلى السماء (وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا) فى انتقامه من اليهود (حَكِيمًا) فيما دبر من رفعه إليه (وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ) ليؤمنن به جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره وإن من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن به ونحوه وما منا إلا له مقام معلوم والمعنى وما من اليهود والنصارى أحد إلا ليؤمنن قبل موته بعيسى عليه السلام وبأنه عبدالله ورسوله يعنى إذا عاين قبل أن تزهق روحه حين لاينفعه إيمانه لانقطاع وقت التكليف أو الضميران لعيسى يعنى وإن منهم أحد إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وهم أهل الكتاب

الذين يكونون فى زمان نزوله روى أنه ينزل من السماء فى آخر الزمان فلا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهى ملة الإسلام أو الضمير فى به يرجع إلى الله أو إلى محمد ﷺ والثانى إلى الكتابى (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا) يشهد على اليهود بأنهم كذبوه وعلى النصارى بأنهم دعوه ابن الله (فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ) وهى ما ذكر فى سورة الأنعام وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية والمعنى ماحرمنا عليهم الطيبات إلا لظلم عظيم ارتكبوه وهو ما عدد قبل هذا (وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ) وبمنعهم عن الإيمان (كَثِيرًا) أى خلقا كثيرا أو صدا كثيرا (وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ) كان الربا محرما عليهم كما حرم علينا وكانوا يتعاطونه (وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ) بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة (وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ) دون من آمن (عَذَابًا أَلِيمًا) فى الآخرة (لَّٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) أى الثابتون فيه المتقون كابن سلام وأضرابه (مِنْهُمْ) من أهل الكتاب (وَالْمُؤْمِنُونَ) أى المؤمنون منهم والمؤمنون من المهاجرين والأنصار وارتفع الراسخون على الابتداء (يُؤْمِنُونَ) خبره (بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ) أى القرآن (وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ) أى سائر الكتب (وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ) منصوب على المدح لبيان فضل الصلاة وفى مصحف عبد الله والقيمون وهى قراءة مالك بن دينار وغيره (وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) مبتدأ (وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) عطف عليه والخبر (أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا) وبالياء حمزة (إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ) جواب لأهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله ﷺ أن ينزل عليهم كتاباً من السماء واحتجاج عليهم بأن شأنه فى الوحى إليه كشأن سائر الأنبياء الذين سلفوا (كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ) كهود وصالح وشعيب وغيرهم (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ) أى أولاد يعقوب (وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا) زُبورا حمزة مصدر بمعنى مفعول سمى به الكتاب المنزل على داود عليه السلام (وَرُسُلًا) نصب بمضمر فى معنى أوحينا إليك وهو أرسلنا ونبأنا (قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ) من قبل هذه السورة (وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ) سأل أبو ذر رسول الله ﷺ عن الأنبياء قال «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا» قال كم الرسل منهم قال:

«ثلثمائة وثلاثة عشر أول الرسل آدم وآخرهم نبيكم محمد ـ عليه السلام ـ وأربعة من العرب هود وصالح وشعيب ومحمد ـ عليه السلام ـ» والآية تدل على أن معرفة الرسل بأعيانهم ليست بشرط لصحة الإيمان بل من شرطه أن يؤمن بهم جميعا إذ لو كان معرفة كل واحد منهم شرطا لقص علينا كل ذلك (وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَىٰ تَكْلِيماً) أى بلا واسطة (رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ) الأوجه أن ينتصب على المدح أى أعنى رسلا ويجوز أن يكون بدلا من الأول وأن يكون مفعولا أى وأرسلنا رسلا واللام فى (لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ) يتعلق بمبشرين ومنذرين والمعنى أن إرسالهم إزاحة للعلة وتتميم لإلزام الحجة لئلا يقولوا لولا أرسلت إلينا رسولا فيوقظنا من سنة الغفلة وينبهنا بما وجب الانتباه له ويعلمنا ما سبيل معرفته السمع كالعبادات والشرائع أعنى فى حق مقاديرها وأوقاتها وكيفياتها دون أصولها فإنها مما يعرف بالعقل (وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا) فى العقاب على الإنكار (حَكِيمًا) فى بعث الرسل للإنذار ولما نزل إنا أوحينا إليك قالوا ما نشهد لك بهذا فنزل (لَّٰكِنِ اللهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ) ومعنى شهادة الله بما أنزل إليه إثباته لصحته بإظهار المعجزات كما تثبت الدعاوى بالبينات إذ الحكيم لا يؤيد الكاذب بالمعجزة (أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ) أى أنزله وهو عالم بأنك أهل لإنزاله إليك وأنك مبلغه أو أنزله بما علم من مصالح العباد وفيه نفى قول المعتزلة فى إنكار الصفات فإنه أثبت لنفسه العلم (وَالْمَلَٰئِكَةُ يَشْهَدُونَ) لك بالنبوة (وَكَفَىٰ بِاللهِ شَهِيدًا) شاهداً وإن لم يشهد غيره (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) بتكذيب محمد ﷺ وهم اليهود (وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللهِ) ومنعوا الناس عن سبيل الحق بقولهم للعرب إنا لا نجده فى كتابنا (قَدْ ضَلُّوا ضَلَٰلًا بَعِيدًا) عن الرشد (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالله (وَظَلَمُوا) محمداً عليه السلام بتغيير نعته وإنكار نبوته (لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ) ماداموا على الكفر (وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا) وكان تخليدهم فى جهنم سهلا عليه، والتقدير يعاقبهم خالدين فهو حال مقدرة والآيتان فى قوم علم الله أنهم لا يؤمنون ويموتون على الكفر (يَٰأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ) أى بالإسلام أو هو حال أى محقا (فَـَٔامِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ) وكذلك انتهوا خيراً لكم انتصابه بمضمر وذلك أنه لما بعثهم على الإيمان وعلى الانتهاء عن التثليث علم أنه يحملهم على أمر فقال خيراً لكم أى اقصدوا وأتوا أمراً خيراً

لكم مما أنتم فيه من الكفر والتثليث وهو الإيمان به والتوحيد (وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ) فلا يضره كفركم (وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا) بمن يؤمن وبمن يكفر (حَكِيمًا) لا يسوى بينهما فى الجزاء (يَٰأَهْلَ الْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ) لا تجاوزوا الحد فغلت اليهود فى حط المسيح عن منزلته حتى قالوا إنه ابن الزنا وغلت النصارى فى رفعه عن مقداره حيث جعلوه ابن الله (وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ) وهو تنزيهه عن الشريك والولد (إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ) لا ابن الله (رَسُولُ اللَّهِ) خبر المبتدأ وهو المسيح وعيسى عطف بيان أو بدل (وَكَلِمَتُهُ) عطف على رسول الله وقيل له كلمة لأنه يهتدى به كما يهتدى بالكلام (أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ) حال وقد معه مرادة أى أوصلها إليها وحصلها فيها (وَرُوحٌ) معطوف على الخبر أيضاً وقيل له روح لأنه كان يحيي الموتى كما سمى القرآن روحا بقوله وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا لما أنه يحيي القلوب (مِّنْهُ) أى بتخليقه وتكوينه كقوله تعالى: وسخر لكم مافى السموات وما فى الأرض جميعاً. منه وبه أجاب علىّ بن الحسين ابن واقد غلاما نصرانيا كان للرشيد فى مجلسه حيث زعم أن فى كتابكم حجة على أن عيسى من الله (فَـَٔامِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَٰثَةٌ) خبر مبتدأ محذوف أى ولا تقولوا الآلهة ثلاثة (انتَهُوا) عن التثليث (خَيْرًا لَّكُمْ) والذى يدل عليه القرآن التصريح منهم بأن الله والمسيح ومريم ثلاثة آلهة وأن المسيح ولد الله من مريم ألا ترى إلى قوله: أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلٰهين من دون الله. وقالت النصارى المسيح ابن الله (إِنَّمَا اللَّهُ) مبتدأ (إِلَٰهٌ) خبره (وَٰحِدٌ) توكيد (سُبْحَٰنَهُۥ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ) أسبحه تسبيحا من أن يكون له ولد (لَّهُۥ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) بيان لتنزهه مما نسب إليه بمعنى أن كل مافيهما خلقه وملكه فكيف يكون بعض ملكه جزءا منه إذ البنوة والملك لا يجتمعان على أن الجزء إنما يصح فى الأجسام وهو يتعالى عن أن يكون جسما (وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا) حافظا ومدبرا لهما ولما فيهما، ومن عجز عن كفاية أمر يحتاج إلى ولد يعينه ولما قال وفد نجران لرسول الله ﷺ لم تعيب صاحبنا عيسى قال وأى شيء أقول قالوا تقول إنه عبد الله ورسوله قال إنه ليس بعار أن يكون عبدا لله قالوا: بلى، نزل قوله تعالى (لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ) أى لن يأنف (أَن

يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ) هو رد على النصارى (وَلَا الْمَلَٰئِكَةُ) رد على من يعبـدهم من العرب وهو عطف على المسيح (الْمُقَرَّبُونَ) أى الـكروبيون الذين حول العرش كجبريل وميكائيل وإسرافيل ومن فى طبقتهم والمعنى ولاالملائـكة المقربون أن يكونوا عبادا لله فحذف ذلك لدلالة عبدالله عليه إيجازا وتشبثت المعتزلة والقائلون بتفضيل الملك على البشر بهذه الآية وقالوا الارتقاء إنما يكون إلى الأعلى يقال فلان لايستنكف عن خدمتى ولا أبوه ولو قال ولا عبده لم يحسن وكان معنى قوله ولا الملائـكة المقربون ولا من هو أعلى منه قدرا وأعظم منه خطرا ويدل عليه تخصيص المقربين والجواب أنا نسلم تفضيل الثانى على الأول ولـكن هذا لايمس ماتنازعنا فيه لأن الآية تدل على أن الملائكة المقربين بأجمعهم أفضل من عيسى ونحن نسلم بأن جميع الملائكة المقربين أفضل من رسول واحد من البشر. إلى هـذا ذهب بعض أهل السنة ولأن المراد أن الملائكة مع مالهم من القدرة الفائقة قدر البشر والعلوم اللوحية وتجردهم عن التولد الازدواجى رأسا لا يستنكفون عن عبادته فكيف بمن يتولد من آخر ولا يقدر على ما يقدرون ولا يعلم ما يعلمون وهذا لأن شدة البطش وسعة العلوم وغرابة التكون هى التى تورث الحمقى أمثال النصارى وهم الترفع عن العبودية حيث رأوا المسيح ولد من غير أب وهـو يبرىء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى وينبىء بما يأكلون ويدخرون فى بيوتهم فبرءوه من العبودية فقيل لهم هذه الأوصاف فى الملائكة أتم منها فى المسيح ومع هـذا لم يستنكفوا عن العبودية فكيف المسيـح والحاصل أن خواص البشر وهم الأنبياء عليهم السلام أفضل من خواص الملائكة وهم الرسل منهم ، كجبريل وميكائيل وعزرائيل ونحوهم وخواص الملائكة أفضل من عوام المؤمنين من البشر وعوام المؤمنين من البشر أفضل من عوام الملائكة ودليلنا على تفضيل البشر على الملك ابتداء أنهم قهروا نوازع الهوى فى ذات الله تعالى مع أنهم جبلوا عليها فضاهت الأنبياء عليهم السلام الملائكة عليهم السلام فى العصمة وتفضلوا عليهم فى قهر البواعث النفسانية والدواعى الجسدانية فكانت طاعتهم أشق لـكونها مع الصوارف بخلاف طاعة الملائكة لأنهم جبلوا عليها فكانت أزيد ثوابا بالحديث (وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ) يترفع ويطلب الـكبرياء (فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا) فيجازيهم على استنكافهم واستكبارهم ثم فصل فقال (فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ

(وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا) فإن قلت التفصيل غير مطابق للمفصل لأن التفصيل اشتمل على الفريقين والمفصل على فريق واحد ، قلت هو مثل قولك جمع الإمام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج عليه نكل به. وصحة ذلك لوجهين أحدهما أنه حذف ذكر أحد الفريقين لدلالة التفصيل عليه لأن ذكر أحدهما يدل على ذكر الثانى كما حذف أحدهما فى التفصيل فى قوله تعالى بعد هذا : فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به. والثانى أن الإحسان إلى غيرهم مما يغمهم فكان داخلا فى جملة التنكيل بهم فكأنه قيل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيعذب بالحسرة إذا رأى أجور العاملين وبما يصيبه من عذاب الله (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ) أى رسول يبهر المنكر بالإعجاز (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا) قرآنا يستضاء به فى ظلمات الحيرة (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ) بالله أو بالقرآن (فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ) أى جنة (وَفَضْلٍ) زيادة النعمة (وَيَهْدِيهِمْ) ويرشدهم (إِلَيْهِ) إلى الله أو إلى الفضل أو إلى صراطه (صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا) فصراطا حال من المضاف المحذوف (يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ) كان جابر بن عبد الله مريضا فعاده رسول الله ﷺ فقال إنى كلالة فكيف أصنع فى مالى فنزلت (إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ) ارتفع امرؤ بمضمر يفسره الظاهر ومحل (لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ) الرفع على الصفة أى إن هلك امرؤ غير ذى ولد والمراد بالولد الابن وهو مشترك يقع على الذكر والأنثى لأن الابن يسقط الأخت ولا تسقطها البنت (وَلَهُ أُخْتٌ) أى لأب وأم أو لأب (فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ) أى الميت (وَهُوَ يَرِثُهَا) أى الأخ يرث الأخت جميع مالها إن قدر الأمر على العكس من موتها وبقائه بعدها (إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ) أى ابن لأن الابن يسقط الأخ دون البنت فإن قلت الابن لا يسقط الأخ وحده فالأب نظيره فى الإسقاط فلم اقتصر على نفى الولد قلت بين حكم انتفاء الولد ووكل حكم انتفاء الوالد إلى بيان السنة وهو قوله عليه السلام «ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقى فلأولى عصبة ذكر» والأب أولى من الأخ (فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ) أى فإن كانت الأختان اثنتين دل على ذلك وله أخت (فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً) أى وإن كان من يرث بالإخوة. والمراد بالإخوة الإخوة والأخوات تغليبا لحكم الذكورة (رِّجَالًا وَنِسَاءً) ذكورا وإناثا (فَلِلذَّكَرِ) منهم (مِثْلُ

حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ) الحق فهو مفعول يبين (أن تَضِلُّوا) كراهة أن تضلوا (وَاللهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ) يعلم الأشياء بكنهها قبل كونها وبعده .

﴿ سورة المائدة مدنية وهى مائة وعشرون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) يقال وفى بالعهد وأوفى به والعقد العهد الموثق شبه بعقد الحبل ونحوه وهى عقود الله التى عقدها على عباده وألزمها إياهم من مواجب التكليف أوماعقد الله عليكم أوماتعاقدتم بينكم والظاهر أنها عقود الله عليهم فى دينه من تحليل حلاله وتحريم حرامه وأنه كلام قدم مجملا ثم عقب بالتفصيل وهو قوله (أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ) والبهيمة كل ذات أربع قوائم فى البر والبحر وإضافتها إلى الأنعام للبيان وهى بمعنى من كخاتم فضة ومعناه البهيمة من الأنعام وهى الأزواج الثمانية وقيل بهيمة الأنعام: الظباء وبقر الوحش ونحوها (إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ) آية تحريمه وهو قوله حرمت عليكم الميتة الآية (غَيْرَ مُحِلِّى الصَّيْدِ) حال من الضمير فى لكم أى أحلت لكم هذه الأشياء لامحلين الصيد (وَأَنتُمْ حُرُمٌ) حال من محلى الصيد كأنه قيل أحللنا لكم بعض الأنعام فى حال امتناعكم من الصيد وأنتم محرمون لئلا يضيق عليكم والحرم جمع حرام وهو المحرم (إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ) من الأحكام أو من التحليل والتحريم ونزل نهيا عن تحليل ما حرم (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللهِ) جمع شعيرة وهى اسم ما أشعر أى جعل شعارا وعلما للنسك به من مواقف الحج ومرامى الجمار والمطاف والمسعى والأفعال التى هى علامات الحاج يعرف بها من الإحرام والطواف والسعى والحلق والنحر (وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ) أى أشهر الحج (وَلَا الْهَدْىَ) وهو ما أهدى إلى البيت وتقرب به إلى الله تعالى من النسائك وهو جمع هدية (وَلَا الْقَلَائِدَ) جمع قلادة وهى ماقلد به الهدى من نعل أو عروة مزادة أو لحاء شجر أوغيره (وَلَا ءَامِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ) ولا تحلوا قوما قاصدين المسجد الحرام وهم الحجاج والعمار وإحلال هذه الأشياء أن يتهاون بحرمة الشعائر وأن يحال بينها وبين المتنسكين بها وأن يحدثوا فى أشهر الحج مايصدون به الناس عن الحج وأن يتعرضوا للهدى بالغصب أو بالمنع من بلوغ محله وأما

القلائد فجاز أن يراد بها ذوات القلائد وهى البدن وتعطف على الهدى للاختصاص لأنها أشرف الهدى كقوله: وجبريل وميكال. كأنه قيل والقلائد منها خصوصا، وجاز أن ينهى عن التعرض لقلائد الهدى مبالغة فى النهى عن التعرض للهدى أى ولا تحلوا قلائدها فضلا أن تحلوها كما قال ولا يبدين زينتهن فنهى عن إبداء الزينة مبالغة فى النهى عن إبداء مواقعها (يَبْتَغُونَ) حال من الضمير فى آمين (فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ) أى ثوابا (وَرِضْوَانًا) وأن يرضى عنهم أى لا تتعرضوا لقوم هذه صفتهم تعظيما لهم (وَإِذَا حَلَلْتُمْ) خرجتم من الإحرام (فَاصْطَادُوا) إباحة للاصطياد بعد حظره عليهم بقوله غير محلى الصيد وأنتم حرم (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَئَانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا) جرم مثل كسب فى تعديته إلى مفعول واحد واثنين تقول جرم ذنبا نحو كسبه وجرمته ذنبا نحو كسبته إياه، وأول المفعولين ضمير المخاطبين والثانى أن تعتدوا وأن صدوكم متعلق بالشنآن بمعنى العلة وهو شدة البغض، وبسكون النون شامى وأبوبكر، والمعنى ولا يكسبنكم بغض قوم لأن صدوكم الاعتداء ولا يحملنكم عليه. إن صدوكم على الشرط مكى وأبو عمرو ويدل على الجزاء ماقبله وهو لايجر منكم ومعنى صدهم إياكم عن المسجد الحرام منع أهل مكة رسول الله ﷺ والمؤمنين يوم الحديبية عن العمرة ومعنى الاعتداء الانتقام منهم بإلحاق مكروه بهم (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ) على العفو والإغضاء (وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) على الانتقام والتشفى، أو البر فعل المأمور والتقوى ترك المحظور والإثم ترك المأمور والعدوان فعل المحظور ويجوز أن يراد العموم لكل بر وتقوى ولكل إثم وعدوان فيتناول بعمومه العفو والانتصار (وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) لمن عصاه وما اتقاه ثم بين ما كان أهل الجاهلية يأكلونه فقال (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ) أى البهيمة التى تموت حتف أنفها (وَالدَّمُ) أى المسفوح وهو السائل (وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ) وكله نجس وإنما خص اللحم لأنه معظم المقصود (وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ) أى رفع الصوت به لغير الله وهو قولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه (وَالْمُنْخَنِقَةُ) التى خنقوها حتى ماتت أو انخنقت بالشبكة أو غيرها (وَالْمَوْقُوذَةُ) التى أثخنوها ضربا بعصا أو حجر حتى ماتت (وَالْمُتَرَدِّيَةُ) التى تردت من جبل أو فى بئر فماتت (وَالنَّطِيحَةُ) المنطوحة وهى التى نطحتها أخرى فماتت بالنطح (وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ) بعضه ومات بجرحه (إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ) إلا

ما أدركتم ذكاته وهو يضطرب اضطراب المذبوح والاستثناء يرجع إلى المنخنقة وما بعدها فإنه إذا أدركها وبها حياة فذبحها وسمى عليها حلت (وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ) كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها يعظمونها بذلك ويتقربون إليها تسمى الأنصاب واحدها نصب أو هو جمع والواحد نصاب (وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ) فى موضع الرفع بالعطف على الميتة أى حرمت عليكم الميتة وكذا وكذا والاستقسام بالأزلام وهى القداح المعلمة واحدها زلم وزلم، كان أحدهم إذا أراد سفرا أو غزوا أو تجارة أو نكاحا أو غير ذلك يعمد إلى قداح ثلاثة على واحد منها مكتوب أمرنى ربى وعلى الآخر نهانى والثالث غُفُلٌ فإن خرج الآمر مضى لحاجته وإن خرج الناهى أمسك وإن خرج الغفل أعاده، فمعنى الاستقسام بالأزلام طلب معرفة ما قسم له مما لم يقسم له بالأزلام قال الزجاج لا فرق بين هـذا وبين قول المنجمين لا تخرج من أجل نجم كذا واخرج لطلوع نجم كذا وفى شرح التأويلات رد هذا وقال لا يقول المنجم إن نجم كذا يأمر بكذا ونجم كذا ينهى عن كذا كما كان فعل أولئك ولـكن المنجم جعل النجوم دلالات وعلامات على أحكام الله تعالى ويجوز أن يجعل الله فى النجوم معانى وأعلاما يدرك بها الأحكام ويستخرج بها الأشياء ولالائمة فى ذلك إنما اللائمة عليه فيما يحكم على الله ويشهد عليه، وقيل هو الميسر وقسمتهم الجزور على الانصباء المعلومة (ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ) الاستقسام بالأزلام خروج عن الطاعة ويحتمل أن يعود إلى كل محرم فى الآية (الْيَوْمَ) ظرف ليئس ولم يرد به يوم بعينه وإنما معناه الآن وهذا كما تقول أنا اليوم قد كبرت تريد الآن وقيل أريد يوم نزولها وقـد نزلت يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر فى حجة الوداع (يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ) يئسوا منه أن يبطلوه أو يئسوا من دينكم أن يغلبوه لأن الله تعالى وفى بوعده من إظهاره على الدين كله (فَلَا تَخْشَوْهُمْ) بعد إظهار الدين وزوال الخوف من الـكفار وانقلابهم مغلوبين بعدما كانوا غالبين (وَاخْشَوْنِ) بغير ياء فى الوصل والوقف أى أخلصوا لى الخشية (الْيَوْمَ) ظرف لقوله (أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) بأن كفيتم خوف عدوكم وأظهرتكم عليهم كما يقول الملوك اليوم كمل لنا الملك أى كفينا من كنا نخافه أو أكملت لـكم ما تحتاجون إليه فى تكليفكم من تعليم الحلال والحرام والتوقيف على شرائع الإسلام وقوانين القياس (وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي) بفتح مكة ودخولها آمنين ظاهرين

وهدم منار الجاهلية ومناسكهم (وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَٰمَ دِيناً) حال . اخترته لكم من بين الأديان وآذنتكم بأنه هو الدين المرضى وحده . ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلم يقبل منه (فَمَنِ اضْطُرَّ) متصل بذكر المحرمات وقوله ذلكم فسق اعتراض أكدبه معنى التحريم وكذا ما بعده لأن تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والإسلام المنعوت بالرضا دون غيره من الملل ومعناه فمن اضطر إلى الميتة أو إلى غيرها (فِي مَخْمَصَةٍ) مجاعة (غَيْرَ) حال (مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ) مائل إلى إثم أى غير متجاوز سد الرمق (فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ) لا يؤاخذه بذلك (رَّحِيمٌ) بإباحة المحظور للمعذور (يَسْـَٔلُونَكَ) فى السؤال معنى القول فلذا وقع بعده (مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ) كأنه قيل يقولون لك ماذا أحل لهم وإنما لم يقل ماذا أحل لنا حكاية لما قالوا لأن يسألونك بلفظ الغيبة كقولك أقسم زيد ليفعلن ولو قيل لأفعلن وأحل لنا لكان صوابا وماذا مبتدأ وأحل لهم خبره كقولك أى شئ أحل لهم ومعناه ماذا أحل لهم من المطاعم كأنهم حين تلى عليهم ما حرم عليهم من خبيثات المآكل سألوا عما أحل لهم منها فقال (قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَٰتُ) أى ماليس بخبيث منها أو هو كل مالم يأت تحريمه فى كتاب الله أو سنة أو إجماع أو قياس (وَمَا عَلَّمْتُم) عطف على الطيبات أى أحل لكم الطيبات وصيد ما علمتم فحذف المضاف أو تجعل ماشرطية وجوابها فكلوا (مِّنَ الْجَوَارِحِ) أى الكواسب للصيد من سباع البهائم والطير كالكلب والفهد والعقاب والصقر والبازى والشاهين، وقيل هى من الجراحة فيشترط للحل الجرح (مُكَلِّبِينَ) حال من علمتم وفائدة هذه الحال مع أنه استغنى عنها بعلمتم أن يكون من يعلم الجوارح موصوفا بالتكليب والمكلب مؤدب الجوارح ومعلمها مشتق من الكلب لأن التأديب فى الكلاب أكثر فاشتق من لفظه لكثرته فى جنسه أو لأن السبع يسمى كلبا ومنه الحديث «اللهم سلط عليه كلبا من كلابك» فأكله الأسد (تُعَلِّمُونَهُنَّ) حال أو استئناف ولا موضع له وفيه دليل على أن على كل آخذ علما أن لا يأخذه إلا من أقتل أهله علما وأنحرهم دراية فكم من آخذ عن غير متقن قد ضيع أيامه وعض عند لقاء النحارير أنامله (مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللهُ) من التكليب (فَكُلُوا مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ) الإمساك على صاحبه أن لا يأكل منه فإن أكل منه لم يؤكل إذا كان صيد كلب ونحوه فأما صيد البازى ونحوه فأكله لا يحرمه وقد عرف فى موضعه والضمير فى (وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ) يرجع

إلي ما أمسكن على معنى وسموا عليه إذا أدركتم ذكاته أو إلى ماعلمتم من الجوارح أى سموا عليه عند إرساله (وَاتَّقُوا اللَّهَ) واحذروا مخالفة أمره فى هذا كله (إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) إنه محاسبكم على أفعالكم ولا يلحقه فيه لبث (الْيَوْمَ) الآن (أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ) كررهتأ كيدا للمنة (وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ) أى ذبائحهم لأن سائر الأطعمة لا يختص حلها بالملة (وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ) فلا جناح عليكم أن تطعموهم لأنه لو كان حراما عليهم طعام المؤمنين لماساغ لهم إطعامهم (وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ) هى الحرائر أو العفائف وليس هـذا بشرط لصحة النكاح بل هو للاستحباب لأنه يصح نكاح الإماء من المسلمات ونكاح غير العفائف. وتخصيصهن بعث على تخير المؤمنين لنطفهم وهو معطوف على الطيبات أو مبتدأ والخبر محذوف أى والمحصنات من المؤمنات حل لكم (وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ) هن الحرائر الكتابيات أو العفائف الكتابيات (إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ) أعطيتموهن مهورهن (مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ) متزوجين غيرزانين (وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ) صدائق والخدن يقع على الذكر والأنثى (وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ) بشرائع الإسلام وما أحل الله وحرم (فَقَدْ حَبِطَ) بطل (عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ) أى إذا أردتم القيام إلى الصلاة كقوله فإذا قرأت القرآن أى إذا أردت أن تقرأ القرآن فعبر عن إرادة الفعل بالفعل لأن الفعل مسبب عن الإرادة فأقيم المسبب مقام السبب للملابسة بينهما طلبا للإيجاز، ونحوه كما تدين تدان عبر عن الفعل الابتدائى الذى هو سبب الجزاء بلفظ الجزاء الذى هو مسبب عنه، وتقديره وأنتم محدثون عن ابن عباس رضى الله عنهما أو من النوم لأنه دليل الحدث وكان رسول الله ﷺ والصحابة يتوضئون لكل صلاة وقيل كان الوضوء لكل صلاة واجبا أول مافرض ثم نسخ (وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ) إلى تفيد معنى الغاية مطلقا فأما دخولها فى الحكم وخروجها فأمر يدور مع الدليل فما فيه دليل على الخروج فنظرة إلى ميسرة لأن الإعسار علة الإنظار وبوجود الميسرة تزول العلة ولو دخلت الميسرة فيه لكان منظرا فى الحالتين معسرا وموسرا وكذلك أتموا الصيام إلى الليل لو دخل الليل لوجب الوصال ومما فيه دليل على الدخول قولك حفظت القرآن من أوله إلى آخره لأن الكلام مسوق لحفظ القرآن كله ومنه قوله تعالى من

المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى لوقوع العلم بأنه عليه السلام لا يسرى به إلى بيت المقدس من غير أن يدخله وقوله إلى المرافق لا دليل فيه على أحد الأمرين فأخذ الجمهور بالاحتياط فحكموا بدخولها فى الغسل وأخذ زفر وداود بالمتيقن فلم يدخلاها وعن النبى ﷺ أنه كان يدير الماء على مرفقيه (وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ) المراد إلصاق المسح بالرأس وماسح بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح برأسه فأخذ مالك بالاحتياط فأوجب الاستيعاب والشافعى باليقين فأوجب أقل ما يقع عليه اسم المسح وأخذنا ببيان النبى عليه السلام وهو ما روى أنه مسح على ناصيته وقدرت الناصية بربع الرأس (وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ) بالنصب شامى ونافع وعلى وحفص والمعنى فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وأرجلكم إلى الكعبين وامسحوا برءوسكم على التقديم والتأخير. غيرهم بالجر بالعطف على الرءوس لأن الأرجل من بين الأعضاء الثلاثة المغسولة تغسل بصب الماء عليها فكانت مظنة للإسراف المنهى عنه فعطفت على الممسوح لا لتمسح ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد فى صب الماء عليها وقيل إلى الكعبين فجىء بالغاية إماطة لظن ظان يحسبها ممسوحة لأن المسح لم تضرب له غاية فى الشريعة، وقال فى جامع العلوم إنها مجرورة للجوار وقد صح أن النبى عليه السلام رأى قوما يمسحون على أرجلهم فقال «ويل للأعقاب من النار» وعن عطاء والله ما علمت أن أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ مسح على القدمين وإنما أمر بغسل هذه الأعضاء ليطهرها من الأوساخ التى تتصل بها لأنها تبدو كثيرا والصلاة خدمة الله تعالى والقيام بين يديه متطهرا من الأوساخ أقرب إلى التعظيم فكان أكمل فى الخدمة كما فى الشاهد إذا أراد أن يقوم بين يدى الملك ولهذا قيل إن الأولى أن يصلى الرجل فى أحسن ثيابه وإن الصلاة متعمما أفضل من الصلاة مكشوف الرأس لما أن ذلك أبلغ فى التعظيم (وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا) فاغسلوا أبدانكم (وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم) قال الرازى معناه وجاء حتى لا يلزم المريض والمسافر التيمم بلا حدث (مِّنَ الْغَائِطِ) المكان المطمئن وهو كناية عن قضاء الحاجة (أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ) جامعتم (فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ) فى باب الطهارة حتى لا يرخص لكم فى التيمم (وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ)

بالتراب إذا أعوزكم التطهر بالماء (وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ) وليتم برخصه إنعامه عليكم بعزائمه (لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) نعمته فيثيبكم (وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ) بالإسلام (وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا) أى عاقدكم به عقداوثيقا وهو الميثاق الذى أخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله ﷺ على السمع والطاعه فى حال اليسر والعسر والمنشط والمكره فقبلوا وقالواسمعنا وأطعنا وقيل هو الميثاق ليلة العقبة وفى بيعة الرضوان (وَاتَّقُوا اللهَ) فى نقض الميثاق (إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) بسرائر الصدور من الخير والشر وهو وعد ووعيد (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِالْقِسْطِ) بالعدل (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَئَانُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا) عدى يجرمنكم بحرف الاستعلاء مضمنا معنى فعل يتعدى به كأنه قيل ولا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم (اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ) أى العدل أقرب إلى التقوى. نهاهم أولا أن تحملهم البغضاء على ترك العدل ثم استأنف فصرح لهم بالأمر بالعدل تأكيدا وتشديدا ثم استأنف فذكر لهم وجه الأمر بالعدل وهو قوله: تعالى هو أقرب للتقوى. وإذا كان وجوب العدل مع الكفار بهذه الصفة من القوة فماالظن بوجوبه مع المؤمنين الذين هم أولياؤه (وَاتَّقُوا اللهَ) فيما أمر ونهى (إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) وعد ووعيد ولذا ذكر بعدها آية الوعد وهو قوله تعالى (وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) وعد يتعدى إلى مفعولين فالأول الذين آمنوا والثانى محذوف استغنى عنه بالجملة التى هى قوله (لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ) والوعيد وهو قوله (وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِـَٔايَاتِنَآ أُوْلَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) أى لا يفارقونها (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ) روى أن رسول الله ﷺ أتى بنى قريظة ومعه الشيخان أبو بكر وعمر والختنان يستقرضهم دية مسلمين قتلهما عمرو بن أمية الضمرى خطأ يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا أبا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فأجلسوه فى صفة وهموا بالفتك به وعمد عمرو بن جحاش إلى رحى عظيمة يطرحها عليه فأمسك الله يده ونزل جبريل فأخبره بذلك فخرج النبى ﷺ ونزلت الآية. إذ ظرف للنعمة (أَن يَبْسُطُوٓا) بأن يبسطوا (إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ) بالقتل يقال بسط لسانه إليه إذا شتمه وبسط إليه يده إذا بطش به ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء ومعنى بسط اليد مدها إلى المبطوش به (فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ) فمنعها أن تمد إليكم (وَاتَّقُوا

اللهَ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) فإنه الكافى والدافع والمانع (وَلَقَدْ أَخَذَ اللهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَىْ عَشَرَ نَقِيباً) هو الذى ينقب عن أحوال القوم ويفتش عنها. ولما استقر بنو إسرائيل بمصر بعد هلاك فرعون أمرهم الله بالمسير إلى أريحاء أرض الشام وكان يسكنها الكنعانيون الجبابرة وقال لهم إنى كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا إليها وجاهدوا من فيها وإنى ناصركم وأمر الله موسى عليه السلام أن يأخذ من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما أمروا به توثقة عليهم فاختار النقباء وأخذ الميثاق على بنى إسرائيل وتكفل لهم به النقباء وسار بهم فلما دنا من أرض كنعان بعث النقباء يتجسسون فرأوا أجراما عظيمة وقوة وشوكة فهابوا ورجعوا فحدثوا قومهم وقد نهاهم أن يحدثوهم فنكثوا الميثاق إلا كالب بن يوقنا ويوشع بن نون وكانا من النقباء (وَقَالَ اللهُ إِنِّى مَعَكُمْ) أى ناصركم ومعينكم. وتقف هنا لابتدائك بالشرط الداخل عليه اللام الموطئة للقسم وهو (لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ الزَّكَوٰةَ) وكانتا فريضتين عليهم (وَءَامَنتُم بِرُسُلِى) من غير تفريق بين أحد منهم (وَعَزَّرْتُمُوهُمْ) وعظمتموهم أو نصرتموهم بأن تردّوا عنهم أعداءهم، والعزر فى اللغة الردّ ويقال عزرت فلانا أى أدّبته يعنى فعلت به ما يردعه عن القبيح كذا قاله الزجاج (وَأَقْرَضْتُمُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا) بلا منّ وقيل هو كل خير واللام فى (لَأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ) جواب للقسم وهذا الجواب سادّ مسد جواب القسم والشرط جميعا (وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ) أى بعد ذلك الشرط المؤكد المتعلق بالوعد العظيم (فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ السَّبِيلِ) أخطأ طريق الحق نعم من كفر قبل ذلك فقد ضل سواء السبيل أيضا ولكن الضلال بعده أظهر وأعظم (فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ) ما مزيد لإفادة تفخيم الأمر (لَعَنَّٰهُمْ) طردناهم وأخرجناهم من رحمتنا أو مسخناهم أو ضربنا عليهم الجزية (وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً) يابسة لا رحمة فيها ولا لين. قسيّة حمزة وعلى أى رديئة من قولهم: درهم قسى أى ردىء (يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ) يفسرونه على غير ما أنزل وهو بيان لقسوة قلوبهم لأنه لا قسوة أشد من الافتراء على الله وتغيير وحيه (وَنَسُوا حَظًّا) وتركوا نصيبا جزيلا وقسطا وافيا (مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ) من التوراة يعنى أن تركهم وإعراضهم عن التوراة إغفال حظ عظيم أو قست قلوبهم وفسدت فحرفوا التوراة وزلت أشياء منها عن

حفظهم . عن ابن مسعود رضى الله عنه: قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية وقيل تركوا نصيب أنفسهم مما أمروا به من الإيمان بمحمد ﷺ وبيان نعته (وَلَا تَزَالُ) يا محمد (تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ) أى هذه عادتهم وكان عليها أسلافهم كانوا يخونون الرسل وهؤلاء يخونونك ويهمون بالفتك بك ، وقوله على خائنة أى على خيانة أو على فعلة ذات خيانة أو على نفس أو فرقة خائنة ويقال رجل خائنة كقولهم رجل راوية الشعر للمبالغة (إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ) وهم الذين آمنوا منهم (فَاعْفُ عَنْهُمْ) بعث على مخالفتهم أو فاعف عن مؤمنيهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم (وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) ومن فى قوله (وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ) وهو الإيمان بالله والرسل وأفعال الخير يتعلق بأخذنا أى وأخذنا من الذين قالوا إنا نصارى ميثاقهم فقدم على الفعل الجار والمجرور وفصل بين الفعل والواو بالجار والمجرور وإنما لم يقل من النصارى لأنهم إنما سموا أنفسهم بذلك ادعاء لنصر الله وهم الذين قالوا لعيسى: نحن أنصار الله ثم اختلفوا بمدنسطورية ويعقوبية وملكانية أنصارا للشيطان (فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا) فألصقنا وألزمنا من غرى بالشىء إذا لزمه ولصق به ومنه الغراء الذى يلصق به (بَيْنَهُمُ) بين فرق النصارى المختلفين (الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ) بالأهواء المختلفة (وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) أى فى القيامة بالجزاء والعقاب (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ) خطاب لليهود والنصارى، والكتاب للجنس (قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا) محمد عليه السلام (يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ) من نحو صفة رسول الله ﷺ ومن نحو الرجم (وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ) مما تخفونه لا يبينه أو يعفو عن كثير منكم لا يؤاخذه (قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ) يريد القرآن لكشفه ظلمات الشرك والشك ولإبانته ما كان خافيا على الناس من الحق أو لأنه ظاهر الإعجاز أو النور محمد عليه السلام لأنه يهتدى به كما سمى سراجا (يَهْدِي بِهِ اللَّهُ) أى بالقرآن (مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ) من آمن منهم (سُبُلَ السَّلَامِ) طرق السلامة والنجاة من عذاب الله أو سبل الله فالسلام السلامة أو الله (وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام (بِإِذْنِهِ) بإرادته وتوفيقه (وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ) معناه بت القول على أن الله هو المسيح لا غير

قيل كان في النصارى قوم يقولون ذلك أو لأن مذهبهم يؤدي إليه حيث إنهم اعتقدوا أنه يخلق ويحيي ويميت (قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا) فمن يمنع من قدرته ومشيئته شيئا (إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا) أى إن أراد أن يهلك من دعوه إلها من المسيح وأمه يعني أن المسيح عبد مخلوق كسائر العباد وعطف من في الأرض جميعا على المسيح وأمه إبانة أنهما من جنسهم لا تفاوت بينهما وبينهم، والمعنى أن من اشتمل عليه رحم الأمومية متى يفارقه نقص البشرية ومن لاحت عليه شواهد الحدثية أنى يليق به نعت الربوبية ولو قطع البقاء عن جميع ما أوجد لم يعد نقص إلى الصمدية (وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ) أى يخلق من ذكر وأنثى ويخلق من أنثى بلا ذكر كما خلق عيسى ويخلق من ذكر من غير أنثى كما خلق حواء من آدم ويخلق من غير ذكر وأنثى كما خلق آدم أو يخلق ما يشاء كخلق الطير على يد عيسى معجزة له فلا اعتراض عليه لأنه الفعال لما يريد (وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ) أى أعزة عليه كالابن على الأب أو أشياع ابني الله عزير والمسيح كما قيل لأشياع أبي خبيب وهو عبد الله بن الزبير الخبيبيون وكما كان يقول رهط مسيلمة نحن أبناء الله ويقول أقرباء الملك وحشمه نحن أبناء الملوك أو نحن أبناء رسل الله (قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم) أى فإن صح أنكم أبناء الله وأحباؤه فلم تعذبون بذنوبكم بالمسخ والنار أياما معدودة على زعمكم وهل يمسخ الأب ولده وهل يعذب الوالد ولده بالنار ثم قال ردا عليهم (بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ) أى أنتم خلق من خلقه لا بنوه (يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ) لمن تاب عن الكفر فضلا (وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ) من مات عليه عدلا (وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ) فيه تنبيه على عبودية المسيح لأن الملك والبنوة متنافيان (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا) محمد عليه السلام (يُبَيِّنُ لَكُمْ) أى الشرائع وحذف لظهوره أو ما كنتم تخفون وحذف لتقدم ذكره أولا يقدر المبين ويكون المعنى يبذل لكم البيان وهو حال أى مبينا لكم (عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ) متعلق بجاءكم أى جاءكم على حين فتور من إرسال الرسل وانقطاع من الوحي وكان بين عيسى ومحمد عليهما السلام ستمائة سنة أو خمسمائة سنة وستون سنة (أَن تَقُولُوا) كراهة أن تقولوا (مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ) والفاء في (فَقَدْ جَاءَكُم) متعلق بمحذوف

أى لا تعتذروا فقد جاءكم (بَشِيرٌ) للمؤمنين (وَنَذِيرٌ) للكافرين والمعنى الامتنان عليهم بأن الرسول بعث إليهم حين انطمست آثار الوحى أحوج ما يكونون إليه ليهشوا إليه ويعدوه أعظم نعمة من الله وتلزمهم الحجة فلا يعتلوا غدا بأنه لم يرسل إليهم من ينبههم من غفلتهم (وَاللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ) فكان قادرا على إرسال محمد عليه السلام ضرورة (وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَٰقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَآءَ) لأنه لم يبعث فى أمة ما بعث فى بنى إسرائيل من الأنبياء (وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا) لأنه ملكهم بعد فرعون ملكه وبعد الجبابرة ملكهم ولأن الملوك تكاثروا فيهم تكاثر الأنبياء وقيل الملك من له مسكن واسع فيه ماء جار وكانت منازلهم واسعة فيها مياه جارية وقيل من له بيت وخدم أو لأنهم كانوا مملوكين فى أيدى القبط فأنقذهم الله فسمى إنقاذهم ملكا (وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَٰلَمِينَ) من فلق البحر وإغراق العدو وإنزال المن والسلوى وتظليل الغمام ونحو ذلك من الأمور العظام أو أراد عالمى زمانهم (يَٰقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ) أى المطهرة أو المباركة وهى أرض بيت المقدس أو الشام (الَّتِى كَتَبَ اللهُ لَكُمْ) قسمها لكم أو سماها أو كتب فى اللوح المحفوظ أنها مساكن لكم (وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ) ولا ترجعوا على أعقابكم مدبرين منهزمين من خوف الجبابرة جبنا أو لا ترتدوا على أدباركم فى دينكم (فَتَنقَلِبُوا خَٰسِرِينَ) فترجعوا خاسرين ثواب الدنيا والآخرة (قَالُوا يَٰمُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ) الجبار فعال من جبره على الأمر بمعنى أجبره عليه وهو العاتى الذى يجبر الناس على ما يريد (وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا) بالقتال (حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا) بغير قتال (فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا) بلا قتال (فَإِنَّا دَٰخِلُونَ) بلادهم حينئذ (قَالَ رَجُلَانِ) كالب ويوشع (مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ) الله ويخشونه كأنه قيل رجلان من المتقين وهو فى محل الرفع صفة لرجلان وكذا (أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا) بالخوف منه (ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ) أى باب المدينة (فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ) أى انهزموا وكانت الغلبة لكم وإنما علما ذلك بإخبار موسى عليه السلام (وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوٓا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) إذ الإيمان به يقتضى التوكل عليه وهو قطع العلائق وترك التملق للخلائق (قَالُوا يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ) هذا نفى لدخولهم فى المستقبل على وجه التوكيد (أَبَدًا) تعليق للنفى المؤكد بالدهر المتطاول (مَّا دَامُوا فِيهَا) بيان للأبد (فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ) من العلماء

من حمله على الظاهر وقال إنه كفر منهم وليس كذلك إذ لو قالوا ذلك اعتقادا وكفروا به لحاربهم موسى ولم تكن مقاتلة الجبارين أولى من مقاتلة هؤلاء ولكن الوجه فيه أن يقال فاذهب أنت وربك يعينك على قتالك أو وربك أى وسيدك وهو أخوك الأكبر هارون أولم يرد به حقيقة الذهاب ولكن كما تقول كلمته فذهب يجيبنى تريد معنى الإرادة كأنهم قالوا أريدا قتالهم (فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ) ما كثون لانقاتلهم لنصرة دينكم فلما عصوه وخالفوه (قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ) لنصرة دينك (إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى) وهو منصوب بالعطف على نفسي أو على اسم إن أى إنى لا أملك إلانفسى وإن أخى لايملك إلانفسه أو مرفوع بالعطف على محل إن واسمها أو على الضمير فى لا أملك وجاز للفصل أى ولا يملك أخى إلا نفسه أو هو مبتدأ والخبر محذوف أى وأخى كذلك وهذا من البث والشكوى إلى الله ورقة القلب التى بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة وكأنه لم يثق بالرجلين المذكورين كل الوثوق فلم يذكر إلا النبى المعصوم أو أراد ومن يؤاخينى على دينى (فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَـٰسِقِينَ) فافصل بيننا وبينهم بأن تحكم لنا بما وعدتنا وتحكم عليهم بما هم أهله وهو فى معنى الدعاء عليهم أو فباعد بيننا وبينهم وخلصنا من صحبتهم كقوله: ونجنى من القوم الظالمين (قَالَ فَإِنَّهَا) أى الأرض المقدسة (مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ) لا يدخلونها وهو تحريم منع لا تحريم تعبد كقوله وحرمنا عليه المراضع والمراد بقوله كتب الله لكم أى بشرط أن تجاهدوا أهلها فلما أبوا الجهاد قيل فإنها محرمة عليهم أو المراد فإنها محرمة عليهم (أَرْبَعِينَ سَنَةً) فإذا مضى الأربعون كان ما كتب فقد سار موسى عليه السلام بمن بقى من بنى إسرائيل وكان يوشع على مقدمته ففتحها وأقام فيها ماشاء الله ثم قبض. وأربعين ظرف التحريم والوقف على سنة أو ظرف (يَتِيهُونَ فِى الْأَرْضِ) أى يسيرون فيها متحيرين لايهتدون طريقا أربعين سنة والوقف على عليهم وإنما عوقبوا بالحبس لاختيارهم المكث فكانوا مع شدة سيرهم يصبحون حيث أمسوا ويمسون حيث أصبحوا فى ستة فراسخ ولما ندم على الدعاء عليهم قيل له (فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَـٰسِقِينَ) فلا تحزن عليهم لأنهم فاسقون قيل لم يكن موسى وهرون معهم فى التيه لأنه كان عقابا وقد سأل موسى ربه أنه يفرق بينهما وبينهم وقيل كانا معهم إلا أنه كان ذلك روحا لهما وسلاما لا عقوبة ومات

هرون فى التيه وموسى فيه بعده بسنة ومات النقباء فى التيه إلا كالب ويوشع ثم أمر الله تعالى محمداً ﷺ أن يقص على حاسديه ماجرى بسبب الحسد ليتركوه ويؤمنوا بقوله (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ) على أهل الكتاب (نَبَأَ ابْنَيْ ءادَمَ) من صلبه هابيل وقابيل أو هما رجلان من بنى إسرائيل (بِالْحَقِّ) نبأ ملتبسا بالصدق موافقا لما فى كتب الأولين أو تلاوة ملتبسة بالصدق والصحة أو واتل عليهم وأنت محق صادق (إِذْ قَرَّبَا) نصب بالنبأ أى قصتهما وحديثهما فى ذلك الوقت أو بدل من النبأ أى اتل عليهم النبأ نبأ ذلك الوقت على تقدير حذف المضاف (قُرْبَانًا) مايتقرب به إلى الله من نسيكة أو صدقة يقال قرب صدقة وتقرب بها لأن تقرب مطاوع قرب والمعنى إذ قرب كل واحد منهما قربانه دليله (فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا) قربانه وهو هابيل (وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ) قربانه وهو قابيل روى أنه أوحى الله تعالى إلى آدم أن يزوج كل واحد منهما توأمة الآخر وكانت توأمة قابيل أجمل واسمها اقليما فحسده عليها أخوه وسخط فقال لهما آدم قربا قربانا فمن أيكما قبل يتزوجها فقبل قربان هابيل بأن نزلت نار فأكلته فازداد قابيل حسدا وسخطا وتوعده بالقتل وهو قوله (قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ) أى قال لهابيل (قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) وتقديره قال لم تقتلنى قال لأن الله قبل قربانك ولم يقبل قربانى فقال إنما يتقبل الله من المتقين وأنت غير متق فإنما أوتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى لا من قبلى وعن عامر بن عبد الله أنه بكى حين حضرته الوفاة فقيل له ما يبكيك وقد كنت وكنت قال إنى أسمع الله يقول: إنما يتقبل الله من المتقين (لَئِنْ بَسَطْتَ) مددت (إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ) بماد (يَدِيَ) مدنى وأبو عمرو وحفص (إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ) قيل كان أقوى من القاتل وأبطش منه ولكن تحرج عن قتل أخيه واستسلم له خوفا من الله تعالى لأن الدفع لم يكن مباحا فى ذلك الوقت، وقيل بل كان ذلك واجبا فإن فيه إهلاك نفسه ومشاركة للقاتل فى إثمه وإنما معناه ما أنا بباسط يدى إليك مبتدئا كقصدك ذلك منى وكان هابيل عازما على مدافعته إذا قصد قتله وإنما قتله فتكا على غفلة منه إنى أخاف حجازى وأبو عمرو (إِنِّي أُرِيدُ) إِنِّيَ مدنى (أَن تَبُوءَ) أن تحتمل أو ترجع (بِإِثْمِي) بإثم قتلى إذا قتلتنى (وَإِثْمِكَ) الذى لأجله لم يتقبل قربانك وهو عقوق الأب والحسد والحقد وإنما أراد ذلك لكفره برده قضية الله تعالى أو كان ظالما وجزاء الظالم جائز أن يراد (فَتَكُونَ

مِنْ أَصْحَٰبِ النَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا الظَّٰلِمِينَ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ) فوسعته ويسرته من طاع له المرتع إذا اتسع (فَقَتَلَهُ) عند عقبة حراء أو بالبصرة والمقتول ابن عشرين سنة (فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَٰسِرِينَ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ) أى الله أو الغراب (كَيْفَ يُوَٰرِي سَوْءَةَ أَخِيهِ) عورة أخيه وما لا يجوز أن ينكشف من جسده . روى أنه أول قتيل قتل على وجه الأرض من بنى آدم ولما قتله تركه بالعراء لايدرى مايصنع به فخاف عليه السباع فحمله فى جراب على ظهره سنة حتى أروح وعكفت عليه السباع ، فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم ألقاه فى الحفرة فحينئذ (قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ) عطف على أكون (سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّٰدِمِينَ) على قتله لما تعب فيه من حمله وتحيره فى أمره ولم يندم ندم التائبين أو كان الندم توبة لنا خاصة أو على حمله لا على قتله ، وروى أنه لما قتله اسود جسده وكان أبيض فسأله آدم عن أخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذا اسود جسدك. فالسودان من ولده وما روى أن آدم رثاه بشعر فلا يصح لأن الأنبياء عليهم السلام معصومون من الشعر (مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ) بسبب ذلك وبعلته وذلك إشارة إلى القتل المذكور قيل هو متصل بالآية الأولى فيوقف على ذلك أى فأصبح من النادمين لأجل حمله ولأجل قتله وقيل هو مستأنف والوقف على النادمين ومن يتعلق بكتبنا لا بالنادمين (كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ) خصهم بالذكر وإن اشترك الكل فى ذلك لأن التوراة أول كتاب فيه الأحكام (أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا) الضمير للشأن ومن شرطية (بِغَيْرِ نَفْسٍ) بغير قتل نفس (أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ) عطف على نفس أى بغير فساد فى الأرض وهو الشرك أو قطع الطريق وكل فساد يوجب القتل (فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا) أى فى الذنب عن الحسن لأن قاتل النفس جزاؤه جهنم وغضب الله عليه والعذاب العظيم ولو قتل الناس جميعا لم يزد على ذلك (وَمَنْ أَحْيَاهَا) ومن استنقذها من أسباب الهلكة من قتل أو غرق أو حرق أو هدم أو غير ذلك (فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا) جعل قتل الواحد كقتل الجميع وكذلك الإحياء ترغيبا وترهيبا لأن المتعرض لقتل النفس إذا تصور أن قتلها كقتل الناس جميعا عظم ذلك عليه فثبطه وكذا الذى أراد إحياءها إذا تصور أن حكمه حكم إحياء جميع الناس رغب فى إحيائها (وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ) أى بنى إسرائيل (رُسُلُنَا) رسلنا

أبو عمرو (بِالْبَيِّنَـٰتِ) بالآيات الواضحات (ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ) بعد ما كتبنا عليهم أو بعد مجيء الرسل بالآيات (فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ) فى القتل لا يبالون بعظمته (إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) أى أولياء الله فى الحديث يقول الله تعالى: من أهان لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة (وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا) مفسدين ويجوز أن يكون مفعولا له أى للفساد وخبر جزاء (أَن يُقَتَّلُوٓا) وما عطف عليه وأفاد التشديد الواحد بعد الواحد ومعناه أن يقتلوا من غير صلب إن أفردوا القتل (أَوْ يُصَلَّبُوا) مع القتل إن جمعوا بين القتل وأخذ المال (أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم) إن أخذوا المال (مِّنْ خِلَٰفٍ) حال من الأيدى والأرجل أى مختلفة (أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ) بالحبس إذا لم يزيدوا على الإخافة (ذَٰلِكَ) المذكور (لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا) ذل وفضيحة (وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ) فتسقط عنهم هذه الحدود لا ما هو حق العباد (فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) يغفر لهم بالتوبة ويرحمهم فلا يعذبهم (يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ) فلا تؤذوا عباد الله (وَابْتَغُوٓا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ) هى كل ما يتوسل به أى يتقرب من قرابة أو صنيعة أو غير ذلك فاستعيرت لما يتوسل به إلى الله تعالى من فعل الطاعات وترك السيئات (وَجَٰهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا) من صنوف الأموال (وَمِثْلَهُ مَعَهُ) وأنفقوه (لِيَفْتَدُوا بِهِ) ليجعلوه فدية لأنفسهم . ولو مع ما فى حيزه خبر إن ووحد الراجع فى ليفتدوا به وقد ذكر شيئان لأنه أجرى الضمير مجرى اسم الإشارة كأنه قيل ليفتدوا بذلك(مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) فلا سبيل لهم إلى النجاة بوجه (يُرِيدُونَ) يطلبون أو يتمنون (أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ) دائم (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ) ارتفعا بالابتداء والخبر محذوف تقديره وفيما يتلى عليكم السارق والسارقة أو الخبر (فَاقْطَعُوٓا أَيْدِيَهُمَا) أى يديهما والمراد اليمينان بدليل قراءة عبد الله بن مسعود، ودخول الفاء لتضمنهما معنى الشرط لأن المعنى والذى سرق والتى سرقت فاقطعوا أيديهما والاسم الموصول يضمن معنى الشرط وبدأ بالرجل لأن السرقة من الجراءة وهى فى الرجال أكثر، وأخر الزانى لأن الزنا ينبعث من الشهوة وهى فى النساء أوفر وقطعت اليد لأنها آلة السرقة ولم تقطع آلة

الزنا تفاديا عن قطع النسل (جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا) مفعول له (نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ) أى عقوبة منه وهو بدل من جزاء (وَٱللَّهُ عَزِيزٌ) غالب لا يعارض فى حكمه (حَكِيمٌ) فيما حكم من قطع يد السارق والسارقة (فَمَن تَابَ) من السرقة (مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ) سرقته (وَأَصْلَحَ) برد المسروق (فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ) يقبل توبته (إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) يغفر ذنبه ويرحمه (أَلَمْ تَعْلَمْ) يامحمد أويامخاطب (أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ) من مات على الكفر (وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ) لمن تاب عن الكفر (وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ) من التعذيب والمغفرة وغيرهما (قَدِيرٌ) قادر وقدم التعذيب على المغفرة هنا لتقدم السرقة على التوبة (يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ) أى لاتهتم ولاتبال بمسارعة المنافقين فى الكفر أى فى إظهاره بمايلوح منهم من آثار الكيد للإسلام ومن موالاة المشركين فإنى ناصرك عليهم وكافيك شرهم يقال أسرع فيه الشيب أى وقع فيه سريعا فكذلك مسارعتهم فى الكفر وقوعهم فيه أسرع شىء إذا وجدوا فرصة لم يخطئوها (مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟) تبيين لقوله: الذين يسارعون فى الكفر (ءَامَنَّا) مفعول قالوا (بِأَفْوَٰهِهِمْ) متعلق بقالوا أى قالوا بأفواههم آمنا (وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ) فى محل النصب على الحال (وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟) معطوف على من الذين قالوا أى من المنافقين واليهود ويرتفع (سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ) على أنه خبر مبتدأ مضمر أى هم سماعون والضمير للفريقين أو سماعون مبتدأ وخبره من الذين هادوا ، وعلى هذا يوقف على قلوبهم، وعلى الأول على هادوا. ومعنى سماعون للكذب يسمعون منك ليكذبوا عليك بأن يمسخوا ماسمعوا منك بالزيادة والنقصان والتبديل والتغيير (سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ) أى سماعون منك لأجل قوم آخرين من اليهود وجّهوهم عيونا ليبلغوهم ما سمعوا منك (يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ) أى يزيلونه ويميلونه عن مواضعه التى وضعه الله فيها فيهملونه بغير مواضع بعد أن كان ذا موضع. يحرفون صفة لقوم كقوله لم يأتوك، أو خبر لمبتدأ محذوف أى هم يحرفون والضمير مردود على لفظ الكلم (يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا) المحرف المزال عن مواضعه ويقولون مثل يحرفون وجاز أن يكون حالا من الضمير فى يحرفون (فَخُذُوهُ) واعلموا أنه الحق واعملوا به (وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ) وأفتاكم محمد بخلافه (فَٱحْذَرُوا۟) فإياكم وإياه فهو الباطل . روى أن شريفا زنى بشريفة بخيبر وهما محصنان وحدهما الرجم

فى التوراة فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم ليسألوا رسول الله ﷺ عن ذلك وقالوا إن أمركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وإن أمركم بالرجم فلا تقبلوا فأمرهم بالرجم فأبوا أن يأخذوا به (وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ) ضلالته وهو حجة على من يقول يريد الله الإيمان ولا يريد الكفر (فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا) قطع رجاء محمد ﷺ عن إيمان هؤلاء (أُوْلَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ) عن الكفر لعلمه منهم اختيار الكفر وهو حجة لنا عليهم أيضا (لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ) للمنافقين فضيحة ولليهود جزية (وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) أى التخليد فى النار (سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ) كرر للتأكيد أى هم سماعون ومثله (أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ) وهو كل مالا يحل كسبه وهو من سحته إذا استأصله لأنه مسحوت البركة وفى الحديث «هو الرشوة فى الحكم» وكانوا يأخذون الرشا على الأحكام وتحليل الحرام. وبالتثقيل مكى وبصرى وعلى (فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ) قيل كان رسول الله ﷺ مخيرا إذا تحاكم إليه أهل الكتاب بين أن يحكم بينهم وبين أن لا يحكم بينهم وقيل نسخ التخيير بقوله: وأن احكم بينهم بما أنزل الله (وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا) فلن يقدروا على الإضرار بك لأن الله تعالى يعصمك من الناس (وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ) بالعدل (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) العادلين (وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ) تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه مع أن الحكم منصوص فى كتابهم الذى يدعون الإيمان به. فيها حكم الله حال من التوراة وهى مبتدأ وخبره عندهم (ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ) عطف على يحكمونك أى ثم يعرضون من بعد تحكيمك عن حكمك الموافق لما فى كتابهم لا يرضون به (وَمَا أُوْلَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ) بك أو بكتابهم كما يدعون (إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى) يهدى للحق (وَنُورٌ) يبين ما استبهم من الأحكام (يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا) انقادوا لحكم الله فى التوراة وهو صفة أجريت للنبيين على سبيل المدح وأريد بإجرائها التعريض باليهود لأنهم بعداء عن ملة الإسلام التى هى دين الأنبياء كلهم (لِلَّذِينَ هَادُوا) تابوا من الكفر، واللام يتعلق بيحكم (وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ) معطوفان على النبيون أى الزهاد والعلماء (بِمَا اسْتُحْفِظُوا) استودعوا، قيل ويجوز أن يكون بدلا من بها فى يحكم بها (مِن كِتَابِ اللَّهِ) من للتبيين والضمير

فى استحفظوا للأنبياء والربانيين والأحبار جميعا ويكون الاستحفاظ من الله أى كلفهم الله حفظه أو للربانيون والأحبار ويكون الاستحفاظ من الأنبياء (وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَآءَ) رقباء لئلا يبدل (فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ) نهى للحكام عن خشيتهم غير الله فى حكوماتهم وإمضائها على خلاف ما أمروا به من العدل خشية سلطان ظالم أو خيفة أذية أحد (وَاخْشَوْنِ) فى مخالفة أمرى وبالياء فيهما[1] سهل وافقه أبو عمرو فى الوصل (وَلَا تَشْتَرُوا بِئَايَتِى) ولا تستبدلوا بآيات الله وأحكامه (ثَمَنًا قَلِيلًا) وهو الرشوة وابتغاء الجاه ورضا الناس (وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ) مستهينا به (فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْكَٰفِرُونَ) قال ابن عباس رضى الله عنهما من لم يحكم جاحدا فهو كافر وإن لم يكن جاحدا فهو فاسق ظالم وقال ابن مسعود رضى الله عنه هو عام فى اليهود وغيرهم (وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ) وفرضنا على اليهود فى التوراة (أَنَّ النَّفْسَ) مأخوذة (بِالنَّفْسِ) مقتولة بها إذا قتلتها بغير حق (وَالْعَيْنَ) مفقوأة (بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ) مجدوع (بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ) مقطوعة (بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ) مقلوعة (بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ) أى ذات قصاص وهو المقاصة ومعناه ما يمكن فيه القصاص وإلا فحكومة عدل وعن ابن عباس رضى الله عنهما كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة فنزلت وقوله أن النفس بالنفس يدل على أن المسلم يقتل بالذمى والرجل بالمرأة والحر بالعبد. نصب نافع وعاصم وحمزة المعطوفات كلها للعطف على ما عملت فيه أن . ورفعها علىّ للعطف على محل أن النفس لأن المعنى وكتبنا عليهم النفس بالنفس إجراء لكتبنا مجرى قلنا، ونصب الباقون الكل ورفعوا الجروح. والأذن بسكون الذال حيث كان نافع والباقون بضمها وهما لغتان كالسحت والسحت (فَمَن تَصَدَّقَ) من أصحاب الحق (بِهِ) بالقصاص وعفا عنه (فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ) فالتصدق به كفارة للمتصدق بإحسانه قال عليه السلام «من تصدق بدم فما دونه كان كفارة له من يوم ولدته أمه» (وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الظَّٰلِمُونَ) بالامتناع عن ذلك (وَقَفَّيْنَا) معنى قفيت الشىء بالشىء جعلته فى أثره كأنه جعل فى قفاه يقال قفاه يقفوه إذا تبعه (عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم) على آثار النبيين الذين أسلموا (بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا) هو حال من عيسى (لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَىٰةِ) أى وآتيناه

---

(١) أى فى حالى الوقف والوصل .

الإنجيل ثابتا فيه هدى ونور ومصدقا، فنصب مصدقا بالعطف على ثابتا الذى تعلق به فيه وقام مقامه فيه وارتفع هدى ونور بثابتا الذى قام مقامه فيه (وَهُدًى وَمَوْعِظَةً) انتصبا على الحال أى هاديا وواعظا (لِّلْمُتَّقِينَ) لأنهم ينتفعون به (وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ) وقلنا لهم احكموا بموجبه فاللام لام الأمر وأصله الكسر وإنما سكن استثقالا لفتحة وكسرة وفتحة. وليحكم بكسر اللام وفتح الميم حمزة على أنها لام كى أى وقفينا ليؤمنوا وليحكم (وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْفَٰسِقُونَ) الخارجون عن الطاعة قال الشيخ أبو منصور رحمه الله يجوز أن يحمل على الجحود فى الثلاث فيكون كافرا ظالما فاسقا لأن الفاسق المطلق والظالم المطلق هو الكافر وقيل ومن لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر بنعمة الله ظالم فى حكمه فاسق فى فعله (وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الْكِتَٰبَ) أى القرآن فحرف التعريف فيه للعهد (بِالْحَقِّ) بسبب الحق وإثباته وتبيين الصواب من الخطأ (مُصَدِّقًا) حال من الكتاب (لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) لما تقدمه نزولا وإنما قيل لما قبل الشىء هو بين يديه لأن ما تأخر عنه يكون وراءه وخلفه فما تقدم عليه يكون قدامه وبين يديه (مِنَ الْكِتَٰبِ) المراد به جنس الكتب المنزلة لأن القرآن مصدق لجميع كتب الله فكان حرف التعريف فيه للجنس ومعنى تصديقه الكتب موافقتها فى التوحيد والعبادة وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا يوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون (وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ) وشاهدا لأنه يشهد له بالصحة والثبات (فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ) أى بما فى القرآن (وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ الْحَقِّ) نهى أن يحكم بما حرفوه وبدلوه اعتمادا على قولهم. ضمن ولا تتبع معنى ولا تنحرف فلذا عدى بعن فكأنه قيل ولا تنحرف عما جاءك من الحق متبعا أهواءهم أو التقدير عادلا عما جاءك (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ) أيها الناس (شِرْعَةً) شريعة (وَمِنْهَاجًا) وطريقا واضحا واستدل به من قال: إن شريعة من قبلنا لا تلزمنا. ذكر الله إنزال التوراة على موسى عليه السلام ثم إنزال الإنجيل على عيسى عليه السلام ثم إنزال القرآن على محمد ﷺ وبين أنه ليس للسماع فحسب بل للحكم به فقال فى الأول يحكم به النبيون وفى الثانى وليحكم أهل الإنجيل وفى الثالث فاحكم بينهم بما أنزل الله (وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً) جماعة متفقة على شريعة واحدة (وَلَٰكِن) أراد (لِّيَبْلُوَكُمْ) ليعاملكم معاملة المختبر (فِى مَآ ءَاتَىٰكُم) من الشرائع

المختلفة فتعبّد كل أمة بما اقتضته الحكمة (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ) فابتدروها وسابقوا نحوها قبل الفوات بالوفاة. والمراد بالخيرات كل ماأمر الله تعالى به (إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ) استئناف فى معنى التعليل لاستباق الخيرات (جَمِيعاً) حال من الضمير المجرور والعامل المصدر المضاف لأنه فى تقدير إليه ترجعون (فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) فيخبركم بمالا تشكون معه من الجزاء الفاصل بين محقكم ومبطلكم وعاملكم ومفرطكم فى العمل (وَأَنِ احْكُم) معطوف على بالحق أى وأنزلنا إليك الكتاب بالحق وبأن احكم (بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ) أى يصرفوك وهو مفعول له أى مخافة أن يفتنوك وإنما حذره وهو رسول مأمون لقطع أطماع القوم (عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا) عن الحكم بما أنزل الله إليك وأرادوا غيره (فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ) أى بذنب التولى عن حكم الله وإرادة خلافه فوضع ببعض ذنوبهم موضع ذلك وهذا الإبهام لتعظيم التولى وفيه تعظيم الذنوب فإن الذنوب بعضها مهلك فكيف بكلها (وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ) لخارجون عن أمر الله (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ) يطلبون وبالتاء شامى يخاطب بنى النضير فى تفاضلهم على بنى قريظة وقد قال لهم رسول الله ﷺ القتلى سواء فقال بنو النضير نحن لانرضى بذلك فنزلت. وسئل طاوس عن الرجل يفضل بعض ولده على بعض فقرأ هذه الآية. وناصب أفحكم الجاهلية يبغون (وَمَنْ أَحْسَنُ) مبتدأ وخبره وهو استفهام فى معنى النفى أى لا أحد أحسن (مِنَ اللهِ حُكْماً) هو تمييز واللام فى (لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ) للبيان كاللام فى هيت لك أى هذا الخطاب وهذا الاستفهام لقوم يوقنون فإنهم هم الذين يتبينون أن لا أعدل من الله ولا أحسن حكما منه وقال أبو على معنى لقوم عند قوم لأن اللام وعند يتقاربان فى المعنى ونزل نهيا عن موالاة أعداء الدين (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ) أى لا تتخذوهم أولياء تنصرونهم وتستنصرونهم وتؤاخونهم وتعاشرونهم معاشرة المؤمنين ثم علل النهى بقوله (بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) وكلهم أعداء المؤمنين وفيه دليل على أن الكفر كله ملة واحدة (وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ) من جملتهم وحكمه حكمهم وهذا تغليظ من الله وتشديد فى وجوب مجانبة المخالف فى الدين (إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) لا يرشد الذين ظلموا أنفسهم بموالاة الكفرة (فَتَرَى

الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ) نفاق (يُسَارِعُونَ) حال أو مفعول ثان لاحتمال أن يكون فترى من رؤية العين أو القلب (فِيهِمْ) فى معاونتهم على المسلمين وموالاتهم (يَقُولُونَ) أى فى أنفسهم لقوله على ما أسروا (نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ) أى حادثة تدور بالحال التى يكونون عليها (فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ) لرسول الله ﷺ على أعدائه وإظهار المسلمين (أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ) أى يؤمر النبى عليه السلام بإظهار إسرار المنافقين وقتلهم (فَيُصْبِحُوا) أى المنافقون (عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ) من النفاق (نَادِمِينَ) خبر فيصبحوا (وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا) أى يقول بعضهم لبعض عندذلك ويقولَ بصرى عطفا على أن يأتى يقول بغير واو شامى وحجازى على أنه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ فقيل يقول الذين آمنوا (أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ) أى أقسموا لكم بإغلاظ الأيمان أنهم أولياؤكم ومعاضدوكم على الكفار وجهد أيمانهم مصدر فى تقدير الحال أى مجتهدين فى توكيد أيمانهم (حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ) ضاعت أعمالهم التى عملوها رياء وسمعة لا إيمانا وعقيدة وهذا من قول الله عز وجل شهادة لهم بحبوط الأعمال وتعجيبا من سوء حالهم (فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ) فى الدنيا والعقبى لفوات المعونة ودوام العقوبة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ) من يرجع منكم عن دين الإسلام إلى ما كان عليه من الكفر يرتدد مدنى وشامى(فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ) يرضى أعمالهم ويثنى عليهم بها ويطيعونه ويؤثرون رضاه وفيه دليل نبوته عليه السلام حيث أخبرهم بما لم يكن فكان. وإثبات خلافة الصديق لأنه جاهد المرتدين وفى صحة خلافته وخلافة عمر رضى الله عنهما وسئل النبى ﷺ عنهم فضرب على عاتق سلمان وقال «هذا وذووه لو كان الإيمان معلقا بالثريا لناله رجال من أبناء فارس» والراجع من الجزاء إلى الاسم المتضمن لمعنى الشرط محذوف معناه فسوف يأتى الله بقوم مكانهم (أَذِلَّةٍ) جمع ذليل وأما ذلول فجمعه ذلل ومن زعم أنه من الذِّل الذى هو ضد الصعوبة فقد سها لأن ذلولا لا يجمع على أذلة قال الجوهرى الذل ضد العز ورجل ذليل بين الذل وقوم أذلاء وأذلة ، والذل بالكسر اللين وهو ضد الصعوبة يقال دابة ذلول ودواب ذلل (عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) ولم يقل للمؤمنين لتضمن الذل معنى الحنو والعطف كأنه قيل عاطفين

عليهم على وجه التذلل والتواضع (أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَـٰفِرِينَ) أشداء عليهم والعَزاز الأرض الصلبة فهم مع المؤمنين كالولد لوالده والعبد لسيده ومع الكافرين كالسبع على فريسته (يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ) يقاتلون الكفار وهو صفة لقوم كيحبهم وأعزة وأذلة (وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ) الواو يحتمل أن تكون للحال أى يجاهدون وحالهم فى المجاهدة خلاف حال المنافقين فإنهم كانوا موالين لليهود فإذا خرجوا فى جيش المؤمنين خافوا أولياءهم اليهود فلا يعملون شيئا مما يعلمون أنه يلحقهم فيه لوم من جهتهم وأما المؤمنون فمجاهدتهم لله لا يخافون لومة لائم وأن تكون للعطف أى من صفتهم المجاهدة فى سبيل الله وهم صلاب فى دينهم إذا شرعوا فى أمر من أمور الدين لا تزعهم لومة لائم، واللومة المرة من اللوم وفيها وفى التنكير مبالغتان كأنه قيل لا يخافون شيئا قط من لوم واحد من اللوام (ذَٰلِكَ) إشارة إلى ما وصف به القوم من المحبة والذلة والعزة والمجاهدة وانتفاء خوف اللومة (فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ وَٰسِعٌ) كثير الفواضل (عَلِيمٌ) بمن هو من أهلها عقب النهى عن موالاة من تجب معاداتهم ذكر من تجب موالاتهم بقوله (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا) وإنما يفيد اختصاصهم بالموالاة ولم يجمع الولى وإن كان المذكور جماعة تنبيها على أن الولاية لله أصل ولغيره تبع ولو قيل إنما أولياؤكم الله ورسوله والذين آمنوا لم يكن فى الكلام أصل وتبع. ومحل (الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ) الرفع على البدل من الذين آمنوا أو على هم الذين أو النصب على المدح (وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ). والواو فى (وَهُمْ رَٰكِعُونَ) للحال أى يؤتونها فى حال ركوعهم فى الصلاة قيل إنها نزلت فى على رضى الله عنه حين سأله سائل وهو راكع فى صلاته فطرح له خاتمه كأنه كان مرجا فى خنصره فلم يتكلف لخلعه كثير عمل يفسد صلاته وورد بلفظ الجمع وإن كان السبب فيه واحدا ترغيبا للناس فى مثل فعله لينالوا مثل ثوابه والآية تدل على جواز الصدقة فى الصلاة وعلى أن الفعل القليل لا يفسد الصلاة (وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا) يتخذه وليا أو يكن وليا (فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَـٰلِبُونَ) من إقامة الظاهر مقام الضمير أى فإنهم هم الغالبون أو المراد بحزب الله الرسول والمؤمنون أى ومن يتولهم فقد تولى حزب الله واعتضد بمن

لايغالب. وأصل الحزب القوم يجتمعون لأمر حزبهم أى أصابهم وروى أن رفاعة بن زيد وسويد ابن الحارث قد أظهرا الإسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فنزل (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا) يعنى اتخاذهم دينكم هزوا ولعبا لايصح أن يقابل باتخاذكم إياهم أولياء بل يقابل ذلك بالبغضاء والمنابذة (مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَـٰبَ) من للبيان (مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ) أى المشركين وهو عطف على الذين المنصوبة. والكفار بصرى وعلى عطف على الذين المجرورة أى من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الكفار (أَوْلِيَآءَ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ) فى موالاة الكفار (إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) حقا لأن الإيمان حقا يأبى موالاة أعداء الدين (وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا) أى الصلاة أو المناداة (هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ) لأن لعبهم وهزوهم من أفعال السفهاء والجهلة فكأنهم لا عقل لهم وفيه دليل على ثبوت الأذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده (قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ) يعنى هل تعيبون منا وتنكرون إلا الإيمان بالله وبالكتب المنزلة كلها (وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَـٰسِقُونَ) وهو عطف على المجرور أى ماتنقمون منا إلا الإيمان بالله وماأنزل وبأن أكثركم فاسقون والمعنى أعاديتمونا لأنا اعتقدنا توحيد الله وصدق أنبيائه وفسقكم لمخالفتكم لنا فى ذلك ويجوز أن يكون الواو بمعنى مع أى ما تنقمون منا إلا الإيمان بالله مع أنكم فاسقون (قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ) أى ثوابا وهو نصب على التميز والمثوبة وإن كانت مختصة بالإحسان ولكنها وضعت موضع العقوبة كقوله فبشرهم بعذاب أليم وكان اليهود يزعمون أن المسلمين مستوجبون للعقوبة فقيل لهم (مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ) شر عقوبة فى الحقيقة من أهل الإسلام فى زعمكم وذلك إشارة إلى المتقدم أى الإيمان أى بشر مما نقمتم من إيماننا ثوابا أى جزاء ولابد من حذف مضاف قبله أو قبل من تقديره بشر من أهل ذلك أو دين من لعنه الله (وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ) يعنى أصحاب السبت (وَٱلْخَنَازِيرَ) أى كفار أهل مائدة عيسى عليه السلام أو كلا المسخين من أصحاب السبت فشبانهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير (وَعَبَدَ ٱلطَّـٰغُوتَ) أى العجل أو الشيطان لأن عبادتهم العجل بتزيين الشيطان وهو عطف على صلة من كأنه قيل ومن عبد الطاغوت. وعبدَ الطاغوتِ حمزة جعله اسما موضوعا للمبالغة كقولهم رجل حذر وفطن

للبليغ فى الحذر والفطنة وهو معطوف على القردة والخنازير أى جعل الله منهم عبد الطاغوت (أُوْلَٰئِكَ) الممسوخون الملعونون (شَرٌّ مَّكَانًا) جعلت الشرارة للمكان وهى لأهله للمبالغة (وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ السَّبِيلِ) عن قصد الطريق الموصل إلى الجنة ونزل فى ناس من اليهود كانوا يدخلون على النبى ﷺ ويظهرون له الإيمان نفاقا (وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ) الباء للحال أى دخلوا كافرين وخرجوا كافرين وتقديره ملتبسين بالكفر وكذلك قد دخلوا وهم قد خرجوا ولذا دخلت قد تقريبا للماضى من الحال وهو متعلق بقالوا آمنا أى قالوا ذلك وهذه حالهم (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ) من النفاق (وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ) من اليهود (يُسَارِعُونَ فِى الْإِثْمِ) الكذب (وَالْعُدْوَٰنِ) الظلم أو الإثم مايختص بهم والعدوان مايتعداهم إلى غيرهم والمسارعة فى الشىء الشروع فيه بسرعة (وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ) الحرام (لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) لبئس شيئاً عملوه (لَوْلَا) هلا وهو تحضيض (يَنْهَىٰهُمُ الرَّبَّٰنِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) هذا ذم للعلماء والأول للعامة وعن ابن عباس رضى الله عنهما هى أشد آية فى القرآن حيث أنزل تارك النهى عن المنكر منزلة مرتكب المنكر فى الوعيد (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ) روى أن اليهود لعنهم الله لما كذبوا محمداً عليه السلام كف الله ما بسط عليهم من السعة وكانوا من أكثر الناس مالا فعند ذلك قال فنحاص: يد الله مغلولة ورضى بقوله الآخرون فأشركوا فيه وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ومنه قوله تعالى: ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط. ولا يقصد المتكلم به إثبات يد ولا غل ولا بسط حتى إنه يستعمل فى ملك يعطى ويمنع بالإشارة من غير استعمال اليد ولو أعطى الأقطع إلى المنكب عطاء جزلا لقالوا ماأبسط يده بالنوال وقد استعمل حيث لا تصح اليد يقال بسط البأس كفيه فى صدرى فجعل للبأس الذى هو من المعانى كفان ومن لم ينظر فى علم البيان يتحير فى تأويل أمثال هذه الآية وقوله غلت أيديهم دعاء عليهم بالبخل ومن ثم كانوا أبخل خلق الله أو تغل فى جهنم فهى كأنها غلت وإنما ثنيت اليد فى بل يداه مبسوطتان وهى مفردة فى يد الله مغلولة ليكون رد قولهم وإنكاره أبلغ وأدل على إثبات غاية السخاء له ونفى البخل عنه فغاية مايبذله السخى أن يعطيه بيديه

(يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ) تأكيد للوصف بالسخاء ودلالة على أنه لاينفق إلا على مقتضى الحكمة (وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم) من اليهود (مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا) أى يزدادون عند نزول القرآن لحسدهم تماديا فى الجحود وكفراً بآيات الله وهذا من إضافة الفعل إلى السبب كما قال فزادتهم رجسا إلى رجسهم (وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ) فكلمهم أبدا مختلف وقلوبهم شتى لايقع بينهم اتفاق ولا تعاضد (كُلَّمَآ أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ) كلما أرادوا محاربة أحد غلبوا وقهروا لم يقم لهم نصر من الله على أحد قط وقد أتاهم الإسلام وهم فى ملك المجوس وقيل كلما حاربوا رسول الله ﷺ نصر عليهم عن قتادة لاتلقى يهوديا فى بلد إلا وقد وجدته من أذل الناس (وَيَسْعَوْنَ فِى الْأَرْضِ فَسَادًا) ويجتهدون فى دفع الإسلام ومحو ذكر النبى عليه السلام من كتبهم (وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَٰبِ ءَامَنُوا) برسول الله عليه السلام وبما جاء به مع ماعددنا من سيئاتهم (وَاتَّقَوْا) أى وقرنوا إيمانهم بالتقوى (لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ) ولم نؤاخذهم بها (وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ النَّعِيمِ) مع المسلمين (وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَىٰةَ وَالْإِنجِيلَ) أى أقاموا أحكامهما وحدودها ومافيهما من نعت رسول الله ﷺ (وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ) من سائر كتب الله لأنهم مكلفون الإيمان بجميعها فكأنها أنزلت إليهم وقيل هو القرآن (لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ) يعنى الثمار من فوق رءوسهم (وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم) يعنى الزروع وهذه عبارة عن التوسعة كقولهم فلان فى النعمة من فرقه إلى قدمه ودلت الآية على أن العمل بطاعة الله تعالى سبب لسعة الرزق وهو كقوله تعالى: ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض. ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب . فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا. الآيات وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا (مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ) طائفة حالها أمم فى عداوة رسول الله عليه السلام وقيل هى الطائفة المؤمنة وهم عبد الله بن سلام وأصحابه وثمانية وأربعون من النصارى (وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ) فيه معنى التعجب كأنه قيل وكثير منهم ما أسوأ عملهم وقيل هم كعب بن الأشرف وأصحابه وغيرهم (يَٰٓأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ) جميع ما أنزل إليك وأى شىء أنزل إليك غير مراقب فى تبليغه أحداً ولا خائف أن ينالك مكروه (وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ) وإن لم تبلغ جميعه كما

أمرتك (فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ) رسالاته مدني وشامي وأبو بكر أى فلم تبلغ إذاً ما كلفت من أداء الرسالة ولم تؤد منها شيئاً قط وذلك أن بعضها ليس بأولى بالأداء من بعض فإذا لم تؤد بعضها فكأنك أغفلت أداءها جميعاً كما أن من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها لكونها فى حكم شىء واحد لدخولها تحت خطاب واحد والشىء الواحد لايكون مبلغا غير مبلغ مؤمناً به غير مؤمن. قالت الملحدة لعنهم الله تعالى هذا كلام لا يفيد وهو كقولك لغلامك: كل هذا الطعام فإن لم تأكله فإنك ما أكلته ، قلنا هذا أمر بتبليغ الرسالة فى المستقبل أى بلغ ما أنزل إليك من ربك فى المستقبل فإن لم تفعل أى إن لم تبلغ الرسالة فى المستقبل فكأنك لم تبلغ الرسالة أصلا أو بلغ ماأنزل إليك من ربك الآن ولا تنتظر به كثرة الشوكة والعدة فإن لم تبلغ كنت كمن لم يبلغ أصلا أو بلغ ذلك غير خائف أحداً فإن لم تبلغ على هذا الوصف فكأنك لم تبلغ الرسالة أصلا ثم قال مشجعا له فى التبليغ (وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) يحفظك منهم قتلا فلم يقدر عليه وإن شج فى وجهه يوم أحد وكسرت رباعيته أو نزلت بعد ما أصابه ما أصابه. والناس الكفار بدليل قوله (إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْكَٰفِرِينَ) لا يمكنهم مما يريدون إنزاله بك من الهلاك (قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ) على دين يعتد به حتى يسمى شيئاً لبطلانه (حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَىٰةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ) يعنى القرآن (وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا) إضافة زيادة الكفر والطغيان إلى القرآن بطريق التسبيب (فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَٰفِرِينَ) فلا تتأسف عليهم فإن ضرر ذلك يعود إليهم لا إليك (إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا) بألسنتهم وهم المنافقون ودل عليه قوله: لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم. (وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰبِـُٔونَ وَالنَّصَٰرَىٰ) قال سيبويه وجميع البصريين ارتفع الصابئون بالابتداء وخبره محذوف والنية به التأخير عما فى حيز إن من اسمها وخبرها كأنه قيل : إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى (مَنْ ءَامَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) والصابئون كذلك أى من آمن بالله واليوم الآخر فلا خوف عليهم فقدم وحذف الخبر كقوله :

فمن يك أمسى بالمدينة رحله فإنى وقيار بها لغريب

أى فإنى لغريب وقيار كذلك ودل اللام على أنه خبر إن ولا يرتفع بالعطف على محل إنه واسمها لأن ذا لا يصح قبل الفراغ من الخبر لا تقول إن زيدا وعمرو منطلقان وإنما يجوز إنه زيدا منطلق وعمرو، والصابئون مع خبره المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله إن الذين آمنوا إلى آخره ولا محل لها كما لا محل للتى عطفت عليها وفائدة التقديم التنبيه على أن الصابئين وهم أبين هؤلاء المعدودين ضلالا وأشدهم غيا يتاب عليهم إن صح منهم الإيمان فما الظن بغيرهم. ومحل من آمن الرفع على الابتداء وخبره فلا خوف عليهم والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط ثم الجملة كما هى خبر إن والراجع إلى اسم إن محذوف تقديره من آمن منهم (لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَآءِيلَ) بالتوحيد (وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا) ليقفوهم على ما يأتون وما يذرون فى دينهم (كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌ) جملة شرطية وقعت صفة لرسلا والراجع محذوف أى رسول منهم (بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ) بما يخالف هواهم ويضاد شهواتهم من مشاق التكليف والعمل بالشرائع وجواب الشرط محذوف دل عليه (فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ) كأنه قيل كلما جاءهم رسول منهم ناصبوه، وقوله فريقاً كذبوا جواب مستأنف لقائل كأنه يقول كيف فعلوا برسلهم وقال يقتلون بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية استفظاعاً للقتل وتنبيهاً على أن القتل من شأنهم وانتصب فريقاً وفريقاً على أنه مفعول كذبوا ويقتلون وقيل التكذيب مشترك بين اليهود والنصارى والقتل مختص باليهود فهم قتلوا زكريا ويحى (وَحَسِبُوٓا أَلَّا تَكُونَ) ألا تكون حمزة وعلى وأبو عمرو على أن ان مخففة من الثقيلة أصله أنه لا تكون خففت ان وحذف ضمير الشأن ونزل حسبانهم لقوته فى صدورهم منزلة العلم فلذا دخل فعل الحسبان على ان التى هى للتحقيق (فِتْنَةٌ) بلاء وعذاب أى وحسب بنو إسرائيل انهم لا يصيبهم من الله عذاب بقتل الأنبياء وتكذيب الرسل. وسد ما يشتمل[1] عليه صلة أن وأن من المسند والمسند إليه مسد مفعولى حسب (فَعَمُوا وَصَمُّوا) فلم يعملوا بما رأوا ولا بما سمعوا أو فعموا عن الرشد وصموا عن الوعظ (ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) رزقهم التوبة (ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ) هو بدل من الضمير أى الواو وهو بدل البعض من الكل أو هو خبر مبتدأ محذوف أى أولئك كثير منهم (وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ) فيجازيهم بحسب أعمالهم (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّ اللَّهَ

(١) قوله مايشتمل عليه صلة أن وأن أى أن وما تشتمل عليه صلتها اه

هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَٰبَنِى إِسْرَٰءِيلَ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ) لم يفرق عيسى عليه السلام بينه وبينهم فى أنه عبد مربوب ليكون حجة على النصارى (إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللهِ) فى عبادته غير الله (فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ) التى هى دار الموحدين أى حرمه دخولها ومنعه منه (وَمَأْوَٰهُ النَّارُ) أى مرجعه (وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ) أى الكافرين (مِنْ أَنصَارٍ) وهو من كلام الله تعالى أو من كلام عيسى عليه السلام (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ) أى ثالث ثلاثة آلهة، والإشكال أنه تعالى قال فى الآية الأولى لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقالوا فى الثانية لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة والجواب أن بعض النصارى كانوا يقولون كان المسيح بعينه هو الله لأن الله ربما يتجلى فى بعض الأزمان فى شخص فتجلى فى ذلك الوقت فى شخص عيسى ولهذا كان يظهر من شخص عيسى أفعال لا يقدر عليها إلا الله وبعضهم ذهبوا إلى آلهة ثلاثة: الله ومريم والمسيح وأنه ولد الله من مريم ومن فى قوله (وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ) للاستغراق أى وما إله قط فى الوجود إلا إله موصوف بالوحدانية لا ثانى له وهو الله وحده لا شريك له وفى قوله (وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ) للبيان كالتى فى فاجتنبوا الرجس من الأوثان ولم يقل ليمسنهم لأن فى إقامة الظاهر مقام المضمر تكريرا للشهادة عليهم بالكفر أو للتبعيض أى ليمسن الذين بقوا على الكفر منهم لأن كثيرا منهم تابو عن النصرانية (عَذَابٌ أَلِيمٌ) نوع شديد الألم من العذاب (أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ) ألا يتوبون بعد هذه الشهادة المكررة عليهم بالكفر وهذا الوعيد الشديد مما هم عليه وفيه تعجيب من إصرارهم (وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) يغفر لهؤلاء إن تابوا ولغيرهم (مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ) فيه نفى الألوهية عنه (قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ) صفة لرسول أى ما هو إلا رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله وإبراؤه الأكمه والأبرص وإحياؤه الموتى لم يكن منه لأنه ليس إلها بل الله أبرأ الأكمه والأبرص وأحيا الموتى على يده كما أحيا العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى. وخلقه من غير ذكر كخلق آدم من غير ذكر وأنثى (وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ) أى وما أمه أيضا إلا كبعض النساء المصدقات للأنبياء المؤمنات بهم ووقع اسم الصديقة عليها لقوله تعالى: وصدقت بكلمات ربها وكتبه. ثم أبعدهما عما نسب إليهما بقوله (كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ) لأن من احتاج إلى الاغتذاء

بالطعام وما يتبعه من الهضم والنقض لم يكن إلا جسما مركبا من لحم وعظم وعروق وأعصاب وغير ذلك مما يدل على أنه مصنوع مؤلف كغيره من الأجسام (انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ) أى الأعلام من الأدلة الظاهرة على بطلان قولهم (ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ) كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمله بعد هذا البيان وهذا تعجيب من الله تعالى فى ذهابهم عن الفرق بين الرب والمربوب (قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا) هو عيسى عليه السلام أى شيئا لا يستطيع أن يضركم بمثل ما يضركم به الله من البلاء والمصائب فى الأنفس والأموال ولا أن ينفعكم بمثل ما ينفعكم به من صحة الأبدان والسعة والخصب لأن كل مايستطيعه البشر من المضار والمنافع فبتخليقه تعالى فكأنه لا يملك منه شيئا وهذا دليل قاطع على أن أمره مناف للربوبية حيث جعله لايستطيع ضرا ولا نفعا، وصفة الرب أن يكون قادرا على كل شىء لا يخرج مقدور عن قدرته (وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) متعلق بأتعبدون أى أتشركون بالله ولاتخشونه وهو الذى يسمع ماتقولونه ويعلم ماتعتقدونه (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ) الغلو مجاوزة الحد فغلو النصارى رفعه فوق قدره باستحقاق الألوهية وغلو اليهود وضعه عن استحقاق النبوة (غَيْرَ الْحَقِّ) صفة لمصدر محذوف أى غلوا غير الحق يعنى غلوا باطلا (وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ) أى أسلافكم وأئمتكم الذين كانوا على الضلال قبل مبعث النبى ﷺ (وَأَضَلُّوا كَثِيرًا) ممن تابعهم (وَضَلُّوا) لما بعث رسول الله ﷺ (عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ) حين كذبوه وحسدوه وبغوا عليه (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ) قيل إن أهل أيلة لما اعتدوا فى السبت قال داود اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا قردة ولما كفر أصحاب عيسى بعد المائدة قال عيسى اللهم عذب من كفر بعدما أكل من المائدة عذابا لم تعذبه أحدا من العالمين والعنهم كما لعنت أصحاب السبت فأصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل (ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ) ذلك اللعن بعصيانهم واعتدائهم ثم فسر المعصية والاعتداء بقوله (كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ) لا ينهى بعضهم بعضا (عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ) عن قبيح فعلوه ومعنى وصف المنكر بفعلوه ولا يكون النهى بعد الفعل أنهم لايتناهون عن معاودة منكر فعلوه أو عن مثل منكر فعلوه أو عن منكر أرادوا فعله أو المراد لا ينتهون عن منكر فعلوه بل يصرون عليه يقال تناهى

عن الأمر وانتهى عنه إذا امتنع منه وتركه ثم عجب من سوء فعلهم مؤكدا لذلك بالقسم بقوله (لِبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) وفيه دليل على أن ترك النهي عن المنكر من العظائم فيا حسرة على المسلمين فى اعراضهم عنه (تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا) هم منافقوا أهل الكتاب كانوا يوالون المشركين ويصافونهم (لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) لبئس شيئا قدموه لأنفسهم سخط الله عليهم أى موجب سخط الله (وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ) أى فى جهنم (وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) إيمانا خالصا بلا نفاق (وَالنَّبِيِّ) أى محمد ﷺ (وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ) يعنى القرآن (مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ) مااتخذوا المشركين أولياء يعنى أن موالاة المشركين تدل على نفاقهم (وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ) مستمرون فى كفرهم ونفاقهم أو معناه ولو كان هؤلاء اليهود يؤمنون بالله وبموسى وما أنزل إليه يعنى التوراة مااتخذوا المشركين أولياء كما لم يوالهم المسلمون ولكن كثيرا منهم فاسقون خارجون عن دينهم فلادين لهم أصلا (لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ) هومفعول ثان لتجدن. وعداوة تمييز (وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا) عطف عليهم (وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ) اللام تتعلق بعداوة ومودة. وصف اليهود بشدة الشكيمة والنصارى بلين العريكة وجعل اليهود قرناء المشركين فى شدة العداوة للمؤمنين ونبه على تقدم قدمهم فيها بتقديمهم على المشركين (ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا) أى علماء وعبادا (وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ) علل سهولة مأخذ النصارى وقرب مودتهم للمؤمنين بأن منهم قسيسين ورهبانا وأن فيهم تواضعا واستكانة واليهود على خلاف ذلك وفيه دليل على أن العلم أنفع شيء وأهداه إلى الخير وإن كان علم القسيسين وكذا علم [1] الآخرة وإن كان فى راهب والبراءة من الكبر وإن كانت فى نصرانى (وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ) وصفهم برقة القلوب وأنهم يبكون عند استماع القرآن كما روى عن النجاشى أنه قال لجعفر بن أبى طالب حين اجتمع فى مجلسه المهاجرون إلى الحبشة والمشركون وهم يقرءونه عليهم هل فى كتابكم ذكر مريم قال جعفر فيه سورة تنسب إلى مريم فقرأها إلى قوله ذلك عيسى ابن مريم وقرأ سورة طه إلى قوله هل أتاك حديث موسى

---

(١) الذى فى الكشاف وكذلك علم الآخرة والتحدث بالعاقبة إن كان فى راهب .

فبكى النجاشي وكذلك فعل قومه الذين وفدوا على رسول الله ﷺ وهم سبعون رجلا حين قرأعليهم سورة يس فبكوا. تفيض من الدمع تمتلىء من الدمع حتى تفيض لأن الفيض أن يمتلىء الإناء أوغيره حتى يطلع مافيه من جوانبه فوضع الفيض الذى هو من الامتلاء موضع الامتلاء أو قصدت المبالغة فى وصفهم بالبكاء فجعلت أعينهم كأنها تفيض بأنفسها أى تسيل من أجل البكاء ومن فى مما عرفوا لابتداء الغاية على أن فيض الدمع ابتدأ ونشأ من معرفة الحق وكان من أجله ومن فى من الحق لتبيين الموصول الذى هو ماعرفوا أو للتبعيض على أنهم عرفوا بعض الحق فأبكاهم فكيف إذا عرفوا كله وقرءوا القرآن وأحاطوا بالسنة (يَقُولُونَ) حال من ضمير الفاعل فى عرفوا (رَبَّنَآ ءامَنَّا) بمحمد ﷺ والمراد إنشاء الإيمان والدخول فيه (فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّٰهِدِينَ) مع أمة محمد عليه السلام الذين هم شهداء على سائر الأمم يوم القيامة لتكونوا شهداء على الناس وقالوا ذلك لأنهم وجدوا ذكرهم فى الإنجيل كذلك (وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللهِ) إنكار واستبعاد لانتفاء الإيمان مع قيام موجبه وهو الطمع فى إنعام الله عليهم بصحبة الصالحين وقيل لما رجعوا إلى قومهم لاموهم فأجابوهم بذلك ومالنا مبتدأ وخبر ولا نؤمن حال أى غير مؤمنين كقولك مالك قائما (وَمَا جَآءَنَا) وبما جاءنا (مِنَ الْحَقِّ) يعنى محمدا عليه السلام والقرآن (وَنَطْمَعُ) حال من ضمير الفاعل فى نؤمن والتقدير ونحن نطمع (أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا) الجنة (مَعَ الْقَوْمِ الصَّٰلِحِينَ) الأنبياء والمؤمنين (فَأَثَٰبَهُمُ اللهُ بِمَا قَالُوا) أى بقولهم ربنا آمنا وتصديقهم لذلك (جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَآءُ الْمُحْسِنِينَ) وفيه دليل على أن الإقرار داخل فى الإيمان كما هو مذهب الفقهاء وتعلقت الكرامية فى أن الإيمان مجرد القول بقوله بماقالوا لكن الثناء بفيض الدمع فى السباق وبالإحسان فى السياق يدفع ذلك وأنى يكون مجرد القول إيمانا وقد قال الله تعالى: ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين . نفى الإيمان عنهم مع قولهم آمنا بالله لعدم التصديق بالقلب وقال أهل المعرفة الموجود منهم ثلاثة أشياء البكاء على الجفاء والدعاء على العطاء والرضا بالقضاء فمن ادعى المعرفة ولم يكن فيه هذه الثلاثة فليس بصادق فى دعواه (وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ الْجَحِيمِ) هـذا أثر الرد فى حق الأعداء والأول أثر

القبول للأولياء ونزل فى جماعة من الصحابة رضى الله عنهم حلفوا أن يترهبوا ويلبسوا المسوح ويقوموا الليل ويصوموا النهار ويسيحوا فى الأرض ويجبّوا مذاكيرهم ولا يأكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ) ماطاب ولذ من الحلال ومعنى لا تحرموا لا تمنعوها أنفسكم كمنع التحريم أولا تقولوا حرمناها على أنفسنا مبالغة منكم فى العزم على تركها تزهدا منكم وتقشفا. روى أن رسول الله ﷺ كان يأكل الدجاج والفالوذ وكان يعجبه الحلواء والعسل وقال «إن المؤمن حلو يحب الحلاوة» وعن الحسن أنه دعى إلى طعام ومعه فرقد السنجى وأصحابه فقعدوا على المائدة وعليها الألوان من الدجاج المسمن والفالوذ وغير ذلك فاعتزل فرقد ناحية فسأل الحسن أهو صائم قالوا لا ولكنه يكره هذه الألوان فأقبل الحسن عليه وقال يافريقد أترى لعاب النحل بلباب البر بخالص السمن يعيبه مسلم وعنه أنه قيل له فلان لا يأكل الفالوذ ويقول لا أؤدى شكره فقال أفيشرب الماء البارد قالوا نعم قال إنه جاهل أن نعمة الله عليه فى الماء البارد أكبر من نعمته عليه فى الفالوذ (وَلَا تَعْتَدُوا) ولا تجاوزوا الحد الذى حد عليكم فى تحليل أو تحريم أو ولا تتعدوا حدود ما أحل لكم إلى ما حرم عليكم أو ولا تسرفوا فى تناول الطيبات (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) حدوده (وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا) حلالا حال مما رزقكم الله (وَاتَّقُوا اللَّهَ) توكيد للتوصية بما أمر به وزاده توكيدا بقوله (الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ) لأن الإيمان به يوجب التقوى فيما أمر به ونهى (لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ) اللغو فى اليمين الساقط الذى لا يتعلق به حكم وهو أن يحلف على شىء يرى أنه كذلك وليس كما ظن وكانوا حلفوا على تحريم الطيبات على ظن أنه قربة فلما نزلت تلك الآية قالوا فكيف أيماننا فنزلت وعند الشافعى رحمه الله ما يجرى على اللسان بلا قصد (وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ) أى بتعقيدكم الأيمان وهو توثيقها وبالتخفيف كوفى غير حفص والعقد العزم على الوطء وذا لا يتصور فى الماضى فلا كفارة فى الغموس وعند الشافعى رحمه الله القصد بالقلب ويمين الغموس مقصودة فكانت معقودة فكانت الكفارة فيها مشروعة والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم إذا حنثتم فحذف وقت المؤاخذة لأنه كان معلوما عندهم أو بنكث ما عقدتم فحذف المضاف

(فَكَفَّـٰرَتُهُۥ) أى فكفارة نكثه أو فكفارة عقود الأيمان والكفارة الفعلة التى من شأنها أن تكفر الخطيئة أى تسترها (إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ) هو أن يغديهم ويعشيهم ويجوز أن يعطيهم بطريق التمليك وهو لكل أحد نصف صاع من بر أو صاع من شعير أو صاع من تمر وعند الشافعى رحمه الله مد لكل مسكين (مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ) أى غداء وعشاء من بر إذ الأوسع ثلاث مرات مع الإدام والأدنى مرة من تمر أو شعير (أَوْ كِسْوَتُهُمْ) عطف على إطعام أو على محل من أوسط ووجهه أن من أوسط بدل من إطعام والبدل هو المقصود فى الكلام وهو ثوب يغطى العورة وعن ابن عمر رضى الله عنه إزار وقميص ورداء (أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ) مؤمنة أو كافرة لإطلاق النص وشرط الشافعى رحمه الله الإيمان حملا للمطلق على المقيد فى كفارة القتل ومعنى أو التخيير وإيجاب إحدى الكفارات الثلاث (فَمَن لَّمْ يَجِدْ) إحداها (فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ) متتابعة لقراءة أبى وابن مسعود كذلك (ذَٰلِكَ) المذكور (كَفَّـٰرَةُ أَيْمَـٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ) وحنثتم فترك ذكر الحنث لوقوع العلم بأن الكفارة لا تجب بنفس الحلف ولذا لم يجز التكفير قبل الحنث (وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَـٰنَكُمْ) فبروا فيها ولا تحنثوا إذا لم يكن الحنث خيرا أو ولا تحلفوا أصلا (كَذَٰلِكَ) مثل ذلك البيان (يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ) أعلام شريعته وأحكامه(لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج منه (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ) أى القمار (وَٱلْأَنصَابُ الأصنام لأنها تنصب فتعبد (وَٱلْأَزْلَـٰمُ) وهى القداح التى مرت (رِجْسٌ) نجس أو خبيث مستقذر (مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ) لأنه يحمل عليه فكأنه عمله والضمير فى (فَٱجْتَنِبُوهُ) يرجع إلى الرجس أو إلى عمل الشيطان أو إلى المذكور أو إلى المضاف المحذوف كأنه قيل إنما تعاطى الخمر والميسر ولذا قال رجس (لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) أكد تحريم الخمر والميسر من وجوه حيث صدر الجملة بإنما وقرنهما بعبادة الأصنام ومنه الحديث «شارب الخمر كعابد الوثن» وجعلهما رجسا من عمل الشيطان ولا يأتى منه إلا الشر البحت وأمر بالاجتناب وجعل الاجتناب من الفلاح وإذا كان الاجتناب فلاحا كان الارتكاب خسارا (إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ) ذكر ما يتولد منهما من الوبال

وهو وقوع التعادي والتباغض بين أصحاب الخمر والقمر وما يؤديان إليه من الصد عن ذكر الله وعن مراعاة أوقات الصلاة وخص الصلاة من بين الذكر لزيادة درجتها كأنه قال وعن الصلاة خصوصا وإنما جمع الخمر والميسر مع الأنصاب والأزلام أولا ثم أفردهما آخرا لأن الخطاب مع المؤمنين وإنما نهاهم عما كانوا يتعاطونه من شرب الخمر واللعب بالميسر وذكر الأنصاب والأزلام لتأكيد تحريم الخمر والميسر وإظهار أن ذلك جميعا من أعمال أهل الشرك فكأنه لا مباينة بين عابد الصنم وشارب الخمر والقامر ثم أفردهما بالذكر ليعلم أنهما المقصود بالذكر (فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ) من أبلغ ما ينهى به كأنه قيل قد تلي عليكم ما فيهما من أنواع الصوارف والزواجر فهل أنتم مع هذه الصوارف منتهون أم أنتم على ما كنتم عليه كأن لم توعظوا ولم تزجروا (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا) وكونوا حذرين خاشعين لأنهم إذا حذروا دعاهم الحذر إلى اتقاء كل سيئة وعمل كل حسنة (فَإِن تَوَلَّيْتُمْ) عن ذلك (فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) أي فاعلموا أنكم لم تضروا بتوليكم الرسول لأنه ما كلف إلا البلاغ المبين بالآيات وإنما ضررتم أنفسكم حين أعرضتم عما كلفتموه ونزل فيمن تعاطى شيئا من الخمر والميسر قبل التحريم (لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا) أي شربوا من الخمر وأكلوا من مال القمار قبل تحريمهما (إِذَا مَا اتَّقَوا) الشرك (وَّآمَنُوا) بالله (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) بعد الإيمان (ثُمَّ اتَّقَوا) الخمر والميسر بعد التحريم (وَّآمَنُوا) بتحريمهما (ثُمَّ اتَّقَوا) سائر المحرمات أو الأول عن الشرك والثاني عن المحرمات والثالث عن الشبهات (وَّأَحْسَنُوا) إلى الناس (وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) ولما ابتلاهم الله بالصيد عام الحديبية وهم محرمون وكثر عندهم حتى كان يغشاهم في رحالهم فيستمكنون من صيده أخذا بأيديهم وطعنا برماحهم نزل (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ) ومعنى يبلو يختبر وهو من الله لإظهار ما علم من العبد على ما علم لا لعلم مالم يعلم، ومن للتبعيض إذ لا يحرم كل صيد أو لبيان الجنس (لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ) ليعلم الله خوف الخائف منه بالامتناع عن الاصطياد موجودا كما كان يعلم قبل وجوده أنه يوجد ليثيبه على عمله لا على علمه فيه (فَمَنِ اعْتَدَىٰ) فصاد (بَعْدَ ذَٰلِكَ) الابتلاء (فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ) قلل في قوله بشيء

من الصيد ليعلم أنه ليس من الفتن العظام وتناله صفة لشيء (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ) أى المصيد إذ القتل إنما يكون فيه (وَأَنتُمْ حُرُمٌ) أى محرمون جمع حرام كردح فى جمع رداح فى محل النصب على الحال من ضمير الفاعل فى تقتلوا (وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا) حال من ضمير الفاعل أي ذا كرا لإحرامه أو عالما أن ما يقتله مما يحرم قتله عليه فإن قتله ناسيا لإحرامه أورمى صيدا وهو يظن أنه ليس بصيد فهو مخطىء وإنما شرط التعمد فى الآية مع أن محظورات الإحرام يستوى فيها العمد والخطأ لأن مورد الآية فيمن تعمد فقدروى أنه عن لهم فى عمرة الحديبية حمار وحش فحمل عليه أبو اليسر فقتله فقيل له إنك قتلت الصيد وأنت محرم فنزلت. ولأن الأصل فعل التعمد والخطأ ملحق به للتغليظ وعن الزهرى نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطأ (فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ) كوفى أى فعليه جزاء يماثل ما قتل من الصيد وهو قيمة الصيد يقوّم حيث صيد فإن بلغت قيمته ثمن هدى خير بين أن يهدى من النعم ما قيمته قيمة الصيد وبين أن يشترى بقيمته طعاما فيعطى كل مسكين نصف صاع من بر أوصاعا من غيره وإن شاء صام عن طعام كل مسكين يوما وعند محمد والشافعى رحمهما الله تعالى مثله نظيره من النعم فإن لم يوجد له نظير من النعم فكما مر فجزاء مثل على الإضافة غيرهم وأصله فجزاء مثل ما قتل أى فعليه أن يجزى مثل ماقتل ثم أضيف كما تقول عجبت من ضرب زيدا ثم من ضرب زيد (مِنَ النَّعَمِ) حال من الضمير فى قتل إذ المقتول يكون من النعم أوصفة لجزاء (يَحْكُمُ بِهِ) بمثل ما قتل (ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ) حكمان عادلان من المسلمين وفيه دليل على أن المثل القيمة لأن التقويم مما يحتاج إلى النظر والاجتهاد دون الأشياء المشاهدة ولأن المثل المطلق فى الكتاب والسنة والإجماع مقيد بالصورة والمعنى أو بالمعنى لا بالصورة أو بالصورة بلا معنى ولأن القيمة أريدت فيما لا مثل له صورة إجماعا فلم يبق غيرها مرادا إذ لا عموم للمشترك فإن قلت قوله من النعم ينافى تفسير المثل بالقيمة قلت من أوجب القيمة خير بين أن يشترى بها هديا أوطعاما أو يصوم كما خير الله تعالى فى الآية فكان من النعم بيانا للهدى المشترى بالقيمة فى أحد وجوه التخيير لأن من قوم الصيد واشترى بالقيمة هديافأهداه فقد جزى بمثل ما قتل من النعم على أن التخيير الذى فى الآية بين أن يجزى بالهدى أويكفر

بالطعام أو الصوم إنمايستقيم إذاقوم ونظر بعدالتقويم أى الثلاثة يختار فأما إذا عمد إلى النظير وجعله الواجب وحده من غير تخيير فإذا كان شيئا لا نظير له قوم حينئذ ثم يخير بين الطعام والصيام ففيه نبوّ عما فى الآية ألا ترى إلى قوله: أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما كيف خير بين الأشياء الثلاثة ولا سبيل إلى ذلك إلا بالتقويم (هَدْيًا) حال من الهاء فى به أى يحكم به فى حال الهدى (بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ) صفة لهديا لأن إضافته غيرحقيقية ومعنى بلوغه الكعبة أن يذبح بالحرم فأما التصدق به فحيث شئت وعند الشافعى رحمه الله فى الحرم (أَوْ كَفَّٰرَةٌ) معطوف على جزاء (طَعَامُ) بدل من كفارة أو خبر مبتدأ محذوف أى هى طعام أو كفارة طعام على الإضافة مدنى وشامى وهذه الإضافة لتبيين المضاف كأنه قيل أو كفارة من طعام (مَسَٰكِينَ) كما تقول خاتم فضة أى خاتم من فضة (أَوْ عَدْلُ) وقرئ بكسر العين قال الفراء العدل ماعادل الشىء من غير جنسه كالصوم والإطعام والعدل مثله من جنسه ومنه عدلا الحمل يقال عندى غلام عدل غلامك بالكسر إذا كان من جنسه فإن أريد أن قيمته كقيمته ولم يكن من جنسه قيل هوعدل غلامك بالفتح (ذَٰلِكَ) إشارة إلى الطعام (صِيَامًا) تمييز نحو لى مثله رجلا والخيار فى ذلك إلى القاتل وعند محمد رحمه الله إلى الحكمين (لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ) متعلق بقوله فجزاء أى فعليه أن يجازى أو يكفر ليذوق سوء عقاب عاقبة هتكه لحرمة الإحرام والوبال المكروه والضرر الذى ينال فى العاقبة من عمل سوء لثقله عليه من قوله تعالى: فأخذناه أخذا وبيلا أى ثقيلا شديدا والطعام الوبيل الذى يثقل على المعدة فلا يستمرأ (عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ) لكم من الصيد قبل التحريم (وَمَنْ عَادَ) إلى قتل الصيد بعد التحريم أو فى ذلك الإحرام (فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ) بالجزاء وهو خبر مبتدأ محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه (وَٱللَّهُ عَزِيزٌ) بإلزام الأحكام (ذُو ٱنتِقَامٍ) لمن جاوز حدود الإسلام (أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ) مصيدات البحر مما يؤكل ومما لا يؤكل (وَطَعَامُهُ) وما يطعم من صيده والمعنى أحل لكم الانتفاع بجميع ما يصاد فى البحر وأحل لكم أكل المأكول منه وهو السمك وحده (مَتَٰعًا لَّكُمْ) مفعول له أى أحل لكم تمتيعا لكم (وَلِلسَّيَّارَةِ) وللمسافرين والمعنى

أحل لكم طعامه تمتيعا لتنائكم(١) يأكلونه طريا ولسيارتكم يتزودونه قديدا كما تزود موسى عليه السلام الحوت فى مسيره إلى الخضر (وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ) ما صيد فيه وهو مايفرخ فيه وإن كان يعيش فى الماء فى بعض الأوقات كالبط فإنه برى لأنه يتولد فى البر والبحر له مرعى كما للناس متجر (مَا دُمْتُمْ حُرُمًا) محرمين (وَاتَّقُوا اللهَ) فى الاصطياد فى الحرم أو فى الإحرام (الَّذِى إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) تبعثون فيجزيكم على أعمالكم (جَعَلَ اللهُ الْكَعْبَةَ) أى صير (الْبَيْتَ الْحَرَامَ) بدل أو عطف بيان (قِيَامًا) مفعول ثان أو جعل بمعنى خلق وقياما حال (لِلنَّاسِ) أى انتعاشا لهم فى أمر دينهم ونهوضا إلى أغراضهم فى معاشهم ومعادهم لما يتم لهم من أمر حجهم وعمرتهم وأنواع منافعهم قيل لو تركوه عاما لم ينظروا ولم يؤخروا (وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ) والشهر الذى يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لأن فى اختصاصه من بين الأشهر بإقامة موسم الحج فيه شأنا قد علمه الله أو أريد به جنس الأشهر الحرم وهى رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم (وَالْهَدْىَ) ما يهدى إلى مكة (وَالْقَلَائِدَ) والمقلد منه خصوصا وهو البدن فالثواب فيه أكثر وبهاء الحج معه أظهر (ذَٰلِكَ) إشارة إلى جعل الكعبة قياما أو إلى ما ذكر من حفظ حرمة الإحرام بترك الصيد وغيره (لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِى السَّمٰوٰتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ وَأَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ) أى لتعلموا أن الله يعلم مصالح ما فى السموات وما فى الأرض وكيف لا يعلم وهو بكل شئ عليم (اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) لمن استخف بالحرم والإحرام (وَأَنَّ اللهَ غَفُورٌ) لآثام من عظم المشاعر العظام (رَحِيمٌ) بالجانى الملتجئ إلى البلد الحرام (مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَٰغُ) تشديد فى إيجاب القيام بما أمر به وأن الرسول قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم فى التفريط (وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ) فلا يخفى عليه نفاقكم ووفاقكم (قُل لَّا يَسْتَوِى الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ) لما أخبر أنه يعلم ما يبدون وما يكتمون ذكر أنه لا يستوى خبيثهم وطيبهم بل يميز بينهما فيعاقب الخبيث أى الكافر ويثيب الطيب أى المسلم (وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللهَ) وآثروا الطيب وإن قل على الخبيث وإن كثر وقيل هو عام فى حلال المال وحرامه وصالح العمل وطالحه وجيد الناس ورديئهم (يَٰأُولِى

---

(١) قوله لتنائكم : التناء كرمان : المقيمون جمع تانئ من تنأ بالمكان أقام هكذا يؤخذ من القاموس.

الْأَلْبَـٰبِ) أى العقول الخالصة (لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) كانوا يسألون النبى ﷺ عن أشياء امتحانا فنزل (يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْـَٔلُوا عَنْ أَشْيَآءَ) قال الخليل وسيبويه وجمهور البصريين أصله شيئاء بهمزتين بينهما ألف وهى فعلاء من لفظ شىء وهمزتها الثانية للتأنيث ولذا لم تنصرف كحمراء وهى مفردة لفظا جمع معنى ولما استثقلت الهمزتان المجتمعتان قدمت الأولى التى هى لام الكلمة فجعلت قبل الشين فصار وزنها لفعاء والجملة الشرطية والمعطوفة عليها أى قوله (إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ) صفة لأشياء أى وإن تسألوا عن هذه التكاليف الصعبة فى زمان الوحى وهو مادام الرسول بين أظهركم تبد لكم تلك التكاليف التى تسوؤكم أى تغمكم وتشق عليكم وتؤمرون بتحملها فتعرضون أنفسكم لغضب الله بالتفريط فيها (عَفَا اللَّهُ عَنْهَا) عفا الله عما سلف من مسئلتكم فلاتعودوا إلى مثلها (وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ) لايعاقبكم إلابعد الإنذار والضمير فى (قَدْ سَأَلَهَا) لا يرجع إلى أشياء حتى يعدى بعن بل يرجع إلى المسئلة التى دلت عليها لا تسئلوا أى قد سأل هذه المسئلة (قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ) من الأولين (ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا) صاروا بسببها (كَـٰفِرِينَ) كما عرف فى بنى إسرائيل (مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ) كان أهل الجاهلية إذا نتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا إذنها أى شقوها وامتنعوا من ركوبها وذبحها ولاتطرد عن ماء ولامرعى واسمها البحيرة وكان يقول الرجل إذا قدمت من سفرى أو برأت من مرضى فناقتى سائبة وجعلها كالبحيرة فى تحريم الانتفاع بها وقيل كان الرجل إذا أعتق عبدا قال هو سائبة فلاعقل بينهما ولاميراث وكانت الشاة إذا ولدت سبعة أبطن فإن كان السابع ذكرا أكله الرجال وإن كان أنثى أرسلت فى الغنم وكذا إن كان ذكرا وأنثى وقالوا وصلت أخاها فالوصيلة بمعنى الواصلة وإذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى ومعنى ماجعل ماشرع ذلك ولا أمر به (وَلَـٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) بتحريمهم ماحرموا (يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ) فى نسبتهم هذا التحريم إليه (وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) أن الله لم يحرم ذلك وهم عوامهم (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ

مَآ أنزَلَ اللهُ وَإلَى الرَّسُولِ) أى هلموا إلى حكم الله ورسوله بأن هـذه الأشياء غير محرمة (قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ) أى كافيناذلك، حسبنا مبتدأ والخبر ما وجدنا وما بمعنى الذى والواو فى (أَوَ لَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ) للحال قد دخلت عليها همزة الإنكار وتقديره أحسبهم ذلك ولو كان آباؤهم (لَا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ) أى الاقتداء إنما يصح بالعالم المهتدى وإنما يعرف اهتداؤه بالحجة (يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ)انتصب أنفسكم بعليكم وهو من أسماء الأفعال أى الزموا إصلاح أنفسكم والكاف والميم فى عليكم فى موضع جر لأن اسم الفعل هو الجار والمجرور لا على وحدها (لَا يَضُرُّكُم) رفع على الاستئناف أو جزم على جواب الأمر وإنمـا ضمت الراء إتباعا لضمة الضاد (مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ) كان المؤمنون تذهب أنفسهم حسرة على أهل العناد من الكفرة يتمنون دخولهم فى الإسلام فقيل لهم عليكم أنفسكم وما كلفتم من إصلاحها لا يضركم الضُّلاَّل عن دينكم إذا كنتم مهتدين وليس المراد ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فإن تركهما مع القدرة عليهما لا يجوز (إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا) رجوعكم (فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) ثم يجزيكم على أعمالـكم روى أنه خرج بديل مولى عمرو بن العاص وكان من المهاجرين مع عدى وتميم وكانا نصرانيين إلى الشام فمرض بديل وكتب كتاباً فيه مامعه وطرحه فى متاعه ولم يخبر به صاحبيه وأوصى إليهما بأن يدفعا متاعه إلى أهله ومات ففتشا متاعه فأخذا إناء من فضة فأصاب أهل بديل الصحيفة فطالبوهما بالإناء فجحدا فرفعوهما إلى رسول الله ﷺ فنزل (يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ) ارتفع اثنان لأنه خبر المبتدأ وهو شهادة بتقدير شهادة بينكم شهادة اثنين أو لأنه فاعل شهادة بينكم أى فيما فرض عليكم أن يشهد اثنان. واتسع فى بين فأضيف إليه المصدر وإذا حضر ظرف للشهادة وحين الوصية بدل منه وفى إبداله منه دليل على وجوب الوصية لأن حضور الموت من الأمور الكائنة وحين الوصية بدل منه فيدل على وجود الوصية ولو وجدت بدون الاختيار لسقط الابتلاء فنقل إلى الوجوب وحضـور الموت مشارفته وظهور أمارات بلوغ الأجل (ذَوَا عَدْلٍ) صفة لاثنين

(مِّنكُمْ) من أقاربكم لأنهم أعلم بأحوال الميت (أَوْ ءَاخَرَانِ) عطف على اثنان (مِنْ غَيْرِكُمْ) من الأجانب (إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ) سافرتم فيها وأنتم فاعل فعل يفسره الظاهر (فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ) أو منكم من المسلمين ومن غيركم من أهل الذمة وقيل منسوخ إذ لا يجوز شهادة الذمى على المسلم وإنما جازت فى أول الإسلام لقلة المسلمين (تَحْبِسُونَهُمَا) تقفونهما للحلف هو استئناف كلام أو صفة لقوله أو آخران من غيركم أى أو آخران من غيركم محبوسان وإن أنتم ضربتم فى الأرض فأصابتكم مصيبة الموت اعتراض بين الصفة والموصوف (مِن بَعْدِ الصَّلَوٰةِ) من بعد صلاة العصر لأنه وقت اجتماع الناس. وعن الحسن رحمه الله: بعد العصر أو الظهر لأن أهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدهما وفى حديث بديل أنها لما نزلت صلى رسول الله ﷺ صلاة العصر ودعا بعدى وتميم فاستحلفهما عند المنبر فحلفا ثم وجد الإناء بمكة فقالوا إنا اشتريناه من تميم وعدى (فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ) فيحلفان به (إِنِ ارْتَبْتُمْ) شككتم فى أمانتهما وهو اعتراض بين يقسمان وجوابه وهو (لَا نَشْتَرِى) وجواب الشرط محذوف أغنى عنه معنى الكلام والتقدير إن ارتبتم فى شأنهما فحلفوهما (بِهِ) بالله أو بالقسم (ثَمَنًا) عوضا من الدنيا (وَلَوْ كَانَ) أى المقسم له (ذَا قُرْبَىٰ) أى لا نحلف بالله كاذبين لأجل المال ولو كان من نقسم له قريباً منا (وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ اللَّهِ) أى الشهادة التى أمر الله بحفظها وتعظيمها (إِنَّآ إِذًا) إن كتمنا (لَّمِنَ الْآثِمِينَ) وقيل إن أريد بهما الشاهدان فقد نسخ تحليف الشاهدين وإن أريد الوصيان فلم ينسخ تحليفهما (فَإِنْ عُثِرَ) فإن اطلع (عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّآ إِثْمًا) فعلا ما أوجب إثما واستوجبا أن يقال إنهما لمن الآثمين (فَـَٔاخَرَانِ) فشاهدان آخران (يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ) أى من الذين استحق عليهم الإثم ومعناه من الذين جنى عليهم وهم أهل الميت وعشيرته وفى قصة بديل أنه لما ظهرت خيانة الرجلين حلف رجلان من ورثته إنه إناء صاحبهما وان شهادتهما أحق من شهادتهما (الْأَوْلَيَٰنِ) الأحقان بالشهادة لقرابتهما أو معرفتهما وارتفاعهما على هما الأوليان كأنه قيل ومن هما فقيل الأوليان أو هما بدل من الضمير فى يقومان أو من آخران استحق عليهم الأوليان حفص. أى من الورثة الذين استحق عليهم الأوليان من بينهم بالشهادة أن يجردوهما للقيام بالشهادة ويظهروا بهما كذب الكاذبين. الأَوّلين حمزة وأبو بكر على أنه وصف للذين استحق عليهم

مجرور أو منصوب على المدح وسموا أولين لأنهم كانوا أولين فى الذكر فى قوله شهادة بينكم (فَيُقْسِمَانِ بِاللهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا) أى ليميننا أحق بالقبول من يمين هذين الوصيين الخائنين (وَمَا اعْتَدَيْنَآ) وما تجاوزنا الحق فى يميننا (إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ الظَّٰلِمِينَ) أى إن حلفنا كاذبين (ذَٰلِكَ) الذى مر ذكره من بيان الحكم (أَدْنَىٰٓ) أقرب (أَن يَأْتُوا) أى الشهداء على نحو تلك الحادثة (بِالشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ) كما حملوها بلا خيانة فيها (أَوْ يَخَافُوٓا أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ) أى تكرر أيمان شهود آخرين بعد أيمانهم فيفتضحوا بظهور كذبهم (وَاتَّقُوا اللهَ) فى الخيانة واليمين الكاذبة (وَاسْمَعُوا) سمع قبول وإجابة (وَاللهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَٰسِقِينَ) الخارجين عن الطاعة فإن قلت مامعنى أوهنا قلت معناه ذلك أقرب من أن يؤدّوا الشهادة بالحق والصدق إما لله أو لخوف العار والافتضاح برد الأيمان وقد احتج به من يرى ردّ اليمين على المدعى والجواب أن الورثة قد ادّعوا على النصرانيين أنهما قد اختانا فحلفا فلما ظهر كذبهما ادعيا الشراء فيما كتما فأنكرت الورثة فكانت اليمين على الورثة لإنكارهما الشراء (يَوْمَ) منصوب باذكروا أو احذروا (يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ) ما الذى أجابتكم به أممكم حين دعوتموهم إلى الإيمان وهذا السؤال توبيخ لمن أنكرهم وماذا منصوب بأجبتم نصب المصدر على معنى أىّ إجابة أجبتم (قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَآ) بإخلاص قومنا دليله (إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ الْغُيُوبِ) أو بما أحدثوا بعدنا دليله كنت أنت الرقيب عليهم أو قالوا ذلك تأدبا أى علمنا ساقط مع علمك ومغمور به فكأنه لا علم لنا (إِذْ قَالَ اللهُ) بدل من يوم يجمع (يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ) حيث طهرتها واصطفيتها على نساء العالمين والعامل فى(إِذْ أَيَّدتُّكَ) أى قويتك نعمتى (بِرُوحِ الْقُدُسِ) بجبريل عليه السلام أيد به لتثبت الحجة عليهم أو بالكلام الذى يحيا به الدين وأضافه إلى القدس لأنه سبب الطهر من أوضارم الآثام دليله (تُكَلِّمُ النَّاسَ فِى الْمَهْدِ)حال أى تكلمهم طفلا إعجازا (وَكَهْلًا) تبليغا (وَإِذْ عَلَّمْتُكَ) معطوف على إذ أيدتك ونحوه وإذ تخلق. وإذ تخرج . وإذ كففت. وإذ أوحيت (الْكِتَٰبَ) الخط (وَالْحِكْمَةَ) الكلام المحكم الصواب (وَالتَّوْرَىٰةَ وَالْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ) تقدر (مِنَ الطِّينِ كَهَيْـَٔةِ الطَّيْرِ)

هيئة مثل هيئة الطير (بِإِذْنِي) بتسهيلي (فَتَنفُخُ فِيهَا) الضمير للكاف لأنها صفة الهيئة التي كان يخلقها عيسى وينفخ فيها ولا يرجع إلى الهيئة المضاف إليها لأنها ليست من خلقه وكذا الضمير في (فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي) وعطف (وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي) على تخلق (وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ) من القبور أحياء (بِإِذْنِي) قيل أخرج سام بن نوح ورجلين وامرأة وجارية (وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ) أي اليهود حين هموا بقتله (إِذْ جِئْتَهُم) ظرف لكففت(بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ) ساحر حمزة وعلى (وَإِذْ أَوْحَيْتُ) ألهمت (إِلَى الْحَوَارِيِّينَ) الخواص أو الأصفياء (أَنْ آمِنُوا) أي آمنوا (بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ) أي اشهد بأننا مخلصون من أسلم وجهه (إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ) أي اذكروا إذ (يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ) عيسى نصب على اتباع حركته حركة الابن نحو يازيد بن عمرو (هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ) هل يفعل أو هل يطيعك ربك إن سألته فاستطاع وأطاع بمعنى كاستجاب وأجاب. هل تَستطيع ربك على أي هل تستطيع سؤال ربك فحذف المضاف والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عن سؤاله (أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا) ينزل مكي وبصري (مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ) هي الخوان إذا كان عليه الطعام من ماده إذا أعطاه كأنها تميد من تقدم إليها (قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ) في اقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات (إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) إذ الإيمان يوجب التقوى (قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا) تبركا (وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا) ونزداد يقينا كقول ابراهيم عليه السلام ولكن ليطمئن قلبي (وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا) أي نعلم صدقك عيانا كما علمناه استدلالا (وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ) بما عاينا لمن بعدنا ولما كان السؤال لزيادة العلم لا للتعنت (قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ) أصله ياالله فحذف يا وعوض منه الميم (رَبَّنَا) نداء ثان (أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا) أي يكون يوم نزولها عيدا قيل هو يوم الأحد ومن ثم اتخذه النصارى عيدا، والعيد: السرور العائد ولذا يقال يوم عيد فكان معناه تكون لنا سرورا وفرحا (لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا) بدل من لنا بتكرير العامل أي لمن في زماننا من أهل ديننا ولمن يأتي بعدنا أو يأكل منها آخر الناس كما يأكل أولهم أو للمتقدمين منا والأتباع (وَآيَةً مِّنكَ)

على صحة نبوتى ثم أكد ذلك بقوله (وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّٰزِقِينَ) وأعطنا ماسألناك وأنت خير المطين (قَالَ اللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ) بالتشديد مدنى وشامى وعاصم وعدالإنزال وشرط عليهم شرطا بقوله (فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ) بعد إنزالها منكم (فَإِنِّى أُعَذِّبُهُ عَذَابًا) أى تعذيبا كالسلام بمعنى التسليم والضمير فى (لَّآ أُعَذِّبُهُ) للمصدر ولوأريد بالعذاب مايعذب به لم يكن بد من الباء (أَحَدًا مِنَ الْعَٰلَمِينَ) عن الحسن أن المائدة لم تنزل ولو نزلت لكانت عيدا إلى يوم القيامة لقوله وآخرنا والصحيح أنها نزلت. فمن وهب نزلت مائدة منكوسة تطير بها الملائكة عليها كل طعام إلا اللحم وقيل كانوا يجدون عليها ما شاءوا وقيل كانت تنزل حيث كانوا بكرة وعشيا (وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ) الجمهور على أن هذا السؤال يكون فى يوم القيامة دليله سياق الآية وسباقها وقيل خاطبه به حين رفعه إلى السماء دليله لفظ إذ (قَالَ سُبْحَٰنَكَ) من أن يكون لك شريك (مَا يَكُونُ لِىٓ) ما ينبغى لى (أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ) أن أقول قولا لا يحق لى أن أقوله (إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ) إن صح أنى قلته فيما مضى فقد علمته والمعنى أنى لا أحتاج إلى الاعتذار لأنك تعلم أنى لم أقله ولو قلته لعلمته لأنك (تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى) ذاتى (وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ) ذاتك فنفس الشىء ذاته وهويته والمعنى تعلم معلومى ولا أعلم معلومك (إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ الْغُيُوبِ) تقرير للجملتين معا لأن ماانطوت عليه النفوس من جملة الغيوب ولأن ما يعلم علام الغيوب لاينتهى إليه علم أحد (مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ) أى ما أمرتهم إلا بما أمرتنى به ثم فسر ما أمر به فقال (أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ) فأن مفسرة بمعنى أى (وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا) رقيبا (مَّا دُمْتُ فِيهِمْ) مدة كونى فيهم (فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ) الحفيظ (وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ) من قولى وفعلى وقولهم وفعلهم (إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) قال الزجاج علم عيسى عليه السلام أن منهم من آمن ومنهم من أقام على الكفر فقال فى جملتهم إن تعذبهم أى أن تعذب من كفر منهم فإنهم عبادك الذين علمتهم جاحدين لآياتك مكذبين لأنبيائك وأنت العادل فى ذلك فإنهم قد كفروا بعد

وجوب الحجة عليهم وإن تغفر لهم أى لمن أقلع منهم وآمن فذلك تفضل منك وأنت عزيز لا يمتنع عليك ماتريد حكيم فى ذلك أو عزيز قوى قادر على الثواب حكيم لا يعاقب إلا عن حكمة وصواب (قَالَ اللهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ) برفع اليوم والإضافة على أنه خبر هذا أى يقول الله تعالى هذا يوم ينفع الصادقين فيه صدقهم المستمر فى دنياهم وآخرتهم والجملة من المبتدأ والخبر فى محل النصب على المفعولية كما تقول قال زيد عمرو منطلق وبالنصب نافع على الظرف أى قال الله هـذا لعيسى عليه السلام يوم ينفع الصادقين صدقهم وهو يوم القيامة (لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ اللهُ عَنْهُمْ) بالسعى المشكور (وَرَضُوا عَنْهُ) بالجزاء الموفور (ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) لأنه باق بخلاف الفوز فى الدنيا فهو غير باق (لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ) عظم نفسه عماقالت النصارى إن معه إلها آخرا (وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ) من المنع والإعطاء والإيجاد والإفناء نسأله أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

﴿ تم الجزء الأول من تفسير الإمام النسفى ، ويليه الجزء الثانى وأوله تفسير سورة الأنعام ﴾